بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أمدرمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

أثر مجالس الخلفاء في تطور النقد الأدبي في العصرين الأموي والعباسي

(دراسة نقدية تحليلية موازنة)

لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية

إعداد : عبد المنعم أحمد محمد
إشراف أ. د / بلة عبد الله مدني

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وإهداء

الحمد لله وباسمه الأعظم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وبعد

أود في البداية أن أقدم الشكر لكل من عاونني على إخراج هذا البحث وجعله ممكنا بعد أن كان فكرة ، وأخص بالشكر أولاً فضيلة البروفيسور بلة عبد الله مدني ، الذي تشرفت بزمالته حينا من الدهر ،كما أتشرف الآن بإشرافه على هذا البحث . فعرفت فيه قيمة التواضع و سمو الأخلاق ، وحسن التعامل ، والأدب الرفيع مع سماحة العلماء وسعة صدرهم و الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته الغالية التي استفت منها فائدة عظيمة فأسأل الله تعالى أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية.

كما أشكر الإخوة الذين عاونوني في طباعة وتصحيح هذا البحث ولا أخص أحدا بعينه فلهم الشكر جميعا.

كما أشكر عائلتي التي لولا صبرها وتفهمها لما كان هذا البحث. فأشكر لهم صبرهم على انشغالي وابتعادي عنهم. وأهديهم هذا البحث فهو ثمرة من ثمار صبرهم و تفهمهم .

وأخيرا أرجو أن يكون هذا البحث نافعا ومفيدا وأن ينتفع به من يسلك هذا الطريق.

المقدمة

هذا البحث عبارة عن محاولة لدراسة الأساس الفكري الذي بني عليه علم النقد في التراث النقدي العربي في القرون الأربعة الأولى تقريبا ، من خلال الوقوف عند مرحلة من أهم المراحل في التاريخ العربي والإسلامي ، وهي فترة الدولتين الأموية والعباسية . وكذلك من خلال دراسة أهم عامل ساهم مع غيره من العوامل في تبلور النقد كعلم له أصوله وجذوره التي قام عليها حتى استوى على عوده ، وهو ما ساهمت به مجالس الخلفاء في كلتا الدولتين الأموية والعباسية في تبلور و تطور النقد الأدبي .

فالنقد الأدبي طريق ممتد وله حركة دائمة متفاعلة من البناء من اللاحقين على ما تركه السابقون ، ومن هؤلاء السابقين جهود علماء وأدباء ومفكرين كان لهم دورهم المقدر في إرساء معالم هذا الطريق، ويأتي على رأس هؤلاء ما ساهمت به مجالس الخلفاء في عهد الدولتين الأموية والعباسية في رسم بعض معالم هذا الطريق .

ومع اعترافي بأني سلكت - في هذا البحث - طريقا كثر سالكوه إلا أنني أرى أن ما قمت به يسلط ضوءا كاشفا على مرحلة لم تأخذ حظها من البحث والتقصي ، كما أنها لم تلق الاهتمام الذي يتناسب مع ما ساهمت به في بناء و نضج النقد الأدبي .

❁ **الدراسات السابقة** : لقد انصب اهتمام كثير من الباحثين على المراحل المتقدمة إلى حد ما ، من مراحل النقد الأدبي ، وهي مرحلة التأليف ، التي بلغ فيها النقد الأدبي مبلغا من النضج يسمح بالنظر إليه كعلم قائم على سوقه وله قواعده وأسسه الواضحة . وقد اعتبر كثير من النقاد والباحثين أن ما قبل مرحلة التأليف كانت مرحلة تفاعل وبناء لم تتضح معالمه.

وصف بعض النقاد بدايات النقد في نهاية العصر الجاهلي بأنه نقد فطري ، مبنيا علي الذوق ، انتهى بهم –أي الجاهليين - إلى كشف بعض العيوب ، وتوجيه بعض النصائح للشعراء (١) .

أما مرحلة التأليف النقدي التي بدأها ابن سلام فقد وصفوها بأنها مرحلة النضج والازدهار . أو المرحلة التي بدأ النقد يأخذ فيها أبعادا علمية و منهجية . وهذه هي المرحلة التي وجدت من الباحثين القسط الأكبر من اهتمامهم .

إن ما بين البدايات الأولى " النقد الفطري " و مرحلة التأليف النقدي " النضج والازدهار " تبرز مرحلة مهمة من مراحل النقد الأدبي وهي المرحلة التي كانت موضوع دراستنا ، والتي قام بعض المعاصرين من النقاد والباحثين بتحديد معالمها إلا أنهم ألحقوها ببدايات النقد لتشابه بعض ملامحها مع تلك المرحلة إلا أننا نري أنها تتباين معها في كثير من السمات مما يجعلها مرحلة قائمة بذاتها و معلما مهما من معالم طريق النقد الأدبي وذلك للآتي :-

---

١ - معالم على طريق النقد القديم – د. رجاء عبد المنعم جبر – مكتبة الشباب – الجزء الأول – ص ٤٨

أولا : شهدت هذه الفترة – فترة الدولتين الأموية والعباسية – تطورا كبيراً شمل كافة النواحي المادية والفكرية ، بما لا يقاس بما كان عليه الحال في الجاهلية ، لذا فإن من البديهي أن تتطور الحياة الأدبية بما يدفع إلى توسع الفكر النقدي وشموله .

ثانيا : كانت تعقد في الجاهلية أسواق أدبية كسوق عكاظ ، توفر نوعا من الفرص للشعراء لإلقاء قصائدهم وتلقي النقد أحيانا إلا أنها مهما بلغت لا تضارع ما وفرته مجالس الخلفاء . فقد كانت منتديات فكرية وثقافية ، وجد فيها الشعراء والعلماء والمهتمون بالأدب مجالا لنشر إبداعاتهم و تلقي النقد فيها و الرد على منتقديهم . وذلك مما تثبته كثرت الأخبار التي وصلتنا عنها بالمقارنة مع نتف من أخبار الجاهليين في أسواقهم .

ثالثا : كانت لمجالس الخلفاء أهميتها الخاصة ، التي استمدتها من أهمية الخليفة ومكانته في المجتمع . بالإضافة لما كان يجده الشعراء والعلماء من حوافز مادية وأدبية شجعتهم على الإقبال عليها و ارتيادها ، مما وفر لها حضورا دائما و كبيرا من الشعراء والعلماء.

رابعا : كان للخلفاء دور مهم في تلك المجالس بما كانوا عليه من ثقافة عالية ، وعلم ممتاز بالشعر و صناعته مما ارتفع بمستوى الشعر ، و ما كانت تدور حوله من نقاش و ما يصدر عن تلك المجالس من تعليقات و آراء .

خامسا : مثل حضور العلماء في تلك المجالس علامة مهمة ، فقد أثروها بما كان يصدر عنهم من آراء و تعليقات ظل بعضها حاضرا في ذاكرة الناقد العربي إلى يومنا هذا ، كما كان لحضورهم دور مهم في تسجيل ما كان يدور في تلك المجالس من أخبار و آراء وتعليقات حفلت بها كتب الأدب و حفظتها على مدى الأيام .

لكل ذلك فقد تبين أن فترة ما بعد العصر الإسلامي الأول و حتى مرحلة التأليف النقدي ، تعتبر من أكثر المراحل الفكرية غنى و ثراء ، وهي الفترة الأخصب من الناحية المادية والفكرية ، إذ شهدت نمو و ازدهار الدولتين الأموية ، والعباسية ، ولا يخفي على الجميع ما شهدته هاتين الفترتين من استقرار ، بعد قيام الدولتين و هدوء الأحوال السياسية والاجتماعية و تشكل العقل العربي واتصاله بالثقافات الأخرى من فارسية و رومانية وهندية وتركية . وذلك من خلال الاتصال المباشر أو من خلال الترجمة .

لقد أتاحت الدولتان الأموية والعباسية فرصة عظيمة للعقل العربي ليتطور وينمو وذلك بتوفير أدوات هذا النمو من خلال قواد هاتين الدولتين وهم الخلفاء و الولاة وكبار رجال الدولة ، فقد أدي الخلفاء دورا مهما في تعزيز التطور العلمي والثقافي ، بتشجيع العلماء والأدباء على البحث والإبداع وذلك بمختلف الأساليب ، وخاصة بالعطايا والجوائز التي بلغت أحيانا حدا تجاوز التصور . و كان على رأس من استفاد من هذا الانفتاح ، الشعراء الذين عقدت على شرف إبداعهم المجالس الأدبية ، التي أتاحت لهم أعظم منبر لإبراز مواهبهم و إظهار إبداعاتهم .

كان من الطبيعي أن ينعكس الاهتمام بالشعر إيجابا على حركة الأدب والثقافة ، فاتسع الإدراك الإبداعي و تشكلت رؤى جديدة أخذت تنظر للشعر بمنظار عصرها عصر الترجمة والعلوم مع محاولة الاحتفاظ بقيم الشعر الموروثة ، فبدأ الفكر النقدي في التبلور و التشكل ليكون على مستوى رؤية المجتمع الجديد بمفاهيمه المتجددة.

لقد كان من الملفت أن يقود الخلفاء في مجملهم حركة الاهتمام بالعلوم وبالأدب بصورة عامة ، وحركة الشعر بصورة خاصة ، فاهتموا في مجالسهم العلمية والأدبية بالشعر اهتماما فائقا ، و وفروا للشعراء المناخ الإبداعي وذلك وفق رؤيتهم ، و رؤية العلماء ممن ضمتهم تلك المجالس ، فأفرز ذلك رؤى و أفكارا نقدية أثرت في تكوين العقل النقدي للمجتمع عامة وللأدباء خاصة.

لقد شكلت ملاحظات وتعليقات الخلفاء و العلماء والأدباء في تلك المجالس أساسا قويا وفاعلا في كافة مؤلفات النقاد الذين ظهروا لاحقا في فترة نضج و ازدهار النقد ، وكنت بمثابة الأرضية الصالحة لينمو و يتطور فيها النقد الأدبي و يتشكل في صورته الجديدة كعلم له أصوله وقواعده .

لذا فقد كان اهتمامنا في هذا البحث بإبراز هذا التأثير الكبير لمجالس الخلفاء في كلا العصرين وظهور هذا التأثير في مؤلفات النقاد اللاحقين .

من خلال هذه ما تقدم يمكن للباحث أن يحدد عددا من الأسباب التي تدفع إلي اختيار هذا الموضوع مجالا للبحث والتقصي والدراسة والتي يمكن اختصارها في الآتي :

❁ أسباب اختيار الموضوع :

١- تعتبر فترة الدولتين الأموية والعباسية من أكثر الفترات نموا وتطورا في التاريخ العربي والإسلامي . وقد بلغت فيه الحضارة العربية – الإسلامية مبلغا لم تبلغه في كافة مراحلها السابقة . وقد شمل هذا التطور والنمو كافة نواحي الحياة ، وكان علي رأسها التعليم والأدب والثقافة ، فدراسة هذه الفترة تعتبر دراسة لأهم وأخصب فترات الأدب والثقافة .

٢- مركزية الدولة في كلا العهدين الأموي والعباسي بحيث أصبحت الدولة مركز الثقل السياسي والاجتماعي والثقافي لكافة قطاعات المجتمع . وقد أصبح الخليفة هو القائد والموجه لأغلب أنشطة الدولة هذا إن لم يكن لكلها ، من سياسة واقتصاد وثقافة وعلم. فدراسة عالم الخلفاء وقصورهم وكانوا عليه من اهتمام بالعلم والأدب يعطينا فكرة واضحة لمجمل حركة العلوم والأدب في عصرهم .

٣- تميزهاتين الحقبتين من تاريخ الدولة الإسلامية تميزا واضحا لا من حيث النمو والتطور الذي شمل كافة أنشطة الحياة فحسب، بل ما تهيأ لهما من اتصال وتأثر بالأمم الأخرى ذات الحضارة والثقافة العريقة من فرس وروم وغيرهم . وما تبع ذلك من توسع للعقل العربي وما تبع ذلك من نشأة علوم جديدة لم تتضح معالمها إلا في هذين العصرين ، ومن هذه العلوم علم النقد الأدبي .

٤- اهتمام الخلفاء بالثقافة والعلوم اهتماما بالغا وتشجيعهم للعلماء والشعراء مما انعكس إيجابا على حركة الأدب والعلوم وكان له الأثر الكبير في التطور والنمو الذي تميزت به تلك الحقبة . فحياة الخلفاء لم تكن كلها سياسة أو صراعا من أجل السلطة . لذا فإن هذه الدراسة تكشف عن وجه آخر من وجوه أهل السلطة في لك الزمن وتخبرنا عن مكامن لم تجد نصيبا يليق بأهميتها من الدراسة والبحث .

٥- تميز الخلفاء أنفسهم بنوع من العلم والثقافة العالية ، مما مكنهم من قيادة ركب العلوم والأدب بشكل عام ، وبالشعر والشعراء بوجه خاص ، وقد أضفت عليهم مكانتهم الريادية نوعا من الأهمية مما جعلهم قبلة للعلماء و الشعراء من كل حدب وصوب .

٦- حفلت كتب الأدب بأخبار قصور الخلفاء وما كان يعقد فيها من مجالس أدبية وعلمية . وما كان لهؤلاء الخلفاء من آراء وأفكار نقدية قيمة ، مبثوثة في ثنايا هذه الكتب ، وقد بني عليها كثير من النقاد ما جاءوا به من نظريات وأفكار . ومع ذلك لم تجد هذه تأثير هذه المجالس في كتب النقاد القدماء حظها من الدراسة والبحث الذي يوازي أهميتها العلمية والأدبية .

٧- حوت هذه المجالس خلاصة ما كان من ثقافة العصر و علومه الخاصة بالشعر ، وذلك لكثرة ما كان يؤمها من العلماء والشعراء ومثقفي المجتمع وصفوته . لذا فإن دراستها تعني بالأساس دراسة الأساس الثقافي والأدبي لقمة الهرم الفكري في تلك العصور .

٨- شكلت مجالس الخلفاء أهمية إبداعية كبري للشعراء ووفرت لهم مسرحا للذيوع والشهرة ، وملتقى ثقافيا وأدبيا للعلماء والمهتمين بالأدب مما يجعلها مهرجانا أدبيا بلغة عصرنا هذا . وكان حرص الشعراء والعلماء على التفوق فيها واضحا ، لذا فقد شكلت ركنا مهما من أركان الإبداع في عصرها .

٩- وقد اقتضى البحث أن تبدأ دراسة كل عصر من العصرين بنبذة تاريخية ، تلقي الضوء وتساهم في اكتشاف ما بلغته الدولة والمجتمع من تطور مادي و فكري ، وما كان من أثر هذا التطور في الحركة الثقافية و الأدبية ، لأنه كما هو معلوم أن الأدب والفكر هما ناتجين من نواتج المجتمع ولا يمكن فهم نموهما أو تطورهما بمعزل عن المجتمع وما يجري فيه .

❁فروض البحث :

يفترض هذا البحث جملة من المسائل التي يحاول الباحث تحقيقها من خلال البحث ، والتي يمكن إجمالها في الآتي :

أولا : إن الشعر ظل خلال العصرين الأموي والعباسي ديوان العرب والأسلوب الأدبي الأول ، كما كان في العصر الجاهلي والإسلامي الأول . لذا فقد ظل الاهتمام به كبيرا ومتزايدا في هذين العصرين.

ثانيا : إن النمو والتطور الذي أصاب المجتمع والدولة في هذين العصرين وما تبعه من ترف وغنى ، كان له أكبر الأثر في حركة الأدب والثقافة مما أدى إلي أن يبلغ الأدب خاصة والعلوم عامة مبلغا من التطور لم يشهداه من قبل .

ثالثا : لعبت حركة التطور والنهضة التي شهدها هذان العصران دورا مهما في توسع العقل العربي ، مما أدي إلى ظهور كثير من العلوم المرتبطة باللغة والأدب كعلم النحو والصرف والعروض فكان لابد للنقد أن يأخذ حظه من هذا التطور.

رابعا : لعب الخلفاء والأمراء دورا محوريا وهاما في تشجيع العلماء والشعراء على الإبداع والابتكار ، بمختلف الطرق . وكان لهم دورهم البارز في النهضة العلمية والثقافية التي ميزت عهودهم التي حكموا فيها .

خامسا : تميز الخلفاء في مجملهم بحس فني رفيع وذوق أدبي ولغوي متميز بما توفر لديهم من علم وثقافة عالية ، وقد انعكس ذلك في اهتمامهم بالشعر والشعراء و بتشجيعهم على الإبداع والابتكار ، وكانت مجالسهم الأدبية مسرحا للشعراء وميدانا للمنافسة . ونيل العطايا والشهرة .

سادسا : شكلت ثقافة الخلفاء وحضور العلماء لمجالسهم بيئة ثرة لظهور بعض الآراء والتعليقات حول ما كان يلقى عليهم من شعر وما كان يدور من نقاش و أفكار بذر البذرة الصالحة لتهيئة الجو المناسب لظهور علم النقد مبنيا على خلفية ما كان يدور في هذه المجالس .

سابعا : إن ما ظهر من آراء وما كان تعليقات في مجالس الخلفاء في كلا العصرين احتفظت به كتب الأدب التي أرخت لهم . ليس كأخبار وأحاديث مجالس للسمر والمتعة وإنما موضوعات حية يتناقلها الكتاب ويتداولونها شارحين ومفندين ومعارضين وموافقين لها كل حسب موقفه.

ثامنا : إن كتب النقد الأولى اعتمدت إلى حد كبير على ما كان يدور في هذه المجالس من آراء وتعليقات ، اعتمدت عليها كأساس بنت عليه بعضا من آرائها ونظرياتها ، مما يدل علي مبلغ تأثير هذه المجالس في مسيرة النقد الأدبي بما مدتهم به من مادة علمية ثرة ومفيدة .
تاسعا : إن لهذه المجالس تأثيرا مباشرا على تطور الشعر وموضوعاته خاصة شعر المديح ، كما لها تأثير نفسي عميق على الشعراء والعلماء بما وفرته لهممن مناخ ممتاز للظهور والشهرة . وبما تمتعوا به من هبات وعطايا لم يبخل بها الخلفاء علي الموهوبين والمبدعين منهم .
من خلال هذه الفروض يمكن تلخيص أهداف البحث في الآني :

❁أهداف البحث :

أولا : دراسة التطور السياسي والاجتماعي الذي أعقب قيام الدولتين الأموية والعباسية . وما أحدثته هاتين الحقبتين من انقلاب حقيقي في الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمع المسلم بعد عهد الرسول الكريم(ﷺ) و صحابته الكرام (ﷺ) .

ثانيا : دراسة التأثير الكبير لهذا الانقلاب السياسي والاجتماعي في الحياة العلمية والثقافية . خاصة بعد توسع الدولة واتصالها بشعوب وأمم ذات حاضرة عريقة كالروم في الشمال والفرس في الشرق وغيرهم من الشعوب والأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام أو أصبحت مجاورة لدولته المترامية الأطراف .

ثالثا : دراسة التطور العلمي والثقافي لهذا المجتمع المتطور وما أصاب العقل العربي من تفتح على الثقافات الأخرى ، ونشأة بعض العلوم الجديدة خاصة بعد شيوع الترجمة مما وفر مناخا مواتيا لنمو وتطور العلوم المرتبطة بالأدب عامة وبالشعر على وجه الخصوص .

رابعا : دراسة ظاهرة مجالس الخلفاء في ظل ذلك التطور ونصيب الشعر من اهتمام الخلفاء به في مجالسهم . وجذبهم للشعراء واستمالتهم إليهم بدواعي السياسة والاهتمام به كتراث عربي وثقافة وأسلوب أدبي لم تضمحل مكانته حتى في ظل هذا التطور الكبير .

خامسا : محاولة دراسة الأساس العلمي لظاهرة النقد الأدبي بعد بداياته الأولى وما أسهمت به مجالس الخلفاء في وضع الأسس العلمية الأولى له تمهيدا لظهور هذا العلم كعلم له أصوله وقواعده . وذلك من خلال مبحثين مهمين :

أولهما محاولة تتبع ما كان يدور في هذه المجالس من آراء و أفكار لاستخلاص الرؤى والأفكار النقدية التي كانت تدور فيها. وذلك بالموازنة بين مجالس الخلفاء في عصر بني أمية وفي عصر بني العباس لتبيان الأسس النقدية في كليهما .

وثانيها : بيان أثر هذه المجالس في المؤلفات النقدية التي ظهرت إثر ذلك متأثرة بما كان يدور من آراء وأفكار شغلت الشعراء و المهتمين بالأدب ، للدلالة على مبلغ تأثير هذه المجالس في نشأة وتطور النقد الأدبي .

❁ منهج البحث :

بما أن هذا البحث عبارة عن دراسة نقدية تحليلية تستند على الإرث النقدي التاريخي في حقبتين زمنيتين مختلفتين فقد رأى الباحث أن يقوم منهجه البحثي على ما يمكن تسميته **بالمنهج الشامل** أو المتكامل . والذي سيكون عماده المنهج الوصفي التحليلي القائم على رصد وتابعة ما كان يدور من لآراء وأفكار نقدية مبثوثة كمتفرقات في كتب الأدب ، ثم تحليل هذه الأفكار والآراء من الناحية النقدية ، ومحاولة تأصيلها كآراء وأفكار ذات أسس وجذور علمية .

كما اقتضت الدراسة توظيف المنهج الاستدلالي و الاستقرائي للمساعدة في استخلاص النتائج التي توصل إليها الباحث ، لذلك من خلال دراسة موازنة بين آراء الخلفاء النقدية في العصرين الأموي والعباسي .

كما شملت الدراسة جانبا استنباطيا تفردت به خاصة في الاستدلال على قوة وشدة تأثير مجالس الخلفاء في مؤلفات النقاد ممن تصدوا للنقد كعلم وألفوا فيه كبداية لتأسيس علم جديد له أصوله وقواعده .

لقد رأى الباحث أن من المفيد ألا يعتمد منهجا واحدا قد لا يفي بمتطلبات البحث الذي تتعدد فيه الجوانب وتتمازج فيه الأفكار وقد تتجاذب أحيانا بعدا أو قربا ، لذا فقد رأي أن من المناسب اعتماد الشامل أو التكاملي الذي يتيح للباحث فرصة أوسع وحرية أكبر في الانطلاق والبحث .

❁هيكل البحث :

اقتضت الدراسة في هذا البحث تقسيمه إلى أبواب ثلاثة ، و تقسيم الأبواب إلي فصول مختلفة علي حسب مقتضيات كل فصل .

الباب الأول : و قد راى الباحث تخصيصه للعصر الأموي ، ويشتمل على الفصول الآتية :

الفصل **الأول** فقد تعرض فيه لنشأة الدولة الأموية وتطورها سياسياً واجتماعياً وأثره في تطور الحياة الأدبية .

أما الفصل **الثاني** فقد تكلم فيه عن الحياة الاجتماعية والحركة العلمية والثقافية في العصر الأموي . والفصل **الثالث** عن الحياة الثقافية والعقلية وعوامل نهضة الأدب والنقد في العصر الأموي أما الفصل **الرابع** فكان عن أثر مجالس خلفاء بني أمية في الحياة الأدبية وفي الفكر النقدي . والفصل **الخامس** وهو الأخير في هذا الباب اختتم به مبحث هذا الباب بالكلام عن أثر مجالس خلفاء بني أمية في تطور النقد الأدبي .

الباب الثاني : فهو عن العصر العباسي وقد قسمه إلى الفصول الآتية :

الفصل **الأول** : نظام الدولة العباسية السياسي والإداري والمالي .الفصل **الثاني** : الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية وأثرها على الثقافة والأدب . أما الفصل **الثالث** : ازدهار العلوم والأدب في العصر العباسي . والفصل **الرابع** : عوامل نهضة الشعر في العصر العباسي . و قد عقد الفصل **الخامس** الأخير في هذا الباب لتبيان أثر مجالس خلفاء بني العباس في تطور النقد الأدبي .

الباب الثالث : و هو عن دور مجالس الخلفاء في العصرين في تطور النقد الأدبي . و فيه فصلان و خاتمه . الفصل **الأول** عن مجالس الخلفاء في العصرين الأموي و العباسي دراسة موازنة . والفصل **الثاني** عن أثر آراء الخلفاء في مؤلفات النقاد.

أما **الخاتمة** فتأتى خلاصة لما ورد في هذا البحث ، وقد تعرض فيه الباحث فيها لبعض الملاحظات التي مرت به خلال كتابته له ، وما خلص له من نتائج مفيدة بإذن الله ، مع التوصيات التي اقترحها الباحث لتكون عونا لمن يرغب في الاستافدة منها.

أثبت الباحث في نهاية هذا البحث قائمة بالفهارس التي تتكون من فهرست الآيات وفهرست الأحاديث وفهرست الأشعار وقائمة بالمراجع و المصادر التي أخذ منها مادته العلمية التي استفاد منها في جمع مادته العلمية ، والله الموفق .

الباب الأول

العصر الأموي

الفصل الأول

نشأة الدولة الأموية
وتطورها سياسياً واجتماعياً
وأثره في تطور الحياة الأدبية

عند ظهور الإسلام في جزيرة العرب غيَّر الحياة السياسية والاجتماعية فيها وانداحت دائرة التغيير لتشمل الأمصار والبلدان التي دخلها من جنوب جزيرتهم في اليمن إلي الشام في الشمال عند حدود دولة الروم ، ومن بلاد فارس في الشرق إلي شمال أفريقيا غربا . وقد تبع هذا الاتساع بطبيعة الحال امتزاجا وتداخلا اجتماعيا وثقافيا بين العرب الفاتحين والسكان الأصليين انعكس في العادات والتقاليد وفي الأدب وأغدق على المدن العربية الأموال والثروات الطائلة .

تبع كل هذا نمواً وتطوراً في المجتمع والدولة ، وقد سار هذا التطور متدرجاً وبمراحل مختلفة ، ففي العصر الإسلامي الأول عهد الرسول (ﷺ)كانت البساطة والبداوة والتمسك بتعاليم الدين الجديد هي السمة الغالبة في مجتمع وليد تشرب بقيم سامية وعظيمة ، وقام عليها رجال عظماء كان حبهم لرسولهم يفوق حبهم لأنفسهم وكان احترامهم له ولما جاء به مضرب الأمثال وكانت طاعتهم له لم يعرف التاريخ لها شبيها ، لم يعملوا للدنيا ولم يتعلقوا بها ، وكان زهدهم فيها نابعا من إيمانهم بأنها مطية للآخرة لا أكثر.

كان ذلك في عهد الرسول (ﷺ) ولم يختلف الحال في عهد الخلفاء الراشدين الذين ساروا على هديه وإن بدأت ملامح التغير والتطور في الظهور مبكرا في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبدأت ملامح التغييرتتشكل متمثلة في البداية في إنشاء دواويين الدولة ، وتنظيم القضاء .إلا إن ذلك التطور لم يشكل إلا البداية فقط لما سيحدث من تطور جذري سيعم كل أرجاء الدولة والمجتمع والذي كان الرسول (ﷺ)قد تنبأ به وحذر من تبعاته السالبة على المجتمع والدولة([1]) .

ويمكننا أن نقول إنه بتولي سيدنا معاوية بن أبي سفيان أمور الحكم وبداية الدولة الأموية بدأت الدولة والمجتمع في سلسلة من التغيرات إلتي سرعان ما توسعت ونمت لتشمل كل جوانب الحياة وكان من الطبعي جدا أن تتأثر اللغة العربية بهذا الامتزاج بالأمم الأخرى خاصة وأن العرب في جزيرتهم قبل الأسلام لم يعرفوا هذا النوع من التداخل مع غيرهم وبهذا التوسع الكبير فحافظوا علي لغتهم وعلي كيانهم وعاداتهم أما وقد أصبحوا أمة ذات رسالة وقوة فقد حملوا رسالتهم ولغتهم إلي غيرهم من الأمم والشعوب وتولد عن هذا الامتزاج أن تغيرت حياتهم وتبدلت وعرفوا نعيم الحياة ورغدها بعد الشظف والفقر . وكان من الطبيعي أن يشمل هذا التغير اللغة العربية التي لم تعد لغة إقليم واحد واسفاضت علي ألسنة المسلمين وليس بمقدور الكل أن يتحدث العربية كأهلها . فارتضخوا أنواعا من اللُكنة وأحدثوا أوضاعا من الخطأ علقت بألسن المستضعفين من العرب والناشئين منهم بين الموالي ، ونشأ اللحن في بداية انتشار الإسلام ودخول القبائل بلهجاتها وألسنتها المختلفة و الأعاجم فيه واستفحل في عهد الدولة الأموية عندما توسعت الدولة واتسعت رقعة الإسلام وامتدت إلي بلاد بعيدة عن معقل الإسلام وحصن لغته . وخيف منه - أي

1- حديث الرسول الكريم: " عن أسيد بن حضير رضي الله عنه ، أن رجلا من الأنصار قال : يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانا ، قال : ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني علي الحوض " مختصر صحيح البخاري للإمام زين الدين الزبيدي – داز النفائس بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٩٩٠ م . ص ٣٤٧.

اللحن- علي القرآن فوضعوا النحو والشكل والإعجام والنقط [1]. وبذلك نشأت علوم اللغة العربية وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ الحياة الثقافية والأدبية للعرب والمسلمين .

نشأة الدولة الأموية :

لم تكن ولادة الدولة الأموية أمرا سهلا ميسرا ولكنه جاء نتاج مخاض صعب وعسير ، فقد خلف مقتل عثمان (رضي الله عنه) شرخا في الأمة أدى إلي انقسامها إلي فريقين ، فريق بايع سيدنا علي كرم الله وجهه ، ورأى أنه الأحق بالخلافة من كل ماعداه ، بينما كان يرأي الفريق الثاني المطالبة بدم الخليفة المقتول ومعاقبة الجناة أولا وقبل حسم أمر اختيار خلف له ، وكان علي رأس هؤلاء بنو أمية الذين كانوا يرون أنفسهم أحق من كل الناس بالمطالبة بدم عثمان(رضي الله عنه)لانتمائه إليهم .

كان علي رأس بني أمية سيدنا معاوية بن أبي سفيان والي سيدنا عثمان (رضي الله عنه)علي الشام ، وقد تطور الصراع من المطالبة بدم الخليفة المقتول إلي المطالبة بتولي السلطة . ذلك أنهم رأوا أنهم أولى بالخلافة من غيرهم لأنهم كما ذكرنا أهل الخليفة الذي مات ظلما وغدرا ، وليس أقل من أن يتولى الأمر من بعده أهله ومن شايعه وأيده فيما كان من فتنة أودت بحياته .

وقد تطور الأمر إلي أن أدي إلي الاقتتال بين الفريقين في واقعة صفين ثم كانت حادثة التحكيم الشهيرة التي أدت بدهاء سيدنا عمرو بن العاص إلي انقسام صف سيدنا علي وخروج قسم من الموالين له عليه ممن لم يرتضوا مبدأ التحكيم أصلا وقد سمي هؤلاء بالخوارج ، وقد أدى هذا إلي إضعاف موقف سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، من الناحيتين العسكرية والسياسية وأدى في النهاية إلي مقتل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على يد عبد الرحمن بن ملجم في مسجده في الكوفة وهو قائم يصلي الفجر .

لقد أدى هذا العنف الذي صاحب نشأة الدولة الأموية وما استحدثه الأمويون من تغير في نظام الحكم إلي نظام الوراثة في الخلافة مما لم يعرفه المسلمون من نبيهم (ﷺ) ولا خلفائه من بعده و قد أدى كل ذلك إلي انقسامات خطيرة في المجتمع كما أدى إلي قيام الفرق والجماعات الدينية والسياسيةالمناهضة للأمويين. خاض الأمويون حروبا كثيرة في الداخل والخارج وكان عليهم مواجه جماعات الخوارج والشيعة[2] ، وغيرهم من الكارهين لهم ، وقد كان رد الأمويين عنيفا علي خصومهم في الداخل ولكن ذلك العنف لم يكن سبيلهم الوحيد في المعاملة مع معارضيهم ، فقد نال معاوية الخلافة- كما يقول معظم المؤرخين- بحد السيف تارة وبالمكيدة

١- أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي – دار الثقافة – بيروت – لبنان الطبعة السادسة والعشرون . ص ٢٠٥

٢- - الخوارج : هم جماعات خرجت على علي كرم الله وجهه ومعاوية معا ، وقد حاربهم سيدنا علي فلما قتل ظلوا علي قتالهم للأمويين وكانوا سببا من أسباب ضعفها . أما الشيعة : فهم من شايع عليا وأهل البيت وظلوا على ولائهم لهم وزادهم غلوا وتطرفا في حبهم لهم مقتل الحسين في كربلاء وقد ظلوا يقاتلون الأمويين في كل العهود وكانوا سببا في قيام الدولة العباسية فيما بعد . الملل والنحل للشهرستاني ج ١ص١٥٥. وص ١٥٦ .

وبالسياسة تارة أخرى . ([1])

أما بالمكيدة فقد كان التحكيم بين علي ومعاوية أكبر مكيدة أنقذت معاوية وجيشه من هزيمة كانت مؤكدة ، أدت إلي زعزعة وانقسام صف سيدنا علي كرم الله وجهه وكان ذلك من تدبير وتخطيط سيدنا عمر بن العاص داهية العرب كما كان يعرف . فقد روي أن عمرا بن العاص ([2]) لما رأى أن أمر العراق قد أشتد وخاف الهلاك قال لمعاوية هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعا ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ .([3])

أما بالسياسة فقد أخذ أشراف القرشيين وناسا من آل علي(كرم الله وجهه) وبعضا من خصومه باللين والحكمة وكان بعضهم يغلظ له الحديث وهو أي معاويه يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يصدهم إلا بالجوائز السنية والصلات الجمة ، فقد روى أن معاوية قال يوما لقيس بن سعد بن عبادة (رضي الله عنه)، وهو رجل من الأنصار : " يا قيس ! والله ما كنت أود أن تتكشف الحروب التي كانت بيني وبين علي وأنت حى " ، فقال قيس : " والله ،نـي كنت أكره أن تتكشف تلك الحروب وأنت أمير للمؤمنين " . فلم يقل له معاوية شيئا ، وهذا من أجمل ما كانوا يخاطبونه به. ([4])

أما أخذهم لخصومهم بالشدة والعنف فلا أدل على ذلك من واقعة كربلاء ومقتل الحسين (رضي الله عنه) ، ومن تنكيل واليهم الحجاج بن يوسف الثقفي بخصومهم وبطشه بكل معارض لحكمهم . ولم تكن كربلاء ومقتل الحسين (رضي الله عنه) سنة٦١ هجرية نهاية التمرد الداخلي علي الأمويين فقد شهدت الدولة الناشئة خروج بلاد الحجاز عليها فقد تمردت المدينة المنورة على يزيد بن معاوية (٦٠ – ٦٣ هـ/٦٨٠ – ٦٨٣ م) فحاصرها قائده يزيد بن مسلم ودخلها جنده واستباحوها ثلاثة أيام وقتل فيها خيرة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ثم جاء الدور على مكة وكان عبد الله بن الزبير قد دعا إلى نفسه فيها وتبعه أهلها ، وفي هذه الواقعة لحق بالكعبة خراب كبير ولم يعد الحجاز إلى أحضان الدولة الأموية إلا في عهد مروان بن الحكم . ولم يقتصر الأمرعلى قتال طالبي الخلافة فقد أدت سياسة بني أمية إلى بروز العصبيات القبلية التي قضى عليها الإسلام والتي طالت حتى الشام معقل الأمويين الحصين وركنهم الركين خاصة بعد موت معاوية الثاني ، ولم تقتصر نار الفتنة على الشام بل شملت كافة الولايات وخاصة في خراسان ([5]) ووصلت إلى أطراف الدولة

---

١ - الكامل في التاريخ : ابن الأثير – المجلد الثالث – دار الصادر – بيروت ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٢ م.

٢- عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم السهمي أبومحمد صحابي من صحابة رسول الله (ص) و من أشراف قريش ودهاة العرب أسلم في هدنة الحديبية وتولى قيادة جيش المسلمين علي عهد رسول الله وخليفتيه أبي بكر وعمر (ض) كما فتح مصر وبنى الفسطا فيها وقد ولاه معاوية عليها وتوفي فيها سنة ٤٣ للهجرة . كتاب: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حيان بن أحمد التميمي البستي بتحقيق مرزوق علي إبراهيم . دار الوفاء المنصورة .ط الأولي ١٩٩١م .

٣- الكامل في التاريخ ابن الأثير – المجلد الثالث – دار الصادر – بيروت ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٢ م .

٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي و الاجتماعي : د. حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ١٩٧٩ م ص ٢٩٠.

٤- المرجع السابق . ص ٢٩٣

التي وصلت إليها الفتوح العربية . وقد بدا مروان بن الحكم كما أسلفنا في محاولة إخماد نيران الفتنة وإخضاع الأقاليم الخارجة عليه وقد أشرفت الدولة على الزوال لولا أن قيض الله لها عبد الملك بن مروان الذي يعتبر بحق المؤسس الثاني للدولةالأموية[1] .استطاع عبد الملك بن مروان أن يعيد الاستقرار إلى الحجاز بعد مقتل عبدالله بن الزبيرواستطاع واليه الحجاج أن يبسط سلطان الدولة على العراق وما والاها من بلاد المشرق حتى إذا تولى الوليد أمر الدولة كانت الأمور قد استتبت إلي درجة نعمت البلاد فيها بالأمن والاستقرار مما مكن الدولة ان تستمرفي التوسع وفي الفتوحات التي بدأها مؤسس الدولة الأول معاوية بن أبي سفيان وقد فتح المهلب بن أبي صفرة - واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن العتيك من الازد، ويكنى أبا سعيد- والي خراسان من قبل الحجاج الكثير من البلدان في المشرق سنة تسع وتسعين وغزا مغازى كثيرة في تلك الأنحاء [2] .

يعتبر عهد الوليد بن عبد الملك العهد الذي شهدت فيه الدولة الأموية أكبر حركة للتوسع والفتوحات ، وقد اشتهر في عهد الوليد ثلاثة من القواد كان لهم الأثر الكبير في مد سلطان الدولة الأموية إلى ما جاورها من البلدان والأمصار، وكانت لهم شهرة ومكانة وهم قتيبة بن مسلم الباهلي و محمد بن القاسم بن محمد الثقفي و موسي بن النصير. فقتيبة كانت غزواته في بلاد ما وراء النهر وكانت أهم البلاد التي قام بفتحها بخارى وسمرقند ووصل بجيشه إلى حدود الصين . أما محمد بن القاسم فقد تولى فتح بلاد الهند ووصل إلى نهر السند . كان فتح بلاد شمال أفريقية والأندلس من نصيب القائد موسي بن النصير ومولاه طارق بن زياد الذين استطاعا أن يضماها للدولة الأموية و أن يصلا بجيش المسلمين إلي جبال البرنس [3].

كان لهذا التوسع الجغرافي الكبير أثرواضح علي الوضعين السياسي والاجتماعي ، ففي الجانب السياسي كان هذا التوسع نفسه نتيجة لاستقرار الدولة وبسط نفوذها الكامل علي كل الأقاليم التي شقت عصا الطاعة عليها وكما رأينا سابقا فقد نجح الأمويون في القضاء على معظم إن لم يكن كل خصومهم ولم يعد هناك من الخصوم من له شأن ينازعهم في أمر الحكم مما مكنهم من الالتفات إلى التوسع في الفتوحات الخارجية كما فصلنا سابقا.

الدولة ونظام الحكم والإدارة:

حكم الأمويون هذه الدولة الشاسعة زهاء ثمانين سنة (٤٠ – ١٣٢ هـ / ٦٦١ ٧٥٠م) وقد تعاقب على دست الحكم فيها ما يقرب من أربعة عشر خليفة [4] ، كان من بينهم الأقوياء الذين قامت على أكتافهم الدولة وقويت أركانها كمعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة ، ومروان بن

٥- هو عبد الملك بن مروان بن الحكم خامس الخلفاء الأمويين ولد بالمدينة و تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه سنة ٦٥ هـ و توفى سنة ٨٦ هـ ، دام حكمه ٢١ عاما ، كان عالما بفنون القول فصيحا بليغا متذوقا للشعر ، له الكثير من التعليقات والملاحظات النقدية على الشعراء . البداية والنهاية (ج ٨ / ص٢٨- ٣٧٣ و ج ٩ / ص٣ – ٧٥)

١- فتوح البلدان ،الشيخ البلاذري الجزء الثالث / ص ٥١٤.

2 - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية ط. التاسعة ١٩٧٩م ص ٣٠٦

3- المرجع السابق - ص ٢٨٠

الحكم موطد أركانها ، ومنهم أيضا الوليد بن عبد الملك الذي كان عهده عهد فتح ويسر ورخاء .ومن خلفائهم الخليفة عمربن عبد الغزيزالذي أعاد للخلافة مجدها الأول حتى عرف بخامس الخلفاء الراشدين وقد أحدثت هذه الدولة نقلة نوعية باستحداثها نظام توريث الحكم مما لم يعرفه المسلمون عن نبيهم (ﷺ)ولا عن صحابته رضوان الله عليهم ، وكان هذا إيذانا بانتهاء عصر عصرجديد أصبح الحاكم فيه يسمى الخليفة بدلا من أمير المؤمنين(١). كما نجد من تسمي بالوزير من مساعدي خلفاء بني أمية كزياد بن أبيه في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وروح بن زنباع في عهد عبد الملك. وكان من أكبر أعوان الخليفة " الكاتب " وقد تعدد الكتاب في عهد الأمويين لتعدد مصالح الدولة وأصبح الكتاب خمسة : كاتب الرسائل وكاتب الخراج و كاتب الجند و كاتب الشرطة كاتب القاضي وكان أهمهم كاتب الرسائل . وكان الخلفاء لا يولون هذه المناصب إلا لأقربائهم و كان من أشهر كتاب بني أمية ، سالم كاتب هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب ، كاتب مروان بن عبد الحكم .

كان الرسول الكريم (ﷺ)لا يمنع أحداً من الدخول عليه ولم يتخذ حرساً بعد أن حماه الله وكفاه بأس الكفار بقوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"(٢) ، وكذلك كان اصحابه رضوان الله عليهم ، وقد وصف الشاعر الفاروق (رضي الله عنه) فقال:

أمنتَ لما أقمتَ العدل بينهم فنمتَ نومَ قرير العين هانيها (٣)

فلما تولي بنو أمية الحكم اتخذوا الحجاب وقد ذكر بعض المؤرخين أن أول من اتخذ الحجاب منهم معاوية الأول مؤسس الدولة بعد حادثة الخوارج مع علي (كرم الله وجهه) وعمرو بن العاص (٤) .

لكن يبدو أن اتخاذ الإبهه ومظهر الملوك قد بدأ يظهر على معاوية قبل ذلك بكثير إذ يحفظ التاريخ لنا واقعة مقابلة سيدنا عمر بن الخطاب في رحلته الشهيرة إلي بيت المقدس لمعاوية فقد رأى منه الخليفة من مظاهر السلطان والعظمة ما جعله يعرض عنه حتى كلمه الناس في ذلك وكان رأى معاوية أنه ما فعل ذلك إلا لأنه رأى أن ذلك من لوازم احترام الناس في تلك البلاد لأصحاب السلطان ، وعلى كل فإن سيدنا عمر(رضي الله عنه) لم يقبل منه ذلك ولكنه أيضا لم يرده ، فنفهم من ذلك أن هناك تغيراً قد بدأ وأن الدولة من الآن فصاعدا لن تكون هي الدولة الناشئة في أحضان المثل الدينية العليا ولا في مجتمع البراءة البدوية البسيطة ، وقد أدرك الأمويون ذلك على ما يبدو

4- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية ط. التاسعة ١٩٧٩م ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

1- سورة المائدة الآية ٦٧ : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، والله لا يهدي القوم الكافرين "

2- البيت من قصيدة للشاعر المصري المعاصر حافظ إبراهيم يمدح فيها سيدنا عمربن الخطاب ويشيد بمآثره – الموسعة الشعرية٢٠٠٥م

3- المراد بهم الثلاثة من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم وقدتكفل بقتل علي والبرك بن عبد الله بقتل معاوية و عمروبن بكر التميمي بقتل عمرو بن الغاص وتعاهدوا على ذلك ، فظفر عبد الرحمن بعلي ونجا صاحباه . كتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير الجزءالثالث . دار صادر بيروت .١٩٨٢ م . ص ٢٨٩ .

في وقت مبكر استجابة لدواعي الأمن وبسط هيبة الدولة ولحاجة صادفت هوى ورغبة في نفوس بعض خلفائهم فاتخذوا الحجاب ونظموا أمر دخول الناس إليهم وكان ذلك بداية ابتعاد الخلفاء عن العامة وانفراد الخاصة والبطانة بهم تمهيداً لقيام مجالس الخلفاء .

لا يكابر مكابر أو يغالط مغالط في أن أوائل المسلمين من الصحابة وغيرهم كانوا يحاربون ابتغاء مرضاة الله لا يبتغون من وراء ذلك كسباً دنيوياً عاجلاً بل لقد بذل بعضهم من ماله الخاص في وجوه البر والاحسان وفي الجهاد وتجهيزالجيوش ، ولا يعني ذلك أن الجميع كان في مثل هذه المثالية العليا من القيم والأخلاق فقد جاء في السيرة المطهرة أن البعض كان مهتما بالغنائم أيضاً ، وفي ظني كما في ظن الكثيرين أن سبب الهزيمة في " واقعةأحد" تخلى الرماة عن مواقعهم بالرغم من تأكيد الرسول(ﷺ)عليهم بعدم مغادرة مواقعهم " إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم " [1] .ثم نزلت سورة اللأنفال لتبين للمسلمين كيفية تقسيم الغنائم ، ولم يعرف أحد من المسلمين كيف يمكنهم إدارة هذه الأموال عندما كثرت إلا بعد أن أشار أحد مرازبة الفرس على سيدنا عمر بإدخال نظام الدواوين لضبط دخل الدولة وخراجها . بذلك بدأ تنظيم أمور الدولة لأن الديوان وهي كلمة فارسية معناها سجل أو دفتروأطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذى يحفظ فيه الديوان أو السجل ، والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ، و من يقوم بها من الجيوش و العمال .

لا شك في أن بني أمية هم من عمل على تطوير هذه الدواوين والارتقاء بها مستفيدين من إتصالهم بالأمم المجاورة لهم والتي كانت أكثر تطوراً وأعمق حضارة منهم مثل الروم في الشمال والفرس في الشرق . وقد انحصرت الأعمال الإدارية في عهدهم في أربعة دواوين رئيسية : ديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان المستغلات أو الايرادات المختلفة ، وديوان الخاتم والذي كان من أكبر دواوين الدولة وقد أنشأه معاوية بن أبي سفيان . وقد شهدت دواوين الدولة أكبر حركة للتطوير في عهد الخليفة عبد الملك الذي أمر بتعريب هذه الدواوين وما يتعلق بها ما مكاتبات ومسميات ، لما تم في عهده إصلاح العملة في خطوة بالغة الأهمية تدل على حسن السياسة وبعد النظر .

من الإصلاحات المهمة أيضا الولاية على الأمصار والبلدان ، فقد كانت سلطة رسول الله (ﷺ)سلطة دينية وسياسية وكان (ﷺ)هو الذي يعين العمال وينيب عنه من يشاء على المدن أو القبائل ، وعندما تولى سيدنا أبوبكر الخلافة أقرعماله (ﷺ)على أعمالهم التي كانوا عليها ، وقد ظلت الدولة تتوسع في كل عهد مما كان يقتضي تقسيم البلاد إلي أقسام إدارية كبيرة يسهل حكمها و الإشراف عليها كما حدث في عهد سيدنا عمر (رضي الله عنه). ولم يكن العامل يستمد سلطته من منصبه ولم يكن مطلق السراح في إدارة إقليمه ، وإنما كان كما يفيد اسمه يستمد سلطته من مخدمه الذي هو الخليفة وقد استعملت كلمة " والي" فيما بعد بدلا عن "عامل"، ثم أننا نجد فيما بعد الوالي والذي تحول إلى أمير وهذا ما قد يشير إلي أن العامل قد أصبح له بعض النفوذ والسلطان كما هو الحال مع الحجاج والذي تحولت الإمارة على يديه إلى سلطة استبدادية يفرد هو فيها بكافة

4- الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، دار الوفاء للطباعة والنشروالتوزيع ـ المنصورة ، ط السادسة ١٩٨٨ـ ص ٣٠٨ .

الصلاحيات.

وأصبحت كلمة عامل تطلق على رئيس الناحية الإدارية . وقد كان في كل إقليم عامل خراج يعمل جنباً لجنب مع الأمير هذا للإمور السياسية و الأول للإمور المالية . ولم يخل الأمر من قيام نوع من المنافسة وتنازع السلطات بينهما مما أدى إلي إضعاف منصب الأمير بشكل خاص ، ومن الفارقات التي لم يعمل لها خلفاء بني أمية أي حساب تولية بعض أفراد البيت الأموي لإمارات وأمصار لم يقيموا فيها بل كان يديرها رجال يعينون من قبلهم يحكمون نيابة عنهم وقد كان لهذا أكبرالأثرأيضاً في إضعاف منصب الأمير، ومما يدل على اتساع الدولة في عهد الأمويين وجود خمس ولايات كبرى تشتمل عليها الدولة وهي :الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب ، ومصر السفلى والعليا ، والعراقان : العربي " بلاد بابل وآشور القديمة " ، والعجمي " بلاد الفرس نفسها " وعمان والبحرين وكرمان وسجستان وكابل وخراسان وبلاد ما وراء النهر والسند وبعض بلاد البنجاب.أما ولاية بلد الجزيرة فتتبعها أرمينية وأزربيجان وبعض بلاد آسيا الصغرى . أما الولاية الخامسة فقد كانت تتكون من كل شمال أفريقيا وحتى الغرب المصري ، وبلاد الأندلس وجزر صقلية ومراكز القيروان ([1]) .

لا شك أن هذا الاتساع الكبير كان يتطلب نظاماً إدارياً قويا ومتماسكاً كما كان يتطلب رجالاً أكفاء يديرون دولاب هذه الدولة الكبيرة ، ويقومون على خدمتها وكان لابدلها من نظام يوفر المعلومات وينقل الأخبار بأسرع ما يمكن لذا نجد البريد - وهو يعني في الاصطلاح الخيل الموقوفة لنقل الأخبار من مكان إلى آخر- ستكون له أهمية قصوى خاصة بعد اتساع الدولة هذا الاتساع الذي رأيناه مفصلا فيما سبق . كات أول من أدخل البريد في الدولة الإسلامية هو معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية ، و قد أدخل عليه عبد الملك بن مروان عدة تحسينات ، و قد بلغ اهتمام عبد الملك بالبريد أن أمر بأن لا يمنع عامل البريد من الدخول عليه ليلاً أو نهاراً .

كان النظام و الأمن يعتمدان على قوة الشرطة ولم يعرف المسلمون هذا النظام إلا عندما أدخل سيدنا عمر (ﷺ)نظام العسس وفي عهد سيدنا علي نظمت الشرطة وأطلق على رأسها " صاحب الشرطة " وكان يختار من علية القوم ومن أهل العصبية ، وهو أشبه بالمحافظ في زماننا هذا . و كانت الشرطة تتبع في أول عهدها القضاء ثم ما لبثت أن انفصلت عنه. وقد أدخل هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ - ١٢٥هـ) نظام الأحداث وكان صاحب هذا النظام يطلع بالأعمال العسكرية التي تعتبر وسطا بين أعمال صاحب الشرطة والقائد([2]).

وقد ظلت هذه الدولة مع هذا الاتساع الكبير متماسكة وقوية لمدة طويلة من الزمان مما يدل علي قوة نظامها الإداري وعلى مقدرة رجالها على إدارة وتنظيم شئون دولتهم ، ولنا أن نعجب لقدرتهم هذه خاصة وأنهم لم يألفوا ولم يعرفوا كعرب في جاهليتهم هذا النوع من الإداة ولم تتسع الدولة في الإسلامية في عهدها الأول مثل هذا الاتساع وأن تضم في داخلها شعوبا وأمما

١- المقدمة :عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان المكتبة التجارية مكة المكرمة ١٩٩٤- ص ٥٢١

1- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الدكتور حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية الطبة التاسعة ١٩٧٩م- ص ٤٧١.

أخرى مختلفة عنهم في عاداتها وتقاليدها ولغتها .

وقد أفرزكل ذلك سلاماً وأمناً مكنا لهذه الدولة من التطور والنماء على نحو ما سنذكره في الصفحات القادمة ، كما توزعت عدد من دور الشرطة في كثير من الأمصار والمدن كما كان في مدينة الفسطاط في مصر ، ويذكر لنا ابن خلدون كيف نظمت الشرطة في الأندلس بحيث صـــار هناك صاحب الشرطة الكبرى وهو مختص بالجرائم التي يقترفها كبار القوم ووجهاؤهم من أهل النفوذ ، وهناك صاحب الشرطة الصغرى وهو مختص بالحكم على العامة ([1]) .

النظام المالي للدولة الأموية :

كان بيت المال هو وزارة المالية في الدولة الإسلامية ، وقد كانت الأموال الواردة إليه إما ضريبة عن الأرض وهو الخراج أوالفئ والغنائم و الركاز والجزية وما سواها من أموال كالزكاة. وقد كان عهد الخلفاء الراشدين عهد عدل وتسامح ، لم يشتد فيه على جمع الجزية ولا في تحصيل الضرائب . أما في عهد بني أمية فقد زادت الضرائب على ماكانت غليه في زمن الخلفاء الراشدين فلم يراع هؤلاء ما كان عليه سلفهم ، وكانت نتيجة كل هذا أن أجمع المؤرخون على أن بلاد العراق كانت بعد الحجاج أسوأ البلاد حالاً .

كان المال الذي يدخل بيت مال المسلمين ينفق على مصالح الدولة علي حسب ما يراه الإمام ، فتدفع منه مرتبات القضاة والولاة والعمال وبقية الموظفين والجند .

كانت الأعطيات تتفاوت على حسب السبق للإسلام كما أمر سيدنا عمر(ﷺ) وسارعليه الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم من بعده . أما في العهد الأموي فقد أصبح المقياس هو الولاء للأمويين وللدولة الأموية ، ومع ذلك فإن العدول كلية عما كان عليه الحال في عهد الخلفاء الراشدين لم يكن ممكناً وقد كان الأمويون بعيدى النظر فقد عملوا على تلافي ما قد يجره عليهم نفقض عطاء رعاياهم من العرب عن القدر الذي فرضه لهم عمر بن الخطاب فبقيت معظم هذه الأعطيات كما كانت عليه وزادوا عليها لمن كانوا يرجون ولاءه ويخافون خروجه عليهم هذا بجانب عطاياهم لأهلهم وخاصتهم و أهل نصرتهم وبيعتهم من القوم .

يجدربنا أن نذكر هنا الإصلاحات المهمة التي قام بها سيدنا عمربن عبد العزيز في هذا الشأن والتي قضت بمنح الموالي الحقوق التي كان يستمتع بها المسلمون من العرب وحدهم ، وإعفائهم من الجزية التي كان يدفعها الكفار، ومقاسمتهم إخوانهم المسلمين من العرب نصيبهم من الأعطيات السنوية . وبذلك يكون سيدنا عمربن عبد العزيز أول من فطن من خلفاء بني أمية إلي أن الوقت قد حان للتفرغ للإصلاحات الداخلية وكان الإصلاح المالي الذي ذكرنا جانباً منه، أحد هذه الإصلاحات المهمة .

إلا أن ما قام به سيدنا عمربن عبد العزيز من إصلاحات وجد الكثير من النقد من المؤرخين لما جره على بيت مال المسلمين من تبعات مالية إضافية شكل عبئا عليه هذا بالإضافة للعجز في تحصيل إيرادات الدولة نتيجة للسياسات القمعية التي قام بها واليهم على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي خاصة وأن العراق كان يشكل مورداً مهماً من موارد الدولة لبيت المال فقد ذكر أن

2- المقدمة : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ١٩٩٤ . ص:.٢٥١

الحجاج كان أول من أخذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال . وانكسر الخراج في أيامه ، فلم يحمل كثير شيئ ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف درهم وقد كان خراجه في عهد معاوية
١٢٠ مليوناً من الدراهم ([1]). وقد ناءت مالية الدولة بها وحال ذلك دون تنفيذ الكثير من الإصلاحات التي كانت ترمي إلى إعفاء الجدد في الإسلام من الجزية .

إذا انتقلنا إلي جانب آخر من الجوانب المهمة في الدولة وهو ما يختص بالجيش فقد وجدت الدولة الإسلامية ومن البداية نفسها في موقف المدافع عن وجودها و كيانها ، وقد أقبل المسلمون يدافعون عن كيانهم ووجودهم بالنفس والنفيس ولم يكن لمسلمين جيش مخصص في أول أمرهم ولم يكن ذلك ممكنا بل فرض الجهاد على كل قادر على حمل السلاح بل وكانت النساء يشتركن في القتال والغزوات، وكان سيدنا عمر(ﷺ)أول منجعل الجند فئة مخصوصة وأنشأ لذلك " ديون الجند " لتقييد أسمائهم وأوصافهم ومقدار أرزاقهم إحصاء أعمالهم ، وإليه يرجع الفضل في إقامة الحصون والمعسكرات الدائمة للجند كما أقيمت الحاميات لصد هجمات الأعداء . وقد أكمل الأمويون ما بدأه سيدنا عمر(ﷺ)في نظام الجندية فقد أدخل عبد الملك بن مروان نظام التجنيد الإجباري وقد كان الجيش في عهده عربيا خالصا فلما توسع الأمويون في الفتوحات استعانوا بغير العرب في الجيش وكان من نتائج الاختلاط أن أخذ الأمويون من بعض الأمم التي اختلطوا بها بعض النظم العسكرية كنظام تعبئة الجيوش الذي أخذوه من الفرس .

وقد ألجاهم موقعهم الجديد في الشام المجاور للروم لإنشاء السفن للدفاع عن ثغورهم البحرية في مقابل ثغور الروم ، وبلغ أسطول الشام ١٧٠٠ سفينة ، وقد اهتم ولاة مصر من قبل بني أمية ببناء السفن وتجهيزها فأنشت لأول مرة عام ٥٤ للهجرة دار الصناعة لبناء وتشييد السفن في جزيرة الروضة ، وقد ذذكر ابن خلدون ذلك فقال " فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولاً لهم وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بصراء بها، فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه والشواني، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر، وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس.

وأوعز الخليفة عبد الملك إلى حسان بن النعمان عامل إفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء الألات البحرية حرصاً على مراسم الجهاد. ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا، وفتح قوصرة أيضاً في أيامه بعد أن كان معاوية بن حديج أغزي صقلية أيام معاوية بن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه، وفتحت على يد ابن الأغلب وقائده أسد بن الفرات. وكانت من بعد ذلك أساطيل إفريقية والأندلس في دولة العبيديين والأمويين تتعاقب إلى بلادهما في سبيل الفتنة، فتجوس خلال السواحل بالإفساد

١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي -.الدكتور حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية الطبة التاسعة ١٩٧٩م ص : ٤٨٦

والتخريب. وانتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها، وأسطول إفريقية كذلك مثله أو قريباً منه، وكان قائد الأساطيل بالأندلس ابن رماحس، ومرفأها للحط والإقلاع بجاية والمرية. وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك، من كل بلد يتخذ فيه السفن أسطول، يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته، ورئيس يدبر أمر جريته بالريح أو بالمجاذيف وأمر إرسائه في مرفئه. فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتفل أو غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأنجاد عساكره ومواليه، وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم إليه، ثم يسرحهم لوجههم وينتظر إيابهم بالفتح والغنيمة.

والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر، وسارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة، والعساكر الإسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية، فتوقع بملوك الإفرنج وتثخن في ممالكهم، كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيديين، وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه، من سواحل الإفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها. وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح". (١). ومما لا شك فيه أن بدايات ركوب البحر للمسلمين كانت معتمدا على ما تعلموه من البيزنطيين في الناحيتين المدنية والحربية ، ولكن المسلمين سرعان ما تعلموا كل فنون الملاحة البحرية ولم يمر زمان طويل حتى صار المسلمون سادة البحار وأساتذته المجيدين لفنه ، يدلنا على ذلك أن بعض الاصطلاحات البحرية المستعملة اليوم في أوروبا لاتزال تحتفظ بعربيتها ، ويدلنا على ذلك أيضا ما ذكره ابن خلدون مما أوردناه سابقا.

كان لا بد أن يشمل التغيير والتطوير الِ نظام القضائي، فقد كان القضاء في عهد رسول الله (ﷺ)قائما على أساس أن الرسول هو الحكم والفيصل في النزاعات كما بين القرآن ذلك " فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" (٢) لذا نجد أن الرسول(ﷺ)كان قاضيا كما كان للتشريع مبلغا ولم يكن للمسلمين من قاض سواه إذ كانت الأمة لا تزال على بساطتها وضيق رقعتها، ولم يعرف عنه (ﷺ)أنه عين قاضيا بعينه على قوم بل كان يعهد بذلك للولاة وقد يعهد إلى أحد أصحابه بفض خصومة أوقضاء أمر بين متخاصمين.

ولكن عندما توسعت الدولة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، أذن الرسول (ﷺ)إلى بعض أصحابه في الحكم بين الناس بالكتاب والسنة وبالاجتهاد أحيانا مما ليس في كتاب ولا سنة " و

---

1 - مقدمة ابن خلدون - (ج ١ / ص ١٣٥) .

٢- سورة النساء آية رقم ٦٥

قال (ﷺ): « أنتم أعلم بأمر دنياكم »" [1] كما أذن بالفتيا وممن أشتهر بها من الصحابة في عهد رسول (ﷺ)مائة وواحد وثلاثون رجلا وامرأة نبغ منهم سبعة هم : عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، والسيدة عائشة وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس ، و كان سيدنا عمر (رضي الله عنه) أول من عين القضاة في الولايات الإسلامية، فولى أبا الدرداء قضاء المدينة، وولى شريحا بن الحارث الكندي قضاء الكوفة وأبا موصى الأشعري قضاء البصرة، وعثمان بن قيس بن أبي العاص قضاء مصر، وجعل قضاء الشام قضاء مستقلا. وقد سن سيدنا عمر (رضي الله عنه) لهؤلاء القضاة دستورا يسيرون عليه كما في رسالته الخالده على أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه). وكان القضاء نزيها مستقلا محترما ، ولم يكن للقاضى كاتب أو سجل فقد كانت الأحكام تنفذ فورا ، أما في عهد بنى أمية فقد تميز القضاء بميزتين أساسيين أولهما : أن القضاة كانوا يحكمون بما يوحى لهم اجتهادهم ، ولم تكن هناك مذاهب أو طرق يمكن اتباعها لذا كان الاستنباط مباشرا من القرآن الكريم وسنة الرسول (ﷺ) واجماع المسلمين. ثانيها: أن القضاة لم يكونوا متأثرين بالسياسة، بل كانوا مستقلين وكانوا مطلقى التصرف وكلمتهم نافذة حتى على الولاة وعلى عمال الخراج .

كان الخلفاء يحرصون على اختيار القاضي المعروف بعفته وورعه وشجاعته ، وفي هذا الوقت ظهرت الحاجة إلى السجلات لتدون عليها الأحكام التي يصدرها القضاة. وكان أول قاض سجل أحكامه هو سليم بن عنز قاضي مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان. كما لم يكن القضاة وحدهم هم المختصون بالأحكام فقد كانت سلطة القاضي موزعة بينه وبين المحتسب وقاضي المظالم. وكانت وظيفة المحتسب تختص بالنظر فيما يتعلق بالنظام العام وفي الجنايات ، وكان في بعض الأحيان يسند القضاء والحسبة إلى رجل واحد.

كان سيدنا عمر (رضي الله عنه) أول من وضع نظام الحسبة إذ كان يعمل على فرض النظام العام في الشارع والأسواق بالقوة والسرعة اللازمتين وقد بين ابن خلدون [2] جملة من عمل المحتسب في ذلك العهد فقال : " أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزز ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة: مثل المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاع في ضربهم للصبيان المتعلمين. ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداء، بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك، ويرفع إليه. وليس له إمضاء الحكم في الدعاوى مطلقاً بل فيما يتعلق بالغش

١- صحيح مسلم – الجزء الثاني عشر – ص .٥٤

2- مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون–مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان المكتبة التجارية – ط.مكة المكرمة ١٩٩٤ .ص ٢٢٥.

والتدليس في المعايش وغيرها، وفي المكاييل والموازين، وله أيضاً حمل المماطلين على الإنصاف، وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة، ولا إنفاذ حكم.وكأنها أحكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة أغراضها، فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها. فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء. وقد كانت في كثير من الدول الإسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره. ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاماً في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك وأفردت بالولاية. وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه، كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك. فلما بويع لعمر بعهده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكأنهم استثقلوا هذا اللقب بكثرته وطول إضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى الهجنة، ويذهب منه التمييز بتعدد الأضافات وكثرتها، فلا يعرف. فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله. وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعيل من الإمارة. وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز، وكان الصحابة أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية، وهم معظم المسلمين يومئذ. ، وما يختص به كما حدد المقري جملة من سلطات المحتسب في الأندلس ، فقال : "وأمّا خطّة الاحتساب فإنّها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن، وكأن صاحبها قاض، والعدة فيه أن يمشي بنفسه راكباً على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثّمن، وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبيّ الصغير أو الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الأوزان، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر من دون ما حدّ له المحتسب (١). أما الفرع الثالث من القضاء فقد كان قاضي المظالم وهو سلطة أعلى من سلطة القاضي والمحتسب كليهما .

كانت محكمة المظالم هي محكمة الاستئناف كما في هذا العصر ولما كانت معظم القضايا هنا خاصة بظلم علية القوم ووجهائهم فقد كان منصب قاضي المظالم يسند على رجل جليل القدر رفيع المكانة ، وقد كان خلفاء بنى أمية ينظرون في المظالم الكبيرة بأنفسهم وكان أول من أفرد من الخلفاء يوما خاصا للنظر في أحوال المتظلمين هو عبد الملك بن مروان وكان قاضي المظالم يختص بأخطر القضايا التي تكون محل نزاع بين الأفراد والجماعات والولاة وعلى عمال الخراج ، كما كان قاضي المظالم يلجأ إليه لتنفيذ الأحكام الكبرى التي يعجز القضاة عن تنفيذها. من الآيات الكبرى التي تدل على مبلغ التطور الذي بلغته الدولة الأموية.

ذلك الاهتمام الذي أولاه بنو أمية لفن العمارة وللمدن التي شيدت وقامت في عهدهم. والغريب أن العرب المسلمين الذين فتحوا كثيرا من الأمصار التي كانت ذات حضارة ومدينة لم

١- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي . أربعة أجزاء .طبعة بولاق . دون تاريخ . (ج ١ / ص ٢١٨)

يهتموا كثيرا بفن التصوير الجسم ولا النحت كما اهتموا بالبناء والزخرفة، فقد كانوا يتحرجون دينيا من ذلك بعدا عن التشبه بالأصنام والأوثان، لذا كان اهتمامهم بفن الزخرف كالرسوم النباتية والأشكال الهندسية دون غيره كبيرا. تميزت عمارة العرب في بلاد الشام بطراز خاص للعمارة يتناسب مع حالتهم فامتازت مبانيهم بطرز خاصة من الأعمدة والأقواس أو العقود والقباب، والمقرمضات أو الدلايات أو في تيجان الأعمدة في القياب بين القاعدة المربعة والسطح المستدير، وقد استعان العرب طبعا في أول أمرهم بالعمال المهرة من البلاد التي فتحوها وتمثلت أولى محاولاتهم المعمارية في المساجد، و كان أول من غير من شكل المساجد - والتي كانت تبنى متأثرة بمسجد قباء أول مسجد أسسه الرسول (ﷺ) في المدينة ـ معاوية بن أبي سفيان والذي كان أول من اتخذ المقصورة في بناء المساجد لينتظر فيها خوفا من الغدر به في الصلاة كما فعل بعلى بن أبي طالب وقد اقتدى به خلفاء بن أمية من بعده .

من الزيادات المهمة التي أدخلت على المساجد المآذن والمحاريب والإيوانات، كما كان من أهم مظاهر تقدم الفن المعماري في عهد الخلفاء الأمويين استعمال النقوش الخطية العربية لآيات من القرآن الكريم أو لسطور من أقوال مأثورة أو أبيات من الشعر، تدور حول حافة الأثر أو تكون شريطا زخرفيا ،على أثر من الآثار أو عمود من الأعمدة أو على الحوائط مباشرة([1]). تتمثل العمارة الإسلامية في عهد بن أمية في ثلاثة أقسام : عمارة مدينة تتمثل في المدن وما بها من بيوت خاصة وعامة، وعمارة دينية تتمثل في المساجد، وعمارة حربية تتمثل في الحصون والقلاع ، ولم تكن البيوت في مكة إلا عبارة عن مبان قليلة أهمها الكعبة وكانت في أغلبها مبنى من طبقة واحدة لها فناء في وسطة بئر، فلما اتسعت الدولة وكثرت الأموال في الحجاز ارتقى فن العمارة وشيد كبار الأثرياء في مكة والمدينة الدور الفخمة والقصور الواسعة من الحجارة والرخام .

كان تخطيط المدن قائما على تقسيمها إلى أقسام أو أحياء ولكل حي أو قسم أبواب تفصله عن سائر الأحياء أو الأقسام عندما تغلق وكان ذلك لحاجة أمنية كما لا يخفى على المدقق. وقد أسس العرب عدة مدن-منها مثلا : مدينة البصرة التي اختطها عتبة بن عذوان عام ١٦هـ وكنت أشبه بالقرية وأول ما قام فيها المسجد ثم بجواره دارالإمارة وحولها خطط لكل قبيلة منها خطة ومسجد ومقبرة وقد بنيت باللبن ثم بالحجارة فيما بعد. ولم تمض إلا عشرون سنة حتى اصبحت من أكبر المراكز التجارة في العالم الإسلامي ، وكان معظم سكان البصرة البصرة من ربيعة ومضر ثم وفدت إليها جاليات من الهند والسند والصين .

كانت حركة التجار والناس وترددهم على أسواقها مما أسس لحياة جديدة أثرت أبلغ الأثر في الحياة الثقافية والأدبية كما سيأتي فيما بعد. على أن البصرة لم تكن المدينة المثالية لدى العرب لرطوبتها لذلك اختطوا الكوفة فقد اختارها سعد بن أبي وقاص بعد استشارة سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وأقرها الخليفة عمر بن الخطاب ونزل بها الجند في سنة ١٧هـ في الخيام لأن

1- لا تزال بعض آثار النقوش على الجدران موجودة في " قصير غمرة " وهو قصر صغير للصيد شرقي البحر الميت شرق عمان عليه نقوش هي مذيج من الفنون الشرقية واليونانية يقال أنه شيد في عهد الوليد بن عبد الملك معجم ما استعجم - (ج ١ / ص ٣٢١)

المدينة نفسها كانت مكونة من الخيام ، ثم ابتنوا البيوت وأسسوا فيها المسجد في وسط المدينة ومنه تتفرع الطرق والشوراع وقد قام بناءون من الفرس ببناء دار الإمارة على مثال مباني الأكاسرة وكان أهم ما في الطرق هو أنها كانت واسعة ورحبة لا تحجب الهواء عن العرب الذين ألفوا هواء البادية.وازدادت أهمية البصرة والكوفة حتى اصبحتا من أعظم مراكز العلم والسياسة والحرب في البلاد الإسلامية. ووصلت الكوفة أعلى مكانة لها عندما اختارها سيدنا على بن أبي طالب حاضرة لخلافته القصيرة ، ولكن وكما هو معروف لم يدم ذلك طويلا، ولم يستطع أهلها أن ينصروه كما نصر أهل المدينة الرسول (ﷺ). هذا ما كان من أمر المدن الجديدة في أرض العراق شمال الجزيرة ، أما في مصر فقد اختار عمرو بن العاص مدينة الفسطاط لتكون حاضرة مصر في أرض فضاء ومزارع بين النيل والمقطم (جبل)، وقد بدأت كمدينة بسيطة تتكون دورها من طبقة واحدة، ثم أخذت الدور تتسع وتعلو حتى صارت أغلب الدور خمس طبقات وستا أو أكثر وظلت الفسطاط قاعدة الديار المصرية ومقر إمارتها حتى بنيت مدينة العسكرسنة ١٣هـ فنزل فيها أمراء مصر وسكنوها .

أما في الشمال فقد كانت دمشق قائمة قبل الفتح الإسلامي وكانت مقرا لحكام الروم، ثم صارت بعد الفتح الإسلامي حاضرة الإمارة الإسلامية وبعد أن استقر الأمر لمعاوية أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية وغدت من أكبر المدن في العالم وأفخمها وأجملها وكانت دمشق مدينة حصينة، أقيمت حولها أسوار بلغ ارتفاعها ثمانية أمتار وعرضها خمسة عشر قدما، وكان لدمشق سبعة أبواب ترى أبراجها العالية من بعيد وقد شيد بها معاوية قصر الخضراء والذي كان أعجوبة في زمانه ، وقد اختصها الوليد برعايته وقد سارت كلفة الوليد بالعمارة سيرة لأمثال فقد قيل " إن الناس في دمشق كانوا في عهد الوليد يتكلمون عن العمارات وجمالها، وفي عهد سليمان عن الطعام والنساء، وفي عهد عمر بن عبد العزيز عن الدين والقرآن" ومن آثار الأمويين الخالدة في دمشق نظام مجاري مياهها الذي بلغ من الدقة أن أصبحت لكل دار في دمشق نافورة خاصة بها.

أما في أفريقيا فقد تأسست على عهد الأمويين مدينة القيروان على يد القائد الأموي عقبة ابن نافع وقد نأي بها عن البحر ليكون المسلمون في مأمن من الغزو ومن غارات الأسطول الرومي، وكعادة المسلمين الفاتحين عند تخطيط المدن اختط عقبة في القيروان المسجد الجامع دار الإمارة ومن ثم اختط الناس حولها الخطط والدور كما بنيت حولها الأسوار. إذا نظرنا إلى المدن التي أسسها المسلمون في العهد الإسلامي الأول وفي عهد بنى أمية خاصة المدن الأربعة الكبرى البصرة والكوفة والفسطاط والقيران، نجد أنها جميعا ماعدا الفسطاط لم تراع الشروط التي ذكرها ابن خلدون لاختيار مواقع المدن[١] من أنها يجب أن تشرف على هضبة وأن تستدير نحو البحر أو النهر وأن يراعي طيب هوائها... والخ، ومع ذلك فقد تطورت هذه المدن وازدهرت في عهد الأمويين وصارت مراكزا للثقافة والأدب كما سنرى ذلك لا حقا عند تطرقنا إليه.

كما ذكرنا سابقا فقد كانت تتجلى أهمية العمارة عند الأمويين في عمارة المساجد يوجه

١- المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون–مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان المكتبة التجارية – ط:مكة المكرمة ١٩٩٤. ص٣٤٧

خاص، وقد كان اهتمام الأمويين كبيرا بتوسعة وعمارة مسجد الرسول (ﷺ) فقد أمر الوليد بن عبد الملك عامله عمر بن عبد العزيز على المدينة أن يدخل حجرات زوجات الرسول (ﷺ) في المسجد، فأصبحت مساحته مائتي زراع في مثلها. وكتب إلى امبراطور الروم يطلبه منه مده بالعمال المهرة لعمارة مسجد الرسول (ﷺ) فبعث إليه بما أراد ([1]).

لم يكن اهتمام الأمويين بالمساجد من الجانب الدينى فقط ولكن لأن المساجد في ذلك الوقت ومنذ عهد الرسول (ﷺ) كانت مراكزا دينية وسياسية واجتماعية ومن فوق منابر المساجد كانت تتلى قرارات الحاكم وتعبأ الجماهير وتسير الجيوش بل ونستطيع أن نقول إن المساجد كانت قبل وفي العهد الأموى بمثابة المعاهد والجامعات للعلوم وللثقافة فقد كانت مكان تلقى الأولاد والشباب مختلف العلوم وليس العلوم الديني فقط ،وكان المسجد هو مقر إذاعة الأخبار المهمة وتلقيها ، وكانت المساجد أيضا ملتقى المسلمين من الوافدين والزائرين والعابرين وغيرهم . لذا لم يكن إهتمام الأمويين بها كواجب ديني وإنما كان من صميم واجباتهم السياسية والاجتماعية . وكان ضمن هذا الاهتمام تأسيس الجامع العتيق أو مسجد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ ويعتبر مسجد دمشق من أكبر وأجمل وأحسن المساجد نظاما ، و كان أول من اختطه أبو عبيدةابن الجراح وبناه الوليد بن عبد الملك بين سنتى ٨٨ - ٩٦هـ وقد قيل إنه أنفق في بناء هذا المسجد خراج دولته سبع سنين وقد كان ولا يزال مسجد الوليد الذي يعرف الآن بالمسجد الأموي آية من آيات الفن البيظنطى وشاهداً على مبلغ الترف والحضارة التي وصلت إليها الدولة الأموية. ومن المساجد التي بنيت في هذا العصر مسجد القيروان ، بناه عقبة بن نافع بعد أن اختط دار الإمارة فيها ، وقد تمت توسعته بأمر من هاشم بن عبد الملك وقد أعيد بناؤه سنة ١٠٠هـ وفي ولاية إبراهيم بن أسعد زيد في هذا المسجد وأدخلت عليه عدة تعديلات وبنيت فيه القبة المعروفة بقبة البهو ([2]).

لقد رأينا في هذا الفصل كيف نشأة الدولة الأموية من حضن الخلافات الأولى للمسلمين حول السلطة ، ورأينا كيف استطاع سيدنا معاوية بن أبي سفيان أن يجمع الناس حوله بعد مقتل سيدنا علي كرم الله وجهه ، وكيف استطاع بالرغم من ضراوة المارضة له ولحكمه أن يؤسس لأول دولة إسلامية قوية تستطيع أن تقف صامدة في وجه أعدائها في الداخل والخارج كما رأينا كيف انتقل نظام الحكم من الشورى إلى الحكم بالوراثة في بيت واحد من بيوت العرب يتوارثونه ابنا عن أب ، وكيف أن هذا النظام لم يجد القبول ولا الرضى من كل فئات المجتمع ، ورأينا كيف استطاع بنو أمية حمل الناس على الانقياد لهم ، والطاعة رهبة أو رغبة ، فغدت الدولة بعد أن استقر بها المقام دولة قوية فتية ، استطاعت أن تمد سلطانها على كثير من البلدان والأمصار ، وأن تمهد السبيل لنهضة علمية وأدبية كبيرة بل نستطيع أن نلاحظ أن الولادة الشاقة والمتعثرة

١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي -.الجزء الأول - الدكتور حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية الطبة التاسعة ١٩٧٩م ص : ٥٣٦

٢- المرجع السابق – الجزء الأول - ص ٥٣٧

لهذه الدولة وما صاحب ذلك من العنف والافراط في استخدامه أدى إلى الإحساس بالحاجة إلى الإقبال على الحياة ، ومحاولة الغرق في ملذاتها والاغتراف من نعيمها خاصة وأن الدنيا قد فتحت أبواب نعيمها لهم وأغدقت عليهم الأمصار التي فتحوها الأموال وأمدتهم بالجواري والغلمان ، وفتحت أعينهم على صنوف من الترف واللذات مما لم يخطر على قلوب جدودهم وهم في باديتهم يكابدون شظف العيش ويقاسون من قسوة وخشونة الحياة[1] وسنرى في الفصل القادم كيف تطورت الحياة من البساطة و الفطرة إلي التعقيد و التكلف و ما بلغته و ما وصلت إليه الحياة الاجتماعية في عصربني أمية من ترف مادي ومدى تأثير ذلك كله على الحياة العلمية والثقافية والأدبية في هذا العصر .

2- كان العرب وحتى قريش يعانون من قسوة الطبيعة وشحها والدلائل علي ذلك كثيرة في سيرتهم وأخبارهم وأشعارهم ، والواقع أنهم لم يجدوا المتعة والترف إلا بعد الإسلام وفي عهد الموبين خاصة . تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، شوقي ضيف .دار المعاف ، ط.١٧، ١٩٩٧-١٩٩٨م، ص.١٩٤- ١٩٥.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والحركة العلمية
والثقافية والأدبية
في العصر الأموي

الحياة الاجتماعية في العصر الأموي :-

لم تكن الحياة سهلة ميسورة على عهد رسول الله (ﷺ)لا له ولا لكافة المسلمين ممن كانوا معه ، إذ لم يميز(ﷺ)الرسول نفسه بشيئ دون أصحابه فقد ذاق الرسول (ﷺ)و أصحابه الأمرين في سبيل الدعوة خاصة بعد وفاة زوجه خديجة بنت خويلد ، فقد نصرته بمالها ونفسها ودخلت معه في شعب بني هاشم عندما حاصرهم الكفار فيه ثلاثة أعوام فقطعت عنهم الميرة والمادة ، فلم يكن المشركون يتركون طعاما يدخل مكة ولا بيعا إلا بادروه فاشتروه ، حتى بلغ بهم الجهد ، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع (١) .

وتحدثنا السيرة النبوية أن الرسول (ﷺ)كان لا يميز نفسه بشيئ عن أصحابه ، فقد كان يأكل مما يأكلون ويلبس مما يلبسون ، فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس (ﷺ) أنه قال : فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ " . وقالت أم المؤمنين عائشة : إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، و ما أوقدت في أبيات رسول الله نار . فقال لها عروة : ما كان يعيشكم؟ قالت : قالت : الأسودان ؛ التمر والماء (٢).

سار أصحاب رسول الله سيرته الكريمة ، فقد كان هو قدوتهم ومعلمهم ، ومع ذلك لم يحرم الإسلام التمتع بالحياة يقول الله تعالى في محكم تنزيله " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون "(٣) ، ولم ينه الرسول (ﷺ)أصحابه عن الأخذ بأسباب الرزق والتمتع بملذات الدنيا من غير إسراف ولا تبزيركما أمرهم الله تعالى : " كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين " (٤) ، و " إن المبزرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً "(٥) .

وقد كان أصحابه (ﷺ)مثلاً في التقشف والبعد عن الدنيا وقد كان سيدنا عمر(ﷺ) وسيرته مضرب المثل في ذلك حتى إذا وصلنا إلى عهد سيدنا عثمان (ﷺ) بدأت الحياة تتغير وبدأت ملامح الدولة الجديدة تتضح ، وكان مما عاب خصوم عثمان عليه و من ضمن ما أخذوه عليه ، نوع الحياة التي كان يحياها ، بالرغم من أن ذلك لم يكن جديداً في حياته ، فعثمان (ﷺ) كان من أغنياء قريش قبل الإسلام بعده ، وكان يسكن في داره التي بناها في المدينة بالحجر والكلس وجل أبابها من الساج والعرعر(شجر السرو) واقتني الأموال والجنان والعيون بالمدينة وغيرها (٦) وقد

١- الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري ، دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع ، المنصورة . ط / السادسة ١٩٨٨م .ص ٣٠٨

٢- صحيح البخاري الجزء ٢٠/ الصفحة رقم ٩٢ - الجزء ٩ / صفحة ١٠

٣- سورة الأعراف - الآية ٣٢.

٤- سورة الأنعام(الآية ١٤٢) .

٥- سورة الإسراء (الآية ٢٧) .

٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر-لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى عام ٣٤٦هـ - شركة الإعلانات الشرقيةالقاهرة -

بذل من ماله في سبيل الدعوة الكثير.

كان عثمان (ﷺ) يحب التوسعة على الناس ولم يكن ذلك عن تساهل في حقوق الله وإغضاء عن حرماته فقد ذكرأن أول منكرظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا، طيران الحمام والرمي على الجلاهقات ، وهي أقواس من البندق ، واستعمل عثمان (ﷺ) عليهم رجلا من بني ليث سنة ثمان من خلافته فقص الطيوز وكسرالجلاهقات .

يمكننا أن نقول أنه ومن أواخر عهد عثمان(ﷺ) بدأت الحياة تتغير من البساطة والزهد إلى الميل للحياة المترفة و المعقدة ، وقد وجد أقوام أن نمط الحياة القديم لم يعد يناسبهم خاصة وأن الأموال قد بدأت تتدفق عليهم من الأمصار المفتوحة حديثاً ، وقد استقل بنو أمية الفرصة لقرابتهم من الخليفة عثمان (ﷺ)، وقد كانوا مصدر المتاعب التي حاقت به وسببا مباشرا من أسباب مقتله ، فالشكوى منهم ومن تصرفاتهم كانت من أهم أسباب الثورة عليه وقد ورد فيما ورد من ذلك أن إبلا من إبل الصدقة قُدم بها غلى عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان في الدار([1]) .

من هنا يتضح أن بني أمية قد مكنوا لأنفسهم من أواخر عهد عثمان (ﷺ) خاصة في الشام ومصر ولم يخفوا سعيهم للجاه وللسلطان وللتميز عن الناس وذلك حتى قبل أن يصير الأمر لهم ، فكيف وقد صار لهم ، وكيف أثروا في حياة الناس الاقتصاية و الاجتماعية والناس على دين ملوكهم ؟ ولم يكن ذلك خافياً على الناس وخاصة ممن وقفوا مع سيدنا علي كرّم الله وجهه حتى النهاية ومما يدل على ذلك ما تنادى إليه أصحاب علي وعلى رأسهم الصحابي الجليل عمار بن ياسر الذي دعا لمقاتلة المطالبين بدم غثمان ، وقد وصفهم بالفاسقين . وقد وقف "عصابة" يقول لسيدنا علي " والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا – أي المطالبين بدم عثمان وعلى رأسهم بنو أمية – أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فية من منها ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم ، فخدعوا أتباعهم وإن قالوا : إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا جبابرة وملوكاً ، فبلغوا ما ترون ، فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجلان([2]). كان ذلك في يوم صفّين وقد علم مَنْ علم أن الأمر من الآن فصاعداً لن يكون كما كان عليه وأن زحف الحاكمين الجدد قد بدأ . وأن بني أميةماضون فيها ملوكا يتوارثونها جيلا بعد جيل كما تنبأ بذلك عصابة في ذلك الموقف في صفين . فما الذي جرى للحياة الاجتماعية العربية من تغيير بعد التغير السياسي الذي انتهى بالتمكين لبني أمية وتربعهم على دست الحكم يتحكمون في البلاد والعباد .

تميزالمجتمع في العهد الأموي بميزات تفرد بها وكان أولها أن تَعَصَبَ الأمويون للعنصر

١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م . (ج ١/ ص ٢٠٤)

١- الكامل في التاريخ ، عز الدين أبي الحسن علي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحدالشيباني ابن الأثير – المجلد الثالث – دار الصادر – بيروت ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٢ م. ص ١٤.

٢ - الكامل في التاريخ ، عز الدين أبي الحسن علي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحدالشيباني ابن الأثير – المجلد الثالث – دار الصادر – بيروت ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٢ م. (ج ٢ / ص ٧٠)

العربي ونظروا للموالي نظرة السيد للمسود وذلك بالرغم من أن الإسلام قد جعل التقوى أساسا للحكم على الناس " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " وكذلك "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم" ، مما جعل هؤلاء الموالي يثورون على الأمويين بروح القومية ضد العرب عموما وضد الدولة خصوصا فكان منهم أغلب الشيعة والخوارج واشتركوا في كثير من الثورات والفتن مثل فتنة يزيد بن المهلب وفتنة عبد الرحمن بن الأشعث ، هذا إلى أن العنصر العربي نفسه لم يكن متحد الكلمة بسبب اشتعال نار العصبية القبلية بينهم والتي كان لبني أمية أكبر الأثرفي إحيائها بعد أن قضى عليها الإسلام ، ولقد لعبت القومية – والتي ستعرف فيما بعد بالشعوبية – والقبلية دوراً مهما في الحياة الأدبية فيما بعد كما سنرى .

الحياة الاجتماعية وأثرها في الحياة الثقافية والأدبية :

يذكر النقاد والمؤرخون ([1]) عددا من مراكزالشعر الأموي عدوها من أهم مراكز الشعر في هذا العصر منها مكة والمدينة ونجد وبوادي الحجاز والكوفة والبصرة وخراسان والشام ومصر. والحقيقة أن هذه المراكز تعتبر من أهم المدن والأمصار في العهد الأموي ، وما دامت كذلك كان من الطبيعي أن تتوافر لها مقومات الحياة الحضارية والثقافية .

كان من الطبيعي أن تتميز كل منطقة ومدينة بطابع خاص بها يميزها عن سواها ويدمغها بلون خاص وذلك لتنوع هذه البئات وتفردها فمكة والمدينة بعد أن دانتا للأمويين أصابهما الكثير من الثراء فالمدينة لها وضع ديني خاص في نفوس المسلمين ، و أهلها معروفون بالخصال الحميدة ورقة الخلق وحسن المعاملة ولم تكن دار هجرة رسول الله إلا لهذا ، ولذلك ما أن خضعت لسيطرة الأمويين بعد ما رأينا من تمردها وبعد واقعة الحرة عام ٦٣هـ حتى خلدت للدعة وحياة الترف ، ونأت بنفسها عن السياسة ، وقد ساعد في ذلك سياسة بني أمية و القاضية بإغداق الأموال على أهلها عموما وعلى أولاد الأنصار خصوصاَ لإلهائهم عن التفكير في السياسة ، وقد تدفقت الأموال عليها ويقال إن الزبير بن العوام قد خلف ألف عبد وأمة ، ومن ثم فقد انتشرت فيها ظاهرة الغناء والطرب وشمل ذلك أئمتها وولاة الأمر فيها حتى أنه ليؤثر عن عمر بن عبد العزيز أصوات تغني بها في إمارته عليها . وقد خصص بعض وجهائها دوراً للهو البرئ و الغناء كدار عبد الله بن جعفر والتي كان يؤمها المغنون والناس للاستماع والطرب ، وقد تخرج في هذه الدار الكثير من المغنين و المغنيات .يعد طويس من كبار المغنين في المدينة ممن أجادوا الغناء وهو أول من صنع الهزج و الرمل ومنهم معبد وهو إمام المغنين ، وينسب إلى يونس الكاتب أول كتاب عن الغناء والأغاني ونسبتها لأصحابها ، وبجانب هؤلاء المغنين من الرجال أشتهرت مغنيات من النساء منهن عزة الميلاء وجميلة وسلامة القس وحبابة وغيرهن. إن مت أصاب مجتمع المدينة من تحول كبير وتطوريدل دلالة بالغة على مدى الرقي و التحضر الذي بلغته وعلى أخذ أهلها بأسباب الرفاهية والنعيم ، وما ظاهرة ظرفاء المدينة وطفيليها كأشعب إلا مثال آخر لهذا النعيم و الرفاهية ، وقد لمع في هذا المجتمع كثير من النساء ممن عرفن بالظرف والمرح منهن السيدة سُكينة بنت الحسين والتي صورت لنا كتب الأدب مدى ظرفها وجمالها

١- تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ، دار المعارف الطبعة السابعة عشرة ، ص ١٣٩- ١٦٨

وتأثيرها على بنات جنسها ممن قلدنها في ثيابها وزينتها وتصفيف شعرها .

هيأ هذا المجتمع المتحضر مناخا مساعدا لنهضة ورقي الشعر في المدينة وقد نبغ فيه كثير من الشعراء نذكر منهم عبدالرحمن بن حسان و ابنه سعيد والأحوص و من الفقهاء عبدالرحمن بن الحكم وعروة بن أذينة وعبيد الله بنعبدالله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم ممن ترجم له الكتاب والمؤرخين .

كان من الطبيعي أن يكون الغزل هو موضوع الشعرفي المدينة في هذا العصر الأول والذي تناوله معظم إن لم يكن كل الشعراء ، وإن عمد بعض الشعراء إلى مدح بني أمية طلبا لعطاياهم من أمثال الأحوص وموسى شهوات وأخية إسماعيل بن يسار

أما مكة فقد كانت مثل المدينة تنافسها ثراء وغنى ورثه أهلها عن آبائهم وزادهم ثراء ما أفاء الله عليهم من أموال الفتوح ، وما أغدق عليهم بنو أمية من الأموال لشغلهم عن السياسة وليس أبلغ للدلالة على هذا الثراء من بنائهم للدور والقصور الفخمة وقد كانت لمعاوية قصور سميت "بالرّقط" لاختلاف ألوانها أحضر لها بنائين من الفرس ، و مع ذلك كان إذا حج وقف مذهولا أمام جمال بعض القصور الأخرى . لم يقتصر مظهر الثراء في مكة على المعمار فقط ولكن أهلها- كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني- بلغوا مبلغا من الرفاهية جعلهم يأكلون ويشربون في صحائف من الذهب والفضة ويلبسون مقطعات من الخز والسندس والديباج والحلل الموشاة علي كل لون ، ويتضمخون بالطيب و أنواع العطورالمختلفة .

كان لكثرة الرقيق الأجنبي في مكة كما كان في المدينة أثر واضح في نمو وتطور الغناء ، ويشتهر في المدينة من مغنيها ابن مسجح والذي يعتبر من الذين نقلوا غناء الفرس إلى غناء العرب وقد أخذ أيضا من غناء الروم ولم يكن نقله أو أخذه هذا تقليدا لهم وإنما كان يأخذ ما إتفق من غنائهم مع الذوق العربي ووافقه . ومن هذا المعلم الكبيرأخذ المغنون والمغنيات وكان من أشهرهم ابن محرز وابن سريج وكان أول من ضرب على العود بالغناء العربي ومن مغنيات مكة سمية وبغوم وأسماء .

بلغ كلف أهل مكة بالغناء مبلغا عظيما ، شمل حتى فقهاءهم ، مثل عطاء بن رباح وابن جريج ، وغيرهم من الخاصة والعامة وحتى النساء ، وقد عمت مكة موجة من المرح وخفة الروح ، والدعابة والملح ، وقد أشتهر بها أناس منهم الشاعر المعرف بالدرامي وعرفت بعض نسائها الشريفات بالرقة والذوق و رهافة الحس مثل الثريا بنت على بن عبدالله بن الحارث الأموية والتي كانت دارها قصرا عظيما تعقد فيه الندوات ويؤمه المغنون والشعراء .

كما كان الغزل من أهم موضوعات الشعر في **المدينة** كان كذلك في **مكة** وهو غزل صنفه الباحثون على أنه عزل مادي صريح فرضته البئية المادية وما أتيح للمجتمع من حرية على أن غزل عمربن أبي ربيعة في المدينة كان أقل صراحة من غزل الأحوص في مكة ([1]) . ولكن هذا الغزل الصريح في المدينتين كان يرافقه غزل غفيف عند الفقهاء والمحدثين من أمثال عروة بن أذينة في المدينة وعبدالرحمن الجشمي في مكة .

١- تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة ، ص ١٤٨ .

من مراكز الشعر الأموي المهمة التي وقف عندها النقاد ، بوادي الحجاز و التي ظلت علي بداوتها ولم يصبها ما أصاب مدن الحجاز من الحضارة والترف ، ما عدا أدخله عليها الإسلام من المفاهيم العقائدية ، لم تتغير أساليب الحياة فيها وظلت القبائل القاطنة فيها تعيش كما كانت أيام الجاهلية ، من تنافس علي المرعي والماء وتربص بعضها ببعض . ولكن هذا الصراع وإن ظل قائما فإنه لم يكن بالحدة التي كان عليها أيام الجاهلية ، ولكن ما بقي كان كافيا لظهور بعض قطاع الطرق والصعاليك من أمثال الشاعر طهمان وبقية من شعر الهجاء والفخر على نحو ما كان من مهاجاة شبيب الذبياني لعقيل بن علفة ومهاجاة ابن ميادة للحكم الحضري.

كان من الطبيعي أن يدفع شظف العيش الكثير من شعراء نجد وبوادي الحجاز إلى الوفود على خلفاء بني أمية وولاتهم طلبا لنوالهم بل كان منهم من يرتحل إلى خراسان لنفس السبب .

ويذكر النقاد([1]) أن الشعر في هذه البيئة كان ضعيفا لأسباب ذكروا منها إماتة الإسلام لفكرة الأخذ بالثأر والتي كانت من أشد الدوافع للهجاء والفخر ، ولهجرة العشائر ونزوح القبائل من البادية إلى المدن ، ولكن هذا الضعف كان في مجال الهجاء والفخر الذين كانا سائدين قبل الإسلام ، أما مجال الغزل فقد قوي وتكاثر شعراؤه بصورة كبيرة خاصة في قبيلتي بني عذة وبني عامر ويذكر المؤرخون والنقاد طائفة من أشهر شعرائهم مثل جميل وعروة بن حزام وقيس بن ذريح ومجنون ليلي . وقد طبقت شهرة هؤلاء الآفاق بقصصهم وحكاياتهم الغرامية العفيفة وبشعرهم الرقيق الذي تشع فيه الطهارة والسمو والنبل .

أما في أطراف الجزيرة من الشمال فقد شهدت موجة من الهجرات للقبائل الجنوبية مثل كلاب وعامر وسليم مما أدى لأن تصطدم بقبائل الشمال مثل كلب وتغلب . وتدخلت السياسة لتنحاز هذه القبيلة أو تلك لبني أمية فيؤدي ذلك تلقائيا لانحياز القبيلةالأخرى المناؤة لها لخصومهم ، وقد تسببت تلك الاحتكاكات في كثيرمنالحروب والاقتتال بين هذه القبائل ، وكان أثرها بالغا في عودة شعر الفخر والهجاء بكل قوة .

وقد ذكر الكثيرمن هذه الأشعار في مواقعها كما في موقعة مرج رهط كما يذكر الطبري في تاريخه و الأصفهاني في الأغاني ويذكر من شعراءقيس زفر وابن الحباب ومن تغلب الأخطل ومن كلب جواس ، وغيرهم يعد النقاد خراسان مركزا من مراكز الشعرالأموي كما يذكر د. شوقي ضيف([2]) أنها كانت من المراكز التي استعر فيها شعر الهجاء والفخر وذلك لأن جند البصرة الذين مضوا شرقاً في عهد سيدنا عمر(رضي الله عنه) توغلوا فيها في عهد سيدنا عثمان(رضي الله عنه) فحملوا معهم العصبيات القديمة لقبائل البصرة ، وزادها ضراوة قواد بني أمية .وولاتها بسياستهم الفاسدة ، كما تأثرت القبائل هناك بما حدث من صراع علي السلطة في المركز بين سيدنا علي (كرم الله وجهه) وسيدنا معاوية أولاً وما تلى ذلك من انقسامات وقتل الحسين وحروب الزبيريين ، مما أوغر في النفوس وأدي إلي إشعال الاقتتال بين القبائل العربية هناك مع من والاهم من أهل البلاد كما كان من حروب بين الأزد من جهة وقيس وتميم من جهة أخري .

٢- المرجع السابق، ص ١٤٩.

٢- تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة، ص ١٦١

بنظرة فاحصة للموقف الاجتماعي والسياسي في خراسان في ذلك العهد نجد أن الأحداث الكثيرة والحروب المستمرة واحتدام العصبيات أحدث نشاطاً شعرياً غزيراً وكان لقبيلة مضر الكثير من الشعراء ومنهم زياد الأعجم وكعب الأشقري وثابت قطنة وابن حبناء . علي أنه من الثابت أن الشعر في خراسان لم يكن كله في الفخر والهجاء فقد كان هناك شعر الغزل على نحو ما كان من شعرأبي جلدة اليشكري وأعشى همدان ، كما كانت هناك متفرقات من قصائد لبعض الشعراء في موضوعات أخرى مثل قصيدة مالك بن الريب الرائعة في مرضة وقصائد الصمة القشيري في الحب واللوعة ومفارقة الأهل والأحباب. ومع ذلك كله يبقي الفخر والهجاء هو الغالب في أشعار العرب في خراسان .

تعتبر البصرة والكوفة من أهم مركز الثقافة والأدب الأموي ، وكانتا قد بنيتا كمعسكرين للجند العربي بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ، حتى لا يذوب العرب في المدن المفتوحة .

بنيت المساكن في البصرة من القصب أولا ثم بنيت من اللبن والخشب ، وقد تواصلت هجرات القبائل العربية عليها من البحرين واليمن خصوصا ، ومن بقية المناطق العربية عموما . وقد وزعت الأراضي فيها علي الناس على حسب القبائل ، وقد كان تجمع هذه القبائل ، تجربة في غاية الحساسية لاحتمالات الصراع بينها ، في ظل تزايد الهجرات لتلك القبائل وتناقص الغنائم ، والتي من أجلها كانت هجرتهم .إذا نظرنا إلي مدينة البصرة ، نجد أن نموها الحضارى كان معتمدا على استعداد القبائل المهاجرة على مد جيوش الفتح بالمحاربين ، فقد كانت كما ذكرنا سابقا معسكرا للجيوش ، أيام خلافة عمر بن الخطاب ، وكان ذلك المدد مما يضمن مددا مقابلا ومتواصلا من الأموال التى ستساهم في تطور المدينة . وهو ما اسماه د. عون الشريف قاسم بـ " ثنائية الأموال والعسكر"([1]).

من الناحية الاجتماعية نجد أن التوتر القبلي كان هو السائد في العلاقة بين القبائل العربية بحكم طبائع هذه القبائل المتمردة على السلطة دوما ، ويرجع السبب في ذلك إلي نمط حياتها البدوية والذي لم يتغير كثيراً بعد الإسلام كما ذكرنا سابقاً . وبالرغم من سيادة الدولة المركزية خاصة بعد حروب الردة إلا أن الوحدة التي نشأت بين هذه القبائل كانت وحدة شكلية إلى حد كبير، إلا أن ذلك لا يمنعنا من القول بأن انضواء هذه القبائل تحت لواء الجيش الإسلامي وتحت قيادة واحدة كان له الأثر الكبير في تخفيف التوتر القبلي والعصبيات الجاهلية ، ولكن سرعان ما إتخذت هذه العصبيات شكلا آخر في واقعة الجمل الشهيرة إذ وقفت أغلبية مضرمع السيدة عائشة (ﷺ)بينما وقفت غالبية ربيعة والأزد مع سيدنا علي . لم يكن هذا الانحياز عن دين ولا عن سياسة وإنما كان مزيجا من هذا وذاك مع المصلحة الخاصة لكل قبيلة .

وقد توالت الأحداث بتسلسلها المعروف بعد هزيمة جيش الشيدة عائشة (ﷺ)ودخول البصرة تحت حكم سيدنا علي وما كان من الحرب بين سيدنا علي ومعاوية وما انتهت إليه من واقعة التحكيم المعروفة وانقسام الجيش العلوي ومن ثم ظهور الخوارج وحرب سيدنا علي لهم في واقعة النهروان والتي انتهت بمقتل الكثير منهم وقد كان معظمهم من البصرة . ثم ما كان من مقتل

١- شعر البصرة في العصر الأموي "دراسة في السياسة والاجتماع" د.عون الشريف قاسم .دار الجيل بيروت ١٩٩١م ص ١٨

سيدنا علي وآيلولة الأمر إلي بني أمية .

شهدت مدينة البصرة في عهد سيدنا معاوية ومن بعده ابنه يزيد نوعا من الاستقرار كما شهدت عدة إجراءات كان الهدف منها إخضاع القبائل المتمردة وكسر شوكتها ولم يتأت ذلك بسهولة إذ كلف كثيراً ولكنه أثمر في العشرين سنة التي أعقبت واقعة الجمل نمواًوتطوراً حضارياً وثقافياً كبيراً . ولم تلبث المدينة أن شهدت بعدها اضطرابات قبلية وصراعات سياسية خاصة بعد ظهور استفحال أمر الخوارج وظهور حركة الزبيريين المطالبين بالخلافة وقد كان لهم مناصرون في البصرة . ولم يضيع الأمويون فرصة الاضرابات فقد استفادوا منها لضرب خصومهم ومن ثم السيطرة على المدينة وتمكين سلطانهم فيها خاصة بعد أن تولى أمرها الحجاج .

كانت لكل هذه الأحداث الاجتماعية والسياسية أثرها البالغ في الحياة الثقافية والأدبية لمجتمع البصرة . فمن الناحية التعليمية فإن التعليم الديني بدأ متواضعاً فيها ولم تحظ البصرة بأى قيادة دينية أو علمية متميزة ولكن سرعان ما انتشر التعليم القرآني حتى بلغ عدد القراء ثلاثمائة قارئ قبل مغادرة أبي موسى الأشعري لها عام ٢٩هـ .

لقد أدى ما شهدته البصرة من صراعات وحروب إلى انصراف العرب وقلة اهتمامهم بالعلم والثقافة والذي انتقل منهم إلي الموالي الذين كانوا يعيشون بين العرب حتى قبل الإسلام ، فسيرين مولي أنس عاش بعض الوقت في المدينة(١)، وكان لعمران بن ابان نشاط في خلافة مولاه عثمان بن عفان ، والحسن البصري ولد بالقرب من مكة . كما نجد أن أبا العالية رفيع بن مهران كان قد حفظ القرآن بعد عشرين سنة من وفاة الرسول (ﷺ) وكان من رواة الحديث ، وقد كان كل هؤلاء من الموالي الذين سيطروا على الحياة الثقافية والدينيةفي البصرة في وقت مبكر .

من الملاحظ أن الحياة الثقافية والدينية بدأت بسيطة وغيرمعقدة وقد كان هذا طبيعياً في مدينة كالبصرة معظم أهلها من القبائل البدوية قريبة العهد بالتمدن والحضارة ولكن سرعان ما أدى التعدد العرقي وتباين مصادر الثقافة من عربية وفارسية وهندية ويونانية إلى تعقدها وقد ظهر ذلك جليا في الفكر السياسي والدينيوفي ظهور المذاهب الدينية المختلفة من خوارج وشيعة ومرجئة وغيرها وقد ساعد عدم اهتمام الأمويين بالتعليم عموما وكذلك عدم اهتمامهم بانتشار الأفكار والمذاهب أيا كانت مادامت لا تتعرض لهم إلى تغلل وانتشار الكثير من الأفكار والمذاهب المنحرفة والهدامة. وقد استفحل أمر جماعات الزنادقة وأهل الهوى قبيل سقوط الدولة الأموية .

أسهمت اليصرة في العهد الأموي إسهاما واضحا في مجال الدراسات اللغوية ، إذ اهتم الموالي بتعلم اللغة العربية وبتعليمها لأولادهم وسرعان ما بدأت تظهر الكتب اللغوية التي تساعد على التعليم خاصة بعد وضع النقط وإبراز علامات الشكل المنسوبة إلي أبي الأسود الدؤلي ، وقد برزت في تلك الفترة جهود عدد من العلماء بجانب أبي الأسود الدؤلي كجهود تلميذيه عنبسة بن معدان وميمون الأقران كما ظهرت وأقرانهما كنصر بن عاصم ويحي بن يعمر الذي يرجع الفضل إليه في إقامة الأسس العلمية للنحو.وقد استعان الموالي بموروثهم اللغوي وطبقوه في

٢- شعر البصرة في العصر الأموي "دراسة في السياسة والاجتماع" د.عون الشريف قاسم .دار الجيل بيروت ١٩٩١م/ ص ٤٥ .

منهجه على اللغة العربية . هكذا كان مجتمع البصرة مجتمعا مختلط الثقافات ومتعدد الأعراق الاجتماعية والفكرية والسياسية ولهذا جاء تكوينه الثقافي والحضاري معبرا عن هذا التعدد والتباين مما جعله يبرز كمركز متميزمن مراكز الأدب الأموي .

أما الكوفة فقد خططت في سنة سبع عشرة للهجرة ، ونزلت القبائل اليمنية في شرقها. والعدنانية في غربها، وقد سكنتها مختلف القبائل العربية مثل كنانة وقضاعة وغسان وكنده والأزد وحمير وهمدان وتميم وطي وغيرها.

وكان يكتنف الكوفة من الشرق زروع ونخيل وأشجار يستعيها القرات وكان في ظاهرها من الغرب الحيرة والنجف ونزلت مع العرب بقايا الجيوش الساسانية التي انضمت إليهم ونقيبهم ديلم لذا سموا حمراء ديلم ونزل بها أيضا رقيق الحروب وكثير من النبط والتجار والصناع. وقد إتخذها على بن أبي طالب حاضرة له حين حربه مع الخارجين عليه ، بينما نزلت السيدة عائشة وطلحة والزبير في البصرة وكانت معركة الجمل التي علت فيها كفة الكوفة علي البصرة وبالرغم من دخول البصرة في طاعة سيدنا على إلا أن إحناَ ظلت في صدروهم تجاه أهل الكوفة ، بعد مقتل سيدنا على وآيلولة الأمر إلى معاوية يتولى الكوفة المغيرة بن شعبة من قبله فيأخذ أهلها بالرفق وشمل ذلك حتى أولئك الذين أظهروا التشيع لسيدنا على من أمثال حجر بن عدى ، وكذلك فعل مع الخوارج ولكن سرعان ما تغير الأمر بعد موت المغيرة وتولية زياد بن أبيه فأخذها أخذا شديدا وكان هذا بداية معارضة الكوفة لبنى أمية وقد زاد الأمر سوءا ما كان من أمر خروج سيدنا الحسين ومقتله بكربلاء وانخراط الكثير من أهل الكوفة في سلك التشيع والإغراق في معارضتهم لبنى أميه مدفوعين بما خلفه مقتل الحسين في النفوس من حزن وألم. وقد بدأت جموع الشيعة في التجمع ومحارية الأمويين في مواقع عدة، ثم لم تلبث الكوفة أن دخلت في طاعة ابن الزبير بعد موت يزيد واضطراب أحوال الدولة الأموية، ولم تكن ثورات أهل الكوفة كلها من جانب الشيعة وإنما كانت لأهلها ثورات أخرى مثل ثورات أهل السيادة والشرف فيها .

ولكن تظل ثورات الشيعة هي الغالية فيها، ولم يكن للخوارج من كبير شأن فيها، ومع ذلك نجد لهم فيها شاعرا مشهورا فيها هو الطرماح. لم يكن الكوفة حظ كبير في شعر الفخر والهجاء لضعف العصبيات فيها ومع ذلك فقد كان فيها شاعر من أكبر الهجائين في عصره وهو الحكم بن عبدل، وكان منهم من يعنى بمدح الخلفاء والولاة والقواد والأجواد بل كان منهم من يتعصب لبنى أميه تعصبا شديدا مثل عبد الله بن الزبير الأسدي. وقد تجد بجانب من زهد في الحياة وأقبل على التصوف ـ آخريين ممن أقبلوا على اللهو والخمر من أمثال الاقيشر الأسدى. هذا ما كان من أمر الكوفة في العصر الأموي فإذا انتقلنا إلي إقليم آخر ومركز آخر من مراكز الشعر الأموي نجد أن الشام تعتبر من مراكز الشعرالأموي غير الأساسية ويرجع د.شوقي ضيف[1] ذلك إلى أن معظم القبائل التي سكنت الشام كانت من القبائل اليمنية، بل إن أهم شاعر في الشام هو عدى بن الرقاع العاملي وهو يتأخر خطوات عن شعراء العراق والحجاز المبرزين من أمثال جرير والفرزدق وعمر بن أبي ربيعة . على أن هناك نوع من ازدهار الشعر في الشام وقد ارتبط بوفود قبائل قيس

١- تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة ، ص ١٦٥.

على الشام مع الفتح واصطدام مصالح قبائل كلب والقبائل اليمنية مما جعل الحروب تنشأ بين الطرفين مما أوقد نيران الفخريين شعرائها ولكن هذا الشعر وازدهاره يعد طارئا على الشام .

مما يعد شعرا طارئا أيضا على الشام شعر الشعراء الذين كانوا يفدون على الأمويين يمدحونهم من الحجاز والعراق ونجد والجزيرة ومنهم الشاعر الحجازي ابن قيس الرقيات ونصيب والأحوص وكثير وغيرهم. ومن النجدين الراعي والعجير وابن ميادة وغيرهم ومن العراق جرير والفرذون والأخطل ومسكين الدرامي وعبد الله بن الزبير الأسدي وذو الرمة وغيرهم. وقد كانوا جميعا من والوافدين على الشام ولم يستقروا فيه ولعلنا لا نخطئ إن قلنا أن أهم عشيرة اشتهرت بالشعر والاهتمام به هي العشيرة الأموية نفسها ومن شعرائها يزيد بن معاوية وابن أخته يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد. والأسرة هذه نفسها تعتير طارئة على الشام من الملاحظ أنه و مع كثرة الحروب مع الروم لم يلعب الشعر أي دور فيها لأن أكثر المشاركين فيها كانوا من قبائل اليمن غير أن نفرا من المضرين شاركوا فيها وجرى الشعر على ألسنتهم وصفا لمعاركهم و بكاء على شهدائهم كما فعل أبو العيال الهذلي في استشهاد ابن عمه عبد بن زهره وقد رثاه وبشعر حار و صادق.

كما أرجع النقاد ضعف الشعر في الشام للقبائل اليمنية كذلك كان الحال مع وبقية الأمصار الأخرى كمصر التي كان أكثر الفاتحين لها من قبائل اليمن ، ومع ذلك فقد ذكر بعض النقاد أن هناك بعض الأشعار كانت تنظم هنا وهناك في الأحداث الكبرى واليومية كما هي مبثوثه في كتاب الولاة والقضاة للكندى وقد ضعفها النقاد بالضعيفة وأكثر شعرائها مجهولون لنا. وربما كان أههم ابن أبي زمزمة المعاصر لولاية على مصر (١٥-٩٥هـ) وكما كان الشعر طارئا في الشام كان كذلك في بلاط عبد العزيز بن مروان ووفود الشعراء عليه لمدحه وقد كان بحرا فياضا وغيثا مدرار لم يبخل على الشعراءقصدوه من كل صوب وحرب أمثال كثير عدة وابن الرقيات وتصيبا وجميل وبمجرد أن مات عبد العزيز خبأ هذا النشاط. ولم يكن حال الشعر أحسن في الغرب من حاله في مصر بل كان أقل شأنا مما كان في مصر إذ لم يحظ بوال على شاكلة عبد العزيز بن مروان.

كذلك كان الحال في الأندلس والتي هي من الأقاليم البعيدة من مراكز الشعر الأموي الرئيسة والتي لم ينشط فيها الشعر إلا لاحقا .

كان من الطبيعي جدا أن يخمد نشاط الشعر في اليمن وعلى كل حال فإن بعض أنواع الشعر السياسي والمذهبي قد بدأ يظهر فيها عندما نشط فيها الخوارج والاباصنيون أواخر العصرالأموي. وعلى العموم فقد كان صوت الشعر فيها خافتا و لم يبلغ المدي الذي وصله في أقاليم أخرى كاعراق والحجاز مثلا .

الفصل الثالث

الحياة الثقافية والعقلية
وعوامل نهضة الأدب والنقد
في العصر الأموي

أولا: الحياة الثقافية والعقلية في العصر الأموي :

عنى الإسلام عناية كبيرة بالدعوة إلى تحصيل العلم وتشجيع أهله من غير تخصيص للرجال به دون النساء قال (ﷺ)" طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة "، بل كان شديد الحرص على أن يكون حظ المرأة منه موفورا، وبعد أن تفرق الصحابة رضوان الله عليهم في الأقطار المفتوحة بكنوز الإسلام الفكرية، ومعارفهم العقلية قاموا فيها بحركة علمية كبيرة بالغة الأثر، ثم أكملها تلاميذهم من بعدهم، ولما كانت العناية في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية، كان ذلك سببا في كثرة انتشار العلوم المتصلة بالدين في عهد بنى أمية بخلاف ما عرف عن العباسيين حيث كان أكبر اهتمامهم بالعلوم العقلية بجانب اهتمامهم بالعلوم الدينية، ولكن رغم أن جل اهتمام العلماء في العصر الأموي كان مقصورا على العلوم الدينية كان العقل العربي موعودا بمواد ثقافية كثيرة.ونجد آثار هذا الوعد في شتى مجالات الحياة، وقد استقى العقل العربي ثقافته في هذا العصر من مناهل ثلاثة، منهل جاهلي ومنهل إسلامي، ومنهل أجنبي([1]) .

أما المنهل الجاهلي فتبدو أثاره في الشعر ومعرفة أنساب القبائل، وتقاليد الجاهلية، وقد أخذ العرب يرتشفون من هذا المنهل العظيم ارتشافا جادا، فظهر من بينهم علماء كثيرون متخصصون في معرفة الشعر وروايته والأنساب وتشعباتها وأخبار الجاهلية وأيامها، ومن أشهرهم عبيد بن شرية ([2]) راوية الأخبار اليمنية ودغفل بن حنظلة ([3]) وغيرهما. وقد كان لهذا العلم مكانة عند العرب، ولا غني عنه في بعض الأحيان كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت يحثه على هجاء قريش وأن يستعين في ذلك بأبي بكر الصديق لأنه عالم بأنساب القوم.

أما المنهل التاريخي فإنه قصر اهتمامه وعنايته على تاريخ الإسلام ومغازي الرسول(ﷺ)، واشتهر الكثير من العلماء في هذا المنهل، منهم : عروة بن الزبير([4]) وابان بن عثمان بن عفان ([5]) وكان هناك من ركز اهتمامه على ناحية معينة من النواحي التارخية كاهتمام وهب بن منبه

١- تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة التاسعة . ص ١٩٩- ٢٠٧

٢- هو عبيد بن شرية الجرهمي، من الحكماء والخطباء في الجاهلية ، استحضره معاوية بن أبي سفيان من صنعاء إلى دمشق، فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم، وأمره بتدوين أخباره، فأملي كتابين : " كتاب الملوك وأخبار الماضيين" و " كتاب الأمثال" ، أدرك النبي ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان، الأعلام ٣٤١/٤.

٣- هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني، يضرب به المثل في معرفة الأنساب، وفد على معاوية في أيام خلافته، فسأله عن العربية وتن أنساب الناس وعن النجوم، فأعجب بعلمه فأمره أن يتولى تعليم ابنه يزيد ففعل بالأعلام ١٨/٣-١٩.

٤- قرشي صالح كريم، أحد الفقهاء السبعة، ولد سنة ٢٢هـ، ولم يدخل في شيء من الفتن، ذهب إلى مصر وأقام بها ٧ سنوات، ثم عاد إلى المدينة وتوفي فيها ٩٣هـ، الأعلام ١٧/٥.

٥ - هو من كبار التابعين ومن أشهرهم في الفقه والحديث، ثقة، روى عن أبيه وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد، وروى عنه عبد الرحمن بن ابان ابنه، وعمر بن عبد العزيز وغيرهما، مات في عهد يزيد بن عبد الملك، تهذيب التهذيب ٩٧/١.

([1]) . بجمع أخبار أهل الكتب السماوية.ومن هذا المنهل تبرز الشعبة الدينية والتي وجهت اهتمامها إلى العلوم إسلامية كعنايتها بالقرآن الكريم وقراءاته وبالأحاديث النبوية، وبكل ما هو وسيلة إلى الكتاب والسنة من تفسير وتشريع وفقه ولغة وأدب، وقد أسست مدارس دينية متعددة تحت إشراف هذه الشعبة في المدن الرئيسية ليطفيء فيها طلاب العلم غلتهم العلمية ويرتووا بمائها العذب الصافي، وكان أشهرهم بمكة عطاء ([2])وعكرمة ([3]) من تلاميذ عبد الله بن عباس([4]) وفي المدينة المنورة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ([5]) ومولاه نافع([6])، وفي الكوفة الشعبي([7]) وسعيد بن جبير([8]) وشريح القاضي([9])تلميذ عبد بن مسعود([10]) وفي الشام شهر بن حوشب([11])

---

١ - هو مؤرخ كبير عالم بأساطير الأولين لا سيما الاسرائيليات، ومن أشهر التابعين الكبار، ولد بصنعاء ٢٤هـ، ومات بها ١١٤هـ، وقد ولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، الأعلام ١٥٠/٩.

٢- هو عطاء بن أبي رباح، ولد سنة ٢٧هـ، كان من سادة التابعين فقه وعلما.. وورعا وفضلا، وكان ابن عباس يقول لأهل مكة: " مجتمعون إلى يا أهل مكة، وعندكم عطاء" روى عن الجماعة من الصحابة وروى عنه خلق كثيرون، توفي في ١١٥هـ : العقد الثمنين ٨٤/٦ ـ ٩٣.

٣- هو أبو عبد الله عكرمة البريدي المدني، مولى ابن عباس، أمله من البربر، كان لحصين بن أبي الحر العنبري، ولما ولى البصرة لعلي بن ابي طالب، وهبه لابن العباس، روى عن مولاه وعن غيره من الصحابة، وروى عنه الشعبي وقتادة وخلق كثيرون، كان من علماء زمنه بالفقه والقرآن الكريم، مات سنة ١٠٥هـ العقد الثمين ١٢٤/٦ـ ١٢٥.

٤- هو ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم، كان يقال له الحبرو البحر لكثرة علمه، روى أنه أتى النبي وعنده جبريل فقال له : " هو كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا" ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وهو يسمى ترجمان القرآن، توفي ٩٨هـ، تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥ـ ٢٧٩.

٥- أحد فقهاء التابعين، روى عن أبيه وأبي هريرة، وروى عنه الزهري وصالح بن كيسان، قال مالك: لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى في الزهد والفضل والعيش الخشن منه، توفي : ١٠٦ هـ ، الكاشف ٣٤٤/١.

٦ -هو أبو عبد الله نافع، أحد الفقهاء، روى عن مولاه ابن عمر وابي هريرة وعائشة، وروى عنه أيوب ومالك والليث، كان من أئمة التابعين وأعلامهم، مات ١١٦هـ، الكاشف ١٩٧/٣.

٧ - هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، راوية من التابعين، ولد بالكوفة ١٩هـ، ونشأ بها، كان نديم عبد الملك بن مروان وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وهو يعد أيضا من رجال الحديث، والشعبي نسبة على شعب وهو بطن من همدان، مات فجأة بالكوفة ١٠٣هـ، الأعلام ١٨/٤.

٨- هو أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي، تابعي جليل، كان أعلم التابعين على الاطلاق، وهو حبشي الأصل، ولد ٤٠هـ، وأخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، كان مع ابن الأشعث لما خرج عبد الملك إلى أن قتل، قتله الحجاج وهو بواسط سنة ٩٥هـ، الأعلام ١٤٥/٣.

٩- هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي، من أشهر القضاة والفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، تولى قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية، رضوان الله عليهم، وعزل في زمن الحجاج، وله باع في الأدب والحديث، مات بالكوفة ٧٨هـ، الأعلام ٢٣٦/٢.

١٠- هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، صحابي جليل، من أكابرهم فضلا وعقل، من أهل مكة، وأقدم السابقين إلى الإسلام، كان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب سره، ورفيقه في السفر والحضر، ولي بيت مال الكوفة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ثم قدم المدينة زمن عثمان وتوفي بها سنة ٣٢هـ، الآعلام ٣٨٠/٤.

١١- هو شامي الأصل، أحد الفقهاء الكبار والقراء ورجال الحديث، ولد سنة ٢٠هـ، وسكن العراق، وولي بيتالمال مدة، توفي ١٠٠هـ، الأعلام ٢٥٩/٣.

والأوزاعي([1]) .

هذا وقد نشأت هناك طائفة من المعلمين الذين ارتووا من هذا المنهل الصافي الكريم، وأخذوا يعلمون الأطفال القرآن الكريم والشعر العربي، وما إلى ذلك من العلوم المتصلة بهما، وكان من بين هؤلاء المعلمين والمؤدبين من كان يعلم أولاد الخاصة من الناس، كأن يعلم أولاد الخلفاء والولاة والأمراء وغيرهم من الأثرياء.

وكان الخلفاء الأمويون يهتمون اهتماما بالغا باختيار هؤلاء المعلمين لكى يزودوا أولادهم بالعلم النافع ويحسنوا تربيتهم ، وكانوا أحيانا يقدمون لهم نصائح قيمة رجاء حسن النتيجة والعاقبة، ودليل معرفة منهم بالتربية وأصول الأدب ، قال عبد الملك بن مروان للشعبي حين أخذ في تعليم ولده : " علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس دعة، وأقلهم أدبا وعلما، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة "، وقال : " إذا رويتهم شعرا فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي :

يَبينُ الجارُ حينَ يَبينُ عَـنّي وَلَم تأنس إليَّ كِلابُ جاري
وَ تَطعَنُ جارَتي مِن جَنبِ بَيتي وَلَم تُ سَتَر بِسِترٍ مِن جِداري
وَتأمَنُ أَن أُطالِـــعَ حينَ آتي علَيها وَهيَ واضِعَةُ الخِمارِ
كذلك هَيُ آبائي قديماً توارَثه الذَ جارُ عَنِ النِجارِ
فَهَ ديي هُمُ وَ هُم افتلوني كما افتُلِيَ العَتيقُ مِنَ المِهارِ([2])

وكان من هؤلاء المعلمين المؤدبين من كان يعلم أولاد عامة الناس في كتاتيب المدن والقري، واشتهر هؤلاء في البلاد لتعليمهم الصبيان، فأقبل عليهم الناس إقبالا شديدا، وأفادوا من علمهم بالكتاب والسنة ومعرفتهم باللغة والأدب والشعر، والهؤلاء فضل كبير في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية.

أما المنهل الثالث لتثقيف العقل العربي فهو منهل أجنبي، حيث تأثر العرب بالحضارات الأجنبية، وأفادوا منها في مختلف شؤون حياتهم، لأن العرب لما اختلطوا بالأمم الأجنبية راحوا يأخذون منهم كل ما لديهم من معارف تطبيقية نافعة، ونقلوا كثيرا عن اليونان والفرس، وعرفوا منهم تخطيط المدن وعمارات المباني وطريقة استغلال الأرض، وشق الترع والقنوات، وتعرفوا على طريقة جباية الخراج وضبط الدواوين، ودفعت العرب حروبهم مع الروم إلى تعلم إنشاء الأساطيل كما اقتبسوا منهم بعض أساليبهم الحربية.

وكان للمنهل الأجنبي دور كبير في تثقيف العقل العربي ودعمه بثقافات تلك الأمم وحضاراتها بعد أن قام الأمويون بنقلها وتعريبها والإفادة منها في مختلف ميادين الحياة.

بدأ تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان، فنقل ديوان العراق إلى العربية من الفارسية، وعرب ديوان الشام من اليونانية، أما ديوان مصر فنقل من القبطية إلى العربية في عهد

١- هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمروا الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، امام الشام في الفقه والزهد، ولد في بعلبك ٨٨هـ، الأعلام ٩٤/٤.

٢- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار جـ١/ص٥٢٣- ٥٢٤.للإمام محمود بن عمر الزمخشري –مطبعة العاني بغداد- دون تاريخ .

الوليد بن عبد الملك ([1]) .

وفي بداية الأمر اتجه الأمويون بالترجمة إلى المجال العلمي في محاولة جادة للأفادة من العقليات الأجنبية في هذا المجال، وكانت المحاولات الأولى في ميداني الطب والكيمياء، وأول من اهتم بترجمة هذه الكتب خالد بن يزيد بن معاوية ([2])الذي تعلم صنعة الطب والكيمياء([3])،يقول عنه ابن النديم: " انه عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة وهو أول من ترجم كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء "([4]) وانه دعا الجماعةمن اليونانيين المقيمين بمصر وطلب إليهم أن ينقلوا له كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية إلى العربية، وعمل على الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء، كما طلب من اليونانيين ترجمة كتب جالينوس([5]) في الطب، ووضع بذلك أساس التعليم الطبي في البلاد العربية، ثم أسس الأمويون المعاهد العلمية لتخريج الأطباء، وأفادوا في هذا المجال من بعض الأطباء الأجانب ([6]) ثم تنوعت الترجمات وتعددت اتجاهاتها، يروى أن ([7]) عمر بن عبد العزيز أمر ماسرجويه ([8]) البصري أن يترجم من السريانية إلى العربية كتابا في الطب للقس أهرن بن أعين وأن هشام بن عبد الملك أمر بنقل كتاب عن الفارسية يتحدث عن الدولة الساسانية ونظمها السياسية وأن سالما مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه ترجم بعض رسائل أرسطوطاليس .

لم تكن المرأة العربية أقل حظا واهتماما من الرجل من حيث الإفادة من العلوم الدينية والثقافة العربية والأجنبية بل إنها كانت تأخذ حظها وتنهل من فيض هذه البحار الواسعة بكل حرية شأنها شأن الرجل تماما و كانت من النساء من تجمع بين المعارف النظرية والمعارف

١- تاريخ الإسلام، للدكتور حسن إبراهيم حسن ٥٢٢/١- ٥٢٣. والوليد بن عبد الملك هوالخليفة الأموي السادس، ولد ٥٠هـ ولما مات أبوه عبدالملك ٨٦هـ، بويع بالخلافة بعهد منه، كان عهده عهد فتح ورخاء ويسر، ومدة خلافته تعد غرة في جبين الدولة الأموية، تحسنت حالة المسلمين عامة، واستعت رقعة الدولة الإسلامية والآموية، كان متخلقا بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، وزعم بعضهم أنه كان لحانا غير فصيح، توفي سنة ٩٦هـ، لمزيد من التفاصيل البداية والنهاية ٧٧/٩- ١٨٦. الكامل لابن الأثير ٥٣٢/٤_ ٥٩١.

٢- هو أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، حكيم قريش، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، وألف فيها الرسائل، قال البيروني : كان أول فرسفة الإسلام، وكان ينقل الكتب من اللغات الأخري، مات بدمشق٩٠هـ، الأعلام ٣٤٢/٢.

٣ - كان خالد بن يزيد بن معاوية قد تتلمذ على راهب يسمي مريانس، وفيات الأعيان ٢١٢/٢.

٤ - الفهرست.لابن النديم – دار المعرفة للطباعة والنشر –بيروت . لبنان . ص ٤٩٧ .

٥ - هو أشهر الأطباء اليونانيين القدماء بعد أبقراط، مولده ومنشأه بفرغاس، وهي مدينة صغيرة من مدن آسيا شرقي القسطنطينية، كان من صغره شغوفا بالعلم البرهاني، طالبا له شديد الحرص والاجتهاد، وكان أبوه ينفق عليه النفقة الواسعة ويجري على المعلمين الجراية الوافرة، ويحملهم إليه من المدن البعيدة، وله مؤلفات كثيرة، دائرة معارف القرن العشرين ٣/٣- ١٣.

٦ - تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ٥٢٤/١- ٥٢٥.

٧ - العصر الإسلامي ص ٢٠٢.

٨ - ماسرجويه أو ماسرجيس من الأطباء، يهودي بصري، كان أحد المترجمين منالسريانية إلى العربية، وله من الكتب، كتاب قوي الأطعمة ومنافعها ومضارها، " كتاب قوي العقاقيرومن افعها ومضارها"، وهوالذي فسر كتاب " الكناش " للقس أهرن بن أعين، وزاد عليه مقالتين، الفهرست ٤١٣، الحيوان (هامش) ١٩٢/٤.

التطبيقية . ومن هؤلاء عائشة بنت طلحة بن عبيد الله .

روى صاحب الأغاني أنها وفدت على هشام بن عبد الملك فأسمرت عنده ، فأحضر مجلسه جماعة من الأدباء والشعراء، فما تذاكروا شيئا من الأدب وأخبارالعرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا أغار إلا سمته، فقال لها هشام : أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت : أخذتها عن خالتي عائشة ([1]) ، فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة ([2]).

هذا التطور في المواد الثقافيةالكثيرة كان قد دعم العقل العربي دعما قويا، مما كان له آثار بارزة في ازدهار العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه، كما كانت له آثار في فن المناظرات والمجادلات التي نشبت بين الآراء المختلفة السياسية والدينية وغيرها، وكما تركت الثقافات الوافدة أثرها في المناظرات والمجادلات كان لها أيضا أثر كبير في الشعر والشعراء، لأن الشعراء أنفسهم كانوا ينتمون ـ أيضا ـ إلى الأحزاب السياسية والفرق الدينية، فبدأوا ينظمون الشعر على طريقة المناظرات . وقد ساق الرواة في الأخبار المجادلة التي دارت بين ذى الرمة ([3]) ورؤبة([4]) في مسألة من مسائل الفلسفة وعلم الكلام ، وهي من المسائل التي شغلت الناس كثيرا في ذلك الزمان وهى مسألة القدر([5])، وكان الأول منهما قدريا والآخر جبريا([6]).

ومن ثمار هذا التطور ـ أيضا ـ ولوج بعض الشعراء باب الشعر التعليمي حيث أخذ بعض الشعراء المعلمين من أمثال الكميت والطرماح، وكذلك الرجاز من أمثال العجاج ([7]) ينظمون الشعر على طريقة خاصة ليعينوا بها الناشئة و الصبيان على تقدمهم اللغوى والأدبي ، وأصبح ذلك من أكبر العوامل التي ساعدت على نشر الثقافة اللغوية الوفيرة بين الناس خاصتهم وعامتهم مما أفاد منه الناشئة كما أفاد منه علماء اللغة على السواء ([8]).

---

١ ـ تقصد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، الأعلام ٥/٤.

٢ ـ الأغاني ١٨٩/١١ـ١٩٠.

٣ ـ هو غيلان بن عقبة بن نهيس، من مضر، ويعد من الشعراء المتيمين، صاحبته مية بنت مقاتل المنقري، وكانت جملة، وكان هو دميما أسود، ويمتاز في شعره أنه أحسن شعراء عصره تشبيها، ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا، فكان مع الفرزدق على جرير. توفى سنة ١١٧هـ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٩٢/١ـ ٢٩٣.

٤ـ هو أبو الجحاف رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي، سماه أبوه العجاج باسم جده، راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، أخذ عنه أعيان اللغة واحتجوا به، توفي ١٤٥هـ، الأعلام ٦٢/٣ـ٦٣.

٥ ـ اختلف بعض الناس في هذه المسألة فسموا القدرية والجبرية، فالقدرية، قوم ينكرون القدر، ويقولون أن كل انسان خالق لفعله، والجبرية، مذهب من يرى أن كل ما يحث للإنسان قد قدر عليه أزلا، فهو مسير لا مخير (المعجم الوسيط).

٦ ـ الأمالي : ١٩/١ـ٢٠.

٧ ـ هو أبو الشعثاء ، العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد التميمي، من الرجاز والشعراء، ولد في الجاهلية ثم أسلم، وهو أول من رفع الرجز، عاش إلى زمن الوليد بن عبد الملك، وتوفي نحو سنة ٩٠هـ، الأعلام ٢١٧/٤

٨ ـ تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة ص:٢٠٧.

ثانيا : عوامل نهضة الأدب والنقد :

الأدب الحق في كل أمة صورتها الصادقة التي تغطى جميع نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعقلية، وعنوانها المعبر عن جوانبها المادية والروحية. والنقد ظل الأدب فهو يبين أخطاء الأدباء وعثراتهم التي وقعوا فيها ويوجههم توجيهات طيبة، ويرسم لهم المناهج التي ينبغي مراعاتها ليبتعدوا عن جوانب القبح، ويتحروا ألوان الحسن وصنوف الجمال الغني ليصل الأدب إلى درجة قريبة من الكمال.

وبتأثير العوامل التي سبقت الاشارة إليها والتي تبلورت في العصر الأموي، تهيأ للأدب العربي أن يخطو خطوات نحو النمو والأزدهار، فقد كان لانطلاق العرب إلى البلاد المفتوحة، ومجاورتهم للأمم الأجنبية، واختلاطهم بشعوبها، ولترف الحياة ورغد العيش، والصراع بين الأمويين والأحزاب المعارضة لهم دور فعال في نمو الأدب وازدهاره، فنمت وتطورت في ظل تلك الظروف المختلفة كثير من الأغراض الشعرية كالغزل والمجون والفخر والحماسة والمدح والهجاء، وبرع في كل من هذه الميادين جماعة من الشعراء والخطباء يعتبرون أئمة في الفن الشعري الخطابي، وأصبحت المساجد والقصور والأسواق منارات للعلم واللغة والأدب والنقد، وأسهمت في تكوين ثروة أدبية ضخمة لا تزال مرجعا هاما لأهل العلم والمعرفة في كل زمان.

وفوق كل ذلك وقبله كان العرب حينذاك قد تهذبت لغتهم لفصاحة القرآن الكريم، وأصبحوا به سادة الأمم وهداتها وقادتها، وانفتحت أمامهم آفاق جديدة وصلوا بها على مكانة عظيمة لم تكن لهم في الجاهلية. والنقد الأدبي أيضا ازدهر في هذا العصر لازدهار الأدب، فبعد أن كان في العصر الجاهلي فطريا، وكان قائما على أحكام غير تفصيلية، بدأ النقد الأدبي النقد الأدبي ينمو ويرتقي ويخطو خطوات واسعة نحو التقدم والأزدهار منذ بداية العصر الإسلامي إلى أن اتسم بشيء من والتعليل والموضوعية والمنهجية في العصر الأموي، وإن كان لم يبتعد كثيرا عن فطريته.

وقد كانت هناك بعض العوامل الهامة التي كانت سببا في نهضة الأدب ونقده في هذا العصر بما هيأته لهما من نواحي النضج في كثير من الجوانب. والتي من أهمها :

(أ) الأحزاب والفرق :

كان عصر بني أمية مملوءا بالحوادث الجسام، تيارات كثيرة، وتقلبات فيما بينهم عظيمة، فقد احتدم الصراع بين الأمويين والأحزاب المعارضة لهم كالشيعة والخوارج والزبيريين وغيرها من الأحزاب السياسية والفرق العقائدية. وكانت بينهم خلافات شديدة ومراعات حادة، وكان لكل حزب شعراؤه وأدباؤه، وكان الشعر يجري على كل لسان، فقد اتخذ الأمويون وخصومهم الشعر أداة للتعبير عن آرائهم السياسية المختلفة وعقائدهم الكثيرة المتنوعة، واستعانت هذه الأحزاب والفرق بالشعراء لما في أشعارهم من أساليب رفيعة وصور شعرية رائعة يستطيعون بها التأثير على قلوب الناس واستمالتهم إلى الحزب الذي يريدون، فوقف كثير من الشعراء في صفوف هذه الفرق يحامون عنها ويناضلون عن كيانها. كل يدافع عن نظريات

حزبه الذي ينتمي إليه، ويذود عن حياضه ويعمل جاهدا لنشر معتقداته [1] . وتحفل كتب التراث العربي بكثير من الشواهد على ذلك. ومن بين تلك الأمثلة، أن أعشى ربيعة[2] كان من المتعصبين لبنى أمية، فأنشد عبد الملك ابن مروان قصيدة له في مدح آل مروان، منها:

وما أَنا في أَمْرِي ولا في خُصُومَتِي بمُ ْتهَنَـــــمٍ حَقِّي ولا قَارعٍ سِنِّي
ولا مُ ْسـلِمٍ مَوْلايَ عندَ جِنايَةٍ ولا مُظْهِرٍ خِذْلانَ ُهعِنْدما يَ ْخِي
وإِنَّ فُؤَاداً بَ ْنَ جَنْبَيَّ عـــــالِمٌ بما أَبْصَرَتَّ عَيْنِي وما سَمِعَتْ أُذْنِي
وفَضَّلَنِي في العِلْمِ والشِّ ْعِ أَنَّنِي أَقُ ولُ على عِلْمٍ وأَعْلَمُ ما أَعْنِي

فقال عبد الملك: من يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت ثياب، وعشر فرائض من الأبل وأقطعه ألف جريب[3] وقال له : امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، وأجري له [4].

وكان أيمن بن خريم[5] شديد التشيع لعلى بن أبي طالب (ﷺ)، يمدح بني هاشم بمدائح كثيرة ومن قوله فيهم :

نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقتراء

وكان عبد الملك معجبا بقوله هذا في بني هاشم، ومن شدة أعجابه كان يوصي الشعراء الأمويين بأن يصفوهم بمثل تلك الصفات التي وصف بها أيمن بن خريم بني هاشم[6].

وهذا عبيد الله بن قيس الرقيات ينتمى إلى حزب الزبيريين، ويعتنق عقيدتهم اعتناقا مخلصا، فيدعو إلى أن تكون الخلافة في قريش روحا وواقعا عمليا، وتكون حاضرتها في الحجاز،وتعتمد على القرشين لا على غيرهم،ونراه يرد على الخوارج وأشباههم ممن كانوا يرون أن تنزع الخلافة من قريش وترد إلى العرب، بل إلى المسلمين جميعا، يقول :

أَيُّها المُشْتَهي فَناءَ قُرَيشٍ بِيَدِ اللَهِ عُمرُها وَالفَناءُ
إِن تُوَدِّع مِنَ البِلادِ قُرَيشٌ لا يَكُن بَعدَهُم لِحَيٍّ بَقاءُ [7]

ويمدح مصعب بن الزبير[1] قائلا :

---

١ - تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة ص٢٩٠ ـ ٣٤٦، والمقاييس البلاغية عند الجاحظ . ص ٨٢- ٨٦.

٢ - هو عبد الله بن خارجة من شيبان (ربيعة) كان يقيم في الكوفة، وهو مرواني المذهب، يتعصب لبنى أمية تعصبا شديدا، توفي ٨٥هـ ، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٦٣/١.

٣ - يقال : قرع عليه سنة : صكها ندما، تخوت : جمع تخت، وعاء تصان فيه الثياب مثل الصندوق، أي أعطاه عشرة صناديق مملوؤة بالثياب، فرائض : جمع فريضة وهي مسنة، جريب : مزرعة ، المعجم الوسيط .

٤ -تاريخ آداب اللغة العربية ٢٦٣/١.

٥ - هو أيمن بن خريم بن فاتك من بنى أسد، شاعر فحل، كانت له مكانة عند عبد العزيز بن مروان في مصر، كان شديد التشيع لعلى بن أبي طالب، عرض عليه عبد الملك مالا على أن يقاتل ابن الزبير فأبي، توفى نحو سنة ثمانين من الهجرة، الأعلام ٣٧٨/١.

٦ - الأغاني ٣١٠/٢٠ـ ٣١١.

٧ - تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة ص ٢٩٥ـ ٢٩٦.

لَو تُقَفّي وَتَترُكُ النـــاسَ كانــوا غَنَمَ الذِئبِ غابَ عَنها الرِعاءُ
هَل تَرى مِن مُخَلَّدٍ غَيرَ أَنَّ ال لَهَ يَبقى وَتَذهَبُ الأَشياءُ
هَل تَرى مِن مُخَلَّدٍ غَيرَ أَنَّ ال لَهَ يَبقى وَتَذهَبُ الأَشياءُ

والمعروف أن الشاعر كثير عزة كان يميل إلى الشيعة الذين يؤمنون بأن عليا وأبناؤه وأحفاده أهل الخلافة الحقيقيون، وأصحابها الشرعيون، وأن الأمويين اغتصبوها منهم، وينبغي أن ترد عليهم، نرى هذا الشاعر مخلصا لعقيدته الشيعية ، يدافع عنها ويدعو إليها، يقول :

ألا إنّ الأئمّةَ من قريشٍ ولاةُ الحقِّ أربعةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بنيهِ هم أسباطُه والأوصياءُ [٢]
فأنَّى في وَ صيّته إليهمْ يكونُ الشكُّ مِنّا والمِراءُ
بهم أوصــاهُمُ ودعا إليهم جميعَ الخلقِ لو سَمِعَ الدُّعاءُ
فَسِبطٌ سِبطُ إيمانٍ وحِلمٍ وســـبطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ
تغيب لا يــرى عنـــــه برضوى[٣]عنده عسل وماء [٤]

هكذا كان شعراء الأمويين وخصومهم أخذوا الشعر أداة للتعبير عن مواقفهم السياسية و نظرياتهم الكثيرة المختلفة، وكان ذلك مما ساعد على تنمية اللغة وأزدهار الأدب ، فالأدب لا يزدهر و لا يتطور في بيئة ميتة لا حراك فيها ، وكذلك اللغة فهي أداة التعبير ووسيلة الأدب لبلوغ أفئدة وقلوب الناس .

(ب) النقائض :

وبجانب تلك النزاعات السياسية العنيفة التي ساعدت على تقدم اللغة ونمو الأدب وأزدهار الشعر كان هناك ما عمل على اذكاء العصبيات القبلية الشديدة بين القبائل العربية، وسعر نيران العداوة بينها وذكرها ما كانت عليه في الجاهلية.

فقد حفل العصر الأموي بطائفة من الشعراء قامت بينهم منافسة شديدة عبروا عنها شعرا في صورة هجاء تميز بالعنف والشدة، وعرفت تلك الأهاجي في كتب التراث باسم النقائض، وكان أشهرها وأقذعها نقائض ثلاثة منهم، هم جرير والفرزدق والأخطل، وقد تصدر هؤلاء الشعراء النابغون البارعون حتى عرفوا بشعراء النقائض، وهؤلاء أعطوا المجد والهجاء غني كان سببا لرقيهما ونهوضهما من اللفظ الجزل والأسلوب الرفيع والصور الشعرية الرائعة

---

١ -هو أبو عبدالله مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أحد الأبطل في صدر الإسلام، ولد ٦٢هـ، ونشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، وكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق، كان شجاعا حسن السياسة والتدبير، قتل ٧١هـ، الأعلام ١٤٩/٧١.

٢ - هم الحسن والحسين وابن الحنفية، أبناء على بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣ -رضوي، بفتح أوله وسكون ثانيه، جبل قرب ينبع، به مياه وأشجار كثيرة، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم به، حي يرزق، معجم البلدان ٥١/٣.

٤ -العصر الإسلامي ٣٢٣، والسبط الأول هو سيدنا الحسن، والثاني الحسين، أما الثالث فهو محمد بن الحنفية، لأن الشيعة كانت تعتقد أنه غائب بجبل رضوي يطعم العسل والماء، وسيعود في حيش كثيف يقوض الحكم الأموي، ويرد الأمر إلى نصابه. والسبط: ولد ابن والابنة، " المعجم الوسيط".

حسب ما يقتضيه الفن ويلائم الحضارة. فوجدت أساليب مختلفة لم تكن موجودة من قبل في الأدب العربي.

وكان لكل من شعراء النقائض مذهبه وطريقته في مناقضاته، حيث كان يختار لهدفه من المدح أو الهجاء أو الفخر أو المقارعة ما يناسبه من الألفاظ والعبارات والأساليب والصور. وفي خلال ذلك ظهر علماء اللغة والرواية يفحصون تلك البضاعة وينقبون عن أصالتها وزيفها، ووجد لكل من هؤلاء الشعراء أتباع وأنصار يدافعون عنه ويناضلون، وكان لذلك أثر فعال في تنمية الذوق الأدبي وتربية الملكة لفهم الأساليب اللغوية وما فيها من أسرار ولطائف[1] .

(ج) الأسواق الأدبية :

الأسواق الأدبية كانت ملتقى الشعراء والأدباء والبلغاء والخطباء، وكان لها دور كبير في النشاط اللغوي والأدبي والنقدي في الجاهلية، وازداد هذا النشاط في العصر الأموي توسعا وعمقا وشمولا بزيادة الأسواق، وكثرة المجامع الأدبية، وفعل التطور وتأثير التحضر، وأصبح مربد البصرة وكناسة الكوفة وأضحى الأثر في تقدم اللغة والأدب والنقد حيث كان الناس يشهدون بهما مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، وكان الشاعر يستعد لذلك استعدادا جيدا، فيجهد نفسه في اعداد القصيدة من حيث اختيار لألفاظ ورعاية معانيها وأسلوبها وغير ذلك، ليلقيها أمام أئمة هذا الفن وقادته الذين كانوا يجتمعون في مثل هذه الأماكن من كل صوب وحدب، ثم يقوم بنقد شعره أكثرهم علما ومعرفة وعلاقة بالفن الشعرى، وكان لعامة الناس ـ أيضا ـ أن يبدوا ملاحظاتهم النقدية والبيانية حسب معرفتهم بالفن وقدرتهم على التمييز بين كلام وكلام.

ومن بين هذه الأسواق جميعا، كانت سوق المربد بمثابة عكاظ الإسلام،حيث كانت تؤلف فيها حلقات المناشدة والمفاخرة ومجالس العلم والأدب، وكان لفحول الشعراء حلقات خاصة، أشهرها حلقة الفرزدق والراعي النميري كما كان الأشراف ـ أيضا ـ يخرجون إلى المربد للمذاكرة أو المناشدة[2].

(د) نشأة العلوم العربية :

كان عصر بني أمية عصر فتوحات إسلامية كبيرة، فقد كثرت الفتوحات واستعت دائرة الدولة الإسلامية ، وهاجر العرب إلى البلدان المفتوحة واختلطوا بأبناء الأمم الأخري، فأخذت تلك الأمم تقبل على تعلم اللغة العربية والانتفاع بها، وأدى ذلك إلى أن أسرع اللحن يقفز على الألسن في لغة الكلام، ثم بدأ يتجاوز هذا إلى السنة الشعراء والأدباء.

وفي مثل هذه الظروف وقف العلماء المخلصون أمام هذا التيار الجديد وتعقبوه ليحفظوا لغة القرآن الكريم من أن يتطرق إليها اللحن والتحريف، فوضعوا الضوابط والقواعد والأصول التي يحفظها من الخطأ وتعصمها من اللحن، وتبعدها عن التحريف والضياع، وبدءوا ينظرون إلى أعمال الأدباء بعمق ويوضعون ما فيها من مجاراة للأنماط اللغوية المألوفة أو الابتعاد عنها،

---

١ ـ المقاييس البلاغية عند الجاحظ ٩٠ـ٩٤، العصر الإسلامي ٢٤١ـ٢٨٩، النقد الأدبي لأحمد أمين ٤٥٨ـ ٤٦٠.

٢ ـ النقد الأدبي للأستاذ أحمد أمين ٤٥٧ـ ٤٥٨، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٠٩/١، المقاييس البلاغية عند الجاحظ ٨٨ـ٩٠.

ومن هؤلاء العلماء الكبار أبن أبي إسحاق الحضرمي[1] وأبو عمرو بن العلاء[2]ويحيى بن يعمر[3]وغيرهم[4].

ومما ترويه كتب الأدب والتاريخ أن الفرزدق أنشد قصيدته التي فيها:

وعضُّ زمانٍ يا أبن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلفُ

فقال ابن إسحاق على أي شيء رفعت مجلفا ؟ ، قال : " على ما يسوؤك " ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لا أعرف له وجها[5].

ومما يدل على قوة هذه الحركة العلمية أن ابن إسحاق الحضرمي كان ينقد الفرزدق ويرد عليه كثيرا من أخطائه وعثراته في انتاجه الأدبي، وكان ذلك يثير الفرزدق ويغضبه، فهجاه بكثرة، ومن ذلك قوله فيه :

فلو كان عبد الله مولى هجوتهولكن عبد الله مولى مواليا[6]

لكن ابن إسحاق عابه أيضا في ذلك، وقال : كان الواجب أن يقول مولى موال، لا مولى مواليا[7].

ومع ذلك كان الفرزدق يعترف بقوة هذه الحركة العلمية حيث قال عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ـ لما بلغه أن الناس يعيبونه فيما وقع من الخطأ ولم يكن يعرف أن قائله ابن ابي إسحاق ـ فما بال هذا ـ يعني ابن أبي إسحاق ـ لا يجعل له من حيلته وجها[8].

ولا شك أن ذلك كان له كبير الأثر في توجيه الأدب ونقده، ورسم اتجاهاته إلى التذوق الأدبي والتحليل العلمي الذي يعتمد على الأسس الفنية والقواعد العلمية.

(هـ) المجالس النقدية :

كانت هناك مجالس يذكر فيها الأدب والشعر، يعقدها الخلفاء والولاة والأمراء والأدباء والشعراء وغيرهم من أصحاب الوجاهة وأثرياء القوم، وكان لهذه المجالس أثر كبير في تقدم الأدب والنقد، ودور بارز في النهضة الفكرية واللغوية والأدبية بما خلفته من ثروة أدبية ضخمة وما أنتجته من حصيلة نقدية ثمينة من الأفكار والمفاهيم والملاحظات التي أفاد منها العلماء فربوا

---

١ ـهو عبد الله بن أبى إسحاق الزبادي الحضرمي من الموالي، من أهل البصرة، من كبار النحاة بالبصرة، أخذ عنه عدد من كبار النحاة كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، والأخفش، ولد سنة ٢٩هـ، توفى ١١٧هـ، الأعلام ١٩٧/٤.

٢ ـهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني النحوي البصري المقري، أحد الأئمة القراء السبعة، واختلف في اسمه، كان مقدما في عصره، عالما بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم واللغة، أمام الناس في العربية، وإلى قراءته صار أهل البصرة، توفي سنة ١٥٧هـ، وعمره ٨٦ سنة، تهذيب التهذيب ١٢/١٧٨ـ١٨٠.

٣ ـ هو أبو سليمان يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أول من نقط المصاحف، ولد بالأهوار، وسكن بالبصرة، وكان من علماء التابعين،عرافا بالحدث والفقه واللغة العربية، أخذ اللغة عن أبيه، والنحو عن أبي الأسود الدولي، توفي سنة ١٢٩هـ، الأعلام ٢٢٥/٩.

٤ ـ المقاييس البلاغية عند الجافظ ٩٤ـ٩٧، تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ٥١٧/١.

٥ ـ الموشح ص ٩٢.

٦ ـ الموشح ص ٩٠.

٧ ـ النقد الأدبي ص ٤٦٩.

٨ ـ الموشح ص٩١.

أذواقهم عليها ثم أسسوا عليها كثيرا من ملاحظاتهم الخاصة وأحكامهم النقدية الجديدة.

وخير هذه المجالس الأدبية مجالس الخلفاء الأمويين التي أصبحت منتديات للقاصدين من الأدباء والشعراء، وصارت مألفة لهم، ومهوى لأفئدتهم، ومقصدا لأغراضهم، كانوا يذهبون إلى الخلفاء ليعرضوا أمامهم بضاعاتهم الأدبية آملين في الظفر بالجوائز السخية والهبات العظيمة، ينشرون عليهم أزهار المدح وورود الثناء، ويهددون كل من يقف ضدهم، والخلفاء بدورهم كانوا يكيلون لهم الأموال كيلا، وذلك يدل على ما كان عليه الخلفاء من عناية عظيمة بالشعر حيث كانوا يرتاحون لسماعه، ويرفعون قدر الشعراء، ويغدقون عليهم العطايا الثمنية، ويتخذون منهم دعاة لهم ولسياستهم توطيدا لخلافتهم، وكان لهؤلاء الخلفاء أثر واضح في توجيه الشعراء وجهات خاصة يقتضيها الفن والحياة الحضرية الجديدة والدين[١].

ومما ترويه كتب الأدب أن عبد الملك بن مروان سمر ذات ليلة وعنده كثير عزة، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده هذا البيت :

هَمَمتُ وهَمت ثم هابت وهبتُها حياءً ومثلي بالحياء حقيقُ

فقال له عبد الملك: أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك، قال : لم يا أمير المؤمنين ؟، قال : لأنك شركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها[٢].

ولا شك أن الخليفة كان صادقا كل الصدق في نقده هذا البيت لكثير عزة، حيث وصف نفسه بما توصف به النساء، لأن الخفر إذا وصف به الرجل شانه، أما إذا وصفت به المرأة زانها.

وقد كان الخليفة يبلغ به الاعجاب بالشاعر مبلغا عظيما فيصب عليه الأموال الطائلة تشجيعا له لأجل قصيدة سمعها، فها هو ذا عبد الملك بن مروان يأمر لجرير بن عطية الخطفى بمائة ناقة من نعم كلب وبثمانية من الرعاة بسبب قصيدته التي يمدح بها الخليفة قائلا فيها.

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[٣]

وكان الخليفة عبد الملك قد أمر للأخطل من أجل قصيدته التي أنشدها أمامه بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعا، ثم أخرج معه مولاه ينادي بين الناس بأنه شاعر أمير المؤمنين[٤].

هذا وقد كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لا ينهج نهج غيره من الخلفاء والولاة والأمراء وغيرهم في استقدام الشعراء، والاستماع إلى قصائدهم في المديح والاطراء، ثم اغداق الأموال الطائلة عليهم من بيت مال المسلمين، حتى قيل : " انه يقرب الفقراء ويباعد الشعراء"[٥]، وإن أعطاهم شيئا من المال أعطاهم من فضل نفقته الخاصة قائلا : " لا حق لهم من

---

١ ـ المقاييس البلاغية عند الجاحظ ٨٠ـ ٨٢.

٢ العقد الفريد ٢١٩/٦.

٣ ـ الأغاني ٦٦/٨ ـ ٦٨، والعقد الفريد ١٣٣٠ ـ ٣٣١ .

٤ ـ الأغاني ٢٨٧/٨ ـ ٢٨٨.

٥ ـ الأغاني ٤٨/٨، والعقد الفريد ٣٤٠/١.

بيت المال" [1]،ولذلك نرى أن الشعراء لم يكن لهم نصيب في قصره إلا قليلا، وأحيانا كان الشعراء ينتظرون أياما على بابه ليؤذن لهم بالدخول عليه [2].

ولم يكن ذلك إلا لأنه كان غاية في النسك والصلاح والتواضع وكان أحسن الخلفاء سيرة وأصفاهم سريرة، ولأن أعباء الدولة جعلته يميل إلى الزهد والورع والتقشف[3]، وكان قوى العلاقة بالله، كثير المحبة له، وأكثر ما كان يقول : " أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله [4]، ومن كانت حياته كهذه الحياة فإنه لا يحتاج إلى الشعراء ليمدحوه ويصفوه بصفات تقربه إلى قلوب الناس، لأنه إذا كان عاملا بتعاليم الإسلام صار محبوبا من الناس بمحبة الله له دون حاجة إلى مساعدة الشعراء له في ذلك، لأن محبة الناس ليست إلا انعكاسا لمحبة الله عز وجل.

ولكن رغم بعد عمر بن عبد العزيز عن الشعراء، وقلة استقدامه أياهم، وندرة استماعة لقصائدهم، وعدم اغداق الأموال الطائلة عليهم من بيت مال المسلمين، كان لسيرته الطيبة الطاهرة آثار بارزة في تطور الأدب والنقد، حيث أخذ الشعراء ينظمون قصائدهم على ما يحبه ويرضاه، فظهر في عهده شعر التقوى والصلاح والزهد، لأنه لم يكن يأذن للشعراء بالدخول عليه إلا إذا تناولوا في شعرهم ذلك [5] وبذلك سن للشعراء سنة جديدة في الشعر.

يتضح مما سبق أن مجالس الخلفاء أدت دورا هاما في تقدم اللغة وأزدهار الأدب وتطور النقد، سواء أكان ذلك بتشجيع الخلفاء للشعراء بما يرضيهم، وقضاء حوائجهم، أم بتربيتهم تربية دينية، وتوجيههم توجيهات صالحة ليلتزموا بأخلاقيات الأدب، فيكون أدبهم أدبا هادفا على أسس خلقية كريمة، وقد كان لتشجيع الخلفاء
للشعراء أكبر الأثر في ذلك، حيث كان الخليفة يقوم بالمحاكمة أو المفاضلة بين الشعر والشعراء، ثم يأمر لمن أجاد منهم بالجوائز المالية والعطايا السخية فيعود يجر الحقائب مغتبطا فرحا مسرورا، أما الأخر فكان يتعرض لسخط الخليفة ويكون موضع السخرية من الحاضرين في المجلس، ويرجع خاوى الوفاض خائبا منكسرا كئيبا، وكان ذلك يبعث في نفس الشاعر الحماس والرغبة إلى مزيد من قول الشعر، سواء نجح في محاولته الأولى أم أخفق في الحصول على الجائزة في مجلس الخليفة ، فهو في كلتا الحالتين يجهد نفسه مواصلا الليل بالنهار ليستطيع أن يخرج قصيدة رائعة يفوق بها أنداده من الشعراء، ويفوز برضا الخليفة، ويعود بصيت جميل وعطاء جزيل، ولا شك أن ذلك كان من أهم العوامل التي ساعدت على تنشيط العقليات العربية .

---

١ - الأغاني ٢٠٩/١٩ ـ ٢١٠، ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢ - وردت كثير من مثل في كثير من كتب الأقدمين منها : المستطرف في كل فن مشتظرف، ٧٨/١ ـ ٨٠، والأغاني ٤٧/٨ ـ٤٨، والعقد الفريد ٣٣٦/١ ـ ٣٤٠.

٣ - لذلك أمثلة في الأغاني : ٥٧/٦ ÷ ٤٧/٨ ـ٤٨، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ١٨٠/٢ ـ ١٨١، تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ٣٣٤/١ ـ ٣٣٧ .

٤ -ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٤٩٩/١.

٥ - الأغاني ٢٣٧/١، والعقد الفريد ٣٣٦/١ ـ ٣٤٠، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢٣٦/١.

الفصل الرابع

أثر مجالس خلفاء بني أمية
في تطور الحياة
الأدبية والنقدية

لقد تطرقنا فيما سبق بصفة عامة ومختصرة إلي ما كان لمجالس النقد الأدبي في عصر بني أمية من أثر في مسيرة الأدب في عصرهم كعامل من ضمن العوامل التي أدت إلي تطور ورقي الأدب والنقد ، ونود هنا في هذا الفصل أن نتعرض لهذه المجالس بشيئ من التفصيل ، مركزين خاصة على مجالس خلفائهم ، لتبيان أثر تلك المجالس في نمو وتطور الأدب عامة والنقد الأدبي بصفة خاصة .

أثـــر الـــدولة الأمويـــة في تطـــور الحـــركة الأدبـــية :

وسيكون لزاما علينا قبل الدخول في الكلام عن مجالس الخلفاء ، أن نتكلم بشيئ من التفصيل هنا عن هيمنة الدولة الأموية علي الحياة الأدبية وسيطرتها إن لم يكن على جميع اللحياة الأدبية فعلى الأقل على جزء كبير ومهم منها ، ذلك أن هذه الدولة كما بينا من قبل عند عرضنا لنشأتها كانت شديدة المركزية ، وكان العنصر الحاكم فيها هو العنصر العربي ، ولم تكن لتتهاون أو تضعف أمام أعدائها والعاملين على زوالها ، الذين لم يدخروا سلاحا إلا وحاربوها به بما في ذلك الأدب ، من خطابة وشعر ، لذلك أن يكون للدولة الأموية موقف من الأدب بشكل عام ومن الشعر بشكل خاص ، أمر بديهي . فالدولة في أي عصر كان تتفاعل مع هذا الضرب من النشاط الإنساني بشكل يتلاءم وتوجهها العام ، وبطريقة تجعل منه معبدا لخط سيرها. ([1])

فطبيعي أن يكون للخلافة الأموية طريقتها الخاصة في التعامل مع الشعر وتطوره ولا يبدو حجم هذا التدخل واضحا إلا بعد التعرف على أهمية و دور الشعر في المجتمع العربي في القرن الهجري الأول ، وعلى إدراك حاجة الأمويين للاستفادة من هذا الدور الذي لا يبدو من المبالغة وصفه بأنه يفوق دور أجهزة الإعلام في عصرنا الحاضر . ويعزز مكانة الشعر في ذلك المجتمع ما إعتقده العرب من وجود قوة خارقة (الجن) تمد الشعراء بالالهام ، وبالرغم من أن هذا الإعتقاد قد ضعف بعد الإسلام فقد ظل كثير من العامة يعتقدون فيه بطريقة أو أخري ، وظل بعض الشعراء يذكره في شعره مذكرا به من نسي .

وليس أدل علي مكانة الشعر والشاعر في ذلك المجتمع ما جاء في كتاب العمدة من أنه " كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت لها الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأن حماية لأعراضهم وذبٌ عن أحسابهم وتخلي لمآثرهم واشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أوشاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج " .([2])

ويضيف بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية " ونحن نعرف أن الشعراء لم يكونوا في العهد الوثني مفخرة قبائلهم ، بل كانوا يلعبون أدوارا سياسية أيضا "

وقد وعى الشعراء ذلك الدور والذي يؤكده أبو الدهمان بقوله :

وَلِلشُـــعَراءِ أَلسِـــنَةٌ حِدادٌ عَلى العَوراتِ موفِيَةٌ دَليلَه

١- الشعر الأموي بين الفن والسلطان ـ لعبد المجيد حسين زراقط . دار الباحث للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان ط ١٩٨٣م . ص ٢٣

٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٣٩٠ - ٤٥٦هـ ، دار الجيل بيروت ١٩٧٢ م. الجزء ١ ص ٦٥

وَمِن عَقلِ الكَريمِ إِذا اِتَّقاهُم وَداراهُـــم مـُداراةً جَميلَه
إِذا وَضَـعوا مَكاويهِم عَلَيهِ وَإِن كَذَبوا فَلَيسَ لَـهُنَّ حيلَه

وقد يرتفع أقوام بأبيات من الشعر بل بالبيت الواحد كما ارتفع بنو أنف الناقة- والذين كانوا يأنفون من نسبتهم لهذا الاسم - ببيت الحطيئة فيهم :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا(١)

وعكس ذلك ما كان من أمر بني العجلان بعد بيت النجاشي :

وَمَـا سُمِّي العَـجْلاَنَ إلاَّ لِقَوْلِهِ خُذِ القَعبَ واحْلُبْ أيُّهَا العَبْدُ واعْجَلِ (٢)

ومثل هذا وغيره كقصة زوج المحلق والأعشى كثيرة ومعروفة . ولا يحتاج المرء إلى ذكر دور الشعر وما كان من مساجلات بين شعراء المسلمين والكفار عند بداية الدعوة ، وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم حيث استتن الأمر نوعا ما وبدأت ملامح الدولة تتضح حتى إذا ما جاء العهد الأموي نجد أهتمام خلفائهم وولاتهم الواضح بالشعر فقد كان قائدهم ومنشئ دولتهم معاوية بن أبي سفيان من سادات العرب ولا يمكن أن يفوته ما للشعر من أهمية إعلامية وسياسية ، وتحفل كتب الأدب بكثيرمن القصص التي تدل على ذلك ، ومنها تجربته مع الشعر يوم صفين إذ روي عنه قوله "اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم . فقدرأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملنى علي البقاء إلا أبيات عمرو بن الأطنابة :

أبت لي همتي وأبى بلائي وإخذي الحمد بالثمن الربيح(٣)

وهذا الإدراك والفهم العميق لدور الشعر هو الذي جعله يأمر ويوجه الشاعر كعب بن جعيل بعد مقتل عثمان أن يصوغ وجه نظره شعرا ويشكك في شرعية خلافة سيدنا علي ويثير الناس عليه باتهامه بإواء قتلة عثمان .

وكما رغبوا الشعراء فيهم كذلك كان بنو أمية يتهيبون غضبهم فها هو ذا معاوية يغضب على واليه الذي يضيق على النابغة لمناصرته للإمام علي قائلا : "ما أهون عليك أن يقطع هذا علي عرضي ثم ترويه العرب . أردد عليه كل شيئ أخذته " وكان النابغة قد توعد قائلا :

صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم ، إني إذا ظلمت سأغضب(٤)

ولم يكن معاوية وحده في هذا فها هو عبد الملك يضع أمامه قانونا صارما ووصية حقة لأهله من بني أمية وهي : " يا بني أمية ، أحسابكم أعراضكم ، لا تعرضوها على الجهال فإن الذم باق ما بقي الدهر ، والله ما سرني أني هجيت ببيت الأعشى ، وان لي طلاع الأرض ذهبا :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا(٥)

---

1 ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ٣٩٠- ٤٥٦هـ ، دار الجيل بيروت لبنان ١٩٧٢م ص٥٠

2- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ٣٩٠- ٤٥٦هـ ، دار الجيل بيروت لبنان ١٩٧٢م ص٥١

3- المرجع السابق الجزء الأول ص ٢٩

4- خزانة الأدب ج ٣، ص ١١٤

5 ـ زهرة الأدب ج٤ ، ص١١٦

والله ما يبالي من مدح بهذا البيت أن يمدح بغيره :

هُالِكَ إِن يُستَخبَلوا المالَ يُخبِلوا وَإِن يُسأَلوا يُعطوا وَإِن يَيسِروا يُغلوا ([1])

بهذا الوعي الكبير لدور الشعر كناشر للمآثر وكمؤثر في الرأى العام ، حرص الأمويون على أن يوظفوا الشعر لخدمتهم . وقد أراد معاوية أن يوظفه في أخطر قضية في التاريخ الإسلامي ألا وهي قصية توريث الخلافة من بعده لابنه يزيد . ولم يكن هذا الأمر سهلا لا على البيت الأموي ولا على الناس خارجه ، خاصة المعارضة التي لم تهدأ بعد ، لهذا فقد عمد معاوية إلى التمهيد لهذا الحدث الجلل فأوعز إلى مسكين الدرامي الذي تناول الموضوع في مجلس ضم رؤوس بني أمية وخلص إلي القول :

إذا المنبر الغربي خلا ربه فإن أمير المؤمنين يزيد([2])

ولم يكن الدرامي وحدة الذي لعب هذا الدور فهناك عبد الله بن همام السلولي الذي أذاع بيان الخلافة الأول الذي أعلن فيه شرعيتها وحدد طبيعتها وطريقة سياستها للناس فقال :

خلافة ربكم حاموا عليها ولا ترموا بها الغرض البعيدا
تلقفها يزيد عن أبيه وخذها يا معاوي عن يزيدا
فإن دنياكم بكم اطمأنت فأولوا أهلها خلقا سديدا
فإن ضجرت عليكم فاعصبوها عصبا تستدر به شديدا([3])

إذن من الطبيعي أن يعمد الأمويون إلى كسب الشعراء وخاصة المعارضين منهم بمختلف الوسائل ، فقد كان عطاؤهم ممتدا لكثيرالمشهور بكثير عزة دون الاهتمام بمعتقداته . لأن مدحه كان يفيدهم بشكل مباشر أو غير مباشر . وكانوا يتدبرون أمر لجؤ ابن قيس الرقيات إليهم ، عبر ابن جعفر ويحرمونه من العطاء دون أن يتركوه يسطق في بحر اليأس أو في بيت عبر مسلمة بن هشام مدركين تماما الفوائد التي ستعود عليهم من هذا اللجؤ . ومع ذلك فقد كانوا - كما ذكرنا سابقا- غير متسامحين مع هؤلاء الشعراء عندما يقتضي الأمر ذلك .

أما وسائل تجنيدهم للشعراء فكثيرة ، فالأخطل شاعر الدولة معروفة ظروف تعلقه بالأمويين وذلك بسبب حرمانه في طفولته . وقد عرف الأمويون كيف يستغلون هذا الضعف فيه . أما جرير فتتخذ الإجراءات لضبطه وكان كثيرا مايهدد ويتوعد .أما الفرذق فقد حبس من أجل الامساك بزمامه وحتى لا يتفلت منهم . لقد كان واضحا أن وعي الأمويين المتزايد بدور ومكانة الشعر قد جعلهم يحاولون السيطرة عليه ، وذلك كما رأينا بوسائل عدة ، يذكر صاحب الأغاني أن عبد الملك بن مروان وابنه سليمان قد وضعا جائزة لمن ينشد قصيدة في الفخر ويصدق في فخره وعندما ينشد أبو النجم قصيدته : " معنا الذي ربع الجيوش " يوقفه عند البيت الأول ثم يسأل الحاضرين هل هو صادق في فخره ؟ وعندما يتأكد من صدقه يأمر بدفع الجائزة إليه . لقد وقف البعض عند هذه الحادثة وتساءلوا عن هدف عبد الملك ؟ هل كان هدفه أن يوجه الشعر نحو

1- زهرة الأدب – ج ٤ / ص ١١٦.

2 - خزانة الأدب جزء ٣ ، ص ٦٢.

3 - طبقات ابن سلام ، ص ١٣٦.

الصدق ؟ أم كان هدفه شيئا آخر ؟ ويجيب الأستاذ عبد المجيد زراقط أن" التأمل والمقارنة مع أخبار أخرى يفيدان أن عبد الملك كان يريد حصر التميز ، وإلا فما هو المبرر لأن يحكم باسم قريش طالما أن العديد من الرجال يملكون الصفات المؤهلة للحكم ، وطالما أن العديد من القبائل تساوي قريشا في الجد والشرف والقوة . كان هذا في ذهنه عندما طلب الصدق في الفخر وسأل جلساءه عن صحتة . فتعداد الصفات الواقعية في بيت واحد من الشعر لا يشي بجودة الشعر ولا بمستوى هذه الجودة " ([1]).

نخلص من هذا إلى أن عبد الملك كان يريد ببساطة أن يرسخ فكرة تميز العرب على من سواهم وتميز قريش على بقية العرب ، ثم تميزهم – بني أمية – على غيرهم من العرب . وما غضب معاوية من قول بسربن عصمة المزني حين قال في مجلس معاوية " أن رسول الله (ﷺ) قال جهينة مني وأنا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله " إلا لأنه كان يريد التميز لقريش فيتصدى لبسر قائلا " كذبت إنما قال هذا لقريش . فانصرف بسر وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن حرب ويكذبني لقولي في جهينة ([2])

وكذلك نفهم موقف معاوية وعبد الملك وزوجه من ليلي الأخيلية وقد أخذوا عليها ما وصفت به " توبة " من صفات كانوا يريدون أن يختصوا بها دون الناس . ومن هنا أيضا نفهم غضب عبد الملك من جرير عندما وصف الحجاج بالرغم من دور ومكانة الحجاج في الدولة الأموية .

لا يجب أن نخلط بين ما كان من فهم وإدراك الأمويين لدور ومكانة الشعر ، ومفهوم أن الشعر ملهاة ووسيلة لتسلية الخليفة و الأمراء وكبار رجال الدولة فهذا المفهوم كان لايزال قائما وكان الشاعر يتعرض أحيانا إلى تقلبات أهل السلطة . وما قصة الشاعر أبي النجم مع هشام بن عبد الملك إلا مثالا لهذا التقلب فعندما أنشده الشاعر قصيدته : " الحمدلله الهوب المجزل " يزحف هشام على مصلاته إعجابا ، ولكنه سرعان ما يقلب على الشاعر ويأمر بضربه وطرده من الرصافة كلها والسبب أن الشاعر وصف الشمس في قصيدته فقال :"وهي على الأفق كعين الأحول " وكان بهشام حول فظن أن الشاعر يعرض به ، ولم يشفع له جمال القصيدة ولا ما أبداه الخليفة من إعجاب بها في أولها . بل ومع جلال قدر القصيدة إلا أن الشاعر لم تكن له نفس المكانة . بل أن جريرا عند الحجاج "جرو هراش " .

من الأمور التي تدعو للدهشة والعجب تحول مكانة الشعراء عند الحكام كما ذكرنا بل وتدني مكانة الشاعر عند هؤلاء الحكام بالرغم من ما رأينا من إدراك الأمويين لأهمية الشعر والشعراء و حاجتهم لهم إلا أن مكانة الشاعر لم تعد كما كانت في الجاهلية وفقد الشاعر مكانته وتحرره عما كان عليه في الجاهلية. ولنعرف أهمية هذا الأمر وتأثيره في مسيرة الأدب والنقد ، فعلينا أن ننظر إلي تحكم الدولة الأموية في كل شيئ وألا يخرج عن الدولة خارج من الناس مهما كان حتي الجيش اصبح يسير في ركاب الدولة التي أفقرته إلي العطاء فما بالك بالشعر الذي هو ديوان

٣- الشعر الأموي بين الفن والسلطان ـ لعبد المجيد حسين زراقط . دار الباحث للطباعة والنشر و التوزيع بيروت –لبنان ط ١٩٨٣م .ص٣٥

١- المؤتلف و المختلف ،ص ٧٨.

العرب و الشعراء الذين هم و سائل الإعلام ، في عصرهم ، وهم أي الشعراء كما هومعروف الذين يسير الفقر في ركابهم ، وقد علم الأمويون حاجة الشعراء إلي العطاء ، فلم يتورعوا عن استخدامه لاستمالتهم ولإغرائهم لمدحهم والإشادة بهم والتعريض بأعدائهم وقد كان الأمويون شديدي الحساسية فيما يختص بأهل البيت ولم يكونوا على استعداد للتساهل حتى مع المتعاطفين معهم . فقد روي أن المرتضى الخليفة الأموي قال للفرذدق بعد سماعه لقصيدتة في زين العابدين " أو رافضي أنت ؟ :" فأجابه " إن كان حب آل محمد رفضا فأنا هذاك " . فطلب منه أن يقول فيه ما قاله في زين العابدين ، وإن فعل فله ضعف العطاء ، فقال له : فقال له الفرذدق " وتجئني بأب مثل أبيه وأم مثل أمه ؟ " فأسقط عطاءه مما دفع علي بن الحسين إلي إعطائه ما يعوضه عن ذلك. أما جرير فيصرخ قائلا عندما منع عطاؤه :

منعت عطائي يابن سعد وإنما سبقت إلي الموت وهو قريب([1])

ولم يكن العطاء قيمة مادية فقط وإنما كان قيمة اجتماعية ورتبة ، وكان إحساس الشاعر يتزايد بأنه منبوذ وغير مرغوب فيه من الدولة إذا قطع عنه العطاء . وقد رأينا ما عبر عنه جرير من إحساس بالموت عندما منع العطاء عنه ، لقد أصبح العطاء إذن متحكما في موضوع القصيدة ، فهل يتوقع أن يجري الخليفة الأموي عطاء على شاعر معارض أو حتى شاعر مستقل بموضوعاته عن تمجيد الدولة الأموية وسياساتها ؟ وقد رأينا كيف أن مجرد تهديد عبد الملك لعبيد الله بن قيس القيات بحبس العطاء عنه يجعله يعاني أشد المعاناة فيأتي إلي ابن جعفر ويقول له : " ما نفعني أماني ، تركت حيا كميت ، لا آخذ مع الناس عطاء أبدا " .

لم يكن الشاعر إذن بقادر على أن يستقل بموضوعات شعره ، ناهيك عن معارضة الدولة ، اللهم إلا أولئك الذين أمنوا لأنفسهم مصادر للرزق بعيدا عن أبواب السلطان .، كالكميت والطرماح الذين احترفا مهنة تعليم الصبيان ([2]) ، وحاولا بذلك التحرر من قيد السلطان . ولكن مثل هؤلاء قليل لأن معظم الشعراء كانوا يتطلعون إلى ما هو أبعد من نيل العطاء ، من الهبات ومن الجوائز المادية ، التى كان يوزعها السلطان ، بقيمتها المادية والمعنوية إذ أصبحت الجائزة والهبة مكانة ورتبة للشاعر بين أقرانه ، فجرير لا يغادر الشام حتى يفوز بجائزة الخليفة عبد الملك ، وكأنها هي التي ستحدد مكانته الشعرية ولهذا لم يكن الشعراء يتعجلون في مغادرة الشام حتى يقابلوا الخليفة . ويؤكدهذا الواقع تحكم السطان بما يقوله الشعراء حتى أن سيدنا_عمر بن عبد العزيز رفض أن يقابلهم إلا إذا قالوا حقا . بل بلغت سطوة السلطان أن يطارد ممن لا يرضى عنهم من الشعراء والزج بهم في الحبس مهما كانوا وكانت مكانتهم ، فجرير يطارد و يقبض عليهويوضع في الحبس ويسمع من يعيره بمجاشع

قبيلته التي لم تقم بنصرته ، بالرغم من قوتها ، و من_كونه سيد من ساداتها وفوق ذلك كونه شاعرها الفحل و المنافح عنها ورافع شأنها .

١- أمالي المرتضى للشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي ٣٥٥هـ ٤٣٦هـ دار الكتاب العربي الطبعة الثانية . ج١ ، ص ٦٨

٢- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين٣٥٦هـ - ٩٧٦م نسخة عن طبعةدار الكتب مؤسست جمال للطباعة والنشر.

إذن وكما يقول الأستاذ عبد المجيد حسين ([1])" صار الشاعر مرتبطا ألي حد بعيد بالدولة كأحد أجهزتها التي تتصرف بها وفق مصلحتها والتي تعمل على جمع نشاطاتها لخدمة سياستها العامة " ويلخص لنا هذا الوضع الخبر التالي و الذي ورد في طبقات ابن سلام([2]) " فوفد الحجاج على عبد الملك فأهدى إليه جريرا " . لقد أصبح الشاعر بارتباطه بالسلطة مرتهنا لديها ولا فرق بين أن نسمي هذا الارتباط ارتهانا كما سماه بعض النقاد المحدثين أو احترافا كما ذكره إحسان عباس في مقدمته عن شعر الخوارج ود. درويش الجندي في كتابه " الحطيئة البدوي المحترف " ود.عبد القادر القط في تناوله الممتاز لهذه الظاهرة في كتابه " في الشعر الإسلامي و الأموي " ([3]).

والارتباط أو الارتهان الذي نعنيه والذي يهمنا هنا هو أن يوظف الشاعر مقدرته الفنية كشاعر ذي موهبة في خدمة السلطة القائمة دون أدني اهتمام بأى مبدأ أو موقف فكري خاص . وكان هذا يعطي للسلطان حق توجيه هؤلاء الشعراء وفق مصلحتة ومصلحة الدولة . وتعبر أبيات جرير التالية أبلغ تعبير عن مفهوم الارتهان:

تعلل و هي ساغبة بنيها بأنفاس من الشيم القراح
أغثني يا فداك أبي و أمي بسبب منك إنك ذو امتياح
سأشكر إن رددت علي ريشي وأنبت القوادم من جناحي([4])

فالشاعر هنا ضعيف لا حول له ولا قوة يشكو للخليفة ويطلب غوثه ليكسوه ريشا يطير به في الفضاء شاديا ومغنيا وممجدا لصاحب نعمته (الخليفة) . وكلمة (أغثني) تتضمن الكثير من معاني الضعف وقلة الحيلة . فما المواقف التي يمكن أن يعبر عنها مثل هؤلاء الشعراء ؟ وما هي الموضوعات التي يمكن أن تشكل محور أشعارهم ؟ وما هي القوالب المناسبة التي سيصوغون فيها أشعارهم ؟ وإلي أي مدى شكلت السلطة الأموية التوجه الشعري ، ،اثرت بالتالي في حركة الأدب عموما والشعر على وجه الخصوص .؟

مثل هذه الأسئلة والأجابات عليها ، تشكل المفهوم الذي كان يحكم علاقة الحكام الأمويين بالشعراء في مجالسهم وما نتج عنها من أحكام ومقاييس أدبية شكلت النظرية الأدبية التي سادت في ذلك العهد ، وطبعته بطابعها المميز الذى لم يقتصر أثره على أدباء القصور الأموية بل امتد ليشمل كافة الأجواء الأدبية في الحضر والبادية ولتلقي بظلالها على الشعر والشعراء عل اختلاف درجاتهم ومذاهبهم العقدية والفكريةوالسياسية . إذا انتهينا إلي أن الشاعر المحترف قد رهن موضوعه الشعري للسلطة وصاحب السلطة فهو بذلك يكون قد رهن تجربته لها ، فالمواقف التي سيعبر عنها هذا الشاعر ستكون رهنا برضى وموافقة السلطة عليها . ،أهمية هذا الأمر لا تقتصرعلى

٣- الشعر الأموي بين الفن والسلطان ـ لعبد المجيد حسين زراقط . دار الباحث للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان ط ١٩٨٣م .ص ٣٩

٤- طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣١هـ ، دار النهضة بيروت . دون تاريخ .ص ١

٥- في الشعر الإسلامي والأموي ، الدكتور عبد القادر القط ، دار النهضة بيروت ١٩٦٧. في الفصل " المحترفون .

١- ديوان جرير ، دار الصادر – بيروت ١٩٦٦م . ص ٧٦.

الموضوع الشعري فقط ولكن ستحدد و إلي حد بعيد الشكل الشعر الذي سيصب فيه الشاعر هذا الموضوع فالغالب بل البدهي أن يختار الشاعر من هؤلاء القوالب الشعرية المألوفة ، والتي ورثوها عن الشعراء الجاهليين لأنها الطريق الأسهل لقلوب الناس ، ومن السهل انتشارها بين الناس عامتهم وخاصتهم . لا معنى إذن لأن يكبد الشاعر نفسه عناء البحث عن ابتكارات جديدة مادام الشكل القديم يفي بالغرض ، ومن أسهل الطرق .

لكن يبقى السؤال المهم : أين ذهبت تجربة الشاعر الزاتية ؟ لقد توارت مع التلقائية والطبيعية وأصبحت الصنعة هي الغالبة ، وأفلت الأمر أو كاد من يد الشاعر المحترف فصار مرتهنا هو وتجربته لصاحب السلطة من حيث المعاني (الموضوع). و للرأي العام من حيث الشكل الشعري تدلنا على ذلك بعض الأخبار كمثل خبر الحجاج مع الشاعر ثابت بن قيس الأنصاري : فقد مات للحجاج ابن فأرسل يطلب الشاعر فأتاه ، وطلب منه الحجاج أن ينشده مرثيته في ابنه الحسن فأنشده فطلب منه الحجاج أن يرثي ابنه فقال له الشاعر : " إني لا أجد ما كنت أجد بحسن " . من الواضح أن طلب الحجاج كان شراء لتجربة الشاعر الذاتية ، ولكن الشاعر وجد لنفسه العذر وهو عذر مقبول ما دامت التجربة ذاتية وليست سياسية ولا عامة لأنها لو كانت كذلك لما استطاع الشاعر الإفلات متعللا بذاتية التجربة .

من الواضح إذن أن الشاعرعلى الأقل المقرب من السلطة قد فقد ذاتية التجربة وأصبح موجها من قبل السلطان والسلطة كان أهم ما يميزها أنها لم تكن تقبل إلا رأيها ولم تكن تسمع إلا الصوت الذي هو صدى لصوتها ، وهذه السلطة كانت عربية اليد والوجه واللسان . و اللسان العربي كما قال بروكلمان[1] كان مظهرا مهما من مظاهر وحدة العرب بالرغم من تشتتهم الظاهر ولهذا فقد أولت الدولة الأموية اهتماما خاصا باللغة العربية والحقيقة أنها لم تكن تملك أي خيار آخر ولذلك لم يكن غريبا أن يشترط عبد الملك على ابنه الوليد إتقان العربية ليوليه الحكم فقد روي عنه أنه قال علي مسمع من ابنه الوليد الذي كان يلحن :"لا ينبغي أن يلي أمر العرب إلا من يتكلم بكلامها " وقيل أن الوليد ما كاد يسمع هذا الكلام حتى قام فدخل منزله فجمع إليه أصحاب النحو فأقام ستة أشهر معهم[2].

يذكر زراقط أن أهمية اللغة العربية فرضت لدى الحاكم اهتماما زائدا بالشـــعر على النمط الجاهلي وساعد هذا الاهتمام المنافسات القبلية التي استعرت بين القبائل وقد لعب حكام بني أمية دورا كبيرا في إذكائها فكان أن رجعت كل قبيلة إلى تراثها الشعري تعيده وتكرره ، وتدونه وتعتني به كأنها تخرج سلاحا قديما كانت قد نسيته

فلما احتاجت إليه اشهرته في وجه خصومها . على النمط الجاهلي وساعد هذا الاهتمام المنافسات القبلية التي استعرت بين القبائل وقد لعب حكام بني أمية دورا

كبيرا في إذكائها فكان أن رجعت كل قبيلة إلى تراثها الشعري تعيده وتكرره ، وتدونه وتعتني به كأنها تخرج سلاحا قديما كانت قد نسيته فلما احتاجت إليه اشهرته في وجه خصومها . ولم يقتصر

1- تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان . دار المعارف المصرية . ص .٦٧

2- من تاريخ النحو العربي – الدكتور سعيد الأفغاني . دار الفكر ص ١٥ . نقلا عن ابن عساكر . .

الأمر علي هذه الإعادة بل زادوا عليه وانتحل بعضهم أشعارا نسبوها إلى الجاهليين في مدح هؤلاء أو زم أولئك وقد أدي كل ذلك إلى بعث الحياة في الشعرعامة و الشعر الجاهلي على وجه الخصوص . وكانت هناك أسباب أخري لهذا الاهتمام ، منهااستعانة العلماء بالشعر الجاهلي لفهم النص القرآني فالشاهد الشعري كان دوما يساعد على توضيح المعني اللغوي الضروري لتحديد المعنى العام تمهيدا لاستنباط الأحكام وتنظيم أمور الدين والدنيا .

لم يكن أمام الشاعر من الناحية العملية إلا سلوك أحد طريقين من حيث اختيار الموضوع ، فإما أن يختار الدولة والسير في ركابها فيدخل في جماعة الشعراء المحترفين كما رأينا ، أو أن يختار المعارضة فينضم إلي إحدى الفرق أو الطوائف المناهضة لبني أمية فيصبح مطاردا كشعراء الخوارج والشيعة . لكنه مهما كان انتماؤه فلن يستطيع أن ينفك من قالب القصيدة الجاهلية ، للأسباب التي بيناها سابقا فلا بد للشاعر أن يبدأ بمقدمة طويلة يقف فيها على الأطلال ويبكي الحبيبة ويذكر ديارها ، ويرحل متمهلا بألفاظ جزلة وعبارات تقليدية هذا قبل أن يدلف إلي موضوعه الرئيس ، يروض بذلك الأسماع كما قالوا . إذن فقد رسخ العصر الأموي شكل وهيكل القصيدة الجاهلية كشكل وحيد ومعتبر للقصيدة العربية ، ويمكننا القول أن الدولة الأموية ورجال تلك الدولة هم الذين ساعدو بل وشجعوا على ذلك فلم يكن الشاعر حقيقة ليتلزم بهذا الشكل وهذا الهيكل إلا حين يمدح الخلفاء ورجال الدولة ذوي الشأن ، فإذا أخذنا الفرذدق كمثال فإنه ما كان يراعي المقاييس الجاهلية عندما يمدح إبان البجلي إذ أنه يبدأ مباشرة بالمدح ، وكذلك فعل عندما مدح بلالاً ﷺ:

أنت الذي عنى بلالاً دفعته ونحن نخاف مهلكات المتالف[1]

وحين يمدح هلال بن أحوز :

ألم يأت بالشام الخليفة أننا جزينا له من كان عنه يخالف[2]

بل أحيانا تتحول القصيدة إلى قطعة صغيرة عندما يقل شأن الممدوح ، والشاعر هنا لا شغل نفسه بالشكل الشعري بل يوجه كل اهتمامه إلى غايته من ممدوحه ، أما قصائده في الخلفاء فتختلف على نحو لا تقاس عليه قصائده في الآخريين وأفضل مثال لذلك قصائده في الخليفة سليمان . وهذه الحالة نفسها تنطبق على قصائد جرير. لقد فرضت الدولة الأموية إذن نوعا من الاحتراف وعلى الشاعر مجارة القواعد و الأصول ولا ينبغي له البعد عنها ، ومهما حول الشاعر ذلك فإنه لا يجد مندوحة من العودة إلي الإطار الذي رسمته له الدولة . وهذا هو الذي نعنية من أن الشعر في عهد

الدولة الأموية كان في شكله الظاهر امتدادا للشعر الجاهلي ولم يكن ذلك من اختيار الشعراء بل تدخلت عوامل كثيرة في هذا ولكن أقوى هذه العوامل كان متمثلا في الدولة لكما رأينا سابقا .

لم تمنع هيمنة الشكل التقليدي محاولة بعض الشعراء التعبير عن بعض ذواتهم والتي قد يجدونها في التعبير عن بعض الأشياء فتظهر في مقدمات بعض القصائد أو تظهر متناثرة في ثنايا

١ـ ديوان الفرذق ، الجزء الثاني ، دار الصادر بيروت ١٩٦٦م. ص ١٩.

٢ـ المرجع السابق نفسه . ص ٢١.

بعض القصائد مثلما نرى في قصيدة جرير وهو يمدح خالد القيسي قائلا :

لَقَد كانَ في أَنهارِ دِجـــلَةَ نِعمَةٌ وَحُظوَةُ جَـــدٍّ لِلخَليفَةِ صاعِدِ
عَطاءَ الَّذي أَعطى الخَليفَةَ مُلكَهُ وَيَكفيهِ تَزفارُ النُفوسِ الحَواسِدِ
جَـــرَت لَكَ أَ نهارٌ بِيُمنٍ وَأَسعُدٍ إِلى جَنَّةٍ في صَحصَحانِ الأَجالِدِ
يُذَّتَنأَعناباً وَ نَخلاً مُ ـــبارَكاً وَأَنقاءَ بُرٍّ في جُرونِ الحَصائِدِ([1])

وسرعان ما يستعيد الشاعر وعيه وواقعه فيكتفي من وصف الجنة والأنهار بهذا ويعود منكفئا إلي هدفه وهو الممدوح دون أن يهتم بالتفصيلات التي ليست هي هدفه ولن تحقق غايته من القصيدة ، فقصيدة المدح العربية أصبحت مرهونة بالكامل للمدوح ، وللدفاع عن سياسة الحكم ، وصار التطرق لأي موضوع آخر رهنا بما يؤديه هذا الموضوع من خدمة لغرض القصيدة الأساسي وهو الممدوح . وهذا تطور آخر مهم فرضة الدولة .

لا يهمنا هنا ما ذهب إليه البعض من أن سيطرة الدولة الأموية على الشعر قد أفسدته . لأننا هنا لسنا بصدد الحكم على هذه العلاقة ولكن المهم ما عرضنا له من تأثير الدولة عبر هذه العلاقة في مسيرة الشعر وما أدى إليه هذا التأثير من تثبيت بعض الفاهيم مثل شكل القصيدة الجاهلية والذي أصبح هو النمط السائد والذي سيستمر كذلك إلي وقت طويل . وكذلك ما أدى إليه من تغير وتبدل في موضوعات الشعر وخاصة شعر المديح كما بينا سابقا.

وتأتي أهمية ما ذهبنا إليه من تبيان تأثير الدولة الأموية في حركة ألأدب والشعر على وجه الخصوص من أن ارتباط الشعراء بالدولة سيضع الأسس التي ستحكم العلاقة بين الشعراء والخلفاء في مجالسهم فيما بعد خاصة وقد اتضح مبلغ أهمية الدولة لهؤلاء الشعراء ومدى احتياج حكام هذه الدولة للشعراء .

مما سبق ذكره يتضح لنا أن هناك جملة من العوامل التي أعطت الأدب عموما والشعر خصوصا دفعة من الحيوية والنشاط في حقبة الدولة الأموية ، والتي جعلت من البيت الأموي مركزا ومحورا تدور عليه ساقية الأدب وجعل من المجالس التي كان يعقدها خلفاؤهم مرجعا أدبيا لا يمكن تجاوزه لما له من أهمية كبرى في مسيرة الأدب عامة وفي النقد الأدبي على وجه الخصوص مما سنبينه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله . ويمكننا إذا تمعنا في هذه العوامل أن ندرك الأهمية الكبيرة لهذه المجالس والدور الذي لعبته في تطور ونمو الأدب ونقده في ذاك العصر. ويمكن تلخيص تلك العوامل فيما يلي :

أولا :اهتمام وحب الخلفاء للأدب :

لقد رأينا سابقا كيف كان اهتمام خلفاء بني أمية بالأدب وكيف أن انتماءهم العربي قد انعكس على هذا الاهتمام وقد وردت في هذا الكثير من الأخبار فقد روى الأصمعي عن بني أمية أنهم كانوا ربما اختلفوا في البيت من الشعر أو خبر أو يوم من أيام العرب ، فيبردون فيه بريدا من

١- ديوان جرير ، دار الصادر بيروت ، ١٩٦٦م .ص ٢٣

العراق . وقال بعضهم كنا نرى في كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة [1] .وقد وردت الكثير من القصص الدالة على ذلك عن مؤسس الدولة معاوية بن أبي سفيان وقد مر بنا مقالته في سبب ثباته يوم صفين وكيف هم بالهرب من شدة الكرب في ذلك اليوم لولا أن تذكرأ بياتا من الشعر[2] . وقد عرف عنه أنه كان كثير العطاء لمن كان يروي الشعر الجاهلي ، وأنه كان له غلمان مرتبون يكتبون سير الملوك وأخبار الحروب والمكائد وأن هؤلاء الغلمان كانوا يقرأونها عليه في ساعات معينة من ليله [3] وقد كان معاوية حريصا على أن يحضر علماء بعينهم ممن عرفوا واشتهروا في زمانه مجالسه تلك كحرصه على حضورعبيد بن شرية وعلى أن يسمع منه وأن يدون غلمانه ما يقول .[4]

وقد سار على نفس النهج الخليفة عبد الملك بن مروان فقد كانت له أيضا مجالس يحضرها العلماء والأدباء ورؤوس القوم وأعيانهم وكان له حس أدبي عال ونفس ميالة للشعر محبة له . يقول الشعبي عنه " ما جالست أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإني ما ذكرت حديثا ولا شعرا إلا زادني فيه [5] " وقيل لإبن عمر: من نسأل بعدكم ؟ قال : إن لمروان ابنا فقها فسلوه ".

وكانت عناية الخلفاء عظيمة بتربية أبنائهم وجلب المعلمين لهم . وقد ضم سيدنا معاوية دغفل بن حنظلة إلى ابنه يزيد قائلا له : " علمه العربية والأنساب " [6] وقد كان عبد الملك بن مروان قلقا من لحن ابنه الوليد وقد مر بنا تحذيره إياه " أنه لا يلي العرب إلا من يحسن لغتهم " وقد كان يري أن لحن ابنه الوليد عار عليه بينما يرى أن فصاحة ابنه سليمان شرف له فقد روي عنه أن قال لرجل عاب عليه لحن ابنه الوليد " لكن ابني سليمان لا يلحن " . وهذه الأخبار وغيرها تدل على شعور عبد الملك بخطورة منصب الخليفة وأن له مواصفات معينة وهذا يقدم بدوره الدليل على علو مكانة مجالس هؤلاء الخلفاء وعلى أهمية ما كان يدور فيها من نقاشات وأفكار أثرت في سائر الحياة الأدبية والثقافية في ذلك العصر . فقد كان الخلفاء على اضطلاع

١- قتادة هو ابن دعامة ولد عام ٦١هـ قال عنه الإمام أحمد بن حنبل " قتادة أحفظ أهل البصرة " وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفرداتها وفي أيام العرب ونسبهم ، مات بواسط عام ١١٧ هـ . كتاب الأعلام لخير الدين الزركاى الطبعة الثالثة ج٦، ص٢٧

٢- الأبيات لعمرو بن الإطنابة الخزرجي (من بحرالوافر) : وردت في كتاب البداية والنهاية ج٨ ، ص ١٥٦. ومجالس ثعلب ص ٦٦.كما يلي :

أبت لي همتي و أبى إبائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإعطائي على المعسور مالي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
و أدفع عن مكارم صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر – لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي تـ عام ٣٤٦ هـ - طبعة ١٩٦٧م شركة الإعلانات الشرقية . القاهرة . ج٣ / ص ٤٠- ٤١

٤- كتاب الفهرست ، ص ٣١٢

٥- تهذيب التهذيب ج٦ / ص ٤٢٢ .

٦- ربيع الأبرار و نصوص الأخبار . ج١ ، ص ١١٩.

واسع بالعلوم الشرعية وعلوم القرآن ، وكانوا يحتفظون في خزائنهم بالكتب النفيسة والغالية ، بل كانوا أحيانا يأمرون العلماء ويوجهونهم للكتابة في بعض الوجوه مما قديروا فيه تقصيرا كما مر في الأخبار أن أن عبد الملك بن مروان أمر سعيد بن جبير أن يكتب له تفسير القرآن فكتب له سعيد استجابة لطلبه فحفظه عنده في الديوان . بل بلغ شغف بعض الخلفاء بالعلم القرآني أنهم درسوه وتعمقوا فيه فقد حفظ عبد الملك بن مروان القرآن وتعلم العلوم الشرعية بالمدينة حتى صار فقيها وعد من الفقهاء المعدودين فيها كما كان شغوفا بحديث الرسول (ﷺ) فقد سمعه من هريرة وأبي سعيد الخدري وجابر (رضي الله عنه) . وكان أبوه مروان من أحسن الناس قرآءة للقرآن الكريم وقد روى الكثير من أحاديث الرسول (ﷺ)عن صحابته كعثمان وعلي وأبي هريرة .

ولم تكن عناية الخلفاء بالعلوم و الأدب وبعقد المجالس لها من قبيل الترف الفكري أو المادي . فقد لعب الظرف السياسي دورا هاما في ذلك ، فقد كان يتحتم عليهم أن يمتلكوا ناصة العلم والأدب ، وأن يكونوا على دراية بأصول علوم ذلك الزمان حتى يتفوقوا على خصومهم والذين لم يكونوا أقل منهم عناية بالعلوم و الأدب ولم يكن الانتصار المعنوي بأقل أهمية من الانتصار المادي فقد كان ذلك يوفر لهم الرد المفحم على خصومهم والتفوق عليهم ، لذا رأينا كيف حرص هؤلاء الخلفاء على دعوة العلماء والأدباء لتزيين مجالسهم وقد ورد في الأخبار أن عبد الملك طلب من عامله في البصرة أن يشخص إليه حماداً[1] الراوية على البريد وبعد اثنتي عشرة ليلة قضاها بالطريق وهو خايف متوجس إذ بالخليفة يقول له " بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله " . فهدأ روع حماد وسأل الخليفة ما هو ذاك البيت ؟ فقال الخليفة :

فدعو بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها إبريق

فقال حماد : هذا يقوله عدي بن زيد .

وقد ساعد حرص الخلفاء الذي قد يبدو زائدا عن المعقول على إعطاء مجالسهم وزنا علميا ومرتبة اجتماعية حرص بعدها الكثير من المتميزين من العلماء والأدباء على وجه الخصوص على أن يساهموا بانتاجهم فيها وقد مر بنا في هذا البحث كيف كان ذلك حاسما لبعض الشعراء في تحديد درجة قبولهم وتفوقهم علي منافسيهم وسنعرض لهذا بشيئ من التفصيل في الفقرات التالية ، وكان من الطبيعي أن تبرز لنا تلك المجالس بعص القواعد والأسس والضوابط العلمية والنقدية والتي سيبعتمدها النقاد فيما بعد .

ثانيا : دعم وتشجيع الخلفاء :

لقد ذكرنا سابقا ما كان من سياسة بني أمية التي اقتضت كسب تأييد الناس واستمالة عواطفهم ومن أجل ذلك كانوا ينفقون الكثير من المال في شكل هبات وأعطيات من بيت المال وكان ذلك سببا في سقوط بعض ضعاف النفوس وسعيهم الدائم للكسب المادي ولو على حساب الغير أو على حساب القيم والمثل وقد بدأ هؤلاء يتزاحمون على أبواب الخلفاء ويتهافتون عليهم وعلى رأس هؤلاء الكثير من الشعراء والأدباء ، ينشدون القصائد ويوزعون الثناء والحمد على بني أمية لنيل

1- حماد الراوية هو أبو القاسم حماد الراوية بن سابور بن المبارك . أول من لقب بالراوية كان من أعلك الناس بأيام العرب ولد بالكوفة سنة ٩٦هـ وتوفي ببغداد ١٥٥هـ (من كتاب الأعلام ، ج ٢ ص ٣٠١) .

رضاهم والفوز بعطائهم ، وكان الخلفاء يحرمون من يشاءون و يأذنون لمن يشاءون بالدخول عليهم و يستمعون لهم ويطربون له ويشجعون من أجاد منهم بالجوائز المالية وبتقريبه منهم فتنفتح شهيته لقول المزيد والإجادة فيه بينما يزداد غيره حماسة وغَيرة وشوقا لأن ينال ما ناله غيره فيعد نفسه لجولة قادمةليعوض ما فاته هذه المرة وقد حفلت كتب الأدب بالكثير من أخبار هؤلاء وما أنعم عليهم به الخلفاء فقد مر في في الأخبار أن نصيبا بن رباح و الفرزدق تناشدا أمام سليمان بن عبد الملك قصيدتين يمدحانه فأمر سليمان بالجائزة لنصيب لأن الفرزدق لم يكن موفقا في مدحه فقد خلطه بالفخر(١) . ومشهورة في كتب قصيدة جرير التي أنشدها عبد الملك والتي أمر له فيها بمائة من أكرم النوق وبثمانية من الرعاة و التي يقول فيها :

ألستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح(٢)

غير أن الخليفة عمر بن عبد العزيز شذَّ من بين خلفاء بني أمية كافة فلم يكن يعطي للشعراء شيئا من بيت المال وما كان يأذن لهم بالدخول عليه إلا إذا قالوا حقا ويحكى أنه قال لجرير " يا جرير والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلاثمائة ، فالمائة أخذها عبد الله ، والمائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية "(٣) . وقد كانت نتيجة لسياسته هذه أن إزدهر شعر الذهد والصلاح في عهده . نستطيع إذن أن نقول إنه وبتشجيع الخلفاء وحفذهم للشعراء وبتقريبهم للعلماء في مجالسهم قد جعل من هذه المجالس قبلة للمبدعين ومنتدى للمتفوقين من الأدباء والشعراء وهذا ما يعطي هذه المجالس قيمة فنية لا يستهان بها .

ثالثا: حب التفوق والمنافسة بين الشعراء:

كان من الطبيعي أن يحاول كل شاعر التفوق على أقرانة ، والفوز بالقرب من الخليفة وكسب عطائه لذا فقد كانت المنافسة مستعرة بين الشعراء وكان مما يزيدها ويؤجج من لهيبها الخلفاء أنفسهم ، فقد ورد في الأخبار أنه اجتمع ذات يوم في مجلس عبد الملك جرير والفرزدق والأخطل فأحضر الخليفة كيسا فيه خمسماثة دينار وقال لهم : ليقل كل منكم بيتا في مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس . فقال الفرزدق :

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى الشفاء

فقال الأخطل :

فإن تك ذقَّ زاملةٍ فإني أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير :

أنا الموت الذي أتى عليكم ليس لهارب منه نجاء (٤)

١- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين٣٥٦هـ ٩٧٦م نسخة عن طبعة دار الكتب مؤسست جمال للطباعة والنشر . ج١ / ص ٣٣٦ . وكتاب العمدة ج ١ ص ٤٤ .

٢- الأغاني ج ٣ / ص ٦٦-٦٨.

٣- العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م . ج١/ ص ٣٤٠ .

٤- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين٣٥٦هـ ٩٧٦م نسخة عن طبعة دار الكتب مؤسست جمال للطباعة والنشر .ج٨ ، ص ٦٥

فقال عبد الملك : " لجرير خذ الكيس فلعمري إن الموت يأتي علي كل شيئ " ([1]). مما لا شك فيه أن الحكم الذي حكم به الخليفة قد جاء في مكانه لكون بيت جرير أعم وأشمل في المعنى المراد ولما بذله الشاعر من جهد في اختيار الألفاظ المناسبة وحسن السبك مع ما ذكرنا من إصابة المعنى كل ذلك في ايجاز رصين مع الوضوح اللازم . ولو لم يكن الخليفة مؤهلا لما استطاع أن يصل لهذا الحكم بسهولة وسرعة ودقة مما يؤكد ماذهبنا إليه سابقا من حسن تثقيف وتعليم هؤلاء الخلفاء ، كما يعكس الخبر مساهمة الخلفاء في إذكاء روح المنافسة بين الشعراء ودفعهم للإجادة والتفوق . ومثل هذه المواقف كثيرة تمتلئ بها كتب الأدب .

رابعاُ : مجالس الخلفاء مسرح للشهرة وذيوع الصيت :

لا شك أن التردد على القصور ومجالسهم والقرب من الخلفاء وكبار رجال الدولة يعد شرفا عظيما وفضلا كبيرا لأن في ذلك رفعة للوافد وإكبارا لمنزلته بين الناس ، وكان من الطبيعي أن يتهافت الشعراء على أبواب الخلفاء كسبا للمال وللمكانة الاجتماعية ، فمن اسعفه حظه وتقدمت به موهبته واستطاع الوصول إليهم كان له ذلك ، ونال ما يبتغي ، وإلا طلب الوسائط وبذل الجهد ، وقد تعب بعضهم في هذا السبيل كثيرا حيث وقف بباب الخليفة زمانا ، ليؤذن له بالدخول ، فإذا دخل أنشد ما جادت به قريحته وعاد وقد امتلأ جيبه بالمال و ملأ الآفاق بالشهرة .

تروي كتب الأدب أن الحجاج أوفد جريرا على عبد الملك ومعه ابنه محمد فمكث أياما كثيرة دون أن يؤذن له ، ظنا من الخليفة أنه(زبيري) فأعلمه محمد بأن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول : أنه لم يكن ممن والى عبد الله بن الزبير ، ولا نصره بيده ولا بلسانه . وقال يا أمير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عبدك وسيفك الحجاج شفيع في شاعر قد لاذ به ، وجعله وسيلة ، ثم رددته . فأذن له الخليفة ، فدخل عليه وأنشده ، ولكنه خرج بغير جائزة . فقال جرير لمحمد بن الحجاج : إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ولم آخذ له الجائزة سقطت أخر الدهر . ولست بارحا بابه أو يأذن لي في الإنشاد . ثم دخل محمد على عبد الملك و استأذن له مستخدما حيلا كثيرة فأذن له عبد الملك . فلما دخل على الخليفة أنشده قصيدته فاستحسنها و أعجب بها،فأمر له بجائزة كبيرة وأكرمه ووصله ([2]). لم يكن لجرير أن يغادر كما قال هو دون أن يقابل الخليفة ، ودون أن يفسح له مكانا في المسرح حيث الانطلاق نحو الشهرة والمجد وإلا سقط سقطة الدهر ، وهذا ممد يدل على أهمية هذه المجالس حتى لشاعر في قامة جرير .

خامسا : مخافة الشعراء من النقد والتعليقات :

من الطبيعي أن يعمد من يحضر هذه المجالس من العلماء وكبار القوم إلي المقاييس المعروفة من اللغة و الشعر فيطبقوها على من يفد عليهم من الشعراء و الأدباء . وقد كان الشعراء الوافدون على دراية تامة بما سيقابلهم وقد كانوا ولا شك في قلق وتوجس مما قد يواجهونه من نقد لذا فمن الطبيعي أن يبذلوا جهدهم لإرضاء الحضور بأن لا يخرجوا على ما هو

1- المرجع السابق ، ج٨ / ص ٦٥

2 - المرجع السابق . ج٨ / ص ٦٦ .

متعارف عليه من مقاييس أضحت قانونا غير مكتوب ولكنه محترم من الجميع . ومن البديهي أن يكون الخلفاء على رأس من يجتهد الشعراء لإرضائهم ، وقد مر بنا مدى اضطلاع الخلفاء على الشعر ومدى تبحرهم في مختلف العلوم فلم يكن إرضاؤهم بالأمر السهل . علينا إذن أن نتصور مدى ما كان يعانيه هؤلاء الشعراء لئلا تصيبهم مهانة أو خذلان في تلك المجالس بسبب نقد أو ذكر لأخطاء لغوية أو معنوية أو عروضية لأن ذلك يخذله أمام زملائه من الشعراء ويسئ لسمعته ويسقطه في أعين الناس . وقد حفظت لنا كتب الأدب أن الوليد بن عبد الملك أذن لمجموعة من الشعراء بالدخول عليه وأذن لهم أن ينشدوه فأذن لهم ومنهم جرير و الأخطل والفرذدق والأشهب بن رميلة ([1]) وترك البعيث ([2]) فلم يأذن له وقال : ليس كهؤلاء إنما قال من الشعر يسيرا . فقال البعيث : يا أمير المؤمنين إن هؤلاء ومن هم ببابك قد ظنوا أنك إنما أذنت لهم دوني لفضل لهم علي .قال :أولست تعلم ذلك ؟ قال لا والله ولاعلمه الله لي .قال فأنشدني . قال : أما والله حتي أنشدك من شعر كل رجل منهم ما يفضحه . فأقبل على الفرذدق فقال : قال هذا الشيخ الأحمق لعبد بني كليب :

بأي رشاء يا جرير وماتح تدليت في حومات تلك القماقم

فجعله تدلى عليه وعلى قومه من عل ، وإنما تأتيه من تحته لو كان يعقل . وقال هذا كلب بني كليب :

لقومي أحمي للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عندالمردفات عشية لحاقا إذا ما جرد السيف لامع

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه إلاعشية ، وقد نكحن وفضحن .

وقال هذا النصراني : وقد مدح رجلا يسمى قينا ، فهجاه ولم يشعر . فقال :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالآن طّيرعن أثوابه الشرر

وقال ابن رميلة : ودفع أخاه إلى مالك بن ربيعي بن سلمى فقتل ، فقال :

مددنا وكانت ضلة من حلومنا تبدي إلى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعا بأخيه ما فعل . فجعل الوليد يعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه ، وقال له قد كشفت عن مساوئ القوم فأنشدني من شعرك فأنشده فاستحسن قوله ووصله وأجزل له .

يدل هذا الخبر على أن الأمر لم يكن في مجالس الخلفاء مجرد إلقاء للشعر و إنما كان الشاعر أمام امتحان كبير فلا بد من أن يستعد له ويتزود بالمعرفة . كما يدل موقف الخليفة على أنهم لم يكونوا يأذنون لكل من حضر مجلسهم بالإنشاد فهذا شرف لا ينالـه إلا المبدعون ومن أثبتوا جدارتهم وموهبتهم . وما كان أى شخص بمستطيع الكلام أو التعليق إلا من وجد في نفسه القدرة

١- هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة الدرامي التميمي ، شاعر نجدي معروف ولد في الجاهلية ثم أسلم وعاش إلي العصر الأموي وينسب إلي رميلة وهي أمه اشتراها أبوه . مات حوالي ٨٦ هـ " من كتاب الأعلام "

٢- هو أبو زيد خداش بنبشر بن خالد التميمي المعروف بالبعيث ،كان خطيبا وشاعرا من أهل البصرة . وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت أربعين سنة توفي بالبصرة عام١٣٤ هـ . " من كتاب الأعلام "

على ذلك .

لقد تبين لنا من خلال عرضنا هذا أن مجالس الخلفاء لم تكن إلا مسرحا كبيرا، وفرصة للشعراء لعرض ما لديهم من أعمال شعرية . بل نستطيع القول أنها قد الوجه الرسمي للأسواق الأدبية والتي يمكن أن نطلق عليها المسارح الشعبية ، وسيتبين لنا فيما بعد أثر ما كان يجري في مجالس الخلفاء على مجمل الحياة الأدبية وذلك من خلال عرضنا لأهم ما كان يجري فيها وأقصد به الجانب النقدي أو التقويمي لإنتاج هؤلاء الشعراء .

الأساليب والمقاييس النقدية في مجالس الخلفاء :

أولا : الأساليب النقدية في مجالس الخلفاء:

كما ذكرنا سابقا فإن مجالس خلفاء بني أمية كانت تضم عناصر مهمة لنا كباحثين عن الجانب العلمي لما كان يصدر في تلك المجالس من آراء وأفكار نعقد أنها شكلت المادة العلمية النقدية في المستقبل الأدبي وأثرت بشكل مباشر في العصور التالية له وهو العصر الأموي ولكي نصل إلى هذا الأثر علينا أن نتذكر أنه وبجانب الخلفاء وما عرفناه عنهم من شغف بالعلوم عموما وبالأدب والشعر على وجه الخصوص ، تضم هذه المجالس الكثير من العلماء والشعراء أيضا ، مما يضفي عليها الطابع العلمي الذي نبحث عنه . ولذا فمن الطبيعي أن نحاول رصد الأساليب النقدية التي كانت سائدة في تلك المجالس ، فما هي هذه الأساليب وهل تنوعت واختلفت باختلاف من كانت تصدر عنهم ؟ للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها .نجد أنها فعلا كانت متنوعة وأن هذا التنوع كان بسبب من كانت تصدر عنهم ولذلك يمكن تصنفها علي هذا الأساس :

أ) ملاحظات الخلفاء أنفسهم :

لقد سبق أن بينا ما كان من عناية الخلفاء بالشعر وبالعلوم عامة ، وأوردنا كيف كانت عنايتهم بتهذيب وتأديب أبنائهم ، وحرصهم على أن يعدونهم الإعداد اللازم لتولي شأن الدولة ، وعرضنا اهتمامهم كذلك بأن يتلقى أولادهم المعرفة بفنون الشعر وأن يمتلكوا ناصية اللغة وبينا أهمية ذلك لديهم كقادة للأمة ، لذلك فقد كانت للخلفاء في مجالسهم أراء وتعليقات أتت في معظمها إن لم تكن كلها كنتاج لهذه الثقافة التي اكتسبوها جاء في كتاب الأغاني[1] أن سليمان بن عبد الملك سألعمر بن عبد العزيز:"أجريرأشعر أم الأخطل ؟" فقال له :"أعفني" قال :"لا أعفيك " قال:" إن الأخطل ضيق عليه كفرُه القولَ ، وإن جريراً وسع عليه إسلامُه قولَه وقد بلغ منه حيث رأيت " فقال سليمان :"فضلت والله الأخطل."

إذا تأملت قول عمر بن عبد العزيز لرأيت أنه أراد القول بإن الأخطل لم يستطع أن ينطلق في هجاء جرير لأنه نصراني في مجتمع مسلم لا يستطيع أن ينال من جرير المسلم إلا بقدر في حين أن جريرا لم يكن أمامه قيد في هجاء الأخطل أما إذا نظرتَ لناحية أخرى من أهم أغراض الشعر ألا وهي المدح إذن لرأيت أن سيدنا عمر بن عبد العزيز قد أصاب تماما فقد كان الأخطل في معظم مدحه لبني أمية يستعمل الأوصاف الجاهلية المعروفة في المح ولم يكن يميل إلى الأوصاف الإسلامية بحكم نصرانيته فكأنما ضيقت عليه نصرانيتة ووسع الإسلام على جرير أن

١- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين٣٥٦هـ ٩٧٦م نسخة عن طبعة دار الكتب مؤسست جمال للطباعة والنشر.

يمدح ممدوحه بما يشاء من الصفات الإسلامية ومبلغ علمي أن هذا الرأي الأخير هو المقصود في قول عمر بن عبد العزيز . ولكن من الصحيح أيضا أن إسلام جرير قيده ولم يتح له الخوض فيما يريد من هجاء لأن الإسلام لا يبيح الخوض في أعراض الناس بلا رقيب. وقد علمنا كيف أن سيدنا عمر بن الخطاب قد حبس الحطيئة لهجائه الزبرقان وكيف أنه أطلقه بعد أن اشترى منه أعراض المسلمين على ألا يهجو أحدا

ومما يروى أيضا ([1]) أنه لما أنشد الراعي عبدَالملك بن مروان قصيدته التي منها :

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَــنِ! إنّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ، نَسْجُدُ بُكْرَةً وأصيلا

عَرَبٌ، نَرَى للَّهِ في أَمْوالِنا ... حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلاً تَنْزِيلا ([2])

قال له عبد الملك:" ليس هذا شعراً ، هذا شرح إسلام وقراءة آية " . لقد كانت ملاحظة الخليفة في مكانها تماما لأن الشعر ليس تقريرا ولا شحا كما قال الخليفة وإنما عاطفة وخيال وقد خلت أبيات الشاعر الراعى منهما أو كادت .

وتذكر كتب الأدب أن الخلفاء لم يكونوا لينتظروا الشعراء لينشدوهم ثم يقومون بتوجيههم بل كانوا كثيرا ما يوجهونهم ابتداء . وقد كانت ملاحظات الخلفاء تأتي لتوجه الشعراء نحو رغبات الخلفاء وما يرغبون فيه ليلبوها .

يقال إنه لما ذكر لعبد الملك بن مروان أن أصدق بيت قالته العرب ، وهو بيت لبيد العامري :

ألا كل شيئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ([3])

قال عبد الملك : " إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بني قيس بن ثعلبة ـ وهم رهط أعشى بكر ـ وباصحاب النخل من يثرب ـ يريد الأوس والخزرج ـ وبأصحاب الشغف من هذيل " والشغف رؤوس الجبال ([4]). إن هذه الملاحظة أوالتوجيه سمه ما شئت يدل على معرفة قائله بمواطن الشعر الجيد في قبائل العرب وهي معرفة خبيرلأن هذه القبائل لم تكن تسكن موطنا واحدا ، فبنو قيس بن ثعلبة كانوا يسكنون باليمامة ، و الأوس والخزرج تسكنان المدينة كما هو معروف أما هذيل كانت تقطن بين مكة والمدينة .

من التوجيهات التي حرص الخلفاء على إرشاد الشعراء إليها تلك التي تتصل بفن مهم بالنسبة لبني أمية وهو فن المدح فقد حرص الخليفة عبد الملك بن مروان مثلا على يطلب من الشعراء أن يصفوهم بصفات دينية وخلقية كريمة وأن يبتعدوا عن وصفهم بالقوة والبطش مما إعتاد الشعراء أن يصفوا بها ممدوحيهم لأنها تنفر الناس منهم ، فنراه يقول للشعراء :" يا معشر الشعراء لا تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعرومرة بالبحر الأجاج ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نَـهارُكُـمُ مُكَـابَدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَـيْلُكُمُ صَـلاَةٌ وَاقْتِرَاءُ

---

٢ ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ـ المطبعة السلفية ـ طالقاهرة ـ الثانية ١٣٨٥هـ

٢ـ جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد القرشي - (ج رقم ١ / ص ٩٦) .

٣ـ العقد الفريد – محمد عبدبه الأندلسي (ج ٢/ ص ٣٠٧) .

٤ـ المرجع السابق (ج ٢/ ص ٣٠٧) .

وَلِيتُمْ بِالْقــرآنِ وَبِالتَّزَكِّي فَ أَسْوَعَ فِيكُمُ ذَاكَ البَلاَءُ
بـكَ ى نَجْدٌ غَداة غَد عَ لَيكُمْ وَمكَّةُ وَالمَدِينَةُ وَالجوَاءُ
وَحقَّ لِكُ لِّ أرض فارَقُوهَا عَـلَـيْكُمْ لاَ أَبَاً لَكُمْ الْبُكَاءُ
أَلْجـــعَلُكُمْ وَأَقْوَاماً سَوَاءً وَبَـيْكُمُ وَبَـيْـنَهُمُ الهَــوَاءُ
أَلْجعـــلُكُمْ وَأَقْوَاماً سَوَاءً وَبَـيْـنَــكُمُ وَبَـيْـنَهُمُ الهَوَاءُ

فنجد الخليفة هنا لم يكتف بعرض ما هو مطلوب من الشعراء ولكنه أيضا قدم النموزج الذي يريد الشعراء أن يلتزموا به وهذا من أنواع النقد الهادف الذي يقدم البديل لما درج عليه المبدعون في زمانهم . لقد غيرت مثل هذه التوجيهات في معاني المديح وأثرت فيه بحيث بدأت صورة الممدوح تختلف شيئا فشيئا عما كانت عليه في العصر الجاهلي من وصف للمدوح بصفات العرب المكرورة من الشجاعة والكرم ...الخ . لقد كان إصرار بنو أمية كبيرا على أن يظهروا للناس في صورة دينية بخلاف ما كان يصورهم به أعداؤهم ، وكانت حساسيتهم تجاه هذا الموضوع كبيرة ، فقد كان خصمهم علي الطرف الآخر" بنو هاشم " معروفا بتلك الصفات التي يطلبها بنو أمية بل ويلحون في طلبها وتكاد تمثل العقدة عندهم لذلك رأينا ما قاله عبد الملك للشعراء "ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم" . وكان لابد للشعراء من الاستجابة إن كانوا يريدون القبول والقرب من الخليفة .فهاهو نابغة بني شيبان([1]) وهو النصراني الديانة يدخل علىعبد الملك فيمدحه قائلا :

داود عدلٍ فاحكم بسيرته ثم ابن حرب فإنهم نصحوا

ولعله يشيرإلى قوله تعالى" يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى ، فيضلك عن سبيل الله "([2])

وهاهو الأخطل- النصراني- يتأثر أحيانا بهذا الجو الإسلامي فيخضع لما يستحسنه بنو أمية فيمدحهم ويخلع عليهم صفات إسلامية مقتبسة من الكتاب والسنة فيمدح يزيد بن معاوية بقوله :

جزاك اللهُ عن مستفردٍ وحدٍ نفاه عن أهلهِ جرمٌ و تشريدُ
جزاءَ يوسفَ إحساناً ومغفرةً أو مثل ما جُزِىَ هارونُ وداودُ
أو مثل ما نالَ نوحُفي سفينته إذا استجاب لنوح وهو منجــودُ

ويدل مثل هذا التأثر على مدى ما كان لتوجيهات الخلفاء وللجو العام الذي كان لمجالسهم من إسهام في توجيه الشعراء وجهات معينة استفادوا منها في نظم قصائدهم وأثروا بها مجالس الخلفاء . ونلاحظ مثل هذا التأثر في كثير من القصائد وللعديد من الشعراء فهاهوذا جرير يدخل على عبد الملك بن مروان فيمدحه قائلاً :

لولا الخليفة والقرآن نقرأه ما قام للناس أحكامٌ ولا جمُع

ويمدح عمر بن عبد العزيز :

١- هو عبد الله بن المخارق من بني شيبان شاعر بدوي من شعراء بني أمية وكانوا يجزلون له العطاء وكان نصرانيا وفي شعره الكثير من ذكر الإنجيل والرهبان (من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان .دار مكتبة الحياة –بيروت لبنان ط. الثانية ١٩٨٧م

٢- سورة ص الآية ٢٦

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافةَ في إمام عادلٍ
وسعَ الخلافة عدلُهُ ووفاؤه حتى ارعـوى وأقام ميلَ المائلِ

ويقول فيه أيضاً :

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربَّه موسى على قدر

إذا كان المدح الوجه الثاني للهجاء فقد تأثر هو الآخر بالتوجهات الجديدة ولنا أن ننظر إلى ما كان من أمر هجاء الشعراء للمعارضين لحكم بني أمية فإذا كان الخلفاء يحبون أن يذكروا بما يقربهم للناس فإنهم أيضا يرغبون في أن يظهر الشعراء معارضيهم وخصومهم في صورة تنفرهم من الناس ، فها نحن هؤلاء نستمع إلى قول جريريمدح عبد الملك ويهجو معارضيه قائلا :

يا آل مروان إن الله فضلكم فضلا عظيما على من دينه البدع

ولا نزعم أن هذا المنهج والتوجيهات الجديدة قد صبغت كل ألوان الشعر في ذالك العهد ولكنا نجد آثارا واضحة لكل هذا في كافة أغراض الشعر . ففي النسيب مثلا نجد معارضة الخلفاء وعدم قبولهم بشعرالغزل الفاحش والذي استشرى في بعض الأقاليم مثل مكة والحجاز. فقد كانوا يوجهون ويدعون الشعراء إلى البعد عن الفحش والسمو بالقيم التي تحترم المرأة والذوق العام .

ب) نظرات الشعراء وأحكامهم :

كان للشعراء دور كبير و إسهام واضح في الملاحظات النقدية والتوجيهات التي كانت تدور في مجالس الخلفاء . وكما كانوا حريصين علي إبراز أحسن ما عندهم كانوا في غاية الحرص على نقد غيرهم من الشعراء فقد ورد في الأخبار أن الوليد بن عبد الملك قال لجرير: من أشعر الناس فذكر جرير ابن العشرين يريد به طرفة بن العبد . فظل الوليد بن عبد الملك يذكر له بعض الشعراء واحدا واحدا ويطلب رأيه فيهم ، فلما ذكر طائفة منهم ، قال له الوليد بن عبد الملك : فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً ! فقال جرير : بلى يا أمير المؤمنين ، إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود ، نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنيتُ ، وأرملتُ فأغزرتُ ورجزتُ فأبحرتُ . فأنا قلتُ ضروبَ الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعاً منها . قال : صدقتَ ([1]).

ولم يكن الخلفاء يترددون في الإفصاح عن رأيهم في شعر الشعراء والمقارنة بينه وبين ما يعرفونه من جيد الشعر وهنا تسنح الفرصة للشاعر أن يبين هو الآخر رأيه ووجة نظره وكثيرا ما كان الخلفاء يوافقونهم الرأي . فقد أنشد كثير([2]) عبد الملك بن مروان قصيدة يقول فيها :

بدونِ النهاية. فإنّ الشّاعِرَ إذا أتى بمعنىً قد قصّو فيه لا يعذِرُهُ ناقدُهُ ولا يقول: عملُهُ على قدرِ ممدوحِه. ولمّا أنشدَ كُثيِّرٌ عبدَ الملكِ مدحَتَه التي يقول فيها:

على ابنِ أبي العاصي دِلاصٌ حَصينةٌ أجادَ المسُدّي سَرْدَها وأذالَها
يَؤودُ ضَعيفَ القومِ حمْلُ قتيرِها ويستَضْلِعُ القرْمُ الأشَمُّ احتمالَها

١- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين٣٥٦هـ- ٩٧٦م نسخة عن طبعة دار الكتب مؤسست جمال للطباعة والنشر الجزء الثامن

٢ - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية القاهرة .

قال له عبد الملك: ألا قُلتَ كما قال الأعشى لقَ ْيس بن مْعيكَرب:

وإذا تـــجيءُ كتيبةٌ ملمومَةٌ خرْساءُ يخْشى الذائِدونَ نهالَها
كُنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابِ س جُبّةٍ بالسّيْفِ تضْرِبُ مُعلِماً أبطالَها

فقال كثيِّر: إنما وصفَ الأعشى صاحبَ ُهبالطّيشِ والخُ ْرقِ والتغرير، ووصفتُك بالحزْمِ وحصافةِ الرأي والعملِ على الحياطة، فرضيَ عبدُ الملكِ بقوله. وقولُالأعشى في صناعة فقال كثير: يا أمير المؤمنين وصف الأعشى صاحبه بالطيش و الخرق والتغرير ووصفتك بالحزم والعزم . فأرضاه .

وقد ذهب النقاد مع الخبر يفضلون مرة قول الأعشى ومرة قول كثير ، مع إن الأولى في رأي بالنظر أن نقف عند جرأة الشاعر كثير في رده على الخليفة بل وقدرته على ارضائه بتغليب منطق العقل والنقد الموضوعي الذي لا يقوم على المبالغة كما في قول الأعشى .

ج) ملاحظات العلماء والرواة ولذعاتهم :

كما ذكرنا سابقا فقد كانت مجالس الخلفاء حافلة بالعلماء والرواة النقدة الذين لعبوا دورا هاما وفاعلا في رعاية الأدب وتوجيهه بما كانوا يبدونه من آراء سديدة ونظرات موفقة وأذواق مهذبة ونفس ميالة للأدب والفن . وقد كانوا كالحارس الأمين للغة أن يصيبها تحريف أو تشويه على يد الشعراء و الأدباء ، فكان لهم أثر بالغ وكبير في وضع اللبنات الأولى للمقاييس النقدية والضوابط الفنية للأدب واللغة . وقد حفظت لنا كتب الأدب والتاريخ العديد من أخبارهم . قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشعبي : " أتحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب ، تحب أنك قلته ؟ " قال الأخطل لا ، والله يا أمير المؤمنين ، إلا أني وددت أني قلت أبياتا قالها رجل منا مغدفُ(١) القناع ، قليل السماع ، قصير الزراع . " قال : "وما قال ؟" فأنشد قول القطامي(٢) :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليتَ وإن طالتْ بك الطيلُ
ليس الجديد به تبقى بشاشتُه إلا قليلاً و لا ذو خلة يصلُ
والعيش لاعيشَ إلاما تقرّبه عين ولا حال إلا سوف تنتقلُ
إن ترجعي من أبي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجح العملُ
والناس من يلقى خيراً قائلون له ما يشتهي و لأمِ المخطئ الهَبَلُ
قد يدركُ المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجلِ الزللُ (٣)

١- قياضاً : عوضاً . مغدف القناع اسم المفعول من الاغداف وهو الإرسال والقناع ما يغطى به الوجه ويجمع على قنع وأقنعة (المعجم الوسيط) والراد به أنه غير معروف لدى الناس .

٢- القطامي هو: أبوسعيد عمير بن شُ ِييم من بني ثغلب شاعر غزل فحل كان من نصـ ارى تغلب فأسلم ، عده بن سلام من الإسلاميين في الطبقة الثانية توفى سنة ١٣٠ هـ (من كتاب الأعلام جـ ٥ / ٢٦٤).

٣- الطلل ما بقي من آثار الديار . الطيل يعني العمر . الضمير في به يعود على الدهر في بيت لم يذكر هنا (من هامش الأغاني الهامش رقم ١). الخلة تعني الصداقة والمحبة (من المعجم الوسيط) الخطاب في ترجعي للناقة في بيت لم يذكر هنا (من هامش الأغاني الهامش رقم ٣) . منجحة : ظافرة ، الهبل : الثكل ، المتأني : اسم فاعل من تأنى أي تمهل (من المعجم الوسيط).

حتى أتى على آخرها . قال الشعبي : فقلت له لقد قال القطامي أفضل من هذا . قال : وما قال ؟ قلتُ : قال :

طرقتْ جنوبُ رحالَنَا من مَطْرَقٍ ما كنت ما كنتُ أهدِها قريبَ المعنقِ
قطعت إليك بمثل جيد جداية حسنٍ معلـق تومتيه مطوقِ

حتى بلغ قوله :

وإذا يصيبك - والحوادث – جمة حدث حداك إلى أخيك الأوثقِ
لبت الهموم عن الفؤاد تفرجت و خلا التكلم للسان المطلقِ (١)

قال فقال عبد الملك : ثكلت القطاميُّ أُمُه ، هذا والله الشعر . قال فالتفت اليَّ الأخطل ، فقال ليَّ : يا شعبي ، غن لك فنونا في الأحاديث وإنما لنا فن واحد ، فإن رأيت ألا تحملني علي أكتاف قومك فأدعهم حربي . فقلتُ : وكرامة ، لا أعرض لك في الشعر، فأَقلنِي هذه المرة (٢).

فما يدعو للتفكير والنظر أن الأخطل لم يستطع أن يرد على الشعبي ردا موضوعيا كما أنه لم يحتمل الرأى الآخرأو ما يمكن أن نسميه " لذعة العالم " وآثر أن يرد رداً يتسم بالتهديد والإنذار ، مما يدل على شدة ما وجد في نفسه من كلام الشعبي.

ولم يقتصر الرأى والتعليق على مجالس العلماء والشعراء في حضرة الخلفاء ، وإنما كان الأمر ثقافة عامة تعم وتسود في كثير من المجالس فقد ورد في الأخبار أن الثريا(٣) خرجت في دين عليها إلى الوليد بن عبد الملك فبينما هي عند أم البنين(٤) إذ دخل عليها الوليد فقال من هذه ؟ فقالت : الثريا ، جاءتني تطلب إليك قضاء دين عليها وحوائج لها . فأقبل الوليد عليها فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئا ؟ قالت : نعم ، اما أنه كان عفيفا ، عفيف الشعر، أروي قوله :

ما على الرسم بالبليين لو بـــــــــين رجع السلام أو لو أجابا
فإلي قصرذي العشيرة فالصـــــــائف أمسي من الأنيس يبابا
وبما قد أري به حيَّ صدقٍ ظاهري العيش نعمة و شباباً
إذا فؤادي يهوي الرباب وأني الدهـر حتى الممات أنسى الربابا

---

١ - جنوب المقصود بها ريح تأتي من الجنوب ، المعنق المصدر الميمي من أعنق أي سار سيرا سريعا ومعنى البيت أنه لم يكن يظن أن ريح الجنوب هبت علينا من مكان ما حسبنا أنها تأتي منه . الجيد هو العنق والجداية هي الغزالة والتومة هي اللؤلؤة . جمة يعني مجتمعة (المعجم الوسيط)

٢- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين٣٥٦هـ- ٩٧٦م نسخة عن طبعة دار الكتب مؤسسة جمال للطباعة والنشر . وحربي جمع حرب وهو ما أشدّ غضبه وروي أيضا (حرضا) وهو حِرْضَة وهو الفاسد المتقوك من الرجال . فيكون المعني على هذا : أجعلهم بهجائي أرذل الناس .

٣- الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن مناف وهم الذين يقال لهم "العبلات" سمو بذلك لجدة يقال لها عبلة بنت عبيد وهي من بطن من تميم يقال لهم براجم " كتاب الأغاني المصدر السابق .

٤- هي زوج الخليفة الوليد بن عبد الملك وقد أشتهرت بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجة وبعد النظر وكانت ذات مكانة ملحوظة في قصر الخليفة وكانت له مستشارة في أمور الدولة (كتاب الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ ١ صفحة ٥٦١)

وحسانا جواريا خفرات حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن الحديث ولا يتـــــــــــــــبعن ينعقن بالبهام الظرابا([1])

فقضى لها حاجتها وانصرفت بما أرادت منه . فلما خلا الوليد بأم البنين ، قال لها : لله در الثريا ، أتدرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر؟ قالت : لا ، قال : عرضت لي بأن أمي أعرابية ([2]). وهذا النص له من الدلالات الكثير من مدى ما نالته المرأة العربية من ثقافة وفهم . كما يدل على ما كان للثريا من زكاء وقوة ملاحظة وحسن تصرف ، حيث فهمت ما أراده الخليفة ولم يصرح به من سؤاله لها أراد أن
يحرجها بما كان بينها وبين عمر بن أبي ربيعة فكان ردها أنه كان عفيفا في أخلاقه وشعره وغزله بل اختارت أبياتا من شعره عرضت فيها للوليد بأن أمه أعرابية ، وليست حضرية .وقد فهم الخليفة هذا التعريض من البيت الأخير وهو دليل من ناحية أخري على ذوق الخليفة وفهمه الدقيق لما وراء الألفاظ . وفي كلام الوليد ورد الثريا عليه تمهيد لأحد المصطلحات البلاغية وإرهاص به وهو مصطلح " التعريض أو التلميح والذي يقصد به الإشارة إلى قصة مشهورة أو شعر معلوم أو مثل سائر من غير ذكره .

من هذا يتضح لنا أن هناك نوعيات مختلفة ساهمت في تقديم الملاحظات النقدية في مجالس الخلفاء الأمويين غير أن الخلفاء أنفسهم كانوا من أميز وأبرز من ساهم فيها وذلك لما عرفنا من الظروف التي ساعدت على تكوينهم العلمي والثقافي والتي دفعتهم إلى النقد والتحليل والتعليل على أساس من مقاييس وضوابط حفظتها عقولهم ووعتها قلوبهم وإن لم يضعوا لها الأسماء أو المصطلحات والتي جاءت في أوقات تالية على أيدي علماء اللغة والبلاغة والأدب .

ثانياً : دوافع النقد في مجالس الخلفاء :

لقد رأينا في الفصل السابق العناصر المكونة لمجالس الخلفاء وأبرز المشاركين فيها وقدمنا أمثلة ونمازج لهؤلاء . وسنري في هذا الفصل دوافعهم لتقديم هذه الملاحظات النقدية والتي من أقواها:

أ) الحس الأدبي والتذوق الجمالي :

كما رأينا سابقا كان للخلفاء دور مهم وأثر واضح في توجيه الشعراء إلى مايقتضيه الفن الأدبي عامة وما تقتضيه الحياة الحضرية والسياسية الجديدة بصفة خاصة . لذلك تعد مجالسهم الأدبية وما كانوا يبدونه فيها من ملاحظات نقدية مظهرا قويا من مظاهر حبهم للأدب والشعر وشغفهم بحسن القول وجمال البيان ، كما تكشف في نفس الوقت ما كانوا يتمتعون به من ثقافة

١- البلبين : بالضم ثم الفتح مثنى يلى مكان . ثناه بعض الشعراءإما لأنهم يعتقدون ضمه إلى موضع آخر أو لأقامة الوزن الشعري . وقد ذكره بعض الشعراء مفردا كالخطيم في قوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأعلى بَلَ َيٍ ذي السلام وذي السدر

ذو العشيرة والصـــــــائف : موضعان .يبابا :خاليا . حيَّ صدق يريد أنه جامع لصفات الخير . ينعقن : يزجرن ويصحن عاى الشياه . البهام : جمع بهيمة وهي الصغير من الضأن . الظراب : وهو ما نتأ من الحجارة . وحدد طرفه . (المعجم الوسيط)

٢- كتاب الأغاني جـ ١ صـ ٢٣٦- ٢٣٧ والمقصود بالأعرابية هي من يسكن البادية تمشي وراء حيواناتها تتبع مواطن الماء والكلأ .

واسعة واطلاع كبير وممارسة أدبية حسنة ، لذا فإننا نعد معظم ما أثاروه من ملاحظات نقدية وتعليقات أدبية كان دافعة الأول هو حس الخلفاء الأدبي و ذوقهم الجمالي للأدب واللغة . ومن أمثلة ذلك ما ورد في الأخبارأن الأقيشر دخل علي عبد الملك بن مروان فذكر بيت نصيب الأسود:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فقال : والله لقد أساء قائل هذا البيت . فقال له عبد الملك : فما كنت قائلا لو كنت مكانه ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك : فأنت والله أسوأ قولا وأقل بصرا حين توكل بها بعدك . قيل فما كنت قائلا يا أمير المؤمنين .؟ قال كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقال الحضور : والله لأنت أجود الثلاثة قولاً ، وأحسنهم بالشعر علما يا أمير المؤمنين .([1])

ويدلنا هذا على ما كان عليه الخليفة من قدرة فائقة على اختيار المناسب من الألفاظ والمعاني النفسية ، فقد حول عجز البيت المنقود من أسلوب يتضمن قلة الغيرة على الحبيب إلي أسلوب آخر يدل على الغيرة وعزة النفس وشرفها . وهذا ما كان يريده الخليفة من نقده لأن ما يليق بالمرأة عزة وكرامة أن يُغار عليها ، وأن يُضن بها من قبل حبيبها ، وهو أيضا أليق بشخصية الرجل العربيٍّ إن كان صادق العاطفة رهيف الشعور مخلصا لمن يحب .

ويذكرنا ما سبق ما كان يروى عن سليمان بن عبد الملك وعن تمكنه من اللغة وعن تذوقه لها ، وقد جاء في الأخبار أنه سمر عنده ليلة الفرزدق والأخطل وجرير . فينما هم حوله إذ خفق (نعس) ، فقالوا نعس أمير المؤمنين ، وهموا بالقيام ، فقال لهم سليمان لا تقوما حتى تقولوا في ذلك شعراً ، فقال الأخطل :

رماه الكرى في رأسه فكأنه صريعٌ يرّوى بين أترابه خمراً

فقال له : ويحك سكرانَ جعلتني ؟ ثم قال جرير :

رماه الكرى في رأسه فكأنه يرى في سواد الليل قنبرة حمرا

فقال له : ويحك ، أجعلتني أعمى ؟ ثم قال الفرزدق بعد هذا :

رماه الكرى في رأسه فكأنه أميمُ جلاميدٍ تركن به وقرا

فقال له : ويحك جعلتني مشجوعا ، ثم أذن لهم ، فانقلبوا فحباهم وأعطاهم .([2])

فمن الواضح أن الخليفة لم تعجبه تشبيهات الشعراء الثلاثة فالأخطل جعله صريعا أي طريحا على الأرض ، لذا استنكره الخليفة وقال له شبهتني بالسكران . أما جرير فقد أنكر عليه الخليفة أن جعله لا يميز بين الألوان فالقنبرة طائر على صدره بقعة سوداء فجعله الشاعر يرى

١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية القاهرة . ١٧٢ و الكامل للمبرد جـ١ صـ١٠٦

٢- العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٣ م .

هذا الطائر أحمراللون .

أما بالنسبة لجرير فقد عاب عليه الخليفة أنه جعله مشجوعا أي مصابا في رأسه بحجر، فالأميم من يهذي لإصابته في رأسه ، وجلاميد جمع جلمود وهو الصخر

ب) الدافع الأخلاقي و الديني :

لقد رأينا فيما سبق ما كان للخلفاء من ثقافة عربية وإسلامية رفيعة ، ولا شك أنهم كانوا على درجة رفيعة من الأخلاق والتربية الفاضلة كيف لا وقد رأينا حرصهم على تأديب أولادهم وجلب العلماء والمربين لهم ، لذا فلا عجب إذا ما اهتم هؤلاء الخلفاء بنشر القيم الفاضلة بين الناس فهاهو الخليفة معاوية يوصي الشعراء بأن يجعلوا شعرهم أداة لنشر الأخلاق الإسلامية الفاضلة ويحذرهم من أن يكون شعرهم عاملا من عوامل الشر والفساد وإنما ينبغي أن يكون سببا من أسباب توقير النفوس وتأديب الغير. فيروى أنه قال لعبد الرحمن بن الحكم ([1]) " يا أخي إنك شُهرتَ بالشعر فاياك والتشبب بالنساء ، فإنك تَعَرُّ الشريفةَ في قومها ، والعفيفةَ في نفسها ، [اياك] والهجاءَ فإنك لا تعدو أن تعادي به كريماً أو تستث به لئيماً ولكن افخر بمآثر قومك و قل الأمثال ما توقر به نفسك و تؤدب به غيرك "([2]) .

وقد كان بعض الخلفاء يهتمون بهذا الجانب الأخلاقي اهتماما بالغا لذا فقد كانت ملاحظاتهم مبنية على هذا الجانب ، ومما لا شك فيه أن الجانب الديني قد لعب دورا مهما في هذا الاعتقاد ، فالإسلام دين الأخلاق والقيم الفاضلة وقد كان الخلفاء يمثلون الضابط الأخلاقي الأعلى في المجتمع بل يعدون أنفسهم المسؤلين أولا وأخيرا عن حماية العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية والدينية ، فلا عجب إن جاءت ملاحظاتهم عن الشعر والشعراء مرتبطة بهذا الجانب باعتبار أن الشعر أداة مهمة في نشر القيم والأخلاق الفاضلة .

ولم يكن الخلفاء يتوانون لحظة في تبيان ما يعتقدون من تجاوز الشعراء للقيم والأخلاق فقد روي أن الأخطل لما أنشد عبد الملك رائيته وانتهى إلي قوله :

وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنين بنا لما أتاك بِبطنِ الغَوطةِ الخبرُ

فقال عبد الملك : " بل الله أيدني " .

ولا شك أن هذا الجانب يتفاوت الاهتمام به من خليفة لآخر فالخليفة عمر بن عبد العزيز كان من أشد خلفاء اهتماما بهذا الجانب فقد رفض السماح لبعض الشعراء بالدخول عليه بسبب ما كان في شعرهم من فحش ، فلما أخبر بأنهم أتوا بما يرضي الله أذن لهم . فهذا نصيب بن رباح يطلب الأذن بالدخول عليه فلا يؤذن له فلما قال " أعلموا أميرَ المؤمنين أني قلت شعرا أوله : الحمد لله " أُذِنَ له فدخل عليه وهو يقول :

الحمد لله ، أما بعد يا عمر فقد أتتنا بِكَ الحاجاتُ و القدرُ

---

١ - هو أخو الخليفة مروان الذي تولى الخلافة في الدولة الأموية ، وكان عبد الرحمن هذا يهاجي عبد الرحمن بن حسان الذي كان يدافع عن الأنصار بينما كان الأول يدافع عن قريش وبني أمية . (من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية جـ١ صـ١٥٠) .

٢- العقد الفريد - جـ٣ / صـ ١٣٠ للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م .

فأنت رأس قر يش وابن سيدها والرأس فيه يكون السَّمعُ والبصرُ

فأمر له بحلية سيفه . وقد أمر مرة بمنع جماعة من الشعراء من الدخول عليه لما في شعرهم من أفكار ومعان بعيدة عن تعاليم وقيم الدين الحنيف . وكان منهم : عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وكثير عزة والفرزدق والأخطل والأحوص الأنصاري فيذكر لجلسائه مثالبهم ويكشف الأخطاء التي وقعوا فيها وينبه على الزلات التي من أجلها رفض دخولهم عليه ، ولكنه يأذن لجرير لاعتقاده أن شعره مشتمل على معانٍ طيبة وأفكار جيدة . ورغم ذلك نراه يقول لجرير حين دخل عليه : " اِتقِ الله يا جرير ولا تقل إلا خيراً " ([1])

جـ) الدافع السياسي :

كما رأينا من قبل فإن الحياة السياسية في عهد بني أمية قد جعلت الناس فرقا وأحزابا سياسية وعقدية وقد كان الشعراء هم المعبرون عن أفكار و مواقف هذه الأحزاب والفرق يمدحونهم وينتصرون لهم ويهجون ويهاجمون خصومهم .

وكان بعض الخلفاء لا يقبل بمديح الشعراء لخصومهم بل كانت تأخذهم الغيرة من ذلك ، وقد مرَّ بنا ماكان من أمرالشاعر أيمن بن خريم والذي كان شديد التشيع لعلى بن أبي طالب (رضي الله عنه)،وما كان من مدحه لبني هاشم بمدائح كثيرة ومن قوله فيهم :

نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقتراء

وكان عبد الملك معجبا بقوله هذا في بني هاشم كما ذكرنا ، ومن شدة أعجابه كان يوصي الشعراء الأمويين بأن يصفوهم بمثل تلك الصفات التي وصف بها أيمن بن خريم بني هاشم([2]).

وقد جاء في الأخبار أن عبد الملك نفسه قال لعبيد اله بن قيس الرقيات : " ويحك أما اتقيت الله حين تقول لأبن جعفر :

تزورُ امرأ قد يعلم الله أنه تجود له كفٌ قليلٌ غِرارُها

ألا قلت قد يعلم الناس . ولم تقل قد يعلم الله " فقال ابن قيس : قد والله علمه الله ، وعلمته أنت ، وعلمته أنا ، وعلمه الناس "

من الواضح أن الخليفة كان في نفسه شيئ من مدح الشاعر لأبن جعفر ، ودافع نقده كان سياسيا إذ لم يرض أن يوصف خصمه وعدوه بهذا الوصف الرفيع فألبس نقده هذا اللباس اللغوي ، " ألا قلت قد يعلم الناس " ولو قال الشاعر ذلك لأفاد الشك في كرم ممدوحه ، أما وقد قال (قد يعلم الله) فلا يجوز الشك مع علم الذات العلية ، فهو هنا يثبت الجود والكرم لممدوحه .

ولم تكن هذه الملاحظات القائمة على الدافع السياسي مقصورة على الخلفاء مع الشعراء بل كانت أحيانا تأتي من الشعراء على الشعراء و من العلماء والولاة والمسؤلين وغيرهم على الشعراء ، من ما كان من الشعراء على الشعراء ، ما ذكر من أن عبد الملك سمع قول كثير في مدحه :

---

١ - العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م.

٢ - الأغاني ٢٠/٣١٠- ٣١١.

فما تركوها عنوة عن مودة ولكن بحد المَشرفِيِّ استِقَالُها

فأعجب به ، فقال له الأخطل " ما قلت لك والله ياأمير المؤمنين أحسن منه " قال : فما قلتَ ، قال ، قلتُ :

أهلوا من الشهر الحرامِ فأصبحوا مَوَالِي مُلكٍ لا طَريفٍ ولا غصبِ

جعلته لك حقاً ووجعلك أخذته غصباً ، قال صدقتَ(١). فبالرغم من أن الواقع يؤيد كُثيراً في ما قال إلا أن الأجود والأليق هو قول الأخطل ولذلك وافقه الخليفة .

١ - كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين ٣٥٦هـ- ٩٧٦م- نسخة عن طبعة دار الكتب مؤسسة جمال للطباعة والنشر . الجزء الثامن .

الفصل الخامس

أثر مجالس خلفاء بني أمية
في تطور النقد الأدبي

لا شك أن الحياة بعد أن أخذت دورتها واستقرت ، وتقدمت بدأت المدن والحواضر الإسلامية تأخذ بأسباب الحضارة والتقدم ، وكان من الطبيعي أن يأخذ الأدب بنصيبه من تلك والحضارة وأن يتطور في اتجاهات شتى ، وكان أيضاً لابد أن يتطورالنقد الأدبي إذ استجدت امور ومستحدثات ذات ألوان وأشكال عدة في المعاني و الأفكار والأسلوب والنظم فكان لابد من استحداث مقاييس وضوابط جديدة تقوم علي أساس جديد . وقد قد كانت تلك المقاييس والضوابط تتنوع وتتشكل وفق مجالات نفصلها في الآتي :

أولاً : مجال النقد اللغوي :

يتنوع النقد إذا كان مستنداً على الناحية اللغوية ، من ذلك ما نراه منصبا على ناحية التعبير من حيث الحسن والقبح ، ومنه أيضا ما كان من اساءة الاستهلال أو اجادته ، وإلى غير ذلك من المجالات الأخري والتي سنذكر منها هنا بعض الأمثلة للدلالة عليها خاصة وأن كتب الأدب والتاريخ حافلة بأخبار تثبت ما نقول ، ومنها اللآتي :

أ) مراعاة المقام : ولا تكون إساءة التعبيربعدم مراعاة المقام واضح تمام الوضوح ومؤثر في موقف الشاعر إلا في المديح ، لذا فعلى الشاعر أن يكون في غاية الحذر وألا يقع في موقف يعد فيه مسيئا للتعبير وذلك بأن يحن اختيار كلماته وما يناسب الموقف وأن يعرف ما يتطلبه المقام . فإذا ما ارتكب ما يوجب إساءة التعبير عرض نفسه للنقد وربما للسخط والحرمان والمقاطعة . ولعل ما نال الشاعرأبا النجم كان بسبب سوء التعبير وبغفلته على الأرجح عن ادراك وملاحظة ما حوله ، فقد جاء في الأخبار أنه دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته التي أولها :

الحمد لله الوهوب المجزلِ

وهي من أجود شعره ، فلما أتي على قوله :

والشمس على الأفق كعين الأحول ِ

غضب هشام بعد أن كان قد زحف على مصلانه اعجاباً، وأمر بصفع قفاه ، وإخراجه . وسبب غضب الخليفة أنه كان بعينه حول ([1]) . لم يكن الشاعر موفقا من ناحيتين من ناحية الموقف أمام الخليفة ومن ناحية التشبيه حيث شبه الشيئ الذي هو علامة الرفعة والكمال والجودة ، بالشيئ المعيب وهو الحَوَل .

ومن سوء التعبير مخاطبة الشاعر لممدوحه بصورة قبيحة لا تليق به ، لهذا عاب عبد الملك بن مروان على أرطاة بن سهية الشاعر قوله :

رأيت المرء تأكلـــه الليالي كأكل الأرض ساقطةَ الحديد
و ما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

١- - العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م .– الجزء الثاني . والأرجوزة جمع أراجيز والرجز من البحورالقديمة في الشعر العربي وكان يستخدم بكثرة في العصر الجاهلي ، وكان الوزن الشعبي العام الذي يدور على كل لسان ومن ثم لم يوجد شاعر كبير ينظم فيه ، وكأنما تركه الشعراء لجمهور يتعهده ويرعاه وهو لا يتجاوز البيتين والثلاثة إلا نادرا فهو مقطوعات قصار ينظمها كثيرون معروفون ومجهواون عند حداء البعير والتجول في ميادين الحرب (تاريخ الأدب الأموي .العصر الإسلامي . د.شوقي ضيف ...دار المعارف الطبعة السابعة عشرة . ص ٣٩٥)

وأعلم أنها ســتكر ُحتى توفي نذرها بأبي الـوليدِ

فاتاع الخليفة ، ثم قال : بل توفي نذرها بك . مالي ولك ؟ وكان أرطاة يكنى بأبي الوليد وكذلك عبد الملك ، ثم أن الخليفة أشتدَّ عليه وتغير وجهه ، وظن أنه يعنيه ، فقال الشاعر لا تَرُع يا أمير المؤمنين أني لم أعنك ، وإنما عنيت نفسي فسكن عبد الملك وقال : وأنا أيضا ستكرُّ عليَّ .

إن هذا النوع من سوء التعبير ناشئ من غفلة الشاعر ، وكان عليه أن يتجنب مثل هذا الأسلوب . غير أن إساءة التعبير لا تكون أحيانا ناتجة من غفلة الشاعر بل قد تكون راجعة لأسباب أخرى كانسياق الشاعر خلف احساسه بالفخر و الغرور ، كما في قول جرير :

هذا ابن عمي في دمشق خليفةٌ لو شئتُ ساقكم إليّ قَطِيناً

لذا فقد علق الخليفة قائلاً :" ما زاد ابن المراغة أن جعلتي شرطياً ، اما أنه لو قال :(لو شاء) لسقتهم إليه كما قال ."([1])

ب) سوء الاستهلال :

ينغي في كل عمل أدبي أن تكون البداية متميزة من حيث اللفظ والمعنى وأن تكون مسبوكة سبكا حسناً ، لأن ابتداء الكلام هو أول ما يقرع آذان المستمع فهو أحق بالعناية وأولى بالرعاية ، وينبغي أن ُيحترز مما ينفر السامع ويكره أن سماعه . ومن ذلك ما يروى من أن الأخطل لما أنشد عبد الملك :

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بكروا ([2])

قال عبد الملك : بل منك لا أم لك " . وتطير عبد الملك ، فعاد فقال :

خَفَّ القَطِينُ فراحوا اليوم أو بَكَروا

أسس الشاعر كلامه على ما عابه عليه الخليفة وتطير منه ، رغم أن الخليفة يعلم أن الشاعر إنما كان يخاطب نفسه دونه ولكنه عاب عليه سوء الاستهلال للقصيدة في حضرة الخليفة .

ومن قبيل هذا النقد أيضا ما ورد عن الحجاج لما أوفد جريراً إلى عبد الملك فأنشده قوله :

أتصحوأم فؤادك غير صاحٍ عشية هَمَّ صَحبُكَبالرواحِ

فقال عبد الملك : " بل فؤادكَ " . والقصة مشهورة في كتب الأدب ([3]) .

جـ) البتكار والتجديد :

علمنا من الفصول السابقة من هذا البحث أن من أثر الفتوح الإسلامية في الدولة الأموية أنها هيأت الناس وفتحت لهم أبواب المعرفة ، على مصراعيه فدخلت أنواع مختلفة من المعارف والثقافات ، ونتج عن هذا التمازج والاختلاط ألوان مختلفة من أساليب التفكير والخيال في العقلية العربية المتطلعة للتشرب بأنواع المعارف والعلوم لم تألفها في الماضي ، وقد نبه ذلك الأدباء عموما والشعراء على وجه الخصوص إلى أشياء لم تكن موجودة من قبل فأرادوا التعبير عنها

١- الأغاني الجزء الثامن ، ص ٦٠ – القطين : أي الخدم والحشم .

٢- خف : ارتحل بسرعة . القطين : أهل الدار أو الخدم ، والحشم . راحوا : خرجوا في أول العشي . وبكروا : خرجوا أول النهار (المعجم الوسيط)

٣- الأمالي ص : ٤٣ - ٤٤ ـ - العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م .جـ ١ / ص ٣٣٠ – ٣٣١ .

بإسلوب جديد وبمعانٍ جديدة تتناسب والحياة الجديدة . وقد كان لبعض الخلفاء دور في توجيه الشعراء لمحاولة التطوير والخروج من الأنماط القديمة إلي نوع من التجديد تتطلبه الحياة الجديدة بما جلبته من حضارة وتقدم وإلى أشياء لم يتنبه لها العقل العربي من قبل . فها نحن نجد يزيد بن معاوية يدعو جماعة من الشعراء – في مجلسه – إلى محاولة القيام بالتغيير في بناء القصيدة العربية قائلاً : " عجبي لكم معشر الشعراء في الشام ، يقف أحدكم على الطلل البالي فيستنزف شعره في وصفه وعندكم " تدمر" و فيها ما فيها من تماثيل ومحاريب وتهاويل ، وهي أحق بالوقوف والوصف ، تمرون بها كالبكم أوالعمى " .([1])

الملاحظ هنا أن دعوة الخليفة للتجديد لم تكن إلا لنبذ الوقوف على الأطلال ولم تكن لمنع الوصف أو لتغييره بأي مقدمة أخرى ، إذن ما كان يرمي له الخليفة من تجديد كان في رأي محاولة لاستبدال طلل صحراء الجزيرة البالي بمدينة تدمر الأعجوبة المعمارية في زمانها .

ولعل الشعراء أنفسهم كانوا في بعض الأحيان يدفعون السامعين ومن بينهم الخلفاء إلى طلب التغيير وذلك بمبالغتهم في التمسك بالقديم وبالطرق التقليدية في النظم ومن ذلك مثلا نقد الخليفة عبد الملك بن مروان لذي الرمة في قصيدته التي أطال فيها مدح ناقته قائلا له : " ما مدحت إلا ناقتك فخذ منها الثواب "([2])

الملاحظ هنا أن الخليفة ملَّ انصراف الشاعر إلى الهوامش في قصيدته وشدة مبالغته في التمسك بالقديم والطرق التقليدية في النظم فأراد أن يعاقبه بحرمانه من العطاء.

والحقيقة أن الدعوات للتجديد و الابتكار لم تنقطع منذ عهد بعيد فقد حملت لنا الأخبار ما قاله سيدنا معاوية للأخطل عندما وفد إليه ليمدحه ، فقد قال له : " إن كنت شبهتني بالحية والأسد والصقر فلا حاجة لي بها ، وإن كنت كما قالت الخنساء – وأنشد بيتين – فقل " . فقال الأخطل :" والله لقد أحسنت فقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ." ثم أنشد :

إذا مِتَ ماتَ العرفُ وانقطعَ الندى فلم يبقَ إلا مِن قليلٍ مُصَـرَّدِ

ورُدتْ أكُفُ السائلين وأُ مسُـــكوا عن الدّين والدنيا بحزن مُجدَ دِ

ثانياً : نقد المعني :

المقصود هنا هو النقد القائم على أساس المعنى فقط ، ومن المعروف أن هذا النوع من النقد تتنوع فيه وتتعدد مجالاته و طرقه ، وذلك لأن المعاني لها عدة أوجه يجب أن تتناسب معها فإذا أصاب الأديب هدفه من المعنى ووفق في ذلك أستحسن الناس ما قال ومدحوه أما إذا لم يوفق في ذلك عرض نفسه للنقد وكان هدفا للنقاد لهذا حرص
الشعراء على الإجادة في هذا الجانب وسنحاول هنا أن نأتي على ذكر أهم ما ورد في هذا المجال في مجالس خلفاء بني أمية و من ذلك الآتي :

١- الشعر في الشام لخليل مردم بك – مجلة المجمع العلمي العربي دمشق -١٩٥٥ جـ١ مجلد ٣٠ص ٦

٢- النقد الأدبي لأحمد أمين . مطابع دار الغندور – بيروت – الطبعة الرابعة .١٣٧٨هـ- ١٩٦٧م الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ص ٤٦٦

أ) صحة المعنى وملاءمة العبارة للموقف :

ينبغي على الأديب أن يختار من العبارات والألفاظ ما يؤدي المعنى المناسب للموقف الذي يعبر عنه ، فإذا خرج المعني عن تأدية هذه الوظيفة ، جلب لقائله النقد وعدّ ذلك عيباً يؤخذ عليه ، كما عاب عبد الملك على كُثيِر قوله في عزة :

فقلت لها ياعزُّ كلُّ مصيبةٍ إذا وطِنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَتِ

بقوله : " لو قال كثير قوله في حرب لكان أشعر الناس " كما عاب على القطامي بيته الذي وصف فيه مشية الأبل :

يمشين رهوا فلا الأعجاز خازلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل

بقوله : " لوأنه قاله في النساء لكان أشعر الناس "([1])

لا شك في أن الخليفة قد أصاب فيما ذهب إليه من نقد كُثيِّرفالمصيبة إنما تكون في الحرب لا في الحب ، ذلك لأنها تهون مع الصبر لها والثبات فيها ، ولا تكون كذلك في الحب لأنه يزيد مع الصبر ولا يكون الصبر علاجا له. كذلك أصاب الخليفة في نقده للقطامي ، فالوصف هنا لا يلائم مشية الأبل فهي لا تمشي رهوا وكذلك وصف أعجازها لا يتناسب مع خلقتها وهيئتها ، أما وصف صدورها بأنها لا تتكل على الأعجاز فهو بالنساء أليق منه بالأبل ، بل يقال أن من صفات جمال أجسام النساء أن تكون كأن لها جسمين ركبا فوق بعضهما . فالخليفة هنا يبدو عالما بالعربية وأسرارها وما يستحسن من الوصف وما يستقبح منه ، بل هو عالم بما يتناسب من التشبيهات وما وضعت له وهذا لا يتأتى للإنسان إلا إذا كان واسع الاطلاع حسن الذوق عالما بدقائق اللغة .

ب) حسن الوصف والتصوير :

مما يستحسن من الشعر أن يكون الشاعر قادرا على وصف الأشياء وصف من يعرفها حق المعرفة وأن يكون قادرا على تصويرها تصْويراً رائعاً خلاقاً ، وأن يغلف وصفه بغلالة من الصدق ، وأن يقدم كل ذلك للمستمع في صورة خيالية حتى يخيل له أنه يرى ما يسمعه رأى العيان . وعلى هذا الأساس استحسن عمر بن عبد العزيز قول قيس بن الخطيم ([2]):

بين شُكُولِ النساء خِلتُها قَصْدٌ فلا جَلْبَةٌ ولا قصفُ
تنام عن كُثْرِ شأنها فإذا قامت رويداً تكاد تنقصفُ
قَرْنُ الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنما شفَّ وجهَهَا نُزُفُ

وقد عفّو الخليفة عن استحسانه بقوله : " قائل هذا الشعر أنسب الناس "

لقد كان الخليفة صادقاً كلَّالصدق في اعجابه كما كان الشاعر صادقاً كل الصدق في تصويره لأنه جمع في نسيبه أهم الصفات الجمالية الجسدية والمعنوية التي يمكن أن تتصف بها المرأة ، فالشاعر يصف تلك المرأة بأنه رآها بين أشكال النساء وسط فلا هي جبلة أى قوية صلبة

١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية القاهرة ص ١٣٣ . والكامل للمبرد جـ ١/ ص ١٩٠.

٢- هو شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية وله في وقعة البُعاث قبيل الهجرة أشعار كثيرة ، أدرك الإسلام وقتل قبل أن يسلم - (الأعلام ج٦ ، ص٥٥)

ولا هى قصف أى نحيفة هزيلة ، كما يصفها بأنها رفيعة الشأن (كبر شأنها) كما وأنها منعمة ومرفهة ورقيقة الجسم تكاد تنقصف . وهي من شدة جمالها تشغل الناظر إليها عن النظر إلى سواها فقد شفّ اي رقّ وجهها حتى يرى ما خلفه .

جـ) اثر النقد موضوعات المدح :

ازدهر في هذا العهد شعر المديح وعلا علوا كبيراً ، وقد كان دون غيره من موضوعات الشعر هدفا لخلفاء بني أمية حيث كان واحداً من أدوات حربهم المهمة ضد أعدائهم ، لذا فهم لم يقصروا في عطاياهم للشعراء ولم يألوا جهدا في تقريبهم منهم ، والشعراء من جانبهم لم يقصروا في تلبية حاجة الخلفاء من مدحهم ووصفهم بالصفات اللايقة بهم وبمقامهم ، ولكن الحياة دارت دورتها ولم يعد مقبولا من الشعراء أن يستمروا في نفس النمط القديم من نعت الممدوح بصفات قديمة قد عفا عليها الدهر ، كالوصف والتشبيه بالحيوانات الضارية وما إليه من الصفات والتشبيهات . والخلفاء أنفسهم لم يعودوا يتقبلون أن يوصفوا بمثل هذه الصفات ، بل طلبوا من الشعراء أن يصفوهم بصفات النفس الكريمة التي تترك آثاراً حميدة في نفوس الناس وتقربهم منهم ، وتحببهم فيهم ، وأن لا يصفوهم بصفات فيها ما يبعدهم عن الناس كالفخر بالآباء والجدود وعلى هذا الأساس عاب الوليد بن عبد الملك على العجاج قوله في مدحه حيث يقول :

بين ابن مروان قَريعِ الإنس وابنةِ عباسِ قَ ريعِ بَعسِ

فقال له : أتقول في ابن معمر([1]) :

حَوْلَ ابن غَرّاءَ حِصانٌ إن وُتِرْ فازَ وإن طالبَ بالوغمِ اقتدرْ
إذ الكرامُ ابتدروا الباعَ ابتدرْ([2])

وتقول فيّ :

بين ابن مروان قَريعِ الإنس وابنةِ عباسِ قَريعِ عَبس

فقال : يا أمير المؤمنين إتَّ لكل شاعر غرباً وإنَّ غربيّ ذهب في ابن معمر .

الخليفة هنا صائب فيما انتقد به الشاعر والذي مدح الخليفة بأنة سليل حسب ونسب بالأم والأب ، بينما مدح ابن معمر بجانب هذا بصفات أخري هي من كراثم الصفات النفسية ، وهذا ما كان يريده الخليفة من الشاعر لنفسه .

ومن قبيل هذا النقد ما ورد في الأخبار من أن الخليفة عبد الملك قال في حديث مع الشعبيِّ : " يا شعبيّ ، أي نساء الجاهلية أشعر؟ قال : الخنساء ، قال : لم فضلتها على غيرها ؟ قال :" لقولها :

وقائلةٍ والنعشُقد فات خطوَهَا لتدركَةُ يالهفَ نفسي على صخر
ألا ثكلتْ أمُ الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

---

١ ـ هو عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي القرشي سيد بني تيم في عصره من كبار القادة الشجعان الأجواد ولد سنة ٢٢هـ وكان من رجال مصعب بن الزبير ثم عاد إلى عبد الملك بن مروان فكان من جلسائه توفي سنة ٨٢هـ (كتاب الأعلام جـ ٥ ص ٢١٤)

٢ ـ القريع : السيد .الإنس :جنس الإنسان . وير: أدرك بالمكروه . أو أفزع بما لا يحب ، الوغم : الحرب . ابتدر : أسرع وتعجل . الباع : الجود والكرم . (المعجم الوسيط)

فقال عبد الملك : أشعر والله منها التي تقول :

مُهَفْهفُ الكَشحِ والسربالِ منخرقٌ عنه القميصُلسير الليل مُحتَقِرُ
لا يأمنُ الناسُ مَمْساه و مَصبَحَه في كُل فجٍ وإن لم يغز يُنْتَظرُ(١)

فتفضيل عبد الملك لبيتى هذه الشاعرة جاء لوصفها الممدوح بصفات تعود لنفس الممدوح وهي صفات كريمة عالية تصفة بالشجاعة والمهابة وخشية الأعداء له .

ثالثاً : نقد موسيقى تاشعر(العروض) :

يحكم الشعر العربي نظام موسيقي محكم ، ألفته آذانهم واستكرهت ما يخرج عنه ، والأذن العربية مرهفة الإحساس تجاه الشعر ، لذا فقد وضعوا وتواضعوا على نظام موسيقي معين لأشعارهم ، وكرهوا ما حاد عنه واستقبحوه . وقد عاب عبد الملك على عبيد الله بن قيس الرقيات قوله حيث أتى بقافية مشتملة على كلمات قلقة غير محببة انعدم فيها الجمال الموسيقي في قوله :

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعن مروَتيَه
وجببنني جَبَّ السنام ولم يتركــن ريشاً مناكِبيَه

فقال له عبد الملك : أحسنت لولا أنك تخنثت في قوافيه . فقال : ما عاودت كتاب الله " ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه "(٢)

وقد وردت بعض الأخبار التي تدل على أن العرب قد تنبهوا إلي بعض العيوب في موسيقى الشعر وقد كان هذا النوع من النقد معروفاَ في مجالس الخلفاء الأمويين ، ورويت عنه الأخبار فق تنبهوا إلى عيب " السناد " وهو عيب عروضي في اختلاف ما يراعى قبل الروي من حروف وحركات وقد تنبه إليه مروان بن الحكم وعاب ذلك على خالد بن يزيد بن معاوية إذ أتى في قوله :

فلو بقيتْ خلائــفُ آل حرب ولم يلبْهمُ الدهرُالمنونا
لأصبح ماءُ أهل الأرض عذباً وأصبح لحمُ دنياهمْ سميناً(٣)

إن هذا العيب وإن لم يكن خطيراً إلا أن التنبه إليه يدل على ذوق مرهف لصاحبه وشعور صادق وقلب حساس يرفض شذوذ النغم وعم الانسجام الموسيقي .

ولم يكن ذلك هو العيب الوحيد في موسيقي الشعر الذي تنبهوا إليه في تلك المجالس، فقد تنبهوا إلى عيب آخر وهو الاقواء وذلك أن يخالف الشاعر بين حركة الروي المطلق بكسر وضم ، وقد تنبه لذلك العيب عنبسة الفيل عندما كان الفرذق ينشد يزيد بن عبد الملك قوله :

مستقبلين شمالَ الشام تضرُبنا بحاصب كنديف القُطن منثور

١- الأغاني جـ ١١/ ص ٢٥- ٢٦ . مُهَفْهفُ الكَشح : ضامره . وهفهفة السربال أي رقته . منخرقٌ عنه القميصُ أي لا يبالي كيف كانت ثيابه لأنه لا يزين نفسه . وقد يكون مراد الشاعرة أن الممدوح كثير الغزوات و الأسفار فقميصه منخرق لذلك (الأغاني جـ ١١/ ص ٢٥الهامش رقم ٥)

٢- كتاب الصناعتين : ص ٤٥٠ ربما أراد بمروتيه الحرة الشرقية والحرة الغربية بالمدينة المنورة والحرة هذه أرض ذات حجارة سوداء . الجب القطع . الناكب : أربع ريشات تكون في مناكب الطائر بعد القوادم ولا واحد له (المعجم الوسيط) الآيتان : من سورة الحاقة آية ٢٨- ٢٩.

٣- - العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م .جـ٦/ ص ١٨١.

على عمائمنا تُلقِى و أرحُلُنا على حَرَاجِفَ تزجي مُخُ ها رُوِ

وبعد أن تنبه الفرذدق عدّل البيت قائلاً :

على حَرَجِفَ تزجيها محاسير([1])

رابعا : ظهور علوم جديدة:

لقد أتاحت مجالس خلفاء بني أمية الفرصة لظهور بعض المصطلحات البلاغية ، ولا نزعم أن هذه المصطلحات لم تكن معروفة كمفاهيم عند الأدباء والعلماء ، ولكن الواضح أن توفر العلماء والأدباء في هذه المجالس واجتماعهم في مجلس أدبي يحضره الخليفة نفسة والذي لا يقل ثقافة وتعليما عن الحضور قد هيأ الفرصة لمحاولة وضع مصطلحات لتلك المفاهيم ووضع حدود لها وشروط ، وذلك وفق فهم وإدراك كاملين وسنرى كيف أفاد العلماء منها فيما بعد . ومن المسائل التي تعرضت لها هذه المجالس :

أ) مصطلح البلاغة والإيجاز :

تذكر الأخبار أن معاوية بن أبي سفيان سأل لصحار بن عباس العبدي([2]) في أحد مجالسه : " ما تعدون البليغ فيكم ؟ قال : الاجاز . قال له معاوية ، وما الايجاز ؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وأن تقول فلا تخطئ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صحار ؟ فقال صحار : أقلني يا أمير المؤمنين ، ألا تبطئ ولا تخطئ " ([3])

مما جري نستطيع القول أنه محاولة لوضع مقياس وضابط من ضوابط الكلام البليغ تمهيداً لظهور مصطلحي " البلاغة والايجاز " . وقد أفاد البلاغيون من ذلك عند وضعهم مقاييس وضوابط علم البلاغة .

ولا شك في أن للقصة دليل كبيروشاهد موثق على ما يتمتع به الخليفة معاوية من ذوق لغوي وذكاء كبير وصفاء ذهن ودقة ملاحظة حيث نبه صحار لمناقضة كلامه في التطبيق مع ما ذكره نظرياً . وقد عاد صحار مما قال معتذراً للخليفة .

مصطلح البليغ : مما ورد في الأخبار أن سيدنا معاوية بن أبي سفيان سأل سيدنا عمر بن العاص " من أبلغ الناس ؟ " قال عمر بن العاص من اقتصرعلى الايجاز وتنكب الفضول " ([4])

جـ) الفصيح والفصاحة :

مما يذكر لبني أمية عنايتهم الشديدة باللغة ، وقد بينا شطراً من هذا فيما سبق من فصول هذا البحث ، وكان مما عنى به الأمويون عامة وخلفاؤهم خاصة تنقية اللغة من أدنى شائبة تشوبها

---

١ - كتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية القاهرة ، ص ٩١.

٢ - هو صحار بن عباس بن شرحبيل من بني عبد قيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان . ومن النسابين وكان ممن شهدوا فتح مصر شهد صفين مع معاوية توفي بالبصرة نحو سنة ٤٠ هـ . (الأعلام جـ ٣ / ص ٢٨٧)

٣ - البيان والتبيين جـ ١ / ص ٩٦ . وانظر العقد الفريد جـ ٣ / ص ١١٦ .

٤- مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ٢٠٠ - ٢٩١ هـ طبعة دار المعارف – مصر الطبعة الثانية - القسم الأول جـ ٥ / ١٨٧ . وتنكل : تجنب وأعرض . (المعجم الوسيط) .

وذلك من ناحيتين ، الأولى فيما يختصّ بخلو اللغة من الخطأ أو اللحن ، والثانية ، أنهم كانوا يطمحون دوما للغة صافية خالية من اللهجات العربية الأخرى ، ومن ذلك ما جاء في الأخبار أن سيدنا معاوية (ض) الله عنه قال لجلسائه يوما " أي الناس أفصح ؟ " فقال رجل من السماط : " يا أمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رتّة([1]) العراق وتياسروا عن كشكشة([2]) بكر ، وتامنوا عن شنشنة([3]) تغلب ليس فيهم غمغمة([4]) قصاعة ولا طمطمانية([5]) حمير. قال : صدقت فممن أنت ؟ قال : من جرم . قال الأصمعي : جرم من فصحاء الناس "

يدل هذا الخبر بخلاف بعض ما تعرضنا له من أخبار على مقياس من مقاييس اللغة في الكلام عن الفصاحة وهو خلو اللغة من أبرز الصفات للهجات العربية التي لم تعد من فصيح الكلام ، فقد تواضع الناس على اعتبار أن لغة قريش هى الافصح ، فقرضوا بها الشعر وتفاهموا بها في أسواقهم التي كانت ملتقى قبائلهم ، ونزل بها قرآنهم . نتيجة لذلك ارتفع الناس عن تلك الصفات ، وعلى هذا الأساس أصبح الحكم على فصاحة الكلام بقدر ابتعاده عن تلك الصفات والتي صارت بعد الإسلام موضع سخرية ، ودليل عجمة وعدم فصاحة .

د) التعريض :

وهو في علم البلاغة " الإشارة إلى قصة معلومة أو شعر مشهور أو مثل سائر من غير ذكر " . وقد عرفت مجالس خلفاء بني أمية هذا الضرب من البلاغة ، وقد مرَّ بنا في غير هذا الموضع من البحث ما يؤكد هذا ، فقصة الثريا مع الوليد بن عبد الملك التي ذكرناها في صفحات سابقة أكدت ما ذهب اليه الكثيرون من أن التعريض عرف كمفهوم وكمصطلح بلاغي في تلك المجالس ، فقد طلب الوليد بن عبد الملك منها أن تنشده أبياتا لعمر بن أبي ربيعة فردت عليه بأنه كان عفيفاً في نفسه وفي شعره ثم ذكرت أبياتاً عرضت له فيها أن أمه أعرابية ، وقد فهم الوليد ذلك منها . وقد كان في

كلام عبد الملك وفي رد الثريا عليه تمهيد لظهور مصطلح بلاغي جديد هو مصطلح " التعريض " ذلك أن الوليد بن عبد الملك أشار إلى قصة مشهورة – ما كان بين الثريا وعمر بن ربيعة – دون تصريح واختارت الثريا للإنشاد أبياتاَ تشير إلى شيئ معلوم دون التصريح به ، وهذا ما أشار إليه الخليفة بقوله لأم البنين " لله در الثريا ، أتدرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر ؟ قالت : لا . قال : إني لما عرضت لها به عرضت بأن أمي أعرابية " .

١- الرتّة : العجلة في الكلام وقلة الأناة . وقيل هي ردة قبيحة في اللسان . وقيل هي عجمة في الكلام حكلة فيه ، وقيل هي قلب اللام ياء .(لسان العرب جـ٢ ص ٣٣- ٣٤)

٢- الكشكشة : هي إبدال كاف المخاطب المؤنث عند الوقف شيناً للتفريق بينها وبين كاف المخاطب للمذكر ، وقد يجري الوصل مجرى الوقف مثل دارك ، قول : دارش . وقد يزيدون على الكاف شينا في الوقف ، وربما ألحقوا الشين في الوصل أيضاً مثل عليك : تقول عليكش (لسان العرب ، جـ ٦ / ص ٣٤٢) و(دراسات في علم اللغة ص١٤٣)

٣- الشنشنة هي الكاف مطلقا شينا عند أهل اليمن فتقول في لبيك اللهم لبيك : لبيش اللهم لبيش . (دراسات في علم اللغة ص ١٤٦)

٤- الغمغمة ، والتغمغم الكلام الذي لا يبين (لسان العرب جت ١٢ / ص ٤٤٤)

٥- الطمطمانية : العجمة شبه كلام حمير بكلام العجم لما فيه من الألفاظ المنكرة (لسان العرب جـ ١٢/ص ٣٧١)

هـ) الفصل والوصل :

يعتبر الوصل والفصل من أهم مسائل علم البلاغة وذلك لما له من وظيفة غاية في الأهمية في تأدية المعاني ، ونظم الكلام ، وقد كان سيدنا معاوية يأمر بتفقد مقاطع الكلام لأن الرسول (ص) كان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صرمته ، عندما أملي على علِي بن أبي طالب كتاباً ، لكونه أهم شيئ في البلاغة ([1]) ، وكان يزيدبن معاوية يعتبرعدم العناية به أشد عيباً من اللحن ، وكان يقول :"إياكم أن تجعلوا الفصل وصلاً. "

عرفنا مما سبق أن النقد في تطوره في العهد الأموي نشط نشاطا ملحوظا، وخطأ خطوات قيمة نحو الموضوعية بعد أن مر بأدوار عديدة ساعدته على التقدم والازدهار، وكلما انتقل من دور على دور ازداد وضوحا وعمقا، ولكن العصر الأموي كان أكثر نشاطا وأسهاما في ابراز الملاحظات والأحكام النقدية، وكأن لمجالس الخلفاء بالشعر، وتشجيعهم للشعراء، وترغيبهم في العلم. وهذه الأحكام النقدية كانت ذات أثر كبير في البيئات العلمية المختلفة حيث أصبحت نواة صالحة لوضع المقاييس والضوابط لكثير من العلوم العربية.

كان من أثر هذه الأحكام النقدية ازدهار الأدب واتساع مجال النقد، وشيوع التذوق الجمالى حيث أصبح النقد ظاهرة عامة في الأوساط العربية . فعقد الأدباء والشعراء وغيرهم المجالس الأدبية، وأظهروا ملاحظات نقدية قيمة على الشعر والشعراء، واتسعت وكثرت مثل هذه المجالس في البيئات العلمية، وكتب الأدب مليئة بأخبار تلك المجالس وما كان يجرى فيها من محاورات ومساجلات ومسائل أدبية ونقدية.

ومما ترويه كتب الأدب في ذلك " أن الحجاج قال للفرزدق وجرير ـ وبين يديه جارية : أيكما مرضي ببيت فضل فيه فهذه الجارية له، فقال الفرزدق.

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

وقال جرير :

ومن يأمن الحجاج اما عقابه فمر واما عهده فوثيق

فقال الحجاج : " والطير تتقى عقوبته" كلام لا خير فيه، لأن الطير تتقى كل شيئ حتى الثوب والصبى وغير ذلك، خذها يا جرير"([2]) .

فضل الحجاج بيت جرير على بيت الفرزدق، لأن بيته لا يحتوى على خيال قوى، أو معني جميل، أو تشبيه رائع، بل أنه اشبه بالذم منه بالمدح، وأما بيت جرير فإنه يشتمل على جودة المعني، ، وصدق التعبير، وله التأثير كبير في نفس السامع الخبير.

ومن تلك الأمثلة ـ أيضا ـ " أن ذا الرمة أنشد أمير اليمامة، وجرير شاهد فقال له الأمير: ما تقول في شعره؟ قال : نقط عروس ، وأبعار ظباء ، ومع هذا فقد قدر من التشبيه على ما

١ـ كتاب الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري . طبعة عيسي البابي الحلبي وشركاه . ص ٤٥٩.

٢ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ، المطبعة السلفية القاهرة ص١٠٢

لم يقدر عليه غيره"([1]). يبدو أن الشاعر جرير أراد بنقده هذا أن يحط من شأن ذى الرمة.

ولكن مع هذا نرى أن ملاحظة جرير ملاحظة دقيقة تنم عن تذوقه للشعر وعلاقته بالأدب حيث تحدث عن شعر ذى الرمة من ناحيتين : ناحية الالفاظ، وناحية المعاني موضحا أن شعره يشتمل على ألفاظ سهلة عذبة واضحة، إذ يروق السامع مسمعه في أول وهلة، ولكنه إذا فكر في مغزاه وما احتواه من المعاني لم يجد فيه كبير فائدة.

هذا وقد كانت ملاحظة جرير هذه ذات قيمة بالغة حيث شغلت العلماء في فهمها ومعرفة مدى صدقها، وقدموا توجيهات وتفسيرات لما ذهب إليه جرير في شعر ذى الرمة.

قال المبرد : " معني قوله " : نقط عروس " انما تبقى أول يوم ثم تذهب، " وبعر ظباء " إذا شممته من ساعته وجدت منه كرائحة المسك فإذا غب ذهب ذلك "([2]).

ويقول الشيخ عبيد الله المرزباني صاحب كتاب " الموشح" : أجمع العلماء بالشعر على أنالشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع، أو هجاء واضع، أو تشبيه مصيب، أو فخر سامق، وهذا كله مجموع في جرير والفرزدق والأخطل، فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح، ولا أحسن أن يهجو، ولا أحسن أن يفخر، يقع في هذا كله دونا، وإنما يحسن التشبيه، فهو ربع شاعر"([3]).

ولم تكن النساء أقل حظا من الرجال في مجال الأدب والنقد، فقد أدى كثير منهن دورهن الفعال في رعاية الأدب وتطوير النقد. يروى أنه " دخلت يوما عزة على كثير متنكرة فقالت : أنشدني أشد بيت قلته في حب عزة، قال قلت لها :

وجدت بها وجد المضل قلوصه بمكة والركبان غاد ورائح

قالت : لم تصنع شيئا، قد يجد هذا ناقة يركبها ، فأطرق ثم قال :

وجدت بها مالم يجد ذو حرارة يمارس جمات الركي النوازح

فقالت له : لم تصنع شيئا يجد هذا من يسقيه، فأطرق ثم قال :

وجدت بها ما لم يجد أم واحد بواحدها تطوى عليه الصفائح

فضحكت ثم قالت : إن كان ولا بد فهذا " ([4]).

كانت عزة صادقة كل الصدق في نقدها لأبيات كثير الشاعر، لأن الإنسان يمكن له الاستغناء عن حبيبته في كل من الصورتين الأوليين، ولكن في الصورة الثالثة ـ وهي وجد الأم بولدها الوحيد ـ لا تستطيع أم الولد الوحيد فراقه أبدا، وهذا الشتبيه في غاية الروعة والصدق والمطابقة للواقع، ويبدو أن ذلك كان سبب اعجاب عزة بهذا البيت الأخير.

١ـ نفس المرجع ص : ١٥٥.

٢ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية القاهرة . ص١٥٦ .

٣ـ نفس المرجع ، ص : ١٥٦ـ١٥٧.

٤ـ المرجع السابق ص : ١٣٥، والقلوص : الناقة، يمارس : يعالج ويزاول، جمات : جمع جمة، وجمة البئر ونحوها : ماتراجع من مائها بعد الأخذ منه، الركي : جمع الركية، وهي البئر، النوازح : جمع نازحة، يقال : بئر نازح أى قليلة الماء، الصفائح : جمع صفيحة، وهي كل عريض من حجارة أو لوح ونحوهما، (المعجم الوسيط).

هذه النصوص وأمثالها تدل على أن النقد الذي كان يجري في مجالس الخلفاء كان له أثر كبير في شيوع التذوق النقدي حيث كثرت المجالس النقدية، وأبدى النقاد ملاحظاتهم حول النصوص الأدبية.

بل أكثر من هذا هناك ما يؤكد تأثر النقاد بملاحظات الخلفاء النقدية حول النصوص الأدبية، حيث كانوا يقدمون ملاحظات الخلفاء النقدية حول النصوص الأدبية، حيث كانوا يقدمون ملاحظات شبيهة بملاحظات الخلفاء على تلك النصوص.

وذلك مثل ما يروى " أن عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيبها اجتمعوا يوما عند كثير بن عبد الرحمن، فجلسوا إليه فتحثوا قليلا، ثم أقبل كثير على ابن أبي ربيعة فقال : يا عمر، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكنك تخطء الطريق، تشبب بها ثم تدعها وتشبب بنفسك، أخبرني عن قولك :

قالت لترب لها تحدثهـــا لتفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليبصرنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها غمزته فابى ثم اسبطرت تشتد في أثري([1])

أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، والله لو وصفت بهذا هرة أهلك كنت قد أسأت صفتها، أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممنعة، هلا قلت كما قال هذا - وضرب بيده على كتف الأحوص :

لقد منعت معروفها أم جعـفـر وإني إلى معروفها لفقيـر
وقد أنكروا عند اعتراف زيارتي وقد و غرت فيها على الصدور
أزور ولولا أن أرى أم جعـفـر بأبياتكم مـازرت حيث أزور
وما كنت زوارا و لكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

هكذا والله يكون الشعر وصفة النساء، فارتاح الأحوص وامتلأ سرورا ، وانكسر عمر، ثم أقبل على الأحوص فقال : وأنت يا أحوص أخبرني عن قولك :

فإن تصلي أصلك وإن تبيني بصرمك قبل وصلك لا ابالي
وإني للمودة ذو حفـــاظ أواصل من يهش إلى وصـالي
وأقطع حبل ذي ملح كذوب سريع في الخطوب إلى انتقال

فانفتح نصيب وانكسر الأحوص، ثم أقبل على نصيب فقال : ولكن أخبرني عن قولك يا ابن السوداء:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

"أيهمك من ينكحها بعدك ؟ الرجال أكثر مما تظن " ([1])

---

١ - الموشح :ص ١٤٧- ١٤٩، والترب : المماثل في السن، تصدي له : تعرضى له، اغمزيه : أشيري إليه، الخفر: شدة الحياء، اسبطرت : أسرعت، وغرت : يقال : وغر صدره عليه : أي تسعر عليه حنفا، الصرم : القطع، يهش : يقال : هش إليه، وله هشا : انشرح صدره سرورا به، الملق الذي يعد ولا يفي، ألمم : فعل أمر من ألم يقال : ألم بالقوم وعليهم : أتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة، ملك : يقال مل فلان ملا : أي أصابه الملال، وهو فتور يعرض للإنسان من كثرة مزاولة بشئ فيوجب الكلال والأعراض عنه، (المعجم الوسيط).

يبدو أن كثيرا كان متأثرا في نقده لشعر نصيب بما جرى في مجلس عبد الملك بن مروان حيث نقد شعر نصيب هذا، وأظهر كراهيته له لاحتوائه على معني فاسد مما يدل على قلة غيرة القائل، وعدم صدق عاطفته نحو من يحبها ويعشقها.

وقد مر بأن " الأقيشر دخل على عبد الملك بن مروان فذكر بيت نصيب الأسود :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فواحذنا من يهيم بها بعدي

فقال : والله لقد أساء قائل هذا البيت ، فقال له عبد الملك : فما كنت أنت قائلا لو كنت مكانه ؟ قال : كنت أقول :

تحكم نفسي حياتي فإن أمت أو كل بدعد من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك : فأنت والله أسوأ قولا وأقل وأقل بصرا حين توكل بها بعدك، قيل : فما كنت أنت قائلا يا أمير المؤمنين ؟ قال كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لدى خلة بعدي

ثم أننا نقرأ استحسان الحاضرين . فقال من حضر : " والله لأنت أجود الثلاثة قولا ، وأحسنهم بالشعر علما يا أمير المؤمنين :"([٢]).

يمكن أن يكون هذا التوافق النقدى فيما جرى في مجلسي عبد الملك وكُثير من قبيل توارد الأفكار، لأنه يمكن أن تلتقى الأذواق المهذبة والأحاسيس المرهفة على شيء معين في كل زمان ومكان، ولكن يغلب على الظن أن كثيرا كان متأثرا بما جرى في مجلس الخليفة الأموى، وذلك لأن الشعراء والأدباء الذين كانوا يحضرون مجالس الخلفاء، منهم من كان يفوز برضا الخليفة وبعطائه وفي نفس الوقت كان منهم من يخفق فيما كان يرغب فيه، ولكن الفائزين منهم كانوا يرغبون رغبة شديدة في ذيوع ما يجرى في تلك المجالس من محاورات ومساجلات في البيئات العلمية والأدبية، فيقوم هؤلاء بإذاعته لما كانوا يرون من أنه يمنحهم شهرة حسنة وصيتا جميلا بين الناس، وكان ذلك من أكبر الوسائل لنشر المفاهيم التي صدرت في مجالس الخلفاء بين أوساط الناس، فبدأوا يتبعون الخلفاء في إبداء الآراء والملاحظات النقدية.

١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبيد الله محمد بنى عمران المزرباني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ المطبعة السلفية القاهرة . صفحة: ١٧٢ – والكامل للمبرد جـ ١ . صـ ١٠٦.

٢- المرجع السابق ، ص .١٧٢

الباب الثاني

العصـر العباسـي

تمهيد

نشأة الدولة العباسية

أعقب سقوط الدولة الأموية قيام الدولة العباسية ، ولسنا هنا بصدد الحديث عن أسباب سقوط الدولة الأموية ولا الحديث عن أسباب تولي العباسيين لمقاليد الحكم بعدها . وقد ساق المؤرخون أسبابا عديدة لهذه وتلك ، ولكن من المؤكد أن خصوم الدولة الأموية خاصة من العلويين والشيعة والخوارج ، وغيرهم ممن جمعتهم عداوة بني أمية ، ولكل أسبابه ، قد وجدوا الفرصة مواتية عندما ضعفت الدولة وأصاب الوهن أوصالها ، وأصاب القلب منها عندما تناحر وإختلف أهلها فانقضوا عليها ، وأزالوها بعد حكم دام أكثر من ثمانين عاما .

إتخذ العباسيون بغداد حاضرة لدولتهم ، التي ظلت قائمة زهاء الخمسة قرون ، تبوأ خلالها الحكم من بني العباس[1] سبعةٌ وثلاثون خليفة و ينسب هذا العصر إلى العباسيين على وجه التغليب لقوة أثرهم فيه ومبلغ نفوذهم منه، وقد استمر هذا النفوذ وهذه الغلبة حتى غزا هولاكو التتري دولتهم وذلك سنة ست وخمسين وستمائة ، لتسقط بغداد ودولتها تحت سنابك خيلة ، في أكبر مزبحة للحضارة والثقافة الإسلامية العربية [2].

ويعتبر عصر الدولة العباسية عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه في كافة عصورهم الماضية والحاضرة . وقد اينعت فيه الحضارة الإسلامية وأنتجت من الفنون والآداب زهرة وعصارة فكرها وفنها ، ونقلت فيه من العلوم الأجنبية ما شاءت أن تنقل ، ووجد العقل العربي والإسلامي فيه مجالا للبحث والتفكير والإبداع .

لعل من أبرز ما كان يميز الدولة العباشية أنها اعتمدت على العنصر العربي اعتمادا كاملا كما رأينا ومر بنا في هذا البحث . لكن ما اكتنف قيام الدولة العباسية والظروف التي أحاطت بقيامها جعلت الأمور تختلف تماما ، إذ كان اعتمادها الأول لم يكن على العرب من حيث العنصر البشري الداعم لها ، ولا على أرض جزيرة العرب من حيث المكان الذي انطلقت منه . فقد كان اعتمادها الأول على العناصر غيرالعربية خاصة من أهل فارس وخراسان ، وتبعا لهذا كانت أرض فارس وخراسان هي المكان الأمثل لانطلاقها . ولهذا الأمر أهمية كبيرة ستؤثر في كل تاريخ الدولة ومستقبل أيامها كما سنر لاحقا .

لم يثر أهل فارس وخراسان ليؤسسوا لدولة خاصة بهم إذ لم يكن ذلك ممكنا لهم ، ولكنهم وبما عرف عنهم من تعصب لآل النبي وبيتة ولما كانوا فيه من الحزن على ما أصابهم من القتل والظلم على يد بني أمية ومن تعصب هؤلاء للعرب وابعاده غيرهم من مراكز السلطة ، كل ذلك كان على رأس الأسباب التي أدت لتهيئة الظروف للثورة على بني أمية ، لأرجاع الأمر لمستحقية من آل بيت رسول الله (ﷺ). وقد كان لأبي مسلم الخراساني أكبر دور في قيام تلك الدولة . لكل ذلك لم يخل الأمر من عسف وعنف صاحب نشأتها ، فقد كانت من الوصايا التي ألقيت لأبي مسلم الخراساني " واقتل من شككت فيه "حتى قيل أن ضحاياه قد بلغوا الستمائة ألفا[3] .

لقد أثرت هذه النشأة الأولي للدولة في مختلف جوانب الحياة فيها ، وأصبح تأثير أهل فارس

١- تايخ اللأدب العربي – أحمد حسن الزيات . دار الثقافة ، بيروت ، لبنان . ط السادسة والعشرون . ص ٢١٠

٢-المرجع السابق . ص ٢١٠

٣ - تاريخ محاضرات الأمم الإسلامية : الشيخ محمد الحضري بك ، دار الفكر . ص ٣١

واضحا في كل مفاصلها اصطبغت كثير من أنشطتها بالصبغة الفارسية . وقد كان ذلك طبيعيا لأنهم هم الذين كانوا العامل الأول في وجودها ، واعتمد عليهم الخلفاء وأطلقوا أيديهم في سياسة الدولة ، فاستقلوا بشؤونها واستبدوا بإمورها ، وقد آن الآوان لهم ليذيقوا العرب من المهانة والحقارة بمثل ما ذاقوا هم في العهد الأموي بل بأكثر مما ذاقوا ، فضعفت نتيجة لذلك العصبية العربية ، ودخلت الفارسية والتركية والسريانية والرومية والبربرية في تكوين الدولة ، وتمازجهم بالتزاوج والتناسل واختلطت المدنية الآرية بالمدنية السامية ، ولكل منهما لغته وعاداته وتقاليده ، فإذا أخذنا ذلك مع ما قامت به الدولة من إطلاق الحريات في الدين ، وتعدد الفرق وشيوع المقالات المختلفة في الإلحاد والسياسة ، وتكاثر الغلمان والجواري والاسترسال في المجون والخلاعة والتنافس في مختلف أنواع الرفاهية ، نجد أن كل ذلك كان له الأثر الكبير في اللغة والأدب وفي الحياة الثقافية والعقلية ([1]) مما سنبينة في الفصول القادمة من هذا البحث.

1- تاريخ الأدب العربي – أحمد حسن الزيات ، دار الثقافة ،بيروت لبنان . ط السادسة والعشون . ص ٢١١

الفصل الأول

نظام الدولة العباسية
السياسي و الأداري والمالي

كان من الطبيعي أن يغلب علي نظام الدولة العباسية الطابع الفارسي ، فقد كان أهل فارس هم أعمدتها وقادة التغيير الذي أوصل العباسيين للحكم فيها. وكما ذكر د. شوقي ضيف فقد قامت الدولة العباسية في المجال الفارسي وعاشت تتنفس فيه ([1]) . حتى لنرى العرب يسارعون للتأثر بهم خاصة في مجال تنظيم الحكم حيث برع الفرس فيه قبل الإسلام .

بدأ تأثر المسلمين بالفرس منذ أن فتح العرب ديارهم خاصة وقد بدأت الدولة الإسلامية الناشئة في حاجة للتنظيم الإداري بصفة خاصة ، ولتنظيم الحكم بصفة عامة . وقذ رأينا كيف استعان العرب المسلمين بالفرس أيم سيدنا عمر(ﷺ) في تنظيم الدواوين وفي قرض العطاء . وقد ظل المسلمون يستعينون بالفرس في إدارة الحكم وظلت السجلات خاصة في مسألة الخراج تكتب بالفارسية حتى عُوبتْ في عهد عبد الملك بن مروان .

ظلت استعانة العرب بالفرس في شئون الحكم محدودة وإن توسعت بعض الشيئ في العهد الأموي ، ولكنها ظلت محدودة على كل حال ، حتى إذا انتقلنا للهعد العباسي وجدنا النظم الساسانية تنتقل بحذافيرها في كل مناحي الحكم . وكأنما الخليفة الغباسي أصبح ملكا ساسانيا ([2]) يورث الحكم ويطبعه بالطابع الديني تماما كما كان يفعل الحكام الساسانيين . أما في نظام الحكم فقد كون العباسيون في كل ولاية ديوانا للخراج تماما كما كان للساسانيين ، ويقوم عليه موظف كبير ينفق منه على الولاية ، ويسل ما تبقى منه إلى بغداد والتي بها لكل ولاية ديوان خاص . ويسمى مجموع كل هذة الدواويين " ديوان الزمام " وكان لبغداد ديوان خاص يقوم بالانفاق رعليها .وكان من أهم الدواويين ديوان الرسائل الذي لعب دورا هاما في نهضة النثر العربي .

كما كانت هناك عدة دواويين منها ، ديوان الخاتم لختم الرسائل وديوان التوقيع للنظر في المظالم والشكاوى . وقد جاى خلفاء بني العباس ملوك الفرس في توقيعاتهم الموجزة على الرسائل . وكان هناك ديوان له أهمية خاصة إذ كان يهتم بالأخبار من كل الولايات وقد اقتضي ذلك إنشاء نظام محكم للبريد بين الولايات وصولا إلى بغداد حاضرة الدولة . وكان هناك رسل موقوفون على حمل تلك الأخبار في سرعة شديدة على خيل مضمرات توجد في عدد من الأماكن بين الولايات .

أخذ العباسيون من الفرس نظاما آخر مهما في الحكم وفي إدارته وهو نظام الوزارة . وكلمة وزير كلمة عربية ، وردت في القرآن الكريم في موضعين ، قال تعالى " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا"([3]) . وجاء أيضا في القرآن الكريم " وَ اجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي "([4]) . وقد أخذت تطلق منذ فاتحة العصر العباسي علي المستشار الأول للخليفة في إدارة شئون الحكم . وهي وظيفة كانت معروفة في الدولة الساسانية ، وكانت تلك أول مرة تتخذ فيها هذه الوظيفة في الدولة العربية ، ولم تكن قبلهم مقننة معروفة إذ كان للخلفاء من قبل حاشية ومقربون

١- تاريخ الأب الإسلامي دز شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ١٩

٢- المرجع السابق ، ص ٢٠

٣- سورة الفرقان آية رقم ٢٩

٤- سورة طه آية رقم ٢٥

يستشيرهم الخليفة إذا احتاج إلى مشورتهم ، فلما ملك بنو العباس جعلوا لها قوانين وسمي الوزير وزيرا وكان من قبل يسمى كاتبا أومشيرا .

وقد كانت الوزارة في هذا العصر حكرا علي أهل فارس ، وقد كان هذا طبيعي كما ذكرنا سابقا وكان أول وزير منهم هو أبو سلمة الخلال ثم تلاه خالد بن برمك وزير السفاح ، وكان لابنه يحيى اليد الطولى في عهد الرشيد ، كما كان لابنيه جعفر والفضل دور متعاظم في إدارة الدولة وحكمها حتى نكبوا نكبتهم المشورة . فإذا وصلنا إلى عهد المأمون وجدنا أسرة بني سهل الفارسية تتقلد منصب الوزارة ، وكان أول من وليها منهم الفضل بن سهل الملقب بذي الرئاستين . وكانت له تقاليد عند دخوله على المأمون تشبه تقاليد الساسانيين عند دخولهم على ملوكهم . وقد ذكر عبدالله ابن الكثير من عادات ملوك الفرس وعاداتهم وتقاليدهم في كثير من أوجه الحياة والحكم في كتبه المترجمة عن الفارسية ([1]) . وقد عني وزراء بني العباس من البرامكة وبني سهل بإرسال المترجمين وحثهم على نقل كثير من الكتب والرسائل التي تتحدث عن تقاليد وعادات الملوك الساسانيين ([2]).

لم يكن نقل هذه الكتب والرسائل مؤثرا في حياة الخلفاء والعامة من الناس بل كان له أكبر الأثر في الحياة الثقافية والأدبية كما سنرى فيما يلي من فصول هذا البحث ، وقد كان لترجمة هذه التصانيف أثر مباشر في كتابات المسلمين ، فقد صنفت كثير من الكتب التي تتحدث عن عادات وتقاليد وحياة النبي (ﷺ) وصحابته الكرام ، كما في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة[3] والذي أفرد فيه الكثير من صفحاته للحديث عن مناقب وصفات وحياة الرسول (ﷺ).

لم يكن تأسيس الدولة ولا القيام بأمرها سهلا هينا ، فقد واجهت الدولة أزمات كبيرة وخطيرة شأنها شأن الدولة الأموية ولم يكن من السهل أن يرضى عنها الكثير من المعارضين ، وما يهمنا من ذلك في هذا البحث أن نبين الأحاث الهامة التي مرت بها الدولة العباسية والتي كان لها تأثير هام وفاعل في الحركة الحركة الأدبية . فكما هو معروف ومعلوم أن حركة الأدب تتأثر بالحياة وتؤثر فيها سلبا وإيجابا بل وفي أحايين كثيرة يكون الأدب هو المحرك والصانع لها ، ومن نافلة القول أن الأدب هو الراصد والمدون والحافظ لكثير من الأحداث التي تمر بها المجتمعات ونظم الحكم . لذا كان من الضروري التعرض لهذه الأحداث ولو بصورة عامة ومختصرة .

من أكبر المشكلات التي واجهت العباسيين في الحكم انقسام البيت الهاشمي إلي معسكريين كبيريين معسكر عباسي بيده مقاليد الحكم والسلطة ، ومعسكر علوي يحاول الوصول الي ذلك

١- حاشية (١) : من مثل كتابه المعروف باسم " آيين نامه " وكلمة آيين الفارسية تعني النظم والتقاليد . ورسائله المعروفة بالأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة ويعني بهم حاشية السلطان .

٢- حاشية (٢) : فقدت معظم هذه الكتب والرسائل ، إلا أن نصوصا منها بقيت في كتب أخرى ، كما في حديث الطبري عن الفرس في تاريخه ، وفي مقدمة كتاب الوزراء والكتاب للجهشاري ،وفي عيون الأخبار لابن قتيبة .

٣- هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين ، له تصانيف في الأدب والقرآن والحديث ، ولد ببغدادوسكن الكوفة ، تولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها ، ومن كتبه : أدب الكاتب والشعر والشعراء وتأويل مختلف الحديث والمعارف والمعاني ، وغيرها . الموسوعة الشعرية – الإصدار الثالث – المجمع الثقافي ١٩٩٧-٢٠٠٣م

الحكم [1] . والغريب أن كلا المعسكريين يستند في دعواه لامتلاك تلك السلطة إلي نفس الحجة وهي صلة قرابته من رسول الله (ﷺ)، ولم يحاول أي من الفريقين الستناد إلي المبدأ المهم والأساس في الحكم في الإسلام وهو مبدأ الشوري في اختيار الحاكم . وسيؤدي هذا الانقسام إلي انشغال الدولة بفتن وحروب داخلية مما سيضعفها لاحقا ويؤدي إلي انقسامها وتفتتها إلي دويلات صغيرة تضيع فيها هيبة الدولة والخلافة معا . وستمر بنا في رصدنا لأحداث هذه الخلافات الكثير من أسماء المعارضين العلويين الذين ما إن تظهر معارضتهم للدولة أو تعاطفهم مع المعارضين ، حتي ينكل بهم وتصادر أملاكهم وأراضيهم ، وذلك من بداية قيام الدولة العباسية وحتي اضمحلالها وتفككها ، وأول من يلقانا من هؤلاء ايقاع الخليفة المهدي بوزيره يعقوب بن داود لتعاطفه مع أحد العلويين فيلقى به في السجن . وفي عصر الهادي خرج الحسين بن علي سليل الحسن بن علي بن أبي طالب وقتل ، ويهرب خاله إدريس بن عبدالله بن الحسن أخو النفس الزكية إلي المغرب ، ويؤسس هنلك دولة الأدارسة ، ويهرب أيضا خاله يحيى إلي خراسان ، ويعود منها بعد عفو الرشيد عنه ، ويقال إنه سبب نكبة البرامكة المشهورة . وفي عهد المأمون يخرج إبراهيم ابن موسى سليل الحسين بن علي باليمن ويقضى على ثورته . ثم يخرج بالكوفة أبو السرايا داعيا لمحمد بن إبراهيم سليل الحسن بن علي ، ويقضى على ثورته هو أيضا . وفي عهد المعتصم يخرج عليه محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسن بن أبي طالب وتنهزم معارضته ويختفي بعد ذلك [2].

من الملاحظ أن جل الثورات علي العباسيين في هذا العهد كانت من قبل الشيعة أما ثورات الخوارج فقد كانت ضعيفة ومتفرقة ، لما نالهم من التشتت والتفرق في العهود الماضية ، ولعل أهم ثورة للخوارج كانت لخوارج عمان من الأباضيين بقيادة الجُلُندي . وثورة بلال الشاري في أنحاء من العراق . وغير ذلك من انتفاضات هنا وهناك ولكن سرعان ما يتصدى لها قواد العباسيين فيخمدونها في مهدها وقبل أن يستفحل أمرها .

لم تكن ثورات العلويين والشيعة وحدها مما يقض مضاجع الخلفاء العباسيين ، فقد حدثت ثورات وانتفاضات من غير هؤلاء بل ومن داخل البيت العباسي نفسه ، فنجد مثلا في أول عهد المنصورثورة عمه عبد الله في سوريا ، وما كان من استفحال أمر ابي مسلم الخراساني وخشية المنصور منه ، فاحتال عليه واستقدمه إلي بغداد وقتله . ولم يهدأ أصحاب أبي مسلم بعد قتله إذ ثاروا عدة مرات أشهرها تحركات الخُرمية [3] .

ولم تكن كل الثورات والتحركات سياسية فقط بل نجد بعضها يتخذ طابعا دينيا متطرفا مثل حركات الزنادقة في عهد الخليفة المهدي ، في سنة ١٦٦هـ ، ووقد عظم أمرهم حتي نجد الخليفة يتخذ لهم ديوانا خاصا يتعقبهم وكان أول من تولاه عمر الكلواذاني وخلفه عليه حمدويه .

لم تكن كل حوب الدولة العباسية داخلية فقط وإنما كانت لها حروب خارجية خاصة مع

١- تاريخ الأب الإسلامي دز شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ٢٩ .

٢- تاريخ الأب الإسلامي دز شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ٣٤ .

٣- المرجع السابق . ص ٣٥.

جارتهم الكبرى في الشمال الدولة الرومية خاصة في أيام المهدي الذي حاربهم حتى وصلت جيوشه إلي خليج قسطنطينة ، وأجبروا على دفع الجزية سبعين ألف درهم كل عام ([1]). وقد اضطر الرشيد إلى حربهم مرة أخري عندما قويت شوكتهم وامتنعوا عن دفع الجزية.

وتواصلت حرب العباسيين ضد الدولة البيظنطية في عهد المعتصم و واقعت عمورية خير شاهد ودليل على ما كان من غلبة للدولة العباسية على أعدائها في الخارج وعلى رأسهم دولة بيظنطة .

لقد تركت هذه الثورات والمعارضات والحروب الداخلية والخارجية آثارا كبيرة في الحياة عموما وفي الأدب خاصة ، وكان لثورات العلويين في الداخل - على وجه الخصوص - الأثر الأكبرولم تكن لثورات الخواج نفس الأثر لما أسلفا من ضعفها وقلة أثرها سياسيا واجتماعيا ، كما كان لحروبهم الخارجية أثر كبير مما سيتبين لنا في الفصول القادمة من هذا البحث .

١- المرجع السابق ص ٤٢.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية
وأثرها على الثقافة والأدب

إذا كان قد غلب على الدولة الأموية الطابع البيظنطي لقربها من دولتهم فإن الدولة العباسية غلب عليها الطابع الفارسي ويبدو ذلك واضحا في كثير من نواحي الحياة المختلفة . وقد رأينا كثيرا من مظاهر التقليد للدولة الساسانية في مختلف جوانب الحكم ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نجد ذلك شاخصا في تخطيط وبناء المدن التي شيدت في هذا العصر وعلى رأسها مدينة بغداد ([1])، التي تكاد تكون صورة للمدن الساسانية في بنائها وتخطيطها ، وفى نظام بناء وتخطيط وزخرفة قصورها . وقد تم كل ذلك بما يدل على الثراء الفاحش الذي وصلت إليه الدولة والحياة في ذلك العصر فقد أقيمت بغداد علي شكل دائرة كما كانت المدائن حاضرة الفرس ، وابتنى فيها المنصور قصره المعروف بقصر الخلد أو قصر الذهب على طراز قصور الملوك الفارسيين ذات الأواوين الفخمة .

ووصف بغداد كما جاء في كتب التاريخ يدل علي مدى البزخ الذي كان عليه القوم ، فقد كان يصل بين قصورهم والدور وبين الششوارع والدروب دهاليز مسقوفة تفضي إلى أفنية واسعة تصل إلى القاعات الكبرى في القصور أو الأواوين . وفي هذه الدهاليز الغرف للسكني والمرافق المنزلية ، ونجد بجانب هذه الأفنية الكبري أفنية صغري تعلوها القباب وأكبرها قبة الإيوان . وفي الدار حمامات ومجار تحت الأرض وسراديب معدة للسكن وتكثر الشرفات وتلحق بها البساتين وبعض النافورات والبرك . وقد مدت بغداد بالمياة من قناتين شقتا من نهرى دجلة والفرات وجرتا في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجرمن أعلاهافكانت كل قناة تدخل المدينة وتنفذ في الشولرع والدروب والأرباض وتجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها ([2]).

بلغ الترف في بغداد مبلغا لم يشهد التاريخ الإسلامي له مثيلا فقد كانت مصاريع الأبواب تصنع من الخشب المحلى بالنقوش وتتألق النوفذ بالزجاج الملون ، وتزخرف الحيطان بالنقوش المستوحاة من الطير والحيوان والأشجار والأزهار ، وقد تذهب السقف والأبواب والحيطان ، وتعلق الستائر الحريرية المزركشة وقد تحفر على الحيطان بعض الصور، كما كانت تفرش الأرضيات بالبسط الإيرانية والأرمنية ، وتزين القاعات والغرف بالتحف والتماثيل والأواني المرصعة بالجواهر([3]) .

تمتع بهذا الترف الخلفاء وحواشهم وطبقة من المتصلين بهم من الوزاء والقواد وبطانتهم من المقربيين ، حتى أنه قيل إن الخليفة المنصور خلف حين توفي أربعة عشر مليونا من الدنانير ، وستمائة مليونا من الدراهم ([4]) . وقد شاع الثراء الفاحش وعم الإقطاع بين هذه الطبقات دون عامة الناس ، فقد فرض المنصور لكل واحد من أهل بيته ألف ألف درهم كل عام ، وقد كانت

١- بناها أبوجعفر المنصور سنة ٤٧٥هـ وذكر في سبب بنائها ، أن النصور كان قد بنى مدينة الهاشمية لتكون مقرا له ولجنده ، وهي بحيال مدينة ابن هبيرة فكره سكناها لاضطراب من اضطرب من أمره عليه من الرواندية مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه ، فأراد أن يبعد عن جوارهم . تأريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك .المجلد الرابع .دار الكتب العلمية بيروت لبنان . حوادث سنة ١٤٥ – ٤٥٧هـ .

٢- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية للشيخ محمد الخضري بيك – دار الفكر- ص ٧٨

٣- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ٤٥.

٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسين غلي بن الحسين المسعودي ٣٤٦هـ ، دار الرجاء بغداد . جـ ٣ . ص ٢٣٢

غلة الخيزران زوج المهدي تبلغ مائة وستين مليونا من الدراهم ، إذا لم يكن غريبا أن ابن مسعدة وزير المأمون ترك عند وفاته ثمانين ألف ألف دينارا ونقل ذلك للمأمون فلم يعجب بل قال : هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ([1]) .

لقد كان لهذا الترف وللثروات الطائلة أثرهما في الحياة الثقافية والأدبية ، وكان الخلفاء والولاة والقواد وكبار رجال الدولة يغدقون الأموال الطائلة علي العلماء والأطباء والشعراء والمغنين ، فقد جاء في الأخبار أن المهدي أعطى مروان بن أبي حفصة ([2]) مائة ألف درهم وكان يصنع الصنيع نفسه مع المغنين والشعراء الآخرين . ولم يقتصر ذلك على الخليفة المهدي وحده فقد كان ذلك دأب الخلفاء العباسيين في كافة فتراتهم . وتبعهم في ذلك ولاتهم وقوادهم و أولادهم . فقد كان الرشيد بحرا فياضا في العطاء والبذل للشعراء والمغنين والعلماء والقضاة والفقهاء ، فقد كان يفيض في العطاء لهم من أمثال قاضيه أبي يوسف و الأصمعي والكسائي والأطباء مثل جبرائيل بن يخشوع وغيرهم .

والحقيقة أن كتب التاريخ تفيض بأخبار هؤلاء مع الخلفاء والعطاء لهم ، حتى تبلغ مبلغ المبالغة عند ذكر هارون الرشيد وما كان يجري في مجالسه ، خاصة مع مغنيه الأثير لديه إبرهيم الموصلي . وقد ذكر الإتليدي قصة أبي يوسف القاضي مع الرشيد ويحيى البرمكي وما ناله في ذلك المجلس وقد استدعاه الخليفة لحل مسأله فقهية فأعجب الخليفة بالحل فقال :" فقال فقام أمير المؤمنين على قدميه، وقال: مثلك من يكون قاضياً في زماني. واستدعى بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه، وقال للقاضي: هل معك شيء توعيه؟ فتذكر مخلاة البغلة.فاستدعى بها، فملئت له ذهباً، فأخذها وانصرف. فلما أصبح قال لخلانه: انظروا إلى من علم العلم فليتعلمه كذلك، فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسألتين أو ثلاث([3]).

وتبع الخلفاء في هذا البذل الوزراء والولاة وللبرامكة في هذا المجال أخبار تنافس أخبار الخلفاء أنفسهم حتى ليقال إنه لم يكن يرى لجليس خالد البرمكي دار إلا وخالد بناها له ، ولا ضيعه إلا وخالد ابتاعها له ، ولا دابة إلا وخالد حمله عليها . و جاء في الأغاني كان الزواريسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك السؤال؛ فقال خالد: هذا والله اسم استثقله لطلاب الخير، وأرقع قدر الكريم عن أن يسمي به أمثال هؤلاء المؤملين، لأنفيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً، ولكنا نسميهم الزوار؛ فقال بشار يمدحه بذلك:

حَذا خالِدٌ في فِعلِهِ حَذوَ بَرمَكٍ فَمَجدٌ لَهُمُستَطرَفٌ وَأَ صيلُ
وَكانَ ذَوو الآمالِ يُدعَونَقَبلَهُ بِلَفظٍ عَلى الإعدامِ فيهِ دَليلُ

١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ابن تغري بردي – ص ٦٤.

٢- واسمه يزيد مولى مروان بن الحكم ، ويقال إن أباه كان يهوديا و أسلم على يد عثمان بن عفان " الكامل في اللغة والأدب – للمبرد الجزء الثالث . ص ٧٧٤.

٣- نزة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر ، عبد الحي الحسن – وهو والد الشيخ والداعية الإسلامي أبو الحسن الندوي . المجلد الأول ط الهند ١٩٣١م في فصل أعيان القرن الثالث ص ٣٩٤ .

يُسَمَّونَ بِـ السُؤّالِ في كُـلّ مَوطِنٍ وَإِن كانَ فيهِم نابِهٌ وَجَـليلٌ
فَسَـمّ اهُمُ الزُوارَ سِـتراً عَلَيهِمُ فَأَ ستارُهُ في المُهتَدينَ سُدولٌ

وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزوار، فأعطاه لكل بيت ألف درهم ([1]).

وكان ينافس في هذا البذل الواسع كبار رجال الدولة من أمثال الفضل بن تالربيع وبني سهل وكبار الولاة والقواد من أمثال معن بن زائدة وابن أخيه يزيد بن مزيد الشيباني وابنه خالد وغير هؤلاء من أسرة وأقارب الخلفاء وزوجاتهم وتروي الأخبار ما كان من نوال زبيدة زوج الرشيد والذي لا يقل مقدارا ولا بذلا من عطاء من ذكرنا ففقد قيل إنها سرت يوما بفتوى لأبي يوسف القاضي فأهدته حقا من فضة بداخله حقان مملؤان طيبا وبداخل أحدهما جام من ذهب مملؤ دراهم وبالثاني جام مملؤ ذهبا مع غلمان وتخوت من ثياب وبعض الدواب الفاخرة ([2]).

كان من الطبيعي أن يتبع هذا النعيم ترف في الحياة العامة في كل أسبابها المادية في المأكل والملبس والسكن مما تبارى فيه القوم تفننا والتماسا لكل أدوات الزينة استمتاعا بالحياة ونعيمها المتدفق عليهم ، وتحكي كتب التاريخ ألوانا من البزخ والرفاهية ما يقرب من الخيال والمبالغة خاصة عند الحديث عن مناسبات القوم من زواج وولادات وتولية للمناصب الكبرى ، ومن ذلك ما يروي عن زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وزيره فقد كان الانفاق فيه ما يقرب من الخيال ويروى أن أباها فرق من الهدايا الضياع وعشرات الأولوف من الدنانير والدراهم و وأهدى المأمون لعروسه ألف ياقوتة وأوقد لها شموع العنبر وبسط لها حصيرا منسوجا من الذهب ومكللا بالدر والياقوت ونثرت عليها ألف درة ([3]) .

وقد ذكر الشابشتي ([4]) " وكان الناس يستكثرون ما أنفقه الحسن بن سهل في عرس ابنته بوران، حتى أرخ ذلك في الكتب، وسميت دعوة الاسلام (أي وليمة الزواج). ثم أتى من دعوة المتوكل ما أنسى ذلك.وكانت الدعوات المشهورة في الاسلام، ثلاثاً لم يكن مثلها. فمنها: دعوة المعتز. ومنها عرس زبيدة بن جعفر بن أبي جعفر. فإن المهدي ، زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة أخيه ، فاستعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة وصناديق الجوهر والحل والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة. وأعطاها بدنة عبدة ابنة عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام، ولم ير في الاسلام مثلها ومثل الحب الذي كان فيها. وكان في ظهرها وصدرها خطان

١- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الجزء الثالث، ص ١٧٩٤ من الموسوعة الشعرية .

٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسين غلي بن الحسين المسعودي ٣٤٦هـ ، دار الرجاء بغداد . جـ ٣ . ص ٢٦٠ .

٣- التذكرة ، محمد بن الحسن بن محمد علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي بتحقيق إحسان عباس وبكر عباس ويعرف باسم التذكرة المحمودية ، دار الصادر بيروت ١٩٩٦مص ٣٣ – باب ما جاء في الغنى والفقر .

٤- كتلب الديارات – لعلي بن محمد الشابشتي أبي الحسن أحد الندماء الأدباء اتصل بالعزيزالعبدي صاحب مصر فولاه خزانة كتبه واتخذه نديما وأنيسا ن أشهر كتبه كتاب الديارات و اليسر بعد العسر ومراتب الفقهاء توفي بمصر عام ٩٨٨م . نسخة بتحقيق غبد الحليم بن محمد الدمشقي . مكتبة دمشق .٢٠٣ ص .

ياقوت أحمر وباقيها من الدر الكبار الذي ليس مثله.

ودخل بها الرشيد في المحرم سنة خمس وستين ومائة ، في قصره المعروف بالخلد. وحشر الناس من الآفاق وفرق فيهم من الأموال أمر عظيم. فكانت الدنانير تجعل في جامات فضة، والدراهم في جامعات ذهب، ونوافج المسك وجماجم العنبر والغالية في بواطي زجاج، ويفرق ذلك على الناس، ويخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة، وأوقد بين يديه في تلك الليلة شمع العنبر في أتوار الذهب. وأحضر نساء بني هاشم، وكان يدفع إلى كل واحدة منهن كيس فيه دنانير وكيس فيه دراهم وصينية كبيرة وفضة فيها طيب، ويخلع عليها خلعة وشي مثقل. فلم ير في الاسلام مثلها. وبلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة، سوى ما أنفقه الرشيد من ماله، من ماله خمسين ألف ألف درهم" ([1]) .

ومنها عرس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل، بفم الصلح. وكانت النفقة عليه أمراًعظيماً. وسأل المأمون زبيدة عن تقدير النفقة في العرس، فقالت: ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى تسعة وثلاثين ألف ألف. فبلغ الحسن بن سهل، فقال: كأن النفقة على يد زبيدة !أنفقنا خمسة وثلاثين ألف ألف، وكان يجري في جملة الجرايات في كل يوم على نيف وثلاثين ألف ملاح.

كان من الطبيعي أن ينعكس هذا الترف في مظاهر حياتية أخرى ، مثل استعمال لأفخر أنواع العطور والملابس ، وقد انتشر في بغداد لبس الملابس الفارسية ، وقد رأينا سابقا كيف أن المنصور أوجب أزياء خاصة للوزراء ورجال الدولة على حسب وظائفهم ، إذ كان للوزراء زي خاص يتكون من الدّ ّرعات والطيلسان والشاشيات كما أمر أن يلبس أفراد حاشيته القلانس الطوال وكان الشعراء يلبسون الوشى والمقطعات الحريرية والمغنون قطوع الالديباج والحزِّ. وبالغت النساء في الزينة والملابس الحريرية والحلي والجواهر واتخذن منها التيجان والأقراط والخلاخل ، وقد قيل إن دنانير([2]) جارية البرامكة كانت تتحلى بعقد بلغت قيمته ثلاثين ألف دينار وإن عَريب([3]) المغنية كانت تغسل رأسها وتغلفه بستين مثقالا من المسك والعنبر . ولم يكن كل ما

١- وفيات الأعيان - (ج ٢ / ص ٣١٥)

٢- نهاية الإرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري – طبعة القاهرة ١٩٩٢م ، الباب الثاني ، ص : ٣١٣٣ الموسوعة الشعرية (المكتبة الإلكترونية) .

٣- عريب المأمونية : عريب بفتح العين وكسر الراء وفي الأصل: غريب بالغين تحريف . وتعرف أيضا بعريب المأمونية.توفيت ٢٧٧ه في سر، من لأى قيل عن ٩٦ عاماً، وجعل ابن شاكر الكتبي وفاتها: ٢٣٠ه، وذكر السيوطي أنها ولدت سنة ١٨١ه.ترجمة عريب وأخبارها في: الأغاني ٥: ٢٧٩، ٢٢: ١٥٧ - ١٨٥ في ترجمة ابن المدبر وفي مواضع أخرى تنظر الفهارس.طبقات ابن المعتز ٤٢٥ - ٤٢٦،بغداد لطيفور: ١٦٥ - ١٧٧ - ١٧٩، أخبار الزجاجي: ١١٤، الديارات: ٦٤، ٦٥، ١٦٥،١٠والفهارس،الجهشياري: ١٥٤ - ١٥٥، إبن الأثير حوادث ٢٧٧، البصائر والذخائر ١ - ٢: ٢٦١ - ١٦٨، بدائع البدائة: ٩٤، نساء الخلفاء: ٥٨ - ٥٩، حوادث ٢٣٠، مسالك الأبصار مخطوط ٨: ق ١٠٨ - ١١١، المستظرف للسيوطي: ٣٧ - ٣٨، أعلام النساء: ٣: ٢٦١ - ٢٦٨، الأعلام: ٤: ٢٢٧ - ٢٢٨ .حدثني محمد بن مزيد ويحيى بن علي قالا: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي: ما رأيت إمرأة قط، أحسن وجهاً وأدباً وغناء وشعراً وضرباً ولعباً بالشطرنج والنرد من عريب! وما تشاء أن تجد خصلة، حسنة، ظريفة، بارعة في إمرأة إلا وجدتها فيها!. من كتاب الإماء الشواعر – أبو الفرج الأصبهاني (ج ١ / ص ١٧)

بلغنا عن زينة النساء شيئا يذكر بجانب ما روته الأخبار عن زبيدة ([1]) زوج الخليفة هارون الرشيد وقد مر بنا في غير هذا الموقع جانب مما ذكر عنها من أخبار تدل على الثراء الفاحش الذي كانت عليه ، ولا عجب في ذلك ، فهي كما قال أبو العيناء ([2]) عنها من أعيان بيت الخلافة العباسية .

إذا نظرنا في طبقات المجتمع من غير ما ذكرنا من أخبار الطبقة الحاكمة وحاشيتها ، نجد طبقة أخرى من الصناع والتجار والذين كانوا يقدمون خدماتهم لهم ، فقد أدى هذا النعيم والترف إلى ازدهار التجارة والصناعة ، وتبارى التجار في جلب البضائع من مختلف البلدان وكانت القوافل والسفن تروح وتغدو محملة بنفيس الثياب والجواهر ومستلزمات الزينة ، وغيرها . وكان الحرفيون والصناع يبرعون في صناعاتهم في الحلي والجواهر والتحف ، وكانت الأسواق في بغداد تكتظ بعشرات الأصناف من مختلف أنواع البضائع .

انعكس هذا الترف في جوانب الحياة كلها ، وأثر بصفة خاصة في عادات وتقاليد تلك الطبقة المترفة ، ويتضح ذلك جليا في موائدهم وأصناف طعامهم والأطباق والأواني التي تقدم فيها ، فقد تعددت أطعمتهم وتنوعت ودخلت مائدتهم أصناف من الأطعمة لم تكن معروفة للعرب من قبل ، متأثرين في ذلك بمن اتصلوا بهم من الأمم الأخري وخاصة الفرس الذين لهم باع طويل في التفنن في أنواع الطعام بما سمحت به حضارتهم الضاربة في أعماق التاريخ . وتفننوا- أي العرب - في اقتناء أواني الذهب والفضة وصحاف الصيني المزخرفة ، وصحاف الزجاج المنقوشة والمحفورة ، وقد ذكر أنه وضع على مائدة المأمون يوم عيد أكثر من ثلاثمائة لون، فكان يذكر منفعة كل لون ومضرته وما يختص به ([3]) .

ولم يأخذوا عن الفرس أنواع الطعام والأواني فحسب وإنما أخذوا كذلك آداب المائدة وما يلزم

١- زبيدة بنت جعفر بن المنصور. وزبيدة لقبٌغلب عليها، واسمها أمة العزيز، وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة - وكانت سمينة حسنة البدن - فيقول لها: يا زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك. الأغاني - (ج ٣ / ص ١٣٨) . قال الثعالبي في لطائف المعارف: كان أبو العيناء يقول لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد فإن المنصور جدها والسفاح أخو جدها والمهدي عمها والرشيد زوجها والأمين ابنها والمأمون والمعتصم ابنا زوجها والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها وأما ولاة العهود فكثيرة. تاريخ الخلفاء – السيوطي -(ج ١ / ص ١٢٥)

٢- المصدر السابق . ص ١٢٥ .

٣ - التذكرة الحمدونية (ج ١ صفحة ٤٤١) المكتبة الإلكترونية . ومؤلفه هوأبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي؛ كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر، وسمع أبو المعالي المذكور من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره، وصنف كتاب التذكرة وهو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود، وهو من الكتب الممتعة.ذكر العماد الأصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة فقال: كان عارض العسكر المقتفوي، ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدي، وهو كلف باقتناء الحمد وابتناء المجد، وفيه فضل ونبل وله على أهل الأدب ظل، وألف كتابا سماهالتذكرة وجمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة، فوقف افمام المستنجد على حكايات ذكرها نقلا من التواريخ توهم في الدولة غضاضة، ويعتقد للتعرض بالقدح فيها عراضة، فأخذ من دست منصبه وحبس، ولم يزل في نصبه إلى أن رمس، وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمسمائة . . ودفن في مقابر قريش . وفيات الأعيان – ابن خلكان- (ج ٤ / ص ٣٨٠)

ذلك من حسن خدمة الخدم والحشم ، وغير ذلك الغادات والتقاليد ، وقد اقتضي ذلك أدب خاص بالخلفاء ومجالس موائدهم ، من حضور الخواص والندماء والشعراء والمغنين وغيرهم ممن لا تكتمل آداب الموائد إلا بهم . وقد كان حرص بعض الخلفاء كبير لحضور هؤلاء ومصاحبتهم لهم في تلك المجالس ، ونجد أسماء لكبار العلماء والفقهاء والقضاة من أمثال الأصمعي وأبي يوسف القاضي في مجالس الرشيد ، وثمامة بن الأشرس(١) نديم المأمون ، وأبو دلامة (٢) في مجلس المنصور . وقد كانت لهذه المجالس أدوار مهمة في تاريخ الأدب والعلم والثقافة ، كما سنبينة في فصولنا القادمة من هذا البحث .

أثر الحياة الاجتماعية علي الثقافة والأدب :

لا شك في أن الحياة المترفة التي اتيحت للمجتمع العباسي ، كان لها أثرها البالغ في مختلف جوانب المجتمع وخاصة في الحياة الثقافية والأدبية ، فالثقافة والأدب جزء آن لا يمكن فصلهما عن مجمل حركة المجتمع تتأثران به ، وتؤثران فيه .

من المظاهر العامة في المجتمع العباسي ولعه باللهو والمجون ، فقد دفعتهم الحياة المترفة إلي الأخذ بأنواع اللهو والمجون ، التي يمكن أن تتاح لأمثالهم من المترفين والمنعمين ، فعاقروا الخمر حتي أصبح الإدمان سمة بارزة في مجالسهم ومنتدياتهم ، وقد تساهل بعض فقهاء العراق في أمر شرب بعض أنواع النبيذ يقول ابن خلدون (٣) "حال المأمون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم إنما كان النبيذ ولم يكن محظورا عندهم وأما السكر فليس من شأنهم " . وكان يعقوب وزير المهدي قد ضجر بموضعه قبل حبسه، وكان أصحاب المهدي يشربون عنده، فكان يعقوب ينهاه عن ذلك، ويعظه، ويقول: ليس على هذا استوزرتني، ولا عليه صحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ ؟ فضيق على المهدي حتى قيل:

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً ... وأقبل على صهباء طيّة النّشر(٤)

وقد ذكر أن الخليفة المتوكل قد مات لأنه شرق بكاس من نبيذ (١) . ارتبط شرب الخمر

١- رأس الثمامية من المعتزلة ثمامة بن أشرس النميري.كان جامعاً بين سخافة الدين والخلاعة مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد بالنار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزله بين منزلتين.وانفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل منها قوله: إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها إذ يمكن إضافتها إلى فاعل أسبابها حتى يلزم أن يضيف الفعل إلى ميت مثلما إذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكن إضافتها إلى الله تعالى لأنه يؤدي إلى فعل القبيح وذلك محال، فتحير فيه وقال: المتولدات أفعال لا فاعل لها: ومنها قوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية إنهم يصيرون في القيامة تراباً، وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين.ومنها قوله: الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وخلوها من الآفات وهي قبل الفعل. وحكى ابن الريوندي عنه أنه قال: العالم فعل الله بطباعه، قال الشهرستاني: ولعله أراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الإيجاب بالذات دون الإيجاد على مقتضى الإرادة، ولكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما يلزم الفلاسفة من القول بقدم العالم إذ الموجب لا ينفك عن الموجب.وكان ثمامة في زمن المأمون، وكان عنده بمكان. الوافي بالوفيات – الصلاح الصفدي (ج ٣ / ص ٤٩٣)

٢- أبو دلامة زند - بالنون بعد الزاي ساكنة - بن الجون ، هو أبو دلامة - بضم الدال. كان صاحب نوادر وأخبار وأدب ونظم وكان عبداً أسود. توفي سنة إحدى وستين ومائة. المرجع السابق - (ج ٤ / ص ٤٨٤) .

٣- تاريخ ابن خلدون - (ج ١ / ص ١٩)

٤- الكامل في التاريخ - (ج ٣ / ص ٧٥)

برواية الشعر والغناء في مجالسهم ولم تكن مجالسهم تكتمل إلا بهما ، يذكر صاحب الأغاني فيقول [٢] : أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان الدلال لا يشرب النبيذ، فخرج مع قومٍ إلى متنزهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا ولم يشرب منه، وسقوه عسلاً مجدوحاً، وكان كلما تغافل صيروا في شرابه النبيذ فلا ينكره، وكثر ذلك حتى سكر وطرب، وقال: اسقوني من شرابكم، فسقوه حتى ثمل، وغناهم في شعر الأحوص:

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا ... عند الفراش فبات الهم محتضرا

أراقب النجم كالحيران مرتقباً ... وقلص النوم عن عيني فانشمرا

من لوعة أورثت قرحاً على كبدي ... يوماً فأصبح منها القلب منفطرا

ومن يبت مضمراً هماً كما ضمنت ... مني الضلوع يبيت مستبطناً غيرا

فاستحسنه القوم وطربوا وشربوا. ثم غناهم :

طربت وهاجك من تدكر ... ومن لست من حبه تعتذر

فإن نلت منها الذي أرتجي ... فذاك لعمري الذي أنتظر

وإلا صبرت فلا مفحشاً .... عليها بسوءٍ و لا مبتهر[٣]

وجاء في الأغاني أيضا أخبرني إبراهيم بن المهدي قال: كنا في مجلس الرشيد وقد غلب النبيذ على ابن جامع، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إلي إبراهيم فقال: قد خرى قد خرى أستاذك فيه وفهمت صدقه فيما قال؛ قال: فقلت له: انتبه أيها الشيخ وأعد الصوت، ففطن وأعاده وتحفظ فيه وأصاب؛ فغضب إبراهيم وأقبل علي فقال:

أعلمه الرماية كل يومٍ ... فلما اشتد ساعده رماني [٤]

وقد اقترن النبيذ في أخبار مجالسهم بالأشعار والغناء في أكثر من موقع وقد حفل كتاب الأغاني بكثير منها كما أوردنا سابقا ، ويكاد لا يخلو منها مجلس من مجالسهم يستوي في ذلك الخاصة والعامة ، جاء في الأغاني :" أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: زعم عاصم بن الحدثان أن حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن ظبيان، وكانا في عرس لابن مسمع: هل لك في شراب؟ قال: نعم، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل، فأخذ ابن ظبيان العسل فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة: يا بن ظبيان، إنك لطب بحسوها. فقال: أجل، والله إني لأشربها حلالاً وأجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام. فقال له حارثة: من غيرك هذا؟ قال: سائلي عن هذا الأمر. فقال حارثة:

١- المرجع السابق – صفحة ٢٢٩.

٢- الأغاني - (ج ١ / ص ٤٤٤) .

٣- المرجع السابق ص ٤٤٤.

٤- المرجع السابق . الجزء الثاني / ص ٣٣ .

إذا كنت ندماني فخذها و سقني ودع عنك من رآك تكرع في الخمر
فإني امرؤلا أشرب الخمرفي الدجا ولكنني أحسو النبيذ من التمر
حيا و تقاً لله و الله عالم بكل الذي نأتيه في السر والجهر
ومثلك قد جربته و خبرته أبا مطر و الحين أسبابه تجري
حساها كمستدمى الغزال عتيقة إذا شعشعت بالماء طيبة النشر
أقام عليها دهره كل ليلة يشافهها حتى يرى وضح الفجر
فأصبح ميتاً ميتة الكلب صحكة لأصحابه حتى يدهده في القبر
فما إن بكاه غير دن و مزهر و غانية كالبدر واضحة الثغر
و باطية كانت له خدن زنية يعاقرها و الليل معتكر الستر

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكراني، قال: حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان، قال: عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له: قد فضحت نفسك وأسقطت قدرك، وأوجعه عتاباً. فقال له: إني سأعتبك. فانصرف الأحنف طامعاً في صلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحر ما قلت لك. فقال: هات، فأنشده:

يذم أبو بحر أموراً يريدها ويكرهها للأريحي المسود
فإن كنت عياباً فقل ما تريده ودع عنك شربي لست فيه بأوحد
سأشربها صهباء كالمسك ريحها وأشربها في كل ناد ومشهد
فنفسك فانصح يا بن قيس وخلني ورأيي فما رأيي برأي مفند
وقائلة ياحارهل أنت ممسك عليك من التبذير قلت لها اقصدي
ولا تأمريني بالشداد فإنني رأيت الكثير المال غير مخلد
ولاعيب لي إلا اصطباحي قهوة متى يمزجها الماء في الكأس تزبد
معتقة صهباء كالمسك ريحها إذا هي فاحت أذهبت غلة الصدي
ألا إنما الرشد المبين طريقه خلاف الذي قد قلت إذأنت مرشدي
سأشربها ما حج لله راكب مجاهرة وحدي و مع كل مسعد
وأسعد ندماني و أتبع شهوتي وأبذل عفواً كل ما ملكت يدي
كذاالعيش لاعيش ابن قيس وصحبه من الشرب للماء القراح المصرد

فقال له الأحنف: حسبك، فإني أراك غير مقلع عن غيك، ولن أعاتبك بعدها أبداً[1].

١- الأغاني (الجزء ٢ - ص ٤٣٦)

لم تكن الخمر مصاحبة لمجالسهم فقط وإنما كانت موضوعا لأشعارهم ، فقد كثر ذكرها في أشعارهم ، حتى نجد من الشعراء من أجاد وأبدع في وصفها حتى عرف بذلك ، وما أبو نواس منا ببعيد فقد عرف بوصف الخمر وكل ما يتعلق بها ، وقد أبدع في ذلك وتفنن حتى فاق أقرانه فى ذلك واقترنت أشعاره في معظمها بها وكذلك أخبار مجالسه ومجونه ([1]). يقول في إحدى قصائده يمدح الخمر ويزم من يشرب الحليب كعادة العرب ،ذ كان الحليب شرابهم في باديتهم وحضرهم :

دَعِ الأَطلالَ تَسفيها الجَنوبُ وَتُبلي عَهدِجِدَّتِها الخُطوبُ
وَخَلِّ لِراكِبِ الوَجناءِ أَرضاً تَخُبُّ بِها النَجيبَةُ وَالذَجيبُ
بِلادٌ نَبتُها عُشَرٌ وَطَلحٌ وَأَكثَرُ صَيدِها ضَبعٌ وَ ذيبُ
وَلا تَأخُذ عَنِ الأَعرابِ لَهواً و َلا عَيشاً فَعَيشُهُم جَديبُ
دَعِ الأَلبانَ يَشرَبُها رِجالٌ رَقيقُ العَيشِ بَينَهُم غَريبُ
إِذا رابَ الحَليبُ فَبُل عَلَيهِ ولاتُحرَج فَما في ذاكَ حوبُ
فَأَطيَبُ نُهصافِيَةٌ شَمولٌ يَطوفُ بِكَأسِها ساقٍ أَديبُ
أَقامَت حِقبَةً في قَعرِ دَنٍّ تَفورُو َما يَحَسُّ لَهالَ هيبُ
كَأَنَّ هَديرَها في الدَنِّ يَحكي قِراةَ القَسِّ قابَلَهُ الصَليبُ[2])

١- أبو نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح، أبو علي الحكمي - بفتح الحاء المهملة والكاف - المعروف بأبي نواس. كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان.ولد أبو نواس بالبصرة، ونشأ بها، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد، هكذا قال محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة.وقال غيره: إنه ولد بالأهواز، ونقل منها وعمره سنتان، واسم أمه جلبان. وكان أبوه من جند مروان، آخر ملوك بني أمية، وكان من أهل دمشق، وانتقل إلى الأهواز، فتزوج بجلبان وأولدها عدة أولاد منهم: أبو نواس، وأبو معاذ.قال أبو نواس؛ فأسلمته أمه إلى بعض العطارين، فرآه يوماً والبة بن الحباب فاستحلاه، فقال له: " إني أرى فيك مخايل أرى أن لا تضيعها، وستقول الشعر فاصحبني أخرجك " . فقال له: ومن أنت؟ قال: أبو أسامة والبة بن الحباب. قال: " نعم، أنا والله، في طلبك، ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسببك لآخذ عنك، وأسمع منك شعرك " . فصار معه، وقدم به بغداد، فكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي: من المقتضب

حامل الهوى تعب . .. يستخفه الطرب
إن بكى يحق له ... . ليس ما به لعب
تضحكين لاهيةً .. . .والمحب ينتحب
تعجبين من سقمي.. صحتي هي العجب

قال إسماعيل بن نوبخت: ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا إلا قمطراً فيه جزازٌ، مشتملٌ على غريبٍ ونحوٍ لا غير.وهو في الطبقة الأولى من المولدين، وشعره عشرة أنواع، وهو محيد في العشرة.واعتنى بشعره جماعةٌ من الفضلاء منهم: أبو بكر الصولي، وعلي بن حمزة، وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون، وأجمع هذه الروايات؛ جمع علي بن حمزة. الوافي بالوفيات - (ج ٤ / ص ٢١٦)

٢- ديوان أبي نواس – المكتبة الإلكترونية – إصدار المجمع الثقافي – ١٩٩٧-٢٠٠٣م.

ومن المظاهر الأخرى البارزة في المجتمع العباسي ما نراه من كثرة الرقيق الذي جلب من بلاد كثيرة من أفريقيا ومن آسيا وبيزنطة وجنوب أوروبا وتركيا ، وغيرها من البلدان الأخرى . وقد كان العديد منهم يعملون في مختلف مناشط الحياة الجتماعية ، كالزراعة والخدمة في المنازل والحراسة والجيش ، وكان بعض الخلفاء ولع بخدمة هؤلاء ، فقد أكثر الرشيد منهم ، وشغف المعتصم بالرقيق التركي فاشترى من النخاسيين منهم آلافا وكثروا عنده حتى بنى لهم سرَ ًُُُُّّّّمن رأى وقد حكى في سبب استحد اثه سرّمن رأى أنه في سنة ٢١٩ أمر المعتصم أبا الوزير أحمد بن خالد الكاتب بأن يأخذ مائة ألف دينار ويشتري بها بناحية سرى من رأى موضعاً يبني فيه مدينة وقال له: إني أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة فيقتلوا غلماني فإذا ابتعت لي هذا الموضع كنت فوقهم فان رابني رائب أتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم ([1]) وقد وصل بعضهم إلي أرفع المناصب في الدولة مثل الربيع بن يونس مولى المنصور وحاجبه ووزيره ([2]) .

أما الجواري والإماء فقد كن أكثر عددا من الرجال ، وقد كثر السبى بسبب الغذو واذدهرت تجارة النخاسة حتى ألفت فيها الصفحات وصنفت فيها أبواب الكتب التي تتحدث عن صفاتهن وتعدد مزاياهن ، وقد عنى فيها بصفة خاصة بما كانت عليه الإماء والجواري من حفظ الشعر ونظمه والتغني به ومن ذلك مثلا كتاب ربيع الأبرار في باب (العبيد ، والإماء ، والخدم) ، والموشى لأبي الطيب الوشاء في باب (وفاء النساء وما جاء به في ذم القيان ونفوذ حيلتهن و في صفة لبسهن) ، وكتاب بلاغات النساء لابن طيفور، وقد أفرد للإماء فيه صفحات لذكر بلاغتهن ، وفي كتاب التذكرة الحمدونية لابن حمدون في باب ما جاء في الغناء ، و كتاب أشعار النساء وهو الثالث فيما ألف من الكتب في أشعار النساء، بعد (أشعار الجواري) للمفجع البصري المتوفى سنة ٣٢٧هـ و(الإماء الشواعر) لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ. وغير ما ذكرنا من الكتب وما جاء في الأبواب والفصول المختلفة كثير كثرة تدل على اهتمامهم الكبير بهؤلاء من الرقيق والجواري ، ولسنا هنا بصدد دراسة هذه الظاهرة التي تفشت في المجتمع العباسي إلا بقدر ما تشير إله من ثأثيرها الكبير على ثقافة ذلك المجتمع إذ أن هؤلاء الذين كان معظمهم من سبي الحروب جاءوا من بلاد مختلفة ، وكان معظمهم من الروم وبلاد الترك وآسيا وأفريقيا ، ولكل ثقافته ولغته ، فاختلطوا بالعرب وتغلغلوا في مفاصله ، وخاصة في قصورذوي السلطان والغني منهم ، وأصبح اقتناء الجواري والعبيد جزء من ثقافة المجتمع ورمزا للغني والجاه ، إلا أن الأهم في ذلك كله ما جلبه هؤلاء من عادات وتقاليد وعادات أثرت على المجتمع بالغ التأثير وقد رأينا كيف كان اهتمام الكتاب والمؤرخين بهذه الظاهرة ، إذ لا يكاد يخلو كتاب يتحدث عن هذه الفترة من موضوع أو نص يتحدث عن هذه الظاهرة وما أوردناه آنفا إنما يمثل

١- معجم البلدان - ياقوت الحموي (ج ٢ / ص ٤١٩)

٢- الربيع بن يونس بن محمد كيسان العباسي مولاهم الأمير الحاجب أبو الفضل.كان من كبار الملوك. ولي حجابة المنصور ثم وزارته، وحجب المهدي، وولي ابنه الفضل حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس حجابة الأمين. وقطيعة الربيع ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه. وتوفي سنة سبعين ومائة. وكان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه. الوافي بالوفيات - الصفدي -(ج ٤ / ص ٤٤٤) .

أمثلة قليلة للدلالة على ما ذهبنا إليه .

جاء في الأغاني : أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد - رحمة الله عليه - أمر المغنين، وهم يومئذ متوافرون، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء، فأجمعوا على ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله.

قال إسحاق: فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله ، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم ، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته، ونسبته إلى من شدا به، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممن شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك، فاجتبيت منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه، فذكرته ولم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد؛ لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان.

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العبيس بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر، فزعم: أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا. وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات، وخالفه في صوتين. وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحن معبد في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقيل الأول:

القصر فالنخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون ۞

ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة، ولحنه من الثقيل الثاني:

تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يسطيع أن يتكلما

ولحن ابن محرزٍ في شعر نصيب، وهو من الثقيل الثاني أيضاً:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟ ... نعم، وبه ممن شجاك معالم

وذكر جحظة عمن روى عنه أن من الأصوات الثلاثة لحن ابن محرز في شعر المجنون

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا

ولحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي،:

إلى جيداء قد بعثوا رسولا ... ليحزنها، فلا صحب الرسول

ولحن ابن محرز في شعر نصيب، وهو على ما ذكر هزج:

أهاج هواك المنزل المتقادم؟ ... نعم، وبه ممن شجاك معالم

وحكى عن أصحابه أن هذه الأصوات الثلاثة على هذه الطرائق لا تبقى نغمةٌ في الغناء إلا وهي فيها.

وذكر أن المغنين أجمعوا على صوت واحد من هذه الثلاثة وتفنيد أبي الفرج لهذه الرواية أخبرني الحسن بن علي الأدمي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدثني محمد بن جبر المغني قال حدثني إبراهيم بن المهدي: أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غني فيه، فاختاروا له لحن ابن محرز في شعر نصيب:

أهاج هواك المنزل المتقادم ؟ .....

قال : وفيه دور كثير، أي صنعة كثيرة. والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن علي أصح عندي. ويدل على ذلك تباين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخر في جودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطعها وما فيها من العمل، وأن الأخرى ليست مثلها ولا قريبةً منها. وأخرى هي أن جحظة حكى عمن روى عنه أن فيها صوتاً لإبراهيم الموصلي، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء، وليس أحد منهما دونه إن لم يفقه، فكيف يمكن أن يقال: إنهما ساعدا إبراهيم على اختيار لحنٍ من صنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفضلت عليها! ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكما لإبراهيم على أنفسهما بالتقدم والحذق والرياسة وليس هو كذلك عندهما؟([1]) .

ففي هذا النص ومثله كثير متفرق في كتب الأدب من تأثير المغنين والمغنيات في أذواق العامة والخاصة ، وقد انتشر الغناء أول أمره في الحجاز ثم انتقل أواخر الدولة الأموية إلي العراق فانشئت له الدور ، وجلبت له المغنيات والمغنين خاصة في عهد المهدي ، وكان الخلفاء من بني العباس لا يبخلون في البذل لهم بل وصلوا في عطاياهم لدرجة المبالغة ، وكان أول من شرع في هذا الخليفة المهدي ثم تبعه الهادي ، اما الرشيد فقد جعل جعلهم مراتب كما مر بنا ، أما الخليفة الأمين فقد عاش للطرب والقصف ، أما المأمون فد كان نديمه الموصلي وعريب الغنية ،

١- الأغاني الجزء الأول . ص ١ .

وكان للواثق مع الغناء قصص تروى ([1]) فقد كان يجيد الضرب على آلاته . كان الواثق إذا صنع صوتاً قال لإسحاق: هذا وقع إلينا البارحة فاسمعه، فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء. فكاده مخارق عنده وقال له: إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليقاربك ويستخرج ما عندك، فإذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع، قال الواثق: فأنا أحب أن أقف على ذلك، فقال له مخارق: فأنا أغنيه، أيا منشر الموتى، فإنه لم يعلم أنه لك ولا سمعه من أحد، قال: فافعل. فلما دخل إسحاق غناه مخارق وتعمد لأن يفسده بجهده، وفعل ذلك في مواضع خفية لم يعلمها الواثق من قسمته، فلما غناه قال له الواثق: كيف ترى هذا الصوت. قال له: فاسد غير مرضي، فأمر به فسحب من المجلس حتى أخرج عنه، وأمر بنفيه إلى بغداد. ثم جرى ذكره يوماً. فقالت له فريدة: يا أمير المؤمنين، إنما كاده مخارق فأفسد عليه الصوت من حيث أوهمك أنه زاد فيه بحذقه نغماً وجودةً، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سره، ويفهم من غامض علل الصنعة ما لا يفهمه غيره، فليحضره أمير المؤمنين ويحلفه بغليظ الأيمان أن يصدقه عما يسمع، وأغنيه إياه حتى يقف على حقيقة الصوت، فإن كان فاسداً فصدق عنه لم يكن عليه عتب، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد، وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده، فأمر بالكتاب بحمله فحمل وأحضر، فأظهر الرضا عنه ولزمه أياماً ، ثم أحلفه ليصدقن عما يمر في مجلسه فحلف له. ثم غنى الواثق أصواتاً يسأله عنها أجمع فيخبر فيها بما عنده، ثم غنته فريدة هذا الصوت وسأله الواثق عنه، فرضيه واستجاده، وقال له : ليس على هذا سمعته في المرة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إياها ، فسكن غضبه ووصل إسحاق وتنكر لمخارق مدة . فهذا مما يدل علي تمكن هؤلاء القوم من صنعتهم ، وأن بها ما قد يخفى حتي على أمثال الواثق مع عظيم علمه بصنعة الغناء .

نخلص من كل هذا إلى ما كان للجواري والقيان من تأثير كبير في المجتمع العباسي ، فقد كن كما ذكر د. شوقي ضيف " من العوامل الفاعلة في انتشار الظرف والرقة في ذلك المجتمع ، حتى أصبحتاء سمتين بارزتين فيه ، وبذلك رقت المشاعر والأحاسيس ودقت الأذواق وأرهفت إرهافا شديدا ". ومن هذه الناحية كان لهؤلاء الجواري أثر كبير علي بعض الشعراء ، الذين انجذبوا لهن ووقعوا في حبهن فقد استأثرت ريم بقلب مطيع بن إياس، وعبادة بقلب محمد البواب ، وعنان بقلب أبي النضير ، وسلسل بقلب إبان بن عبد الحميد . ولا شك في أن هذه العلاقات كان لها تأثيرها في هؤلاء الشعراء وفي انتاجهم .

وبسبب ريم أقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وقال فيها :

لولا مكانك في مدينتهم ... لظعنت في صحبي الألى ظعنوا

أوطنت بغداداً بحبكم ... و بغيرها لولاكم الوطن([2])

ورث المجتمع العباسي كثيرا من علل المجتمع الأموي ، ذلك أنه كان مجتما خليطا يتكون

١- المرجع السابق- (ج ٢ / ص ٩٣) .

٢- الأغاني - (ج ٤ / ص ٦)

من عرقيات وقوميات وشعوب مختلفة ، فالجيوش الإسلامية دخلت بلادا كثيرة وضمتها إلى الدولة شرقا وغربا ، وقد كانت بعض هذه المجتمعات التى انضمت حديثا للإسلام ذات حضارة وثقافة عريقة كالفرس في الغرب ، وبلاد الشام وبعض البلاد التى كانت تحت سيطرة الدولة البيزنطية في الشمال ، وفي مصر شرقا وشمال أفريقية ، فقد اتسعت الدولة ولم تعد قاصرة على العرب أو على جزيرتهم فقط ، وكان معظم من ذكرنا من هذه الشعوب مرتبطا بحضارته وثقافته وإن أدان بالإسلام الذي وجد فيه ما يصبو إليه من العدل والمساواة إلا أن ذلك لم يكن على أرض الواقع إلا ما كان في عهد الخلفاء الراشدين .

أما ما كان من أمر الأمويين فقد كانت دولتهم تقوم على العصبية للعرب كما أسلفنا ، لذلك لك يكن غريبا أن تبدأ الثورة ضدهم من بلاد فارس وأن يكون الفرس هم أبرز قادتها من أمثال أبي مسلم الخرساني وغيره من القواد الذين كان لهم دور كبير في تأسيس وتوطيد أركان الدولة فكان من الطبيعي أن تكون لأبناء فارس وخراسان الدور الأكبر في إدارة الدولة الجديدة وكان من الطبيعي أيضا أن يستشعر أبناء الشعوب الأخرى أن الوقت مناسب لأظهار قومياتهم وثقافاتهم ، وبدأ أن الفرصة مواتية للذين لا يكنون مودة للعرب لإظهار كراهيتهم لهم ومن هنا بدأت الشعوبية والقومية تطل برأسها وبقوة هذه المرة .

وكان لابد من أن يؤثر ذلك على المجتمع ثقافة وأدبا فبدأ يظهر هذا في أشعارهم وفي كتبهم ، وكان ذلك يستدعى الشعراء والكتاب العرب ليردوا عليهم يقول ابن عبد ربه الأندلسي : " قول الشعوبية وهم أهل التسوية ومن حُجّة الشُعوبية على العَرَب أن قالت: إنا ذَهبنا إلى العَدْل والتّسوية، وإلى أنّ الناسكلَّهم من طِينة واحدة وسُلالة رَجُل واحد، واحتججنا بقول النبي عليه الصلاةُ والسلام:المُؤمنون إخْوة تَتكافأ دِماؤُهم وَ يسْعَى بذمتهم أدناهم وهمُ يد على مَن سواهم.وقوله فيحِجة الوَداع- وهي خُطبته التي ودع فيها أمته وختم بها نُبوته: أيها الناس، إنّ اللهّ أذهب عنكم نخْوة الجاهلّية وفَخْرها بالآباء، كلّكم لآدم وآدم من تُراب، ليس لعربيّ على عَجَمي فَضْل إلا بالتَّقْوى. وهذا القولمن النبي عليه الصلاةُ والسلام مُوافق لقَوْل الله تعالى: "إنّ أكرمَكم عِنْد الله أتْقالم ". فأبَيتم إلا فَخْراً، وقُلتم لا تُساوينا العَجمُ، وإن تَقدَّمتْنا إلىالإسلام، ثم صَلّت حتى تصِير كأحناء، وصَامت حتى تصير كأوتار، ونَحن نُسامحكم ونُجيبكم إلى الفَخْر بالآباء الذي نَهاكم عنه نَبينا و نبّيكم صلى الله عليه وسلم إذ أبيتم إلا خِلاَفه، وإنما نجيبكم إلى ذلك لاتباع حَديثه وما أمر به صلى الله عليه وسلم فنرُد عليكم حجتكم في المفاخرة ونقول: أخْبرونا إنقالت لكم العجم: هل تَعدون الفخر كلّه أن يكون مُلْكاً أو نُبُوة؟ فإن زعمتم أنه مُلك قالت لكم: فإن لنا مَلوكَ الأرض كلهم من الفَراعنة والنَّماردة والعَمالقة والأكاسرة؛ والقَياصرة، وهل يَنْبغي لأحد أن يكون له مِثْل ملْك سُليمان الذي سُخرت له الإنْس والجنّ والطَّير والريح، وإنما هو رَجل مذَ ا، أم. هل كانلأحد مثْل مُلك الإسكندر الذي ملك الأرض كلها وبَلغَ مَطْلع الشَمس ومَغْربها، وبَنىَ ردْماً من حَدِيد ساوَى به بين الصَدَفين وسَجَن وراءَه خَلْقاً من الناس تَرْبِي على خَلْق الأرض كلها كثر ة. يقول الله عزّ وجلّ "حتّى إذا فُتِحَت يَأْجوج ومَأْجوج وهُمْ مِن كلحَدَب يَنْسِلون". فليس شيء أَدلَّ على كثر عَدَدهم من هذا، وليس لأحد من وَلد آدم مثْلآثاره في الأرض، ولو لم يكن له إلا مَنارة الإسكندرية التي أسسها في قَعْر البَحر وجعَل في رَأْسها مِرآة يَظْهر البحر كله في زُجاجتها لكَفي ،

وكيف ومنّا مَلوك الهِنْد الذين كتب أحدهم إلى عُمر بن عَبد العزيز: من مَلك الأمْلاك الذي هو ابن ألف مَلك، والذي تَحته بِنْت ألف مَلك والذي في مَرْبطه ألف فِيل، والذي له ذَهْران يُنْبِتان العُود والفُوه والْجَوْز والكافور، والذي يُوجد رِيحه على اثنى عَشر ميلاً، إلى ملك العرَب الذي لايشْرك بالله شيئاً. أما بعد، فإني أردتُ ان تَبْعث إلي رجلاً يُعَلِّمني الإسلام ويُوقّفني على حُدوده والسلام. .....إلخ " ([1])

وقد أورد الكاتب في نفس الكتاب رد ابن قتيبة على الشعوبيين ولأبي عبدالله الجهمي كتاب سمه الانتصار في الرد على الشعوبية. وهذا وغير من الأمثلة يدلنا على مدى تغلغل الفكر الشعوبي في المجتمع ، فقد كان لها مروجوها من الشعراء أيضا ، ذكر الجاحظ قول شاعرهم :

زعمتم بأنّ الترك أبناء مذحجٍ و بينكم قربى وبين البرابر

و ذالكم نسل ابن ضبة باسلٍ وصوفان أنسال كثير الجرائر

وقال آخر:

متى كانت الأتراك أبناء مذبح ألا إن في الدنيا عجيباً لمن عجب([2])

ومن أهم الشعراء الذين أججوا نيران الشعوبية بشار بن برد ([3]) ، الذي كان يتبرأ من العرب ومن النسب إليهم وإاليه تنسب أشعار كثيرة تدل على شعوبيته وله مديحٌ كثيرٌ في فُرسانِ أهلِ خُراسانَ ورِجالاتهم، وهو الذي يقول: من الرمل

من خُراسانَ وبيتي في الذُّرَى ... ولَدَى المَسعَاة فَرْعي قد بَسَقْ

وقال:

وإنِّي لمِنْ قَوْمٍ خُراسانُ دارُهم ... كرامٍ وفَرْعِي فيهمُ ناضرٌ بَسَقْ([4])

لم تكن الشعوبية وحدها مما أبتلي به المجتمع العباسي ، فقد كانت هناك الزندقة ، وأصحابها أصحاب مذاهب دينية أو فكرية فاسدة وردت على المجتمع من بلاد فارس وخراسان لذلك نجد جل من أتهم بالشعوبية أتهم بالزندقة أيضا ، وقد انتشرت الزندقة في عهد الدولة العباسية ونشطت

١- العقد الفريد – ابن عبد ربه الأندلسي . الجزء الأول – ص ٤١٣ .

٢- الرسائل – الجاحظ – ص ١٧

٣- هو، فيما ذكره الحسن بن علي عن محمد بن القاسم بن مهروية عن غيلان الشعوبي، بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكر بن أدريوس بن يستاسب " بن لهراسف " . قال: وكان يرجوخ من طخارستان من سبى المهلب بن أبي صفرة. ويكنى بشار أبا معاذ. ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله. وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية، قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء. الأغاني - (ج ١ / ص ٢٨٥)

٤- البيان والتبيين - (ج ١ / ص ١٥)

حتى تنبه لها الخلفاء من بني العباس فحاربوها وقتلوا كل من ثبتت عليه ، وخاصة الخليفة المهدي الذي يبدو أنها استفحلت في عهده مما دعاه للعمل على القضاء عليها وعلى الداعين لها ، ولم تكن الحرب على هؤلاء بالسيف فقط فقد انبرى لهم عدد من المتكلمين والكتاب والشعراء للرد عليهم ، ولا شك في أن هذا كله كانت له انعكاساته على الفكر والثقافة والأدب . فمن الذين اتهموا بالزندقة كتاب كبار وأناس لهم مكانتهم في المجتمع من أمثال بشاروابن المقفع الذي دفع حياته ثمنا لذلك على عهد المنصور([1]) ، وكان منهم الشاعر حماد عجرد الذي عرف بالفسوق بجانب زندقته وكذلك عبد الكريم بن أبي العوجاء المعروف بوضع الأحاديث عن رسول الله (ﷺ) وقد قتلا في عهد المهدي مع غيرهم من المبتدعة والزنادقة ([2]) .

لتكتمل صورة المجتمع العباسي لابد لنا من التطرق لجانب آخر من جوانب هذا المجتمع وهو جانب الزهد الذي فيما يبدو كان نتاج تفسخ وانحلال المجتمع مما ذكرناه سابقا ، فقد أوقف أناس حياتهم للعبادة والانقطاع لله تعالى ، وكان منهم من أخذ على نفسه وعظ الناس وإرشادهم سواء كان ذلك بالوعظ الباشر أو بالقصص التي مقصدها الحث على العبادة والطاعة لله تعالى ، وقد أشتهر جماعة من هؤلاء وزاع صيتهم في المجتمع من أمثال عمرو بن عبيد ومعروف وعظه للمنصور ، وابن السماك ووعظه للرشيد ، وصالح بن عبد الجليل ووعظه للمهدي ، و كان بجانب هؤلاء الوعاظ طبقة من النساك وهم منتشرون في كافة البلاد من أمثال سفيان الثوري([3]) وسفيان بن عيينة([1]) وغيرهما.

١- ابن المقفع ، (١٠٦ - ١٤٢ ه = ٧٢٤ - ٧٥٩ م) عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب ، وأول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له " كتب أرسطوطاليس " الثلاثة، في المنطق، وكتاب " المدخل إلى علم المنطق " المعروف بايساغوجي.وترجم عن الفارسية كتاب " كليلة ودمنة - ط " وهو أشهر كتبه.وأنشأ رسائل غاية في الابداع، منها " الادب الصغير - ط " ورسالة " الصحابة - ط " و"اليتيمة " واتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي.قال الخليل بن أحمد: ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله. الأعلام للزركلي - (ج ٤ / ص ١٤٠)

٢- هو حماد بن يحيى بن عمر بن كليب، ويكنىأبا عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة، وكان يبري النبل، وقيل: بل أبوه كان نبالاً، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجناً، متهماً في دينه، مرمياً بالزندقة.. الأغاني - (ج ٤ / ص ١١١- ١١٢) أما عبد الكريم بن أبي العوجاء فق جاء في الكامل في التاريخ : " عزل محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن الكوفة؛ وقيل: إنما عزل سنة ثلاث وخمسين، وكان عزله لأسباب بلغته عنه، منها أنه قتل عبد الكريم بن أبي العوجاء، وكان قد حبسه على الزندقة، وهو خال معن بن زائدة الشيباني، فكثر شفعاؤه عند المنصور، ولم يتكلم فيه إلا ظنين منهم، فكتب إلى محمد بن سليمان بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيه.وكان ابن أبي العوجاء قد أرسل إلى محمد بن سليمان يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام، ويعطيه مائة ألف، فلما ذكر لمحمد أمر بقتله، فلما أيقن أنه مقتول قال: والله لقد وضعت أربعة آلاف حديث حللت فيها الحرام، وحرمت فيها الحلال، والله لقد فطرتكم يوم صومكم، وصومتكم يوم فطركم؛ فقتل.وورد كتاب المنصور إلى محمد يأمره بالكف عنه، فوصل وقد قتله الكامل في التاريخ - (ج ٣ / ص ٥٦) .

٣- سفيان الثوري وهو: بن سعيد بن مَسْرُوق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبيّ بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار، شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري الفقيه الكوفي، سيّد أهل زمانه علماً وعملاً. وهو من ثور مُضَر.مولده سنة سبع وتسعين ووفاته سنة إحدى وستّين ومائة. وَكَانأبوه سعيد من ثقات المحدّثين ، وطلب سفيان العلم وهو

وقد بدأت تظهر في هذا العصر نزعة جديدة من التدين ، وهى نزعة التصوف . والمعروف أن الإسلام حرم الرهبانية ، ولم يمنع الناس من التمتع بالمباح من متع الحياة الدنيا دون مبالغة يقول رسول الله (ﷺ) في شأن الصحابة الذين أرادوا ترك متاع الدنيا والتفرغ للعبادة : " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَ صُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " (٢) . ولكن يبدو أن الحياة الماجنة التي كان يحياها قطاع من المجتمع العباسي قد أوجدت نوعا من ردة الفعل تمثلت في زهد قطاع آخر من المجتمع في مثل هذه الحياة فآثر الانسحاب منها والتفرغ للعبادة وخير مثال لهؤلاء المتصوفة رابعة العدوية (٣)، وقصة حياتها مشهورة ، ومنهم أيضا إبراهيم بن أدهم(٤) وشقيق البلخي(٥) وغيرهم ، ولهم قصص مشهورة وأقوال مأثورة عن أحوالهم وعباداتهم وما يتعلق بها من أفكار عن الدنيا والكسب والمعاش ، ولنا أن نقول إن ما صدر عن هؤلاء في هذا العصر كان مقدمة فقط لشيوع التصوف ومبادئه في عهود

مراهق وَكَانيتوقّد ذكاءً، صار إماماً أثيراً منظوراً إليه وهو شابّ يقال إنّه أخذ عن ستّ مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرّات عَلَى حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك . قالت لَهُ والدته: يا بنيّ اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي! قال ابن عُيينة: كَانالعلم ممثَّلاً بَيْنيدي سفيان. وقال شعبة وابن معين وجماعة: سفيان أمير المؤمنين فِي الحد يث. وقال ابن المبارك: لا أعلمُ عَلَى وجه الأرض أعلمَ منه. الوافي بالوفيات - (ج ٥ / ص ٨٩)

١ـ سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال ابن عامر، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك، وقيل مولى مسعر بن كدام، لأبو محمّد الكوفي، ثُمَّ المكّي، الإمام شيخ الإسلام. مولده سنة سبع ومائة فِي نصف شعبان ووفاته سنة ثمان وتسعين ومائة. طلب الحديث وهو غلام ولقي الكبار وسمع م ن قاسم الرّحّال سنة عشرين ومائة وسمع من الزهري وعمرو ابن دينار وزياد بن علاقة والأسود بن قيس وعاصم بن أبي النجود وأبي إسحاق وزيد بن أسلم وعبد الله بن أبي نجيح وسالم بن النضر وعبدة بن أبي لبابة وعبد الله بن دينار ومنصور بن المعتمر وسهيل بن أبي صالح وخلق كثير. وروى عنه الأعمش وابن جريج وشعبة. وهم من شيوخه وابن المبارك ابن مهدي والشافعي وابن المديني والحميدي وسعيد بن منصور ويحيى بن معين وأحمد وجماعة لا يحصون. قال الشافعي: مَا رأيت أحداً فِيهِ آلة العلم مَا فِي سفيان وَمَا رأيت أكفَّ عن الفُتْيا منه. وقال ابن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة. وقال أحمد: مَا رأيت أعلمَ منه بالسنن.. ، وَقَدْ حجّسفيان سبعين حجّة، الوافي بالوفيات - (ج ٥ / ص ٩٠)

٢- سنن النسائي - (ج ١٠ / ص ٣٠٩)

٣- رابعة العدوية ، ام الخير، بنت إسماعيل البصرية، مولاة ال عتيك، الصالحة المستورة، من أعيان عصرها، فضلها مشهور.ماتت سنة خمس وثلاثين ومائة. ودفنت بظاهرة القدس من شرقية، على رأس جبل، يسمى جبل الطور. طبقات الأولياء - (ج ١ / ص ٦٨)

٤- ابرهيم بن أدهم ، أبو اسحاق البلخي. ولد بمكة، وطافت به أمه على الخلق، وسألت الدعاء له أن يكون صالحاً فأستجيب لها، وترك الامارة، وما كان فيه.خرج متصيداً، فأثار ثعلباً - أو أرنباً - واذ هو طلبه، هتف به هاتف من قربوس سرجه: " والله! ما لهذا خلقت!، ولا بهذا أمرت! " . فنزل عن دابته، وصادف راعياً ، فأخذ جبته - وكانت من صوف - فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه.ثم دخل مكة، ثم الشام، لطلب الحلال. وكان يأكل من عمل يده.وصحب بمكة سفيان الثورى، والفضيل بن عياض. وتوفى بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى صور - مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر - فدفن بها سنة إحدى وستين ومائة. الأعلام للزركلي - (ج ٣ / ص ١٧١).

٥ـ شقيق البلخي (١٩٤ هـ =...- ٨١٠ م) شقيق بن إبراهيم بن علي الازدي البلخي، أبو علي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان. طبقات الأولياء - (ج ١ / ص ١) .

تالية.

إن ما يهمنا هنا ما كان من آثار التوجه نحو الزهد والتصوف و ارتبطهما بالحياة الأدبية والثقافية في المجتمع فقد كان لبعض الزهاد والمتصوفة أشعار كثيرة يعبرون فيها عن معتقدهم و أفكارهم ، فمن العروف أن لرابعة العدوية أشعاراً رويت عنها وكذلك نجد أن بعض الشعراء قد تأثر بهذا الجو الروحاني فنظموا أشعارا في الزهد و ذم الدنيا والرجوع والتوبة عن المعاصي ، وقد كان لأبي العتاهية الشاعر أشعار كثيرة في هذا المعني وكذلك نسبت أشعار أخرى مماثلة لأبي نواس . يقول صاحب الأغاني عن أبي العتاهية " وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم. ويقال: أطبع الناس بشار والسيد أبو العتاهية. وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته. وكان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا إنه كثير الساقط المرذول مع ذلك. وأكثر شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها. وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال " . يقول في إحدى قصائده :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم و حبك للدنيا هو الفقر و العدم

و ليس على عبد تقي تقيصة إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

جاذب رجل من كنانة أبا العتاهية في شيء، ففخر عليه الكناني واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهيه:

دعني من ذكر أب و تجد و نسبٍ يعليك سور المجد

ما الفخر إلا في التقى والزهد و طاعة تعطى جنان الخلد([1])

إن ما تقدم من ذكر مميزات وسمات المجتمع العباسي يضاف إليها ما اشتملت عليه الدولة من أقاليم مختلفة ، ضمت بلادا من الشرق والغرب وأمصارا من الجنوب والشمال يشعوبها وأجناسها المختلفة ، كل هذه العوامل هيأت لبعث جديد للحياة العقلية والثقافية في هذه الدولة ذات المساحة الشاسعة والقوميات والأعراق المختلفة .

لقد ساعدت للغة العربية والعقلية المنفتحة التي حملت ثقافة هذه اللغة وما تهيأ له العرب بعد إسلامهم من الحماسة و الاندفاع لنشر هذا الدين مع ثقافته ولغته في امتزاج وانصهار كثير من الشعوب والقوميات التي دخلها المسلمون فاتحين وناشرين لهذا الدين وهذه اللغة ، لم يكن الامتزاج بين العرب وغيرهم من الأمم والشعوب بالمصاهرت والتزاوج فقط وإنما كان امتزاجا روحيا وثقافيا كذلك ، فبغداد حاضرة الدولة كانت كما ذكرنا سابقا تعج بالجواري والأماء والعبيد من كل جنس ولون ، بل إن كثيرا من الخلفاء كانت أمهاتهم من الجواري والإماء ، لذلك نجد في

١- الأغاني - (ج ١ / ص ٣٤٥) .

الكتب كثيرا من الإشارات للخليفة الأمين باعتباره عربي الأب والأم جاء في الوافي بالوفياتف في ترجمته أنه "محمد بن هارون أمير المؤمنين أبو عبد الله الأمين ابن أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي، كان ولي العهد بعد أبيه وكان من أحسن الشباب صورة أبيض طويلاً ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة معروفة وفصاحة وأدب وفضل وبلاغة لكن سيء الرأي كثير التبذير ، أرعن لا يصلح للإمارة . ومن قوته يقال إنه قتل أسداً بيديه ، قال المسعودي: ولم يل الخلافة إلى وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوى الحسن وأبيه علي بن أبي طالب (ﷺ) والأمين لأنه ابن زبيدة وهي أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، عاش سبعاً وعشرين سنة، وآخر أمره خلع ثم أسر وقتل صبراً في المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وطيف برأسه لأنه في سنة خمس وتسعين خلع المأمون أخاه وعقد الولاية لولده موسى وهو طفل".([1])

لقد كان للإسلام على وجه الخصوص الأثر الكبير في هذا الامتزاج ، وسرعان ما تعلمت الشعوب المفتوحة لغة هذا الدين ، ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت اللغة العربية في كل أنحاء هذه الدولة الشاسعة ، ولم يتعرب لسان هذه الشعوب فقط ولكننا نجد أن هذه الشعوب أصبحت عربية التفكير والثقافة والأدب والحضارة ، وكان من الطبيعي أن يكون العراق و الشام وأطراف الجزيرة أسرعها تعريبا فقد كانت بحكم موقعها وإتصالها بالعرب من أيام الجاهلية الأسرع في ذلك بل لقد نبغ من هذه الشعوب علماء أصبحوا نجوما في مختلف المجالات العلمية والأدبية خاصة من بلاد فارس كالإمام أبي حنيفة وتلامذته في الشريعة وكسيبويه في اللغة وكابن المقفع في الكتابة و كبشار وأبي نواس في الشعر . ولا يعني هذا أنه لم يعد للغات هذه الشعوب وجود ، فقد بقيت بعض هذه اللغات يتحدث بها أهلها مثل الفارسية بجانب العربية ، كما أن بعض العرب تعلم أيضا هذه اللغة أو تلك من لغات من إتصلوا بهم ([2]) وغني عن القول أن كثيرا من ألفاظ تلك اللغات قد دخل العربية ، خاصة ما اختص منها بالأطعمة والأشربة ، والملابس وغير ذلك كثير ، ولم تفسد هذه الكلمات العربية بل زادتها ثراء على ثرائها . ولم يؤثر ذلك على بنية العربية فقد احتفظت بمقوماتها و بنيتها ، ولم يسمع علماء العربية أن يتسرب إليها ما يفسدها فقد كانوا حراسا أمناء عليها مع كثرة اللحن وشيوعه . و من الغريب أن نذكر أن علماء اللغة من الأعاجم كانوا في طليعة من عمل على حراسة اللغة و حمايتها من الخطأ واللحن . لقد أفرز هذا التمازج و التلاقح ثقافة ثرة وعلوما غنية حفظت في كتبهم والبعض منها ضاع مع الزمن .

١- الوافي بالوفياتف - (ج ٢ / ص ١٣٩)

٢- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ٩١.

الفصل الثالث

ازدهار العلوم والأدب

في العصر العباسي

التعليم والثقافة : مما لا شك فيه أن الإسلام قد فتح أبواب العقل علي مختلف ضروب العلم ، ولسنا في حاجة إلى التذكير بما حث الإسلام به الناس للسعي في طلب العلم ، وقد أخذ المسلمون بأسباب العلوم منذ ظهور الإسلام ، ولم يشذّ المجتمع العباسي عن ذلك فقد كانت عنايتهم بالتعليم كبيرة .

ذكر الجاحظ ذلك فقال " وكان ابنُ التوءم يقول: من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء، أن يعلِّمُ وهم الكتاب والحساب والسِّباحة " (١) وقد احترف البعض التعليم حرفة في هذا العصر وكثر المعلمون لحاجة الناس إلى تعليم أبنائهم ، فكان القادرون يتخذون المعلمين لأبنائهم ويتخيرونهم من بين المشهورين منهم ، بينما كان العامة يرسلون أبناءهم إلى المساجد والكتاتيب للتعليم حيث كانت حلقات الدرس مفتوحة لكل راغب فيه ، وقد ذكر الجاحظ جملة ممن أشتهر من المعلمين فقال: "والمعلِّمون عندي على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامّة إلى تعليم أولاد الخاصّة، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصّة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسِهم المرشحين للخلافة مثلَ عليِّ بنِ حمزة الكسائِيِّ، ومحمد بن المستنير الذي يقال له: قُطْرُب، ومن هؤلاء وفيهم الفقهاء والشُّعراء والخُطباء، مثل الكميت بن زيد، وعبد الحميد الكاتب، وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رَبَاح، ومثل عبد الكريم أبي أمية، وحسين المعلم، وأبي سعيدٍ المعلم، ومن المعلِّمين: الضحّاك بن مزاحم، وأمَّا معبد الجهني وعامر الشَّعبي، فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان، وكان معبدٌ يعلم سعيداً ، ومنهم أبو سعيد المؤدب، وهو غير أبي سعيد المعلم، وكان يحدِّث عن هشام بن عروة وغيرهم، ومنهم: عبد الصمد بن عبد الأعلى، وكان معلم ولد عُقبةَ بن أبي سفيان، وكان إسماعيلُبن علي ألزم بعضَ بنيه عبدَ اللَّه بن المقفع ليعلِّمه، وكان أبو بكر عبد اللَّه بن كيسان معلماً، ومنهم: محمد بن السكن، وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم، ولا أحسنَ بياناً، من أبي الوزير وأبي عدنان المعلِّمَ ين، وحالُها من أوَّ ل ما أذكر من أيام الصِّبا وقد قال الناس في أبي البَيداء، وفي أبي عبد اللَّه الكاتب، وفي الحجَّاج بن يوسف وأبيه ما قالوا، وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أنّ الحجّاج وأباه كانا معلمين بالطائف " (٢) .

ولعل ما يتصل ببحثنا هذا أن طائفة من هؤلاء المعلمين كان لهم فضل تعليم أولاد الخلفاء وتربيتهم ، ومنهم المفضل الضبي معلم المهدي ، والكسائي معلم الرشيد ، وابنيه الأمين والمأمون وقرطب مؤدب اللأمين وأبناء قائد الرشيد أبي دلف العجلي ، وعلى بن المبارك الأحمر مؤدب الأمين والفراء مؤدب أبناء قائد الرشيد هرثمة . وسيتبين لنا في الفصول القادمة من البحث ما بلغه أبناء الخلفاء ووزرائهم من العلم والمعرفة عندما نتطرق لمجالسهم وما كان يدور فيها من المحاورات والمساجلات وما كان يلقى فيها من الشعر ومشاركتهم في كل ذلك بفضل هؤلاء المؤدبين والمعلمين .

لقد كان من أثر انشار التعليم وامتزاج الثقافات بين العامة والخاصة أن تنوعت مصادر المعرفة لدى البعض فإصبحوا ينهلون من كل نبع ثقافي وكانت لهم حلقات خاصة في المساجد

١- البيان والتبيين - (ج ١ / ص ١٧٤)

٢- المرجع السابق - (ج ١ / ص ٧٥)

يديرون فيها محاوراتهم ومجادلاتهم التي تتناول كل ما يمس العلوم والثقافة من موضوعات ، ولأن حلقاتهم كانت تعقد في المساجد فقد سموا بالمسجديين ، ولهؤلاء المسجديين شهرة وقبول لدى علية القوم من الخلفاء والوزراء والولاة إذ كانوا حلية مجالسهم بما كانوا يضفونه على تلك المجالس من الطرائف والأحاديث الطلية من الأخبار والمعارف ، والواقع أن المعرفة قد تحولت في المجتمع العباسي إلي نوع من المعرفة الشاملة التي تأخذ من كل فن بطرف ، ويظهر ذلك جليا في التحول عند الأدباء والكتاب إلي التأليف الموسوعي الأمر الذي جعل من كتبهم دوائر معارف واسعة ([1])

تبع النهضة العلمية في المجتمع العباسي نشاط العلماء والمفكرين في التأليف والكتابة وكان من أهم أدوات انتشار العلم استخدام الورق في الكتابة ويجع الفضل في إنشاء أول مصنع للورق في بغداد إلي الوزيرالفضل بن يحيى البرمكي وكان ذلك في عهد الرشيد . وقد اتسعت صنعة الوراقة بتنافس الناس على اقتناء الكتب وخاصة الأغنياء منهم ، وقد برع الكثير منهم في إجادة الخط وجماله ، غير أنهم لم يسلموا من النقد بسبب عدم أمانة البعض منهم في النقل والنسخ يقول([2])عبيد الله بن سليمان: إنّ الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء من تصنيف الورّاقين وأكاذيبهم . وقد أشتهر بعض وجهاء الدولة باقتناء الكتب فجمعوا منها الكثير من أمثال يحيى بن خالد البرمكي وكذلك كان للعلماء والمفكرين مكتباتهم التي تضم الأعداد الهائلة من الكتب من مثل الواقدي ، أما من لم يكن بمقدوره شراء الكتب فقد كان يتحايل على القراءة والاضطلاع بشتى الطرق كما كان يفعل الجاحظ إذ كان يكتري دكاكين الوراقين يبات فيها ليتمكن من قراءة ما فيها من الكتب .

أما الدولة فقد عنيت عناية كبيرة بالكتب وكتابتها والترجمة فأقامت دار الحكمة . كانت العناية الكبرى في دار الحكمة لترجمة الكتب التي تحمل الثقافة الأجنبية ، وقد شكل وجود هذه المكتبة منعطفا مهما في مسيرة الثقافة والتعليم في المجتمع البغدادي ، فقد كانت منهلا عذبا لطالبي العلم والمعلرفة . لقد ساهمت الترجمة بنصيب وافر في إثراء الحياة الثقافية ، ولم تبدأ الترجمة في العصر العباسي ولكنها وجدت فيه رواجا واتساعا فاق ما كان لها في العصر الأموي فقد نقلت كثير من معارف اليونان والسريان إلى العربية ، وكان أكثر ما ترجم إليها من الفارسية ، وقد زاد خطر الترجمة وقوى حتى ألفت في فنها المقالات يقول الجاحظ " ولا بدَّ للتَّرجُمانَ من أن يكون بيانُهفي نفس الترجمة، في وزْن علمه في نفسِ المعرفة، وينبغي أن يكون أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها، حتَّى يكون فيهمِا سواءً وغاية، ومتى وجدناه أيضاً قد تكلّم بلسانين، علمنا أنَّه قد أدخلَ الضيمَ عليهما، لأنَّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذُ منها، وتعترضُ عليها، وكيف يكونُ تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكُّنِه إذا انفرد بالواحدة، وإنَّما له قوَّةٌ واحدة، فَإنْ تكلّمَ بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوَّةُ عليهما، وكذلك إنْ تكلَّم بأكثرَ مِنْ لغتين، وعلى حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات، وكلَّما كانَ البابُمن العلم أعسرَ وأضيق، والعلماءُ به

١- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ١٠٠.

٢- كتاب الصناعتين - (ج ١ / ص ٧) لأبي هلال العسكري .

أقلَّ، كان أشدَّ على المترجِم، وأجدرَ أن يخطئ فيه، ولن تجد البتَّةَ مترجماً يفِي بواحدٍ من هؤلاء العلماء. " ([1])

وقد نقلت الكثير من الكتب في هذا العصر وذلك بتشجيع من الخلفاء فقد نقل كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند للخليفة المنصور كما ترجمت له كتب ارسطو في المنطق وكتاب المجسطي لبطليموس وغيرها ، وفي ذلك كما جاء في كتاب مروج الذهب في وصف المنصور" كان أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، منها: كتاب كليلة ودمنة وكتاب السندهند، وترجمت له كُتُبُأرسطاطاليس، من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس، وكتاب الأرتماطيقي، وكتاب إقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية، والرومية، والفهلوية، والفارسية، والسريانية، وأُخرجت إلى الناس، فنظروا فيها، وتعلقوا إلى علمها، وفي أيامه وضع محمد بن إسحاق كتاب المغازي، والسير: وأخبار المبتدأ ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مُصَنَّفة، وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه في أعماله وصرفهم في مهماته، وقَدَّمهم على العرب، فامتثل ذلك الخلفاء من بعده من ولده، فسقطت وبادت العرب، وزال بأسها، وذهبت مراتبها، وأفضَتِ الخلافة إليه، وقد نظر في العلم، وقرأ المذاهب، وارتاض في الآرأء، ووقف على النِّحَل، وكتب الحديث، فكثرت في أيامه روايات الناس، واتسعت عليهم علومهم.([2])

إذا كان الذي ذكر من فضل الخلفاء وعنايتهم بالترجمة فقد كان للوزراء والولاة وغيرهم من كبار رجال الدولة فضل كبير في ذلك أيضا ومن هؤلاء البرامكة الذين أعانوا وشجعوا كثيراحركة الترجمة والنقل لنفائس الكتب الرومية والفارسية واليونانية والهندية للعربية ، ولكن عنايتهم بالنقل من الفارسية كانت أعظم . ولعل من أوضح الدلالات على ما بلغه الخلفاء من الاهتمام بنقل علوم الأمم الأخري بعثة العلماء المسلمين في عهد الرشيد إلى بلاد الروم وكان من بين هؤلاء العلماء يوحنا بن ماسويه الطبيب ، ويبدو أن إنفاذ البعثات لبلاد الروم لم تكن قاصرة على الخلفاء فقط فقد ذكر صاحب الفهرست أن ممن عنى باخراج الكتب من بلد الروم ، محمد واحمد والحسن بنو شاكر المنجم ، الذين بذلوا الرغائب ، وانفذوا حنين بن اسحق وغيره إلى بلد الروم. فجاؤهم بطرائف الكتب ، وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقي والارثماطيقي والطب. و كان قسطا بن لوقا البعلبكي قد حمل معه شيئا فنقله ، ونقل له ([3]).

سرعان ما أتت حركة النقل والترجمة أكلها ، وبدأت تظهر أنواع جديدة من الغلوم لم يكن يعرفها المسلمون من قبل ، ونبغ علماء اختطوا بأحرف من نور علامات بارزة فى مختلف أنواع العلوم ففي مجال علم الفلك نجد يحيى بن منصور و العالم الكبير محمد بن موسى الخوارزمي وكانا من ضمن القائمين على أبحاث مرصد المأمون ، أما في مجال الطب فقد ذكرنا منهم يوحنا بن ماسويه ، وفي علم الكيمياء جابر بن حيان .

١- الحيوان - (ج ١ / ص ٢٤)

٢- مروج الذهب – المسعودي - (ج ٢ / ص ١٧٢) .

٣- يوحنا بن ماسويه وهو أبو زكريا يحيى بن ماسويه.كان فاضلا طبيبا مقدما عند الملوك، عالما مصنفا، خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، قرأت بخط الحكيمي قال: عبث ابن حمدون النديم بابن ماسويه بحضرة المتوكل. الفهرست - (ج ١ / ص ٣٠٤/ وص ٣٥٤)

ولم يقتصر الإبداع على العلوم فقط وإنما شمل أيضا علوم اللغة والتاريخ ، ففي جانب اللغة عني العلماء بتنقية اللسان العربي من اللحن وبضبط اللغة لذا كانوا صارمين في مقاييسهم ، واهتموا بأخذ اللغة ممن اعتبروهم أفصح العرب ، وبذلك أهملوا كثيرا من لهجات العرب . ولا شك في أن هذا التشدد قد أضاع الكثير علي اللغويين الذين أتوا بعدهم لاندثار معظم هذه اللهجات ولكنه حفظ للعربية نقاءها وصفاءها ، أفرز لنا هذا العصر الكثير من علماء اللغة ممن عنوا بجمعها وضبطها وكان من بين هؤلاء أبو عمر بن العلاء وخلف الأحمر والأصمعي وكتابه المشهور الأصمعيات ، وأبو زيد الأنصاري وكتابه في الشاذ من اللغة " النوادر " ، ومحمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب " طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين " وكل هؤلاء كانوا من البصرة وهم أعمدة مدرستها اللغوية . أما في الكوفة – وإن لم تكن كالبصرة - فقد نبغت فيها طائفة أخري من العلماء من أمثال حماد الراوية ، والمفضل الضبي صاحب المفضليات و أبي عمرو الشيباني الذي كان يجمع اللغة من فصحاء البادية وابن الأعرابي وأبي عبيد القاسم بن سلام الذي كتب في غريب الحديث .

وبجانب من ذكرنا من اللغة نجد طائفة أخرى من علماء النحو في المدينتين - البصرة والكوفة – من أمثال عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي الذي يقال فيه إن مصنفه " الجامع " أصل مؤلف سيبويه "الكتاب" ، أما الخليل بن أحمد فهو الأب الحقيقي لعلم النحو التي نقل عنها سيبويه . لم يكن نشاط الكوفيين في النحو كما كان عليه الحال في البصرة ، ولكننا مع ذلك نجد منهم العلماء من أمثال الرواسي و معاذ بن مسلم الهراء ، وأوسع شهرة منهما الفراء تلميذ الكسائي يقول : أبو المحاسن التنوخي : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء أوسع الكوفيين علماً. له كتب في العربية كثيرة جداً، وفي القرآن كتابه مشهور، وكتبه في العربية يقال لها الحدود " حدُّ كان " كتابٌ، " حدُّ الاستثناء " كتابٌ، وكذلك كان يصنع في أبواب العربية. وله كتاب " المقصور والممدود " . وكان ابتدأ بإملاء كتابه في " القرآن " ، سنة ثلاث ومائتين، وكان يُملي منه في يومين كل أسبوع ، وفرغ منه سنة خمس ومائتين وتُوفي في طريق مكة سنة سبع ومائتين.أما أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي أحد القراء السبعة. أخذ علم النحو عن الرؤاسي. ويقال: إنه كان مولى لبني أسدٍ. تُوفي هو ومحمد بن حسن الشيباني في الريِّ سنة تسع وثمانين ومائة، فقال الرشيد: دفنا العلم في الريِّ وله " تصنيف في القرآن " ، وغيره. وكان يرى الإمالة. و معاذ الهرَّاء قيل له ذلك لأنه كان يبيع الثياب الهروية. وعنه أخذ الكسائي. وأبو جعفر الرؤاسيّ وعنه أخذ جميع الكوفيين علم النحو، وكان أخذه عن عيسى بن عمر(١).

كان مما اهتم به العلماء أيضا الكتابة في التاريخ وخاصة في السرة النبوية ، وكان من الذين برعوا في ذلك محمد بن إسحق وما وصل من كتابه تهذيبه الذي قام به عبد الملك بن هشام . و من المؤرخين الأفذاذ في هذا العصر محمد بن عمر الواقدي وفي الفهرست: " قال محمد بن اسحق قرأت بخط عتيق قال: خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتبا كل قمطر منها حمل رجلين وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار وقبل ذلك بيع له كتب بالفي دينار قال

١- تاريخ العلماء النحويين - أبو المحاسن التنوخي (ج ١ / ص ١٧)

الذهبي: مات الواقدي وهو على القضاء سنة سبع ومائتين في ذي الحجة"[1] . و قد اهتم عدد من المؤرخين بتاريخ العرب وما يتصل بهم من أشعار وأنساب كهشام بن محمد الكلبي وكتابه الأصنام ، كما نجد علما آخر من أعلام المؤرخين في هذا العصر وهو المدائني [2] . وحري بنا أن نذكر أن عناية المؤرخيين في هذا العصر لم تقتصر على تاريخ العرب والسيرة النبوية ولكنهم اهتموا أيضا بسيرة وتاريخ الأمم الأخري كالفرس فقد ترجم بعض الكتاب بعض الكتب المؤلفة في سيرتهم كما فعل ابن المقفع في ترجماته [3] .

كما كانت عناية العلماء والمفكريين بعلوم الطب والفلك والكيمياء وعلوم اللغة والتاريخ كذلك عنوا بعلوم الحديث الذي بدأ تدوينه رسميا منذ خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقد أصبحث علوم الحيث في هذا العصر من أمهات العلوم ، وقد كان ذلك على يد كثير من العلماء من أمثال سفيان الثوري والأوزاعي ومالك بن أنس ووسفيان بن عيينة . ومن الكتب المشهورة في هذا المجال كتاب مالك " الموطأ " ، وقد أستحدثت علوم أخري جيدة في علم الحديث وخاصة في تصنيفه من مثل تصانيف المتحدثين المعروفة باالمساند ، ولعل أشهرها على الإطلاق مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وقد أتبع آخرون طرقا أخي كما في تصنيف الإمام البخاري في النصف الثاني من العصر العباسي . ومن علوم الحيث الأخري في هذا العصر علم التعديل والتجريح . ويأتي على رأس رواد هذا العلم أبو عبيد القاسم بن سلام [4].

و لم تكن عنايتهم مقتصرة على الحديث فقط وإنما كانت لهم عناية كبيرة بتفسير القرآن ، ومن أهم المفسرين في هذا العصر ابن عيينة وابن شيبة وابن أسلم ، والذين لم تصلنا من تفاسيرهم إلا ما احتفظ بها الإمام الطبري في تفسيره[5] . ومن علوم القرآن في هذا العصر علم الوقف والابتداء وعلم غريب القرآن وعلم الناسخ والمنسوخ ، وقد ألف في هذه العلوم طائفة من العلماء من أهمهم الفراء وابن سلام الجمحي و أحمد بن حنبل ويحيى بن أكتم . كما ازدهرت في هذا العصر علوم أخري كالفقه مثلا فقد فتح الإسلام الباب واسعا أمام العلماء للاجتهاد ووجد

١- معجم المطبوعات – اليان سركس (ج ٢ / ص ١٩٠٧)

٢- المدائني (١٣٥ - ٢٢٥ هـ = ٧٥٢ - ٨٤٠ م) علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني: رواية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة. الأعلام للزركلي - (ج ٤ / ص ٣٢٣)

٣- ابن المقفع، (١٠٦ - ١٤٢ ه = ٧٢٤ - ٧٥٩ م) عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب، وأول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له " كتب أرسطوطاليس " الثلاثة، في المنطق، وكتاب " المدخل إلى علم المنطق " المعروف بايساغوجي. وترجم عن الفارسية كتاب " كليلة ودمنة - ط " وهو أشهر كتبه.وأنشأ رسائل غاية في الابداع، منها " الادب الصغير - ط " ورسالة " الصحابة - ط " و " اليتيمة " واتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي.. الأعلام للزركلي - (ج ٤ / ص ١٤٠)

٤- أبو عبيدالقاسم بن سلامالبغدادي: مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة وهو ابن سبع وستين سنة. قال إبراهيم الحربي: كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء. وولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة ومات بمكة. طبقات الفقهاء - (ج ١ / ص ٩٢)

٥- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وفيات الأعيان - (ج ٤ / ص ١٩١)

العقل الإسلامي الحرية الكاملة في هذا العصر وكان ثمرة ذلك ازدهار الفقه ازدهارا عظيما ، اتبع فيه العلماء طرقا شتى ومذاهب مختلفة ، وقد تمخضت مجهوداتهم لتنتج المذاهب الأربعة الشهيرة في الفقه والتشريع ، وذهب الأمام مالك في المدينة ومذهب الإمام أبوحنيفة النعمان في العراق ومذهب الإمام ومذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام أحمد بن حنبل. ولا شك في أن هؤلاء الأئمة الأربعة قد تبعهم حشد كبير من التلاميذ الذين نبغ البعض منهم في تدوين وتوسيع هذه المذاهب ، والإضافة إليها مما أثري الحياة الفكرية الدينية ثراء كبيرا خلدته كتبهم ومصنفاتهم التي وصلت إلينا . وقد كان من آثار هذا الانفتاح العقلي والحرية الدينية أن نشأت فرق وجماعات دينية مختلفة كالمعتزلة وأصولهم الفكرية الخمسة المعروفة ، ويعتبر واصل بن عطاء مؤسس هذا المذهب ثم انتشر على يد تلاميذه من بعده ، وقد انقسمت طائفة المعتزلة فيما بعد إلي مذاهب مختلفة كما هو معلوم ، وقد أثرت طائفة المعتزلة تأثيرا بليغا في الحياة العباسية للعامة والخاصة وقد شمل هذا التأثير حتى الخلفاء و الشعراء فقلما نجد شاعرا من أعلام العص لم يتأثر بهم كبشار وغيره ، وقد كان منهم علماء مقدرون من أمثال أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف (١) .

لقد كان من أثر تطور الغلوم علي النحو الذي ذكرنا ، وبصفة خاصة علوم اللغة ، أن جمت اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي ، ووضع اللغويون مقاييس دقيقة للغة وللشعر أيضا ، ولم يكن أمام الشعراء إلا الإمتثال لها ، ولم يكن ذلك شيئا صعبا بعدما يسر اللغويون لهم السبيل ووضحوا لهم الطريق ، لذا فقد فصح شعر الحضر فصاحة شعر البادية . وقد كان حرص الشعراء على اتباع فصيح اللغة أمرا مفروغا منه وإلا تعرضوا لنقد اللغويين ، لذلك كان الكثير منهم يعرضون أشعارهم عليهم ، حرصا على التجويد ، وخوفا من الزلل .

لعلنا لا نعدو الحقيقة حين نقول إن الحياة العلمية والعقلية في العصر العباسي ، كانت من أزهي العهود التي مرت على العقل الإسلامي ، ويبدو ذلك واضحا من كثرة العلماء والمفكرين في هذا العصر ، مع غذارة في التآلف ، التي غطت كافة العلوم المعروفة في عصرهم . ولم يكن كل ذلك ممكنا إلا بتشجيع الخلفاء العباسيين الذين عرفوا للعلم قدره وللعلماء مكانتهم ، فكان ذلك أكبر حافذ لانشار العلم والفكر في عصرهم . فما هي العموامل التي حدت بخلفاء بن العباس لتشيع العلم والعلماء وكيف أثرت مواقفهم منهم في ازدهار العلوم عامة والأدب خاصة ، وكيف كانت حركة الأدب والشعر وعلومهما في ظل هذه الثولرة العلمية الهائله ؟ هذا ما سنتطرق إليه في فصلنا القادم ، لنخلص إلي النفاذ إلي مجالس هؤلاء الخلفاء وما كان يدور فيها ، ومن ثم نعرض لملاحظاتهم وملاحظات ندمائهم ونقدهم لما كان يعرض بين أيديهم من الشعر .

١- أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف: شيخ المعتزلة، ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة، والمناظر عليها؛ أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء. ويقال : أخذ واصل بن عطاء عن أبي هاشم عبد الله بن محمد الحنفية، ويقال: أخذه عن الحسن بن أبي الحسن البصري . - الملل والنحل - (ج ١ / ص ٥)

الفصل الرابع

عوامل نهضة الشعر في العصر العباسي
وتشجيع الخلفاء للشعراء

رأينا في فصل سابق كيف نما الشعر وتطور في العصر الأموي ، وبحثنا في عوامل هذا التطور وما أدت إليه من تطور الذوق الخاص والعام في التعاطي مع الشعر، وذكرنا بصفة خاصة دور خلفاء بني أمية في هذا الخصوص وتوليتهم اهتماما خاصا بالشعر ساعدتهم على ذلك ما اتسموا به من ثقافة فائقة صقلوها بالعلم بما استقدموه من (مؤدبين) معلمين لأبنائهم ممن نبغوا في العلم ، وقد رأينا كيف مكنهم علمهم باللغة وبالشعر من تقريب الشعراء وتوظيفهم لهم في مساندتهم في توطيد ملكهم وفي نصرتهم على أعدائهم . كما رأينا كيف مكنتهم ثقافتهم العالية من اختيار المجيدين من الشعراء ومكافأتهم على مدحهم لهم ، بل ورأينا كيف كان لهؤلاء الخلفاء من ملاحظات نقدية دقيقة على ما يلقى عليهم من شعر وكيف كان لهذه الملاحظات من أثر على الشعر وكيف حرص الشعراء على اتباع هذه الملاحظات والتي كانت في معظمها دقيقة وصائبة .

وبانتقالنا إلي هذا العصر الذي خلف العصر الأموي ، نريد في هذا الفصل أن نري العوامل التي ارتفعت بالشعر وأدت إلي تطورة وبلوغه قمة الإبداع الفني والموضوعي خاصة وكما رأينا من خلال هذا البحث كيف تطورت العلوم في هذا العصر وكيف بلغت مداها في كافة النواحي الفكرية والدينية ، بحيث اعتبر الكثيرون أن العصر العباسي هو العصر الذهبي للدولة الإسلامية . فما هي العوامل التي أدت إلي هذا الرقي والتقدم في مجال الشعر ؟ وكيف كان حظ خلفاء بني العباس من الاهتمام بالعلوم وحمل أولادهم عليها ؟ وكيف كان موقفهم من الشعر والشعراء ؟ آملين في الدخول إلي مجالس هؤلاء الخلفاء لنرى مواقفهم فيما كان يعرض عليهم من الشعر ، وكيف كانوا يبدون ملاحظاتهم عليه لنستطيع تقييم هذه الملاحظات ونتعرف على أثرها على الشعر وحركة النقد في ذلك العصر .

عوامل نهضة الأدب والشعر في العصر العباسي :

أولا نهضة علوم ونضجها : لعل من أبرز هذه العوامل ما تحدثنا عنه سابقا من نهضة علمية ، شملت كافة العلوم المعروفة في ذلك العصر ، فبجانب العلوم التطبيقية كالطب والفلك والجغرافيا ، وغيرها من أنواع العلوم الحياتية ، نجد تطورا كبيرا وأساسيا في العلوم المرتبطة باللغة والأدب بشكل عام ، والمرتبطة بالشعر على وجه الخصوص ، وقد رأينا سابقا كيف تطورت علوم القرآن والحديث ، وكيف برز علماء صنفوا الكتب فيها ، وبرعوا في مجالاتهم بحيث أصبحت هذه الكتب موضوع الدراسة والتعلم إلي يومنا هذا . وذلك مما يدل علي جودة وعمق ما كان عليه هؤلاء العلماء من العلم . أما ما يهم حقا في هذا الجانب وكان له الأثر المباشر في تطور الأدب عموما والشعر خصوصا ، ما كان من تطور العلوم المرتبطة بهما ، فقد أدي تطور هذه لعلوم وخاصة علوم اللغة إلي ظهور طائفة من العلماء من نحويين وبلاغيين ألفوا الكتب ووضعوا المقاييس اللغوية والقواعد في العلوم المتصلة بها كالكتابة في الرسائل وغيرها ، وكانت لطائفة مقدرة من العلماء اهتمامات خاصة بالشعر ، فجمعوا أشعار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، وبضهم فضل الاختيار لأجودها من وجة نظره فجمع ما اختار في سفر واحد كالمفضليات والأصمعيات ، ومضى غيرهم يضعون المقاييس الشعرية كل حسب رؤيته ، إلا أن ما يهم هنا هذه المقاييس العامة التى استنبطها العلماء من الشعر القديم والتى أصبحت قاعدة يستحيل الخروج عنها بمثلما فعل الخليل في علم العروض ، فعلنا كما يقول الدكتور شوقي ضيف "لا نعدوا الحقيقة

حين نقول إن اللغويين هيئوا للشاعر العباسي من العلم بالشعر ما لم يتهيأ لغيره فقد جمعوه له وكشفوا له مادته من جميع أطرافها"[1]. لعل هذه الثقافة التي تهيأت للشعراء العباسيين هي التي مهدت لهم الطريق إلي التجديد في الأسلوب بما يعرف بشعر المولدين . وهو اسلوب ناتج عن معرفة الشعراء بالقديم من الشعر وأساليبه ، وامتزاجهم بالحياة الحضرية الغنية بالمعارف والعلوم المعاصرة لهم . يقول ابن طباطبا العلوي [2] وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، ولبسوها على من بعدهم، وتكثروا بأبداعها فسلمت لهم عند إدعائها، للطيف سحرهم فيها، وزخرفتهم لمعانيها.

ثانياً : شيوع الترجمة : من العوامل التي أثرت في مسيرة الشعر وساعدت في تطوه ما كان من شيوع الترجمة من اللغات الأخري للعربية ، وقد أسلفا القول في اهتمام الخاصة والعامة بأمر النقل من الثقافات الأخري ، وقد كان من قنوات هذا النقل المؤثرة الترجمة والتي كما رأينا كيف كانت عناية العباسيين بها ، وبخاصة الترجمة من الفارسية والرومانية، والتي انتشرت وعمت فكان لنقل كتب الفلسفة عن الرومان وكتب القصص والأدب من الفارسية الأثر الكبير في تنوع أفكار وموضوعات الشعراء ، من هؤلاء الشعراء أبو نواس وبشار وأبي العتاهية وغيرهم ، وقد رويت عنهم أشعار تدل على اضطلاعهم على الكتب المترجمة واستفادتهم منها . ولأبي العتاهية أشعار كثيرة تدور في الفكر الفلسفي وتنهل منه ومن ذلك على سبيل المثال قوله :

وللقَلْب على القَلْبِ ...لَيلٌ حين يَلْ قُهُ

وللنّاس مِنَ النّاس ... مَقاييس وأشباه [3]

يقول صاحب العقد الفريد في ذلك أن ما تمثل به أبو العتاهية كان من قبيل قولهم "إني صادفت منك جوهرَ نفسي، فأنا غيرُمحمود على الانقياد لك بغير زمام، لأنّ النفس يقود بعضُها بعضاً [4].

و من طريف ما يروى في هذا المقام بيت أبي نواس الحسن بن هانئ :

دع عنكَ لَومي فإنّ اللومَ إغراء ... وداوني بالَّتي كانت هي الدواء

وقد فطن لهذا أهل ذاك العصر، قال صاحب العقد الفريد فقال الفضل له " يعني الخليفة هرون الرشيد ": فأخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أوله أكثمُ بن صَيفيّ في إصابة الرأي، وآخره ُقِراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء؟ قال له هارون: ما هو؟ قال: هو بيتُ الحسن بن هانئ حيث يقول: ثم ذكر البيت السابق . قال: صدقت"[5]. ومعني قول الفضل للرشيد أن بيت أبي نواس قد جمع في أوله حكمة أكتم بن صيفي ، وفي آخرة طب أبي قراط .

١- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ١٤٦.

٢- عيار الشعر - (ج ١ / ص ٣)- ابن طباطبا العلوي .

٣- الأغاني - (ج ١ / ص ٣٥٧)

٤- العقد الفريد - (ج ٢ / ص ٣٤٥) ابن عبد ربه الأندلسي .

٥- المرجع السابق ص : ٣٤٥ / الجزء الثاني .

ومن ذلك أيضا تشبيهات أبي نواس ، والتي فيها الكثير من التفلسف والتأمل في الطبيعة وظوهرها وهذا المعنى يقول أبو نواس، يمدح قوماً من قريش في أرجوزةٍ وصف فيها الحمام:

بِشْ رُهُ قبلَ النَّوالِ اللاَّحِقِ كالْبَرْقِ يبدوُ قبلَ رُودٍ دَافِقِ

والغيثُ يخْفَي وقْ هُ للرَّامقِ ما لم تَجِدْهُ بِدَليلِ البارقِ

يقول الصولي وهذا المعنى فإنما ابتداه أبو نواس (١). ومن مثل ما ذكرنا كثير يدل على مدى تنأثير العلوم التي شاعت بين الشعراء بفضل ما ترجم منها للعربية في الشعر وفي تطوره .

ثالثاً تشجيع الخلفاء للشعراء :

لقد كان من أبرز عوامل تطور الشعر ، ما درج عليه الخلفاء والأمراء من تقريب الشعراء وإعطائهم الأعطيات ، ولم يكن ذلك مما ابتدعه خلفاء بني العباس فقد رأينا كيف كان عطاء خلفاء بني أمية للشعراء ، وكيف كان الأمراء يتقربون للخلفاء ببعثهم للمجيدين من الشعراء ممن يلمسون فيهم النبوغ للخلفاء ، وقد رأينا كيف صار من أكبر طموح الشعراء الوصول لقصور الأمراء والخلفاء ليس طمعا في نوالهم فقط ، وإنما كان في ذلك ذيوع صيتهم وطيران شهرتهم ، ولم يشذ عن هذا النهج خلفاء بني العباس ، فقد كانوا يدركون كأسلافهم الأمويين خطورة الشعر، وأثر الشاعر في نفوس الناس ، فأصبح الشعر أحد أسلحتهم الماضية ضد أعدائهم ، وكانت وسيلتهم لكسب ألسنة الشعراء ، البذل لهم ، وتقريبهم إليهم وضمهم لمجالسهم ، وكانوا يأمرون مؤدبي أولادهم أن يعلموهم الشعر فقد جاء في الأخبار أن الرشيد أمر مؤدب ولده أن يرويهم شعره ذكر صاحب الأغاني : " أخبرن محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال: كان الرشيد معجبا " بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوما " وفي يده رقعتان على نسخة واحدة، فبعث بإحداهما إلى مؤدّبٍ لولده وقال: ليروّهم ما فيها، ودفع الأخرى إليّ وقال: غنّ في هذه الأبيات. ففتحتها فإذا فيها:

قل لمن ضنّ بودّه ... وكوى القلب بصدّه

ما ابتلى الله فؤادي ..... بك إلاّ شؤم جدّه

أيها السارق عقلي ..... لا تضنّنّ بردّه

ما أرى حـبّك إلاّ .... بالغاً بي فوق حدّ ه(٢)

وقد ذكر صاحب الأغاني غضب الرشيد وقد غني بشعره في بني أمية فقال: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن جدي عبد الله بن مصعب قال: اعترض هارون الرشيد قينة فغنت:

---

١ - أخبار أبي تمام - (ج ١ / ص ٤) للصولي .

٢- الأغاني - (ج ١ / ص ٣٧٧)

ما نقموا من بني أمية ..... إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد، وعلمتْ أنها قد غلطتْ وأنها إن مرت فيه قتلتْ، فغنتْ:

ما نقموا من بني أمية .....إلا أنهم يجهلون إن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما ..... تفســـد إلا عليهم العرب([1])

فالخليفة هرون الرشيد لم يتمالك نفسه من الغضب لمجرد شِعْر مغنية ، لأنه كان في بني أمية مع إن المغنية غنته على جهل منها ، فلما أصلحتْ ما أفسدت انفرجت أساريره وأمر لها بجائزة سنية . فهذا مثال بسيط على ما كان يشعر به الحاكم من أثر الشعر على الناس وخطره في تحريك المشاعر لذلك كان حرصهم على تقريب الشعراء منهم ، وعدم البخل على من يمدحهم ويجيد في مدحهم ، وكان الشعراء يترقبون ذلك منهم ، ولا يستنكفون من التصريح بذلك فقد غضب المنصور لكثرة مدح أبي دلامة للسفاح فلما مات أبو العباس السفاح وولي المنصور، دخل علي أبي دلامة ، فقال له أبو جعفر: ألست القائل لأبي العباس:

وكنا بالخليـــفـــة قد عقدنا ... لواء الأمر فانتقض اللواء

فنحن رعيةٌ هلكت ضياعاً ... تسوق بنا إلى الفتن الرعاء

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبتَ والله ! أفلست القائلُ:

هلك الندى إذ بنتَ يابن محمدٍ ... فجعلته لك في التراب عديلا

ولقد سألت الناس بعدك كلهم ... فوجدت أكرم من سألت بخيلا

ولقد حلفت على يمينٍ برةً ... بالله ما أعطيت بعدك ســـولا

فقال أبو دلامة: إن أخاك صلى الله عليه غلبني على صبري، وسلبني عزيمتي، وعزني بإحسانه إلي وجزعي عليه، فقلت ما لم أتأمله، وإني أرغب في الثمن فاستفره السلعة حياً وميتاً. فإن أعطيتَ ما أعطى، أخذتَ ما أخذ. فأمر به فحبس ثلاثاً ثم خلى سبيله ودعاه إليه فوصله . فالشاهد هنا قول أبي دلامة " فإن أعطيت ما أعطى ، أخذت ما أخذ " إذن فقد كان العطاء من جانب الحاكم يقابله المدح من جانب الشاعر ، وقد يتحايل الشاعر أحيانا لينال هذا العطاء كما فعل أبو دلامة نفسه فقد لفق رؤيا للمنصورو دخل عليه فأنشده:

رأيتك في المنام كسوت جلدي ... ثياباً جمةً وقضيت ديني

فكان بنفســـجي الخز فيها ..... و ســاجٌ ناعمٌ فأتم زيني

فصدق بافدتك النفس رؤيا ... رأتها في المنام كذاك عيني([1])

١- المرجع السابق - (ج ٢ / ص ٧)

فأمر له المنصور بها وطلب منه ألا يعود لرؤيته في المنام . وقد كانت عطايا الخلفاء والقواد وكبار رجال الدولة مما شجع الشعراء على قول الشعر وكان لها أثرها الكبير ليس في نهضة الشعر فقط وإنما في رقيه وتقدمه [٢] ، فقد عمل الشعراء على تجويد أشعارهم قبل إلقائها على الممدوح تجنبا للنقد الذي ربما يمنعه من الظهور في هذه المجالس فيما بعد ، فالأمر مرهون بقبول الممدوح لشعره أولا وبقبول خواص الممدوح ومن يحضرون مجالسه وفيهم العلماء والشعراء الآخون الذين يترقبون ويتتبعون هفوات زملائهم للنيل منهم ، لشدة المنافسة بينهم . نقول هذا خاصة وأن الشعراء الذين كانوا يقفون على أبواب الخلفاء والقواد أكثر من أن يعدوا ، وكان كل واحد منهم يمني نفسه بالتقرب لهم والنيل من عطاياهم ، لذا فقد لمع منهم من كان مجيداً لصنعته حاذقا لها ، لذلك نجد أن من أهم فنون الشعر التي ازدهرت في كل العصور وفي العصر العباسي خاصة ، فن المديح ، يقول د.شوقي ضيف " إذا مضينا نتعقب من كانوا يمدحون خلفاء العباسيين لهذا العصر وجدناهم أكثر من أن يحصوا ويستقصوا " (٣) ، وهؤلاء الشعراء كان منهم من يمدحهم تعصبا لهم ، كالسيد الحميري ، الذي مدح أبا العباس السفاح المنصور ، والمهدي . أما أبو دلامة فهو الذي مدح معظم خلفاء بني العباس مع ما كان فيه من دعابة جعلته نديما لهم في مجالسهم ، ومنهم بشار الذي مدح المنصور والشاعر أبونخيلة الذي أغرى المنصور في أرجوزته المشهورة بخلع ولي عهده عيسى بن موسى وعقد العهدلابنه المهدي والتي يقول فيها :

ليس ولي عهدنا بالأسعد عيسي فزحلفها إلي محمد[٤]

ومن مداح بني العباس مروان بن حفصة ، وسلم الخاسر وأبوالعتاهية ، ومن الشعراء المغالين في المدح الحسين بن مطيرة وكان من مداح المهدي الذي مهد لقدوم الشعاراء إليه وفتح لهم أبوبه كما لم يفعل خليفة قبله . ومع ذلك فقد ذكر أنه لم يجتمع لخليفة من الشعراء بمثل ما اجتمع للرشيد يقول الجاحظ " وقد كان عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ أَحْظَى في الشعر من كثير من خلفائهم ، ولم يكنْ أَحَدٌ من أصحابنا، من خُلفائنا وأئمتنا - يقصد خلفاء بني العباس- أحظَى في

١- ذكرت بعض المصادر أن تلك القصة إنما وقعت لحمزة بن بيض الحنفي مع سليمان بن عبد الملك ، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج١/ ص ٤٠٨).

٢- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ٤٨.

٣- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ٢٩٢.

٤- أبونخيلة : اسمه وكنيته ونسبه: أبو نخيلة اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجنيد، ذكر الأصمعي ذلك وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه. وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير . ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثروكان طمعه ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل. فطلبه عيسى فهرب منه؛ وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده . الأغاني - (ج ٥ / ص ٣٢٣)

الشعر من الرَّشيد " ([1]). ومن الشعراء المادحين لهم في هذا العصرمطيع بن إياس وأبو الخطاب البهدلي ، وأبوالالشّيص ، أبو نواس الذي كان من أبرزهم ، وغير هؤلاء الشعراء الذين كما أسلفنا أكثر من أن يعدوا أو يحصوا .

وقد كان تشجيع الخلفاء للشعراء بطرق مختلفة فأحيانا نجد الخليفة نفسه يبدأ بإنشاء القصيدة ببيت أوبصدر من بيت ويطلب من الشعراء أن يجيزوه أي أن ينسجوا على منواله حفزا لهم ، ومن ذلك ما جاء في الأغاني الأغاني حين حج المنصور ، فلما رحل من الشقوق ، فجعلت الشمس تضحك بين عينيه، فقال: إني قائل بيتاً فمن أجازه وهبت له جبتي هذه؛ فقال من كان معه: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهاجرة نصبت لها جبيني ... يقطع ظهرها ظهر العظاية

فبدر بشار الأعمي فقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي ... على خدي وأقصر واعظاية

فنزع الجبة وهو راكب فدفعها إليه.

وفي أكثر الأحيان كان الخليفة يأمر الشعراء بقول الشعر، في حادثة معينة أو في موقف معين استفذه فيحب أن يسمعه شعرا ، وقد وردت في ذلك أخبار كثيرة ، نذكر منها ما جاء في الأغاني من خبر ورد عن هارون الرشيد أنه أجرى الخيل، فجاءه فرس يقال له المشمر سابقا " ، وكان الرشيد معجبا " بذلك الفرس، فأمر الشعراء، يقولوا فيه شعرا ؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال:

جاء المشـــمر والأفراس يقدمـها ... هونا " على رسـله وما انبهرا

وخلف الريح حسرى وهي جاهدة ... ومر يختطف الأبصار والنظرا

فأجزل صلته، وما جسر أحد بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئا " ([2]).

ويبقى القول أنه لولا تشجيع الخلفاء للشعراء وطمع هؤلاء في العطاء ما كان للشعر أن يزدهر بصفة عامة وعلى الخصوص شعر المديح ، لارتباطه بالخلفاء كما لا يخفى على أحد أن مجالس هؤلاء الخلفاء كانت هي المسرح الأهم لتوافد الشعراء وإلقائهم الشعر فيها . فما هو الدور الذي لعبته مجالس خلفاء بني العباس في تهيئة الجو المناسب والمشجع للشعراء ليتطور وينمو ، وكيف أثرت تلك المجالس في تطور النقد الأدبي حتى غدا في هذا العصر علما ألفت فيه الكتب وصنفت فيه التصانيف؟ هذا ما سنعرض له في فصلنا القادم من هذا البحث .

١- المرجع السابق الأول -ص٣٧٩ .

٢- الأغاني - (ج ١ / ص ٣٥٩)

الفصل الخامس
أثر مجالس خلفاء بني العباس
في تطور النقد الأدبي

رأينا في فصل سابق من هذا البحث كيف كانت مجالس بني أمية ، والدور الذي لعبته في تطور النقد الأدبي في مجال الشعر ، وكيف كانت اسهامات خلفاء بني أمية في ذلك بما كانوا يتمتعون به من العلم بالشعر ولوعيهم بأهميته لهم في تقوية دولتهم وتعزيز مكانتها لدي الناس ، وما كان يؤديه الشعر من الرد على أعدائهم واسماع صوتهم للناس . فكيف كان حال مجالس بني العباس في الدولة التي قامت على انقاض الدولة الأموية ، وما حظ خلفاء العباسيين من العلم ، وما مبلغ اهتمامهم بالشعر ؟ وكيف كانت تعليقاتهم على ما كان يلقى عليهم من أشعار ؟ ستكون هذه الأسئلة هي مدار بحثنا في هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

عندما نتحدث عن مجالس الخلفاء العباسيين فإننا لا نتحدث عن حكام حكموا دولة ذات مساحة شاسعة لعقود من الزمان ، ذلك أن هؤلاء الحكام كانت لهم حياتهم ، التي اهتموا فيها بجوانب أخرى غير الحكم ومشاغله ، ونعني بها الأخذ بنصيب من مؤثرات عصرهم ، مباهجه الحسية والعقلية ، وقد أوردنا في فصل سابق ما كان من أمر الغناء والذي ملأ جانبا من حياتهم الخاصة والذي اهتم به معظم إن لم يكن كل خلفاء بني العباس ، وقد كان الغناء بحق حلية مجالسهم ، وكان الشعر وهو عمود الغناء الوجه الآخر لهذه المجالس ، فالخلفاء بقدر ما اهتموا بالغناء كان اهتمامهم كبيرا بالشعر وبثقافة الشعر ، فهم مع ادراكهم المتعاظم لدور الشعر في مجتمعهم ، ولما يؤديه لهم من خدمة إعلامية كبيرة ، عملوا على تثقيف أنفسهم وتعليمها تعليما راقيا ، وكان حرصهم كبيرا على تعليم أبنائهم بإتخاذ المؤدبين لأولادهم وكان اختيارهم لهم دقيقا ، يتوخون فيه ما يأملون في المؤدب أن يقدمه لأولادهم ، ومن ذلك ما روى عن اختيار أبي عصيدة وابن قادم لتأديب ولد المتوكل فقد جاء اختيارهم في مجلس من مجالس المتوكل ولما رأى فيهما الخليفة من علم بذا به أقرانهما ([1]) في ذلك المجلس . ومما يدل على حرص الخلفاء على اختيار المؤدبين ما روي عن حماد عجرد - في الأغاني - وكان يطمع في أن يجعل هو مؤدبٌ لبعض ولد الخليفة المهدي، فلم يتم له ذلك، لتهتكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما صار قطرب مؤدبا دونه ، صار حماد عجرد كالملقى على الرضف ، فجعل يقول ويعرض بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعة فكتب فيها:

قل للإمام جزاك الله صـــالحة ... لا تجمع الدهر بين السخل والذيب

السخل غر وهم الذئب فرصته ... والذئب يعلم ما في السخل من طيب

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدب (....)، ثم قال : انفوه عن الدار، فأخرج عنها، وجيء بمؤدب غيره، ووكل به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبي، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريس العجلي بن أبي دلف فأقام معه بالكرج إلى أن مات([2]).

وقد أشتهر عدد من المؤدبين الكبار لأولاد الخلفاء وكبار رجال الدولة ، نذكر من بينهم ،

١- معجم الأدباء - (ج ١ / ص ١٣٥)

٢- الأغاني - (ج ٤ / ص ١١٥)

المفضل الضبي معلم المهدي والكسائي معلم الرشيد ومعلم ابنيه الأمين والمأمون ، واليزيدي يحيى بن المبارك مؤدب أبناء يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، والفراء مؤدب ومعلم أبناء المأمون ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، مؤدب أبناء هرثمة قائد الرشيد والمأمون من بعده ([1]). فهذه الطائفة من المؤدبين والمعلمين ومن بينهم علماء كان لهم دور مؤثر وكبير في تثقيف وتعليم أولاد الخلفاء الذين أصبحوا فيما بعد خلفاء وحكاما ، ولا شك في أن الخلفاء كانوا على درجة عالية من الثقافة والعلم تدلنا على ذلك أخبارهم وما روي عنهم من قصص فقد قيل: إن طريحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء؛ فقال له: لا حياك الله ولا بياك! أما اتقيت الله - ويلك! - حيث تقول للوليد بن يزيد:

لو قلت للسيل دع طريقك وال ... موج عليه كالهضب يعتلج
لساخ و ارتد أو لكان له ... في سائر الأرض عنك منعرج

فقال له طريح: قد علم الله عز وجل أني قلت ذاك ويدي ممدودة إليه عز وجل، وإياه تبارك وتعالى عنيت. فقال المنصور: يا ربيع، أما ترى هذا التخلص! فالخليفة المنصور كان مطلعا علي ما كان من مدح الشاعر للوليد بن يزيد ، بل وحافظا للشعر الذي مدح به ، لذلك لم يحسن لقاء الشاعر ، أما الشاعر فقد أحسن التخلص ، وأدرك الخليفة ذلك ، فكان تعليقه ليعلم الشاعر أن عذره وتعليله لم يكن هو الحقيقة ، لاحاطة الخليفة بجملة الأمر مما يدل على سعة ثقافته . وقد رويت أيضا أخبار تدل على ما كان عليه الخلفاء من علم بجيد الشعر وتمييزه وإكرام قائله فقد ذكر أن إبراهيم الموصلي مات سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الأحنف الشاعر وهشيمة الخمارة، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمون أن يصلي عليهم، فخرج فصفوا بين يديه ة فقال: من هذا الأول؟ قيل: إبراهيم، فقال: أخروه وقدموا العباس بن الأحنف، فقدم فصلى عليهم، فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال: يا سيدي، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر؟ قال: لقوله:

و سعى بها ناسٌ فقالوا إنها ... لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال: أتحفظها؟ قلت نعم، فقال: أنشدني باقيها. فأنشدته:

لما رأيت الليل سد طريقه ... عني وعذبني الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد
ناديت من طرد الرقاد بصده ... عما أعالج وهو خلوٌ هاجد
يا ذا الذي صدع الفؤاد بهجره ... أنت البلاء طريفه والتالد
ألقيت بين جفون عيني حرقةً ... فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة؟ فقلت: بلى والله يا سيدي ([2]). فنحن إذن بإزاء خليفة عليم بجيد الشعر حافظ له مقدر لمكانة قائله حتى في هذا الموقف فلم يجد خيرا من

١-- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة .ص ١٠٠.

٢- الأغاني - (ج ٢ / ص ٥٨)

الشعر ليجعله مقياسا يفاضل به بين الموتى .

وكثيرا ما كان الخليفة يسأل جلساءه عن مسألة شعرية ، وهو عالم بها ليمتحنهم بها ، فقد سأل المأمون ندماءه عن شعر يدل على أنه لملك فأنشده بعضهم قول امرىء القيس:

أمن أجل أعرابية حل أهلها ... جنوب الملا عيناك تبتدران

قال: وما في هذا مما يدل على ملكه! قد يجوز أن يقول هذا سوقةٌ من أهل الحضر، فكأنه يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية، ثم قال: الشعر الذي يدل على أن قائله ملكٌ قول الوليد:

اسقني من سلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديم كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لي المحض من ودهم ... ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال، يبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه([1]).

ومن ذلك ما حكى إسحاق الموصلي قال: كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء، وكان يضع الألحان العجيبة ويغني بها شعره، وشعر غيره([2]) . إذا كان هذا مما عرف عن الخليفة الواثق وما كان من حبه للغناء ، فإن من الخلفاء من كان يهتم بعلم الأنساب فقد ورد في معجم الأدباء أن المتوكل كانت تعجبه الأخبار والأنساب، ويروي صدراً منها، يمتح من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة ([3]).

يمكننا من خلال رصدنا لأخبار خلفاء بني العباس أن نخلص إلى أنهم كانوا على أقل تقدير من العالمين بفنون الشعر وبواطنه ، وأنهم كانوا على درجة عالية من الثقافة اللازمة لعصرهم ، وأنهم من المتابعين لحركة الشعر ويرون قديمه وحديثة بصفة عامة ، ولشعر المديح بصفة خاصة الاهتمام الأكبر، وقد ذكرنا قصة الخليفة المنصور مع الشاعر طريح ، وكيف أن الخليفة كان مطلعا على قصيدة الشاعر في الوليد بن يزيد ، ولم يملك الخليفة ألا أن يعاتبه عليها بالرغم من قدوم الشاعر عليه لمدحه .

لم تكن مهمة الشعراء يومئذ بالمهمة السهلة ، فالطريق إلى مجالس الخلفاء لم يكن ممهدا ولا مفروشا بالورود ، فأمام الشاعر امتحان صعب ومنافسة شديدة ، ذلك إذا تجاوزنا الصعوبات الأخرى التي المتمثلة في وصوله إلي ذلك المجلس بحرسه وحجابه . أما الامتحان فكان يتمثل في الممدوح نفسه ، أي الخليفة وفي جلسائه الذين العلماء بل ومن الشعراء الكبار أيضا الذين لم يكن يخلو مجلس كهذا منهم فالخليفة كما ذكرنا من العالمين ببواطن الصنعة في معظم الأحيان إن لم يكن في كل الأحيان ، فليس من السهل إرضاءه بأي كلام يقال . ومن حول الخليفة جاهزون و متحفزون لأقل هفوة تبدر من الشاعر جاء في الأغاني " وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أن مسعود بن عيسى العبدي، حدثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهر جمع من الشعراء، فعلم أنهم على بابه، فقال لخادم له أديب: أخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول

١- المرجع السابق - (ج ٢ / ص ٢٢٢)

٢- المستطرف في كل فن مستظرف - (ج ١ / ص ٣٩٢)

٣- معجم الأدباء - (ج ١ / ص ٢٩٨)

كما قال العتابي للرشيد:

مستنبط عزمات القلب من فكر ... ما بينهن وبين الله معمور

فليدخل، وليعلم أني إن وجدته مقصراً عن ذلك حرمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر" ([1]). ، أما المنافسة بين الشعراء فقد كانت على أشدها ، والكل يريد أن يبلغ ما تصبو إليه نفسه من مكانة معنوية ومادية . وقد كان حسد الشعراء بعضهم لبعض أمرا معروفا فقد قيل : لما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف ألا يطلقه أو يقول شعرا " ، إن أبا حبس قال:" أسمعت بأعجب من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يسمع منهم، ويقول هذا المخنث المفكك تلك الأشعار بالشفاعة!" ([2]) وقد كان أبو العتاهية من الشعراء المجيدين الذين يتمنى الشعراء الوصول إلى ما بلغه من مكانة لدى الخلفاء ، والولاة وكبار رجال الدولة ، فقد ذكر أنه لما مدح عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي وكان ممدوحا " ، أمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفي ! وأي شيء مقدار شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل وقال له: والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يبينه، ويتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشبب بخمسين بيتا " ، ثم يمدحنا ببعضها، وهذا كأن المعاني تجمع له، مدحني فقصر التشبيب، وقال:

إني أمنت من الزمان وريبه ... لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله ... لحذوا له حر الوجوه نعالا([3])

كان على الشاعر إذن أن يجتهد لتجويد عمله قبل عرضة في مجلس الخليفة ، وقد كان البعض منهم يعرض شعره على أهل الاختصاص في زمانه ، وكان هؤلاء إما من زملائه الشعراء أو من اللغويين الذين كما يقول الدكتور شوقي ضيف كانوا قد سيطروا على سوق الشعر و" أصبح اللغويون سدنة الشعر وحراسه فمن نوهوا به طار اسمه ، ومن لوحوا في وجهه خمد وغدا نسيا منسيا " ([4]) .

وكان الشعراء يتعرضون في تلك المجالس لأنواع مختلفة للنقد ، ولدوافع شتى ، ويمكننا أن نجملها في الدوافع الآتية :

أولا : مكانة الشعر عند الخلفاء :

لقد مر بنا في فصل سابق كيف أن الخلفاء اهتموا اهتماما بالغا بالشعر وكيف سخروا الشاعر لنصرة دولتهم وذلك باستمالة الشعراء بالمال والأعطيات التي يبالغ فيها أحيانا ، وبالترهيب والوعيد ، بل وبالعقاب الشديد الذي كان أهونه الحبس كما حدث لأبي العتاهية مع الخليفة هارون الرشيد عندما حبسه لامتناعه عن قول الشعر عندما تزهد ، وأشده القتل كما حدث

١- الأغاني الجزء الثالث – ص ٤٤٦

٢ - المرجع السابق – الجزء الأول – صفحة ٣٦٠

٣ المرجع السابق الجزء الأول – صفحة ٣٥٧.

٤ -- تاريخ الأب العربي د. شوقي ضيف – العصر العباسي ، دار المعارف، الطبعة السادسة عشرة ص .١٣٩.

لعلي بن جبلة بن عبد الله الأبناوي([1]) وقد ذكر صاحب الأغاني أن المأمون أمر بسل لسانه من قفاه لأبيات مدح بهما أبي الدلف والأبيات هي :

فإذا ولى أبو دلفٍ ... ولت الدنيا على أثره
كل من في الأرض من عربٍ ... بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منه مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتخرٍ([2])

إن كان ذلك ما حدث للشاعر علي بن جبلة على يد الخليفة المأمون ، فأننا نجد موقفا آخر للخليفة نفسه مع الشاعر العتابي يعكس مدى تكريم الخلفاء واحترامهم لمن والاهم من الشعراء ، ذكر صاحب الأغاني قال :"أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهروية، قال: قال جعفر بن المفضل، قال لي أبي: رأيت العتابي جالساً بين يدي المأمون وقد أسن، فلما أراد القيام قام المأمون فأخذ بيده، واعتمد الشيخ على المأمون، فما زال ينهضه رويداً رويداً حتى أقله فنهض، فعجبت من ذلك، وقلت لبعض الخدم: ما أسوأ أدب هذا الشيخ، فمن هو؟ قال: العتابي " ([3]).

لقد انعكس هذا الاهتمام ليس فقط كما رأينا بأن يحتوى الخلفاء الشعراء ويستميلونهم ، لرفعة شأنهم وشأن دولتهم ، وإنما اهتموا كذلك بنوع الشعر الذي كان يلقى عليهم ، وبالجودة والتنوع والجديد فيه ، ولم يتمكنوا من ذلك إلا بعد أن درسوا الشعر وتتبعوا حركته بل وعلموا جيده ، وحفظوا منه ما شاءوا ، وتمثلوا به . لذلك لم يكن عجبا أن يكون الخلفاء في مجالسهم - وقد أحاط بهم العلماء - من أكثر الحضور نقدا للشعر ، وتتبعاً لسقطات الشعراء ، وكانت سقطات الشعراء أمامهم في هذه المجالس يدفع ثمنها الشاعر غاليا ، وقد لا يقوم للواحد منهم ذكر بعدها ، لذلك نفهم تهيب الشعراء من هذه المجالس ، ونفهم اجتهادهم في إعداد أنفسهم لهذا اللقاء إعدادا جيدا ، فالمحظوظ منهم من تلقى قصائده القبول والرضا من الخليفة ، وقد يكون ذلك لواحد منهم فقط ولا يظفر البقية بشيء ، فيرجعون منكسري الخاطر يرجون لقاء آخر ربما لا يأتي أبدا ، جاء في الأخبار أن الشعراء اجتمعوا على باب الرشيد، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية:

يا من تبغي زمنا " صالحا " ... صلاح هارون صلاح الزمن
كل لسان هو في ملكه ... بالشكر في إحسانه مرتهن

فاهتز له الرشيد، وقال له: أحسنت والله! . ما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلة غيره ([4]) . غير أن هذا الإطراء لم يكن يمنع الخليفة من النقد فها هو ذا الخليفة المأمون وقد دخل

---

١ - علي بن جبلة بن عبد الله الأبناوي، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد، و بها نشأ، وولد بالحربية من الجانب الغربي، وكان ضريرا، فذكر عطاء الملط أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريرا، وزعم أنه عمي بعد أن نشأ.وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف العاني، مداح حسن التصرف. واستنفذ شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، وأبى غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحد في ذلك. فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسل لسانه من قفاه - الأغاني الجزء الخامس – الصفحة رقم ٢٠٦.

٢ - المرجع السابق الجزء الثاني – ص ٣٩٥.

٣ - المرجع السابق الجزء الثالث – ص ٤٤٨.

٤ - المرجع السابق الجزء الأول – ص ٣٥٨

عليه أبو العتاهية فانشده:

ما أحسن الدنيا و إقبالها ... إذا أطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها ... عرض للإدبار إقبالها ([1])

فقال له المأمون: ما أجود البيت الأول! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا " ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها، وإنما يوجب السماحة بها الأجر، والضن بها الوزر. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، أهل الفضل أولى بالفضل، وأهل النقص أولى بالنقص. فقال المأمون: ادفع إليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلما كان بعد أيام عاد فانشده:

كم غافل أودى به الموت ... لم يأخذ الأهبة للفوت

من لم تزل نعمته قبله ... زال عن النعمة بالموت

فاقل له: أحسنت! الآن طيبت المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم. فلم تكن صلة الخليفة له أول مرة لشعره فقد عابه الخليفة لأنه كما قال لم يصنع فيه شيئا ، ولم ينكر أبو العتاهية ذلك بل اعترف به فكانت الصلة لاعترافه لا لشعره . أما في لمرة الثانية فقد أثابه الخليفة على شعره لأنه أحسن المعنى .

وقد يتأتى للخليفة أن يمتحن الشاعر إذا عنّ له ذلك ، فقد كانوا يقدرون موهبة الشاعر وأن شعره يأتي على البديهة ، وليس تكلفا ولا تصنعا ، ومن ذلك ما قيل من أن الشاعر أبا الغول دخل على الخليفة هارون الرشيد فأنشده قصيدة في مدحه فلما فرغ قال له الخليفة : إن في أنفسنا من شعرك شيئاً، فلو كشفته بشيء تقوله على البديهة؟ فنظر الشاعر حوله فوجد ابني الخليفة الأمين والمأمون حوله عن اليمين وعن الشمال فأنشأ يقول على البديهة :

بنيت لعبد الله بعد محمد ... ذرا قبة الإسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما.....وأنت أمير المؤمنين عمودها

قال الرشيد: وأنت بارك الله فيك، أحسنت وأجدت. فقال: يا أمير المؤمنين امنحني بما شئت ليزول ما بقلبك من الريبة والشك في شعري. فقال: لا حاجة بنا إلى ذلك، أنت شاعر مقتدر، والذي قيل فيك باطل. ثم وصله بعشرة آلاف درهم وخلع عليه ([2]).

إذا تأملنا هذا الخبر ، نجد أن من دلالته التي لا تخفى عناية الخليفة بما يعرف اليوم بالموهبة الفطرية لدي الشاعر ، ولا توجد طريقة لقياسها إلا بوضع الشاعر أو الأديب في مثل موضع الشاعر أبي الغول و الذي سماه هو امتحانا وقد كان كذلك بالفعل ، ولكن الشاعر نجح فيه بشهادة الخليفة نفسه . وكثيرا ما كان الشعراء يجدون أنفسهم في مثل هذا الموقف الصعب فقد ينشد الخليفة بيتا من الشعر و يطلب من الشعراء إجازته ، أو ربما يطلب إليهم قول أبيات في وصف منظر أو حادثة معينة أو ينشئ الخليفة بيتا أو أبياتا من نظم شاعر آخر ويطلب منهم النظم على منوالها ، فقد تتعدد الطرق ولكن المقصود في النهاية واحد .

وتدل كثير من أخبار الشعراء على أنهم كانوا عالمين بما كان يلقى عليهم من شعر ، ولم

١- الأغاني - (ج ١ / ص ٣٦٢)

٢- طبقات الشعراء - (ج ١ / ص ٤٢)

يكونوا مجرد متلقين له ، كما لم يكن نقدهم للشعراء سالباً في كل حين ، فقد يستطيب الخليفة ما يلقى عليه فيوضح موضع إعجابه كما يبين موضع سخطه إن لم تعجبه القصيدة ، ومن ذلك ما قيل من أن الخليفة هرون الرشيد منقبض النفس فدخل عليه في مجلسه الأصمعي وإسحق الموصلي فأنشده إسحق:

فعالي فعال المكثرين تجملاً ... وما لي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ...ورأي أمير المؤمنين جميل

وهذان البيتان من قصيدة طويلة جاء في أولها :

قفي ودعينا يا مليح بنظرة ... فقد حان منا يا مليح رحيل
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها ... إليك و كلاً ليس منك قليل
عقيلية أما ملاث إزارها ... فوعث و أما خصرها فضئيل
أيا جنة الدنيا ويا غاية المنى ... ويا سؤل نفسي هل إليك سبيل
أراجعة نفسي إلي فأغتدي ... مع الركب لم يقتل عليك قتيل
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ..و لا كل يوم لي إليك رسول

فقال الرشيد: "لا تخف إن شاء الله؛ ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها؛ ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها " ([1]) . فالخليفة لم يكتفِ باستحسان الأبيات فقط وإنما بّين سبب ذلك الاستحسان ، أنها محكمة لا زيادة فيها من غير معنى . وهذا مما يستجاد من الشعر بمقاييس النقد .

لم يكن الخلفاء يقبلون كل ما كان يلقى عليهم من الشعر وإن كان في مدحهم ، فقد كانت عنايتهم بموضوع وجودة ما يلقى عليهم من الشعر أكثر من حرصهم على مجرد المدح رُوي أن أعرابيا من بني أسد عرض لهارون الرشيد في الحج وكان معه أبو يوسف القاضي ، فأنشده شعراً مدحه فيه وأفرط ؛ فقال له هارون: ألم أنهك عن مثل هذا في مدحك يا أخا بني أسد؟ إذا قلت فينا فقل كقول القائل في أب هذا يعني أبا يوسف:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم في الجاهلية أول
وما يستطيع الفاعلون فعالهم ... و إن أحسنوا في النائبات و أجملوا
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وأن أعطوا أطابوا وأجزلوا ([2])

ثانياً : دوافع دينية وأخلاقية :

من الدوافع الأخرى للنقد في مجالس الخلفاء الدوافع ذات الصبغة الدينية والأخلاقية فالمعروف أنه قد ظهرت في هذا العصر الكثير من مظاهر المجون والخلاعة ، وقد أوردنا طرفا من ذلك في بحثنا هذا ، وقد رأينا جماعة من شعراء هذا العصر قد تورطوا في أنواع من المجون

---

١ - الأغاني الجزء الثاني – صفحة ٨١

٢ - العقد الفريد – الجزء الأول – الصفحة رقم ٨٩

والخلاعة حتى عرفوا بها ، ومن هؤلاء أبو نواس الحسن بن هانئ وهو ممن اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة القيان، وله في الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة ، حكي أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال: يا أبا نواس، قد خلعت عذارك وأطلت الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كذلك يفعل الأدباء! فأطرق ثم قال:

فأول شربك طرح الرداء ... وآخر شربك طرح الإزار
وما هنأتك الملاهي بمثل ... إماتة مجد و إحياء عار
و ما جاد دهر بلذاته ... على من يضن بخلع العذار

فانصرف مسلم وقد أيأس من فلاحه وهو يقول: جواب حاضر، من كهل فاجر([1]) .

و جاء في الأغاني : " قال الجاحظ: كان والبة بن الحباب ومطيع بن إياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالي وحفص بن أبي وردة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد بن عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ وبشار المرعث وأبان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً وكلهم متهمٌ في دينه "([2]) . وقد شاع لهؤلاء شعر كثير في المجون والخلاعة بين العامة والخاصة ، وكانت جل أشعارهم في الخمر والتغزل بالمذكر ، وشاعت وتفشت عنهم القصص والحكايات مما كان يحدث في مجالسهم ، وقد كان من بين هؤلاء بل على رأسهم بشار بن برد و كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة فغرق، وكان المهدي قد نهى بشاراً عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول: ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله:

يابن موسى ماذا يقول الإمام ... في فتاة بالقلب منها أوام
بت من حبها أوقر بالكأس..... ويهفو على فؤادي الهيام([3])

فيمضي في الغزل ، لينعطف أخيرا لرثاء أصدقائه ، ولم يخف هذا التحايل على الخليفة فيأبى أن يأذن له في الدخول عليه إلا بعد أن يشترط عليه ترك الغزل ، يقول صاحب الأغاني في ذلك " خبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال: زعم أبو العالية أن بشاراً قدم على المهدي، فلما استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فأدخل على ذلك، فأنشده قوله :

يا منظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته
بعثت إلي تسومني برد الشباب و قد طويته
و الله رب محمد ما إن غدرت و لا نويته
أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته
إن الخليفة قد أبى و إذا أبى شيئاً أبيته

---

١ - نهاية الأرب في فنون الأدب (الجزء الأول – ص ٤٢١)

٢ - الأغاني الجزء الخامس صفحة ٢٠ .

٣ - المرجع السابق الجزء الأول – صفحة ٣١٧

ومخضب رخص البنان بكى علي وما بكيته
وشوقني بيت الحـبيب إذا ادكـرت وأيـن بيته
قام الخليفة دونه فصبرت عنه و ما قليته
ونهاني الملك الهمام عن النسيب وما عصيته
لا بل وفيت فلم أضع ... عهداً و لا رأياً رأيته
وأنا المطل على العدا... وإذا غلا علق شريته
أصفي الخليل إذا دنا ... و إذا نأى عني نأيته

ثم أنشده ما مدحه بـه بـلا تشبيب، فحرمـه ولـم يعطـه شيئاً؛ فقيل لـه: إنـه لـم يستحسن شـعرك؛ فقال: والله لقد مدحته بشعر لو مدح لـه الدهر لـم يخش صـرفه علـى أحد، ولكنـه كذَّبَ أملـي لأنـي كذَّبتُ في قولي ([1]).

لقد صدق بشار في ذلك فقد كان يحسب أن أبياته في الغزل ربما تمر على الخليفة ، دون أن ينتبه لها لأنه وبذكاء عبقري غلَّف غزله بالاعتذار للخليفة عنه ، إلا أن ذلك لم ينطل على الخليفة لذا حرمه الجائزة ، وفهم بشار ذلك ، و إن لم يفهم من قال لبشار أن الخليفة لم يستحسن شعرك . وفي هذا دليل على نقد خفي لموضوع القصيدة فبالرغم من جودتها إلا أنها لم تجد القبول من الخليفة ، لأنه لا يريد أن يتغزل بشار، فقد كان لبشار شعر مكشوف في الغزل ، وكان الخليفة ينتقد شعره بسبب هذه الاباحية .

لم يكن المجتمع العباسي مجتمعا محافظا بالمعني الحرفي للكلمة فكما رأينا في فصل سابق كيف كان المجتمع منفتحا على الثقافات والمجتمعات الأخرى ، وكيف أنه أخذ بنصيب وافر منها ، وكيف أثرت تلك الثقافات إيجابا على العلوم واللغة . إلا أنه من الملاحظ أن كل هذه التأثيرات كانت سلبية ، فقد انتشرت الزندقة والفرق الدينية المنحرفة وقد كان لبعض الشعراء نصيب منها ، وعرف بعضهم بالزندقة ، وباعتناق المذاهب المنحرفة ، ولعل الكثير منهم كان رقيق الدين أو متأثرا بالفلسفة كما ذكر صاحب العقد الفريد أن أبا يوسُف القاضي قال: "ثلاثة لا يَسلمون من ثلاثة: مَن طلب الدِّين بالفلسفة لمِ يَسلم من الزَّنْدَقَة، ومَن طلب " المالَ " بالكِيمياء لم يَسلم من الفَقْر، ومن طلب غرائبَ الحديث لم يَسلم من الكذب "([2]). وأرجع الجاحظ سبب اعتناق البعض للزندقة للتقليد الأعمى فقال : " إنَّ محض العمى التقليد في الزندقة؛ لأنَّها إذا رسخت في قلب امرئ تقليداً أطالت جرأته، واستغلق على أهل الجدل إفهامه "([3]). وقد كان البعض يعتنقها تظارفا ومنهم الحاركي واسمه محمد بن زياد يظهر الزندقة تظارفاً فقال فيه ابن مناذر:

يا بن زياد يا أبا جعفرٍ أظهرت ديناً غير ما تخفي
لسـت بزنديقٍ ولكنما أردت أن توســـم بالظرف([4])

---

١ - الأغاني – الجزء الأول – صفحة ٣١٩

٢ - العقد الفريد - (ج ١ / ص ١٥٧)

٣ - الرسائل - (ج ١ / ص ١٢٨)

٤ - الأغاني - (ج ٥ / ص ٤١)

ولا ندري أي ظرف كانوا يجدونه في الزندقة ، ولكن ربما كان ذلك مثلما ظهر في زماننا هذا من اعتناق بعض المتعلمين للشيوعية ومذهب الإلحاد ليقال عنهم "مثقفين " .
وقد فطن البعض لخطورة الاتهام بالزندقة فحاولوا نفيها عنهم بشتى الطرق ، يذكر صاحب الأغاني أن رجلا يقال له سعد بن القعقاع يتندم بشاراً في المجانة، فقال لبشار وهو ينادمه: ويحك يا أبا معاذ! قد نسبنا الناس إلى الزندقة، فهل لك أن تحج بنا حجة تنفي ذلك عنا؟ قال: نعم ما رأيت! ([1]) . فهذا الخبر يؤكد زندقتهم لأنهم لم يحجوا بل كانوا يريدون خداع الناس حتى تسقط عنهم تهمة الزندقة . وقد تصدى الخلفاء لأصحاب هذه المذاهب المنحرفة وخاصة الشعراء منهم ، وأصبحت تهمة الزندقة سلاحا استخدمه بعض الشعراء ضد خصومهم للنيل منهم صدقا أو كذبا .
هجا بشار حمادا الشاعر فقال :

يا بن نهيا رأس علي ثقيل ... واحتمال الرؤوس خطب جليل
ادع غيري إلى عبادة الاثنين فإني بواحد مشغول
يا بن نهيا برئت منك إلى الله جهارا ، و ذاك مني قليل

قال: فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان " فإني بواحد مشغول " : " فإني عن واحد مشغول " ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشار، فاضطرب منها وتغير وجزع وقال: أشاط ابن الزانية بدمي ، والله ما قلت إلا فإني بواحد مشغول فغيرها حتى شهرني في الناس بما يهلكني ([2]).
كانت تهمة الزندقة أو القدح في الدين منفرة للخلفاء وموجبة للعقاب ، ولم تكن منها منجاة إلا بالتوبة منها ، جلس الرشيد يوما في مجلس المظالم فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة، فلما رآه أمر بأخذ قصته، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة منها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده فيها قصيدته:

يا خير من وخدت بأرحله ... نجب الركاب بمهمه جلس

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخص به بعد ذلك وأكثر مدحه. ([3]) إن كان الرشيد قد عفا عن علي بن الخليل لتوبته فقد قتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله:

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

وقال: إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.([4]) فالخليفة هنا يحتج على الشاعر بشعره

---

١ - المرجع السابق (ج ١ / ص ٣٠١)

٢ - الأغاني - (ج ٤ / ص ١١٣)

٣- المرجع السابق الجزء الرابع – صفحة ٧٢ .

٤ - المرجع السابق ج ٤ – ص ٧٢

، وأخذ به دليلا لإدانته .

نخلص من ذلك إلى أنه وبالرغم من أن كثيرا من الحكايات تروى عن عدم التزام الخلفاء بموضوع الأخلاق إلا أننا نجد أنهم كانوا في جانب الأخلاق والدعوة لها في موضوع الشعر خاصة ، فنفهم مما تقدم أنهم كانوا مع الشعر الملتزم عموما ، سواء كان ذلك من الناحية الدينية أو الأخلاقية ، وأنهم كانوا يرفضون المساس بهما ، ولا يقبلون من الشعراء الخروج عليهما مهما كانت مكانة الشاعر وجودة شعره .

ثالثاً : تنافس الشعراء :

لقد كان التنافس بين الشعراء على أشده في هذا العصر ، وكان الشعراء يتنافسون في طلب النوال من الخلفاء وكبار رجال الدولة والتقرب إليهم ، وكانوا يصطفون على أبوابهم ، ويتحينون الفرصة للدخول عليهم ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، مع وجود الخاصة من الندماء والأصفياء ، كان لابد لهذا المناخ أن يفرز نوعا من التنافس وحتى الحسد بين الشعراء فقد ذكر أنه امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء مو لى عمرو بن حريث صاحب المهديّ، أمر له بسبعين ألف درهم، وأمر من حضره من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب؛ ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر، فقال بعضهم: يا عجباً للأمير، يعطى أبا العتاهية سبعين ألف درهم! فبلغ ذلك عمر فقال: عليّ بهم، فأدخلوا عليه، فقال: ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء! إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا فيشّبب في قصيدته بصديقته خمسين بيتاً ، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتانا أبو العتاهية فشّبب بيتين ثم قال:

إني أمنت من الزمان و ريبه ... لما علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من إجـلاله ... لحذوا له حرّ الوجـوه نعالا
ما كان هذا الجود حتى كنت يا ... عمراً ولو يوماً تزول لزالا
إنّ المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسباً ورمالا
فإذا أتين بنا أتين مخفّةً ... وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا([1])

وقد كثر نتيجة لهذا التنافس النقد بين الشعراء لبعضهم البعض ، كان ذلك كثيرا ما يحدث في مجالس الخلفاء والأمراء ، فينتقصون من زملائهم وينتقدونهم ، للحط من مكانتهم بين الكبار ، فقد جاء في الأغاني أن علي بن الجهم الشاعر قال دخلت على الخليفة المتوكل وهو جالس في صحن خلده وفي يده غصن آسٍ وهو يتمثل بهذا الشعر:

بالشط لي سكنٌ أفديه من سكن ... أهدى من الآس لي غصنين في غصن
فقلت إذ نظما إلفين والتبسا .....سقياً و رعياً لفألٍ فيكما حسن
فالآس لا شك أسٍ من تشوقنا .... شافٍ و آسٍ لنا يبقى على الزمن
أبشرتماني بأسبابٍ ستجمعنا ..... إن شاء ربي و مهما يقضه يكن

فلما فرغ من إنشادها قال لي- وكدت أنشق حسداً-: لمن هذا الشعر يا علي؟ فقلت: للحسين بن الضحاك يا سيدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهباً وأظرفهم نمطاً . فقلت

---

١ - أمالي القالي – الجزء الأول – صفحة ١١٦

وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رغم أنفك ومت حسداً. ([1])

فالشاعر علي بن الجهم لم يخف ما به من الحسد وهو يسمع الخليفة يترنم بقصيدة شاعر آخر هو الحسين بن الضحاك ، لذا فإن نقده له بأنه أشعر الناس في الغزل فقط لم يكن موضوعيا و إنما دافعه الحسد ، وقد فطن الخليفة لذلك وحكم للضحاك بأنه أشعر أهل زمانه ، ولم يكتف بهذا الحكم العام وإنما خصصه بأنه أملح الشعراء مذهبا وأظرفهم نمطا .

و قد كان نقد الشعراء في أكثره ناتجا عن التنافس والحسد ، ولم يكن ذلك خافيا عليهم ، فقد ذكر اسحق أنه نظم البيتين التاليين :

هل إلى نظرة إليك سبيل ... يرو الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندي ... و كثير ممن تحب القليل

قال: " فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعي ، فقال: هذا الديباج الخسرواني، هذا الوشي الإسكندراني، لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته ؛ فتبينت الحسد في وجهه، وقال: أفسدته! أفسدته! أما إن التوليد فيه لبين " ([2]) . والتوليد عندهم عيب من عيوب الشعر وهو بهذا يريد أن يقلل من مستوى الشعر الذي سمعه لما علم صاحبه ، بالرغم من مدحه له أولا بالديباج و الوشي .

ورد في الأغاني خبر تحت عنوان " كان له شعر غث يعير به " والمقصود هو بشار ذلك أنه اجتمع عدد من الشعراء ومن بينهم عياش بن أبي ربيعة وبشار فقام عياش وقال لبشار: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أحب الخاتم الأحمر من حب مواليه

فأعرض عنه وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صاح يا أبا معاذ من الذي يقول:

إن سلمى خلقت من قصب ... قصب السكر لاعظيم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلاً ... غلب المسك على ريح البصل

فغضب بشار وصاح: من الذي يقرأعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيرنا بها ؟ فتركه عياش ساعة ثم صاح به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أخشاب حقاً أن دارك تزعج ... وأن الذي بيني وبينك ينهج

فقال: ويحك ؟ عن مثل هذا فسل، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيد شعره، ومنها قوله :

فوا كيدا قد أنضج الشوق نصفها ... ونصف على نار الصبابة ينضج

و واحزنا منهن يخفقن هودجاً ... وفي الهودج المحفوف بدر متوج

فإن جئتها بين النساء فقل لها ... عليك سلام مات من يتزوج

بكيت و ما في الدمع منك خليفة ... و لكن أحزاني عليك توهج ([3])

من عنوان الخبر يتبين لنا أن الشعراء كانوا تنتقدون بعضهم البعض وكانوا يترصدون أشعار

---

١ الأغاني الجزء الثاني – صفحة ١١٦

٢ المرجع السابق الجزء الثاني – صفحة ٧٩

٣ الأغاني – الجزء الأول- الصفحة ٢٩٩

الآخرين ويحفظون غثها وسمينها ، متحينين الفرص للنيل من بعضهم البعض ، ولعل في الخبر ما يؤكد أن بشارا اعترف بأن له من الأشعار ما هو غث ، ولكنه اعتذر عنه بأنها أشعار قالها في الحداثة أي الصبا للعبث ولم يكن جادا فيها ، ويبدو أن عياشا قد اقتنع بذلك ، أو أنه كان يعابث بشارا ولم يكن جادا في نقده ، لأنه انشده بعدها قصيدة من جيد شعره .

أنشد مروان بن أبي جنوب المتوكل ذات يومٍ:

إني نزلت بساحة المتوكل ... ونزلت في أقصى ديار الموصل

فقال له بعض من حضر: فكيف الاتصال بين هؤلاء والمراسلة؟ فقال أبو العنبس الصيمري: كان له حمام هدى يبعث بها إليه من الموصل حتى يكاتبه على أجنحتها. فضحك المتوكل حتى استلقى، وخجل مروان وحلف بالطلاق لا يكلم أبا العنبس أبداً، فماتا متهاجرين ([1]).

كان نقد الحضور لمروان أنه باعد الشقة ، وقد سخر منه أبو العنبس مما أحفظ الشاعر عليه ، وكان ذلك النقد سببا في الخصام بينهما .

أساليب النقد في مجالس خلفاء بني العباس :

أولا : الإبداع والابتكار:

لم يكن الخلفاء وقد علمنا ما علمنا من علمهم بالشعر وصناعته ممن يقبلون بالمديح أيا كان موضوعه ، ففطنتهم ومعرفتهم بالشعر ولكثرة ما تكرر من موضوعات المديح ، برز عند الخلفاء ميل شديد لسماع نوع جديد من المدح ، لا يدور حول المعاني القديمة التي لاكها الشعراء حتى ملها السامعون وأولهم الخلفاء أنفسهم .

وقد كان للخلفاء كما رأينا باع طويل في معرفة الجيد من المعاني والمبتكر منها ، ويبدو ذلك واضحا في الروايات التي كانت تروى عنهم ومن ذلك ما سأل الرشيد عن أمدح بيت مدح به الخلفاء من عد بني أمية إلى عهده ، فذكر الحضور وكان من بينهم الشعراء والعلماء أبياتا لعدد من الشعراء ، فقال الرشيد : أمدح بيتٍ وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا ([2])

ربما لا يكون هذا البيت أمدح بيت في الخلفاء ، لكنه جمع في معناه ما يستحق إعجاب الرشيد من أن الشاعر مدح بني أمية بالمسالمة مع الحلم عند القدرة والتمكن من عدوهم . وهذه صفة الملوك والعظماء .

كان أشجع السلمي رديء المنظر قبيح الوجه، مصاباً بعين، وكان على قلب الرشيد ثقيلاً من بين الشعراء، فدخل عليه يوماً فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تأذن لي في إنشادك، فإني إن لم أظفر منك ببغيتي في هذا اليوم فلن أظفر بها. قال: وكيف؟ قال: لأني مدحتك بشعر لا أطمع من نفسي ولا من غيري في أجود منه، فإن أنا لم أهزك في هذا اليوم فقد حرمت منك ذلك إلى آخر الدهر. فقال: هات أذن نسمع، فأنشده قصيدته الميمية التي يقول فيها:

وعلى عَدُوِّك يا ابنَ عمِّ محمدٍ رَصَدَانِ: ضوءُ الصبح والإظلامُ

---

١ - المرجع السابق – الجزء الثالث – صفحة ٣٢٤

٢ - الأغاني – الجزء الثالث – صفحة ٢٠٠

فـإذا تنـبّه رُعتَ ـ هُو إذاهَـدَا سَـلـّت علـيه سيوفـَك الأحـلامُ (١)

فلما بلغ هذين البيتين اهتز الرشيد وارتاح وقال: هذا والله المدح الجيد والمعنى الصحيح، لا ما عللت به مسامعي هذا اليوم - وكان أنشده في ذلك اليوم جماعة من الشعراء .

فما الجديد المبتكر الذي أتي به الشاعر معل الخليفة يهتز ويرتاح ، للضيق الذي شعر به من ضعف الشعر الذي سمعه في ذلك اليوم ، وذلك بالرغم من نفوره من الشاعر ؟ لعل ذلك يكمن في جعل الشاعر أعداء الخليفة في خوف دائم منه ، فهم خائفون في صحوتهم وهذا طبيعي ، أما غير الطبيعي أنهم خائفين حتى في منامهم ، لما تنتابهم من الأحلام المفزعة ، ولعل العبارة الملفتة للنظر ، والأكثر شاعرية قوله " سَـلـّت علـيه سيوفـَك الأحـلامُ" فقد جعل الأحلام هي التي تسل سيوف الخليفة على أعدائه .

كثر الشعراء بباب المأمون ، فأوذن بهم ، فقال لعلي بن صالح صاحب المصلى: أعرضهم، فمن كان منهم مجيداً فأوصله إلي، ومن كان غير مجيد فاصرفه. وصادف ذلك شغلاً من علي بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مغضباً، وقال: والله لأعمنهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم فإن المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديس وتطهير

فتَّ الممادح إلا أن ألسـننا ... مستنطقات بما تحوي الضمائير (٢)

قالوا: لا والله ما بنا أحد يحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً .

وهذا الخبر من الوضوح بحيث نرى حرص الخلفاء على التنوع والإبداع في مدحهم وقد كان بعض الخلفاء لا يأذن للشعراء غير المعروفين للظهور في مجلسه ، لعدم قناعته بأنهم سيرضونه بما سيلقون عليه من الشعر .

لم يكن الخلفاء يومئذ يتسامحون في تعدي الشعراء على الثوابت ، ولا على المسامحة في شطط القول أو المبالغة فيه ، فقد كان هارون أمير المؤمنين يحتمل أن يمدح بما تمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده، لكنه لم يرض المساس بالمقدس أو بتجاوز حدود عندما دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتى قال فيه:

فكأنه بعد الرسول رسول

فغضب هارون ولم ينتفع به أحد يومئذٍ، وحرم ذلك الشاعر فلم يعطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمري قصيدة مدحه بها وهجا آل علي و ثلبهم ، فضجر هارون وقال له: يا ابن اللخناء، أتظن أنك تتقرب إلي بهجاء قوم أبوهم أبي، ونسبهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبه، وأمر مسروراً فوجأ في عنقه وأخرج . (٣)

---

١ - طبقات الشعراء – الجزء الأول – صفحة ٧٧

٢ -الأغاني الجزء الثالث – صفحة ٤٤٥.

٣ - المرجع السابق الجزء الثالث – صفحة ٤٥٧.

ثانيا استهلال القصيدة :

من النقد ما يرتبط بالموضوع من ناحية مهمة ، ترتبط بالاستهلال ، أو بداية القصيدة وقد عرفه صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب فقال " وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده " ([1]) إلى أن يقول " وينبغي أن لا يبتدئ بشيء يتطير منه، كقول ذي الرمة: " ما بال عينك منها الماء ينسكب وقول البحتري: " لك الويل من ليل تقاصر آخره " وهذا موضوع مهم خاصة إذا علمنا أن الشاعر كان يلقي قصيدته مباشرة أمام الخليفة وفي مجلس يضم العلماء والخاصة من جلساء الخليفة ، فأي خطأ أو سوء فهم في مطلع القصيدة ربما يقلب الموقف تماما على الشاعر ويؤدي إلى عكس ما كان يرجوه من التكريم والعطاء ، ومن هذه المواقف ما قيل من أن سلم الخاسر دخل على الرشيد، فأنشده:

حي الأحبة بالسلام .....

فقال الرشيد:

حياهم الله بالسلام

فقال:

..... على وداع أم مقام

فقال الرشيد: حياهم الله على أي ذلك كان، فأنشده:

لم يبق منك ومنهم ... غير الجلود على العظام ([2])

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطير منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء.

ومن سوء الاستهلال ما ذكر من أن المعتصم لما أتمّ بناء قصره أخبار دخل الناس عليه، فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم أن ينشده شعراً في صفته وصفة المجلس أوله:

يا دار غيرك البلى ومحاك ... يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم وعجب الناس من إسحاق كيف فعل هذا مع فهمه، فقاموا وخرب القصر وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان. ([3]) وقد علق على هذا الخبر المظفر بن الفضل في كتابه نضرة الاغريض في نصرة القريض فقال: " قلت هذا عجَبٌ من إسحاقَ، ولولا غفلةٌ أدركتْهُمن قِبَلِ اللهِ تعالى فرانَتْ على عقلِه حتى قال ما قاله، إمّا للعِظة أو التأديب، لكان له من المعرفةِ والفهمِ والتجربةِ بخدمةِ الخُلفاءِ، والانتقادِ على الشُعراء، ما يزَ عُهعن النُطْقِ بمثلِ هذا كلاّ بلرانَ على

---

١ - نهاية الأرب في فنون الأدب – الجزء الثاني – ص ٣٠٦

٢ - المرجع السابق – الجزء الخامس – صفحة ١٩٣

٣ - أخبار الحمقى والمغفلين – الجزء الأول – صفحة ١٨

قلوبِهم " ([1]).

ومن مثل ذلك ما وقع لأبي نواس أن جعفر بن يحيى البرمكي بنى داراً استفرغ فيها جهده، فلما كملت وانتقل إليها صنع فيها أبو نواس قصيدة امتدحه بها أولها:

أربع البلى إن الخشوع لباد .....عليك و إني لم أخنك ودادي

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم .... بني برمك من رائحين وغادي ([2])

فتطير منها بنو برمك ، وقالوا: نعيت لنا أنفسنا يا أبو نواس .

وقصيدة البحتري التي مرّذكرها ، جاء في مطلعها :

لك الويل من ليل تطاول آخره ... و وشك نوى حي تزم أباعره ([3])

وقد أنشدها البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب.

لم يكن الشاعر موفقا في استهلال هذه القصيدة ، لأن كلمة الويل لا يصح أن تقال في وجوه الخلفاء لأنها تعني الهلاك والموت ، وهذا مما لا يصح في هذا المقام .

ثالثا : عدم موافقة المعنى للموقف :

ومن النقد الذي كان يوجه للشاعر أن لا يتوافق المعنى مع الموقف الذي هو فيه ، بحيث لا يوفق الشاعر في المعنى دون قصد منه ، وقد لا يفطن إليه الشاعر ومن ذلك ما ذكر من أن شاعرا مدح زبيدة زوج هرون الرشيد فقال :

أ زبيدة ابنة جعفر ... طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكف من الرغاب

فبادر العبيد ليقعوا به، فقالت زبيدة: كفوا عنه فإنه لم يرد إلا خيراً، ومن أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب، سمع الناس يقولون: قفاك أحسن من وجه غيرك وشمالك أندى من يمين سواك. فقدر أن هذا مثل ذاك. أعطوه ما أمل وعرفوه ما جهل.

فزبيدة لم تكتف بحماية الشاعر بل بينت له ولغيره موضع الخطأ في قوله " تعطين من رجليك " ، فقد ظن الشاعر أن ذلك مثل القول السائر قفاك أحسن من وجه غيرك وشمالك أندى من يمين سواك. فقدر أن هذا مثل ذاك ، ولم يكن موفقا .

ومن طريف ما يروى في هذا المجال خبر الشاعر عبد الله ابن أبي السِّمط، ، قال عُمارة بن عَقيل بن بِلال بن جَرير : " إنّي بباب المأمون إذ خرج عبد الله ابن أبي السِّمط، فقال لي : علمتُ أنّ أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشِّعر. قلت له: وبِم علمتَ ذلك؟ قال: أسمعتُه الساعَة بيتاً لو شاطرني مُلكه عليه لكان قليلاً. فنظر إلي نَظراً شَزراً كاد يَصطلمني. قلت له : وما البيت؟ فأنشد:

أضحى إمامُ الهُدى المأمون مُشتغلاً ... بالدّ ين والناسُ بالدنيا مَ شاغيلُ

قلت له: والله لقد حَلم عليك إذ لم يؤدّبك عليه. ويلك! وإذا لم يشتغل هو بـ الدنيا فمن يدّبر أمرها؟ ألا

---

١ - نضرة الإغريض في نصرة القريض – الجزء الأول صفحة ٧٩

٢ - حياة الحيوان الكبرى - الجزء الأول – صفحة ٤٦٥

٣ - عيار الشعر – الجزء الأول – صفحة ٣٥

قلت كما قالَ جَدّي في عبد العزيز بن مروان:

فلا هو في الدُّنيا مُضِيع نصيبه ... ولا عَرَ ضُالدُّنيا عن الدّين شاغل ([1])

فقال: الآن علمتُ أنني أخطأت.

لم يدرك الشاعر أنه أخطأ في إصابة المعنى ، فقد كان يريد أن يمدح الخليفة بالتدين ونفي اشتغاله بالدنيا ، فأخطأ كما بين له صاحبه ذلك ، وهذا المدح ينفع لو كان الممدوح ليس هو الخليفة الذي من أوجب واجباته الدينية والدنيوية أن يشغل بالدنيا وهموما لا أن ينصرف عنها لغيرها .

ومما عِيب على الحسن بن هانئ قولُ ه في بعض بني العَبّاس:

كيف لا يدينك من أمل ... مَنْ رسولُالله من نَفره ([2])

فقالوا: إنّ حَ ق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُضاف إليه ولا يُضاف هو إلى غيره. ولو اتسع فأجازه لكان له مجاز حسن. وذلك أن يقول القائل من بني هاشم لغيره من أفناء قُريش: منّا رسول الله صلى الله عليه وسلم. يريد أنه من القبيلة التي نحن منها .

قال: قال الأصمعي: أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهيت إلى قوله:

أشم طوال الساعدين شمردلٌ ... إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

فقال الرشيد: ويله ولم يروّحه للمجد ؟ ألا قال:

إذا راح للمعروف أصبح غاديا

فقلت: وأنت، والله، يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب الفطنة، قال لأبي نواس: لم وثب بك أهل مصر؟ قال لقولي:

فإن يكُ باقي إفك فرعونَ فيكمُ ... فإن عصا موسى بكفٍّ خصيبِ

قال: فوثبوا بي وأرادوا قتلي، وقالوا: جعلت معجزة موسى لخصيب؟ فقال له الرشيد: ألا قلت:

فإن كان باقي إفك فرعونَ فيكمُ ... فباقي عصا موسى بكفٍّ خصيبِ

فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين إنك لأشعر مني، وإني لم أفطن لذلك .

النقد اللغوي :

و نقصد به النقد الذي يهتم باللغة خاصة ، وذلك مما من الشعراء في استخدام الكلمة خطأ أو في غير معناها أو مبناها ، أو ما يتصل ببناء الجمل والتراكيب ، والبعد عن غريب اللغة ووحشيها فقد ذكر أن الرشيد **سمع** أولاده يتعاطون الغريب في محاورتهم، فقال:" لا تحملوا ألسنكم على الوحشي من الكلام، ولا تعودوها الغريب المستشنع، ولا السفساف المتصنع، واعتمدوا سهولة الكلام ما ارتفع عن طبقات العامة، وانخفض عن درجة المتشدقين " ، وتمثل ببيت الخطفي جد جرير:

إذا نلت إنسي المقالة فليكن ... به ظهر وحشي الكلام محرما ([1])

---

١ - العقد الفريد – الجزء الثاني – ص ٣٤٠

٢ - المرجع السابق الجزء الثاني – ص ٣٤٠

فقد نجد ذلك كثيرا عند كثير من الشعراء وخاصة في هذا ولكن هذا النوع من الخطأ كان له من يبرره من النقاد ، وقد شغل النقاد كثيرا بقول العماني الراجز في صفة الفرس في أول قصيدة يمدح بها الرشيد:

كأنَّ أذنيه إذا تشوّفا ... قادمةً أو قلماً محرّفا

فقال له الرشيد: دع كأن وقل: تخال حتى يستوي شعرك، وكان قد لحن العماني ولم يعرف ولم يفطن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك ، فتعجبوا من علمه وفطنته.

يقول صاحب العقد الفريد بعد ذكر الخبر تعليقا عليه : " والراجز وإن كان لَحن فإنه أصاب التَّشبيه " ([2]) .

و في نفس هذا الخبر يقول صاحب الكامل في اللغة والأدب " والراجز وإن كان لحن فقد أحسن التشبيه " ([3]).

ولم يكتف البعض بهذا التعليق الموجز بل خاضوا في تعليلات شتى مثل ما فعل صاحب خزانة الأدب فقد ذكر أن المبرد قال في (الكامل): "حدثت أن العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس:

كأن أذنيه إذا تشوفا ... قادمةً أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن، ولم يهتد أحد منهم لإصلاح البيت إلا الرشيد، فإنه قال له: قل:

تخال أذنيه إذا تشوفا ... قادمةً أو قلما محرفا

والراجز، وإن كان قد لحن فقد أحسن التشبيه. وكذا نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد، وكذا روى الصولي في كتاب الأوراق عن الطيب بن محمد الباهلي، عن موسى بن سعيد بن مسلم، أنه قال: كان أبي يقول: كان فهم الرشيد فهم العلماء، أنشده العماني في صفة فرس:

كأن أذنيه..... البيت

فقال له: دع كأن وقل: تخال أذنيه، حتى يستوي الشعر.

وقال ابن هشام في المغني: وقيل أخطأ قائله، وقد أنشده بحضرة الرشيد فلحنه أبو عمرو والأصمعي. وهذا وهم، فإن أبا عمرو توفي قبل الرشيد. وتعقبه شراحه بأن هذا لا يصلح تعليلاً للوهم؛ فإن سبق وفاة أبي عمرو الرشيد لا ينافي حضور مجلسه، ولو غير خليفة، إلا أن يراد وهو خليفة، لأن أبا عمرو توفي سنة أربع وخمسين ومائة، والرشيد إنما ولي الخلافة سنة سبعين ومائة.

واعترض ابن السيد البطليوسي في حاشية الكامل على المبرد بأن هذا لا يعد لحناً، لأنه قد حكي أن من العرب من ينصب خبر كأن، ويشبهها بظننت. وعلى هذا أنشد قول ذي الرمة:

كَأَنَّ ُلجودَهُنَّ مُمَوَّهاتٌ عَلى أَبشارِها ذَهَباً زُلالاً

وعليه قول النابغة الذبياني:

---

١ - ربيع الأبرار - (ج ١ / ص ٤٥٣)

٢ - العقد الفريد - (ج ٢ / ص ٣٣٩)

٣ - الكامل في اللغة والأدب - (ج ١ / ص ٢٢٤)

كَأَنَّ التاجَ مَعصوباً عَلَيهِ لأَذوادٍ أُصِبنَ بِذي أَبانِ

في أحد التأويلين . " ([1])

إن ما يهمنا هنا ليس تقرير الخطأ أو الصواب ولكن للنظر في قول سعيد بن مسلم والذي نقله ابنه من أن فهم الرشيد للشعر كان فهم العلماء ، ولم يقل مثل فهمهم ، مما يدل على حقيقة كون أن كثيرا من الخلفاء كانوا في مستوى العلماء من حيث الفهم والإدراك للعلوم عامة في عصرهم و لعلوم الشعر بصفة خاصة مما يعطي آراءهم فيه صفة العلمية .

رابعا النقد الإجمالي :

من أكثر النقد تداولا النقد بالإجمال ، كأن يقال فلان أشعر الناس مثلا ، فإذا أرادوا التخصيص قالوا فلانا أشعر الناس إذا قال في كذا ، وقد يزيدون في ذلك أن يقولوا أن أشعر بيت قالته العرب في المديح مثلا هو بيت فلان في مدح فلان ، وقد روي مثل هذا النقد كثيرا عن الجاهليين و الإسلاميين ، ولم يشذ العباسيون عن هذه القاعدة ، فقد وردت أخبار كثيرة عن الخلفاء العباسيين مما يدخل في هذا الباب .

قال أبو سعيد الضرير: سمعت ابن الأعرابي يقول : بعث إليّ المأمون فصرت إليه وإذا هو مع يحيى بن أكثم يطوفان في حديقة، فلما نظر إليّ ولاني ظهره فجلست فلما أقبل قمت قائماً فأسرّ إلى يحيى بشيء ما فهمت كله إلا ما قال: ما أحسن أدبه! وقد أقبل إلى مجلسه ثم التفت إليّ فقال: يا محمد بن زياد من أشعر العرب في وصف الخمر؟ فقلت: الذي يقول:

تريك القذى من دونها وهي دونه ... إذا ذاقها من ذاقها يتمطّق

فقال: أحسن الناس قولاً في صفة الخمر الذي يقول:

فتمشّت في مفاصلهم ... كتمشي البرء في السقم

فعلت في البيت إذ مُزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم

فاهتدى ساري الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلم ([2])

ومن مثل هذا النقد ما ذكر عن الربيع أنه سأل في حضرة المهدي عن أرق بيت قالته العرب، قال بعض من حضر: بيت امريء القيس بن حجر:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلبٍ مقتّل

فقال المهدي: بيتٌ قد داسته العامة وفيه غلطٌ. ثم قال للمسيب وكان بين الحاضرين: هات ما عندك فقال:

ومما شجاني أنها يوم أعرضت ... تولت وماء العين في الجفن حائر

فلما أعادت من بعيد بنظرةٍ ... إليّ التفاتاً أسلمتها المحاجر

وسلمتها أيضاً . فقال: وإن هذا قريبٌ من ذاك. وخلفهم شابّ من أهل المدينة له أدب وظرف وقدم متظلماً فطال مقامه على باب المهدي، فلما سمع ذلك منهم حمله ظرف الأدب على أن أدخل نفسه بينهم واتصل بهم وقال: أتأذنون أن أخوض معكم فيما أنتم فيه؟ قالوا: ماذا؟ قال : قال الأحوص:

---

١ - خزانة الأدب للمبرد - (ج ٤ / ص ١٩)

٢ - المحاسن والمساوئ الجزء الأول – صفحة ١٧٧

إذا قلت إني مشتف بلقائها ... فحمُّ التلاقي بيننا زادني وجدا([1])

فقال المهدي: أحسنت يا فتى .

ففي هذا الخبر أم الخليفة المهدي لم يكتف برفض اختيارهم ، بل بين سببه فقال : إن البيتين قد داستهما العرب بمعنى أنهما مطروقان من الشعراء أو أنهما قديمان ولا يصلحان لأن يكونا أرق ما قالته العرب .

في بعض الأخبار كان الخليفة لا يكتفي بمثل هذه الأسئلة الشائعة بل كان يضيف إليها بعض جوانب النقد الأخرى مثل صدق الشاعر فيما قال من أبيات ، ومن ذلك خبر الخليفة المأمون عندما سأل حدثني أبو الحسين الراوية قائلا له : أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشده:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وإنا لنلهو بالسيوف كما لهت ... عروس بعقد أو سخاب قرنفل ([2])

فقال: ويحك! من يقول هذا؟ فقلت: بكر بن النطاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه وينتجعه! هلا أكل خبزه بسيفه كما قال!.

لقد كذب واقع الشاعر قوله ، وليس في هذا ما يعيب في رأى بعض النقاد وقد لا يدخل مثل هذا النقد في مفهوم الصدق ، ولكن هذا لا ينفي كون أن الشاعر لم يكن صادقا في مدحه لنفسه ، لذلك انتقده الخليفة لمعرفته به ، بالرغم من استحسانه لشعره .

خامسا : الإجادة والتجديد :

نقصد **الإجادة والتجديد** ما كان يرمي إليه الخليفة الناقد من نقد الشاعر من حيث التجديد في الموضوعات والأفكار وما يتبع ذلك من حسن التشبيهات وقبحها ، و'جادة التصوير . ولعل معرفة أكثر الخلفاء بفنون الشعر أمدتهم بثقافة ثرة استعانوا بها في أحكامهم وتعليقاتهم التي كانوا يطلقونها على بعض ما كان يلقى عليهم من شعر .

ومن تلك التعليقات ما كان استحسانا ، وبعضها كان استهجانا على أنها في معظمها كانت تمثل رأيا سيأخذ أبعادا أكثر عندما يشتد عود النقد ويقوى في وقت لاحق من هذا العصر كما سيتبين لنا فيما سيأتي من فصول هذا البحث .

و من هذه التعليقات و الأحكام نقد الخليفة المأمون لبيتي أبي العتاهية :

ما أحسن الدنيا و إقبالها ... إذا أطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضلها ... عرض للإدبار إقبالها

فقال له المأمون: ما أجود البيت الأول! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا " ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها، وإنما يوجب السماحة بها الأجر، والضن بها الوزر. فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، أهل الفضل أولى بالفضل، وأهل النقص أولى بالنقص. فقال المأمون: ادفع إليه عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلما كان بعد أيام عاد فانشده:

---

١ _ المرجع السابق - (ج ١ / ص ١٧٩)

٢ - الأغاني الجزء الخامس – صفحة ١٣١

كم غافل أودى به الموت ... لـم يـأخذ الأهبة للـفوت
مـن لم تزل نـعمته قبله ... زال عن النعمة بالمـوت

فاقل له: أحسنت! الآن طيبت المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم.([1]) فهذا الخبر الذي أوردناه سابقا يدل على أن الخليفة لم يجد في البيت الثاني الإحساس الفني وواضح أم الشاعر ما صنع فيه شيئا ، فهو أشبه بالكلام المنثور منه للشعر وإن كان موزونا أو كأنه تقرير لما جاء به في البيت الثاني .

أنشد إسحاق الخليفة الرشيد يقول:

و آمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصـ ـري فذلك شيٌ ما إليه سَـــبيلٌ
أرى الناسَ خلانَ الكرامِ ولا أرى بخيلاً له حتى الممـاتِ خـ ـليلٌ
و إني رأيت البُـ خلَ زُري بأهلِـهِ فأكرمتُ نفسي أن يُقال بَـ خيلٌ
ومن خير حالاتِ الفَتى لـو عَلمتِهِ إذا نـالَ خـيراً أن يكـونَ يُنيلٌ
فعالي فعـالُ المُكثرِينَ تجـمّـلاً و مالي كما قد تعلمينَ قليل
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَ م الغنى ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جمـــيلٌ

قال: فقال الرشيد: لا تخف إن شاء الله؛ ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها ؛ ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها ([2]) .

الأبيات المتقدمة لإسحق الموصلي ([3]) ، وقد جاء استحسان الخليفة لها مشفوعا بالأسباب ذلك أنها مشدودة الأصول حسنة الفصول قليلة الفضول ، وهذا يعني أنها خالية من الزيادة التي ليس لها معنى أو التي لا تضيف معنى جديدا مما جعلها محكمة ، ودقيقة في معناها فالشاعر لم يحوجه المعنى للزيادة التي تُعد من عيوب الشعر عندهم .

ومن مثل ما تقدم قصة منصور النمري الذي أنشد الرشيد قصيدة فقال :

بني حسن وقل لبني حسينٍ ... عليكم بالسـداد من الأمورِ
أميطوا عنكم كذب الأماني ... وأحلاماً يعدن عدات زور
مننت على ابن عبد الله يحيى ... .. وكان من الحتوف على شـفير
ولو جايت ما اقترفت يداه ... دلفت له بقاصـــمة الظهور
يدٌ لك في رقاب بني علي ... ومن ليس بالمن الصـغير

---

١ ـ المرجع السابق الجزء الأول – صفحة ٢٦٣

٢ ـ الأغاني الجزء الثاني – الصفحة رقم ٨٠ و ٨١

٣ ـ اسحاق الموصلي ـ ٢٣٥ هـ / ٧٧٢ ـ ٨٥٠ م ـإسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد بن النديم.من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً له تصانيف، من أفراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد، وعمي قبل موته بسنتين، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين. ولما مات نعي إلى المتوكل فقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته.وألف كتباً كثيرة، قال ثعلب: رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه. من تصانيفه:(كتاب أغانيه) التي غنى بها، و(أخبار عزة الميلاء)، و(أغاني معبد)، و(أخبار حماد عجرد)، و(أخبار ذي الرمة)، و(الاختيار من الأغاني) ألفه للواثق، و(مواريث الحكماء)، و(جواهر الكلام) . الأعلام – ج١ – ص ٢٩٢

و إنك حين تبلغهم أذاة ... وإن ظلموا لمحترق الضمير
ألا لله در بني عـلـــي ..... و زور من مقالتهم كبير
يُسمون النبي أباً، ويأبى ... .من الأحزاب سطر في سطور

يريد قوله عز وجل " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله " قال: فقال الرشيد لما سمع قوله:

وإنك حين تبلغهم أذاة وإن ظلموا لمحترق الضمير

ويحك، ما هذا؟ شيء كان في نفسي منذ عشرين سنة لم أقدر على إظهاره فأظهرته بهذا البيت. ثم قال للفضل بن الربيع: خذ بيد النمري فأدخله بيت المال ([1]).

لا شك في أن الشاعر أصاب معنى غاليا كان يتردد في نفس الخليفة فوقع عليه الشاعر ، ومن الواضح أنه مع كثرة ما سمعه الرشيد من مديح وفيه ما فيه من الجودة والإتقان إلا أن حصافة الشاعر وذكائه هدياه إلى هذه الفكرة ، فأجاد سبكها وإخراجها ، فأصابت هوى عند الخليفة واستحق الشاعر التكريم عليها .

لا شك في أن ما أوردناه من نمازج لنقد خلفاء بني العباس للشعراء لا يمثل كل ما رصدته كتب الأدب في هذا الباب ولكنه يقدم صورة لما كان يجري في تلك المجالس وما كانت تثار فيه من الآراء والتعليقات التي شكلت النواة لأن يتخذ النقد فيما بعد أبعادا جيدة تتسم بالمنهجية والنضج لكنها لم تبلغ ما بلغت من التطور ، والرقي بعد أن استفادت من هذا الإرث الكبير مما كان يدور في هذه المجالس . وذلك للأسباب التالية :

أولاً : مكانة الخلفاء العلمية والاجتماعية :

لقد بينا في فصل سابق أن المجتمع العباسي كان مجتمعا صفويا ، متعدد الطبقات ، وكانت طبقة الحكام هي الأولى بما تمثله من الثروة والسلطة ، وكان الخليفة هو رأس هذه الطبقة ، والحاكم المطلق ، وكان بجانب سلطته المادية تلك يمثل السلطة الروحية ، والمتمثلة في قرابتهم من رسول الله ﷺ ، وقد كانوا لا يقلون حرصا على ترسيخ تلك السلطة من حرصهم على سلطتهم المادية و لذلك تجدهم أحرص الناس على تأكيد ذلك وترسيخه في نفوس لعلمهم بما كان عليه الناس من حب لآل بيت النبي الكريم وقد عرف الشعراء عنهم ذلك فأكثروا من مدحهم لهم بهذا ، ومن ذلك ما مدح أشجع السلمي به هارون الرشيد فقال :

ملك أبوه و أمه من نبعة ... منها سراج الأمة الوهاج
شربا بمكة في ذرا بطحائها ... ماء النبوة ليس فيه مزاج ([2])

فلما سمع الرشيد هذين البيتين كاد يطير ارتياحاً ، ذلك لأن هذا ما كان يريده الخليفة ، لقد قرن الخلفاء هذه المكانة الرفيعة بالعلم و الذي كانوا يحرصون عليه حرصا تمثل في استقدام المؤدبين (المعلمين) لأولادهم وقد رأينا كيف كان حرصهم على أن يتولى أمر تعليمهم المبرزين منهم . إن اجتماع هاتين الميزتين معا – المكانة الاجتماعية والعلم – في خلفاء بني أمية جعلت

١- طبقات الشعراء - (ج ١ / ص ٧٥)

٢- طبقات الشعراء - (ج ١ / ص ٧٧)

لآرائهم أهمية كبرى في مجتمعين الأول مجتمع الشعراء أنفسهم ، والثاني في مجتمع العلماء . فمن ناحية الشعراء لا شك أن نقد الخلفاء لشعرهم ذما أو مدحا كان له أثره الكبير فيهم ، وذلك لسببين بديهيين أولهما حرصهم على رضا الخلفاء عليهم وعلى ما كانوا يجدونه عندهم من الحظوة والعطاء ، فقد كانت مصيبة الشعراء في ابتعاد الشاعر عن تلك المجالس لأن ذلك يعني موته المعنوي وثانيهما أن من لا يجد القبول عند الخلفاء فإنه لن يجد له مكانة في مجالس الأمراء وكبار الأغنياء فيموت موتا اجتماعيا ، فيخمد ذكره وينتهي في زوايا الإهمال ، لذا حرص الشاعر على الاستفادة مما كان يوجه إليه وإلى غيره من ملاحظات وتعليقات وتجنبها في إنتاجه القادم ولا شك في أنهم كانوا يحظون و يتداولون ما كانوا يسمعونه في تلك المجالس ، وهذا قد أتاح لهذه الآراء و التعليقات فرصة عظيمة للانتشار بين الخاصة والعامة .

ثانياً :الدور المقدر للعلماء في تلك المجالس :

كان للعلماء حظوة و مكانة كبيرة في نفوس عامة خلفاء بني العباس ، وقد أفسحوا لهم في مجالسهم و قربوهم منهم ، وأجزلوا لهم العطاء ، ولم تكن تكتمل مجالسهم ولا تحلو إلا بحضورهم ، وما ذاك إلا لمعرفتهم بفضل العلماء ومعرفة مكانتهم في نفوس الخاصة والعامة ، و ليس ذلك بمستغرب إذ أن الخلفاء أنفسهم تربوا على أيدي العلماء وهم الذين أدبوهم وعلموهم وهم صغار ، فلما كبروا حفظوا لهم مكانتهم واحترامهم ، جاء في خبر المأمون " كان المأمون شهماً بعيد الهمة أبي النفس، وكان نجم بني العباس في العلم والحكمة، وكان قد أخذ من العلوم بقسط، وضرب فيها بسهم، وهو الذي استخرج كتاب إقليدس، وأمر بترجمته وتفصيله، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات، وكان أستاذه فيها أبا الهزيل محمد بن الهزيل البصري المعتزلي، الذي يقال له العلاف ." ([1])

ولم يستنكف الخلفاء أن يسألوا العلماء في كثير من الأمور ، وكانوا يشيرون عليهم بما علموا فيكرمونهم على ذلك . غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي:

أظلوم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحيةً ظلمُ

فاختلف من بالحضرة في إعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم إن ومنهم من رفعه على أنه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب فأمر الواثق بإشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل؟ قلت: من مازن يا أمير المؤمنين قال أي الموازن قلت من مازن ربيع فكلمني بكلام قومي وقال با اسمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت في أو الأسماء فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه مني ذلك، ثم قال: ما تقول في قول الشاعر:

أظلوم إن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم

أترفع رجلا أم تنصبه فقلت الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك فقلت إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم فأخذ الزيدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك: إن ضربك زيداً ظلم فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به والدليل عليه، أن الكلام متعلق إلى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه

---

١ - حياة الحيوان الكبرى - الجزء الأول - الصفحة رقم ٧٥.

الواثق وأمر له بألف دينار. قال أبو العباس المبرد فلما عاد أبو عثمان إلى البصرة قال لي كيف رأيت رددنا الله مائة فعوضنا ألفاً ([1]). روي من أخبار الرشيد، أنه خرج يوماً إلى الصيد فأرسل بازياً أشهب فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه، ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان، فيه ثواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه ([2]).

وقد كان سؤال الخلفاء للعلماء في موضوع الشعر واللغة كثيرا متنوعا ، ولم يكن ذلك منهم إلا حرصا على المعرفة و التحقيق والتوثيق فقد ذكر الأصمعي أنه قال: "وقدمت من سفر على الرشيد، فاستبطأني، فقلت: ما ألاقتني أرضٌ حتى رأيت أمير المؤمنين. فلَّما خرج الناس قال: ما معنى أقتني؟ قلت ما ألصقتني بها ولا قبلتني. فقال: هذا حسنٌ ولكن ل تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمُهحتى أجد جوابه، فإذا خلوت فقل ما شئت، فإني أسألك عمَّ ا لاأعلمُ، وإنه يقبح بالسلطان أن يسمع ما لا يدري، فإما أن يسكت فيعلم الناس أنه ما لاقهم ، أو يجيب بغير الجواب فيتحقق عندهم ذلك. فقلت: قد والله أفادني أمير المؤمنين من الأدب أكثر مما أفدته " ([3]) . ومن الأخبار تدل على حرص الخلفاء على التحقيق والتوثيق من رواية الشعر ما ذكره الأصبهاني بسنده في الأغاني عن جماعة أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيس آباد، وقد اجتمع فيها العلماء بأيام العرب وآدابها، وأشعارها، ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا بالمفضل الضبي الراوية، فدخل فمكث ملياً. ثم خرج ذلك الرجل بعينه فدعا بحماد الراوية، فمكث ملياً ثم خرج ومعه حماد والمفضل جميعاً، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم، وفي وجه المفضل السرور والنشاط، ثم خرج الخادم معهما، فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره، وأبطل روايته، لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته. فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل. فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمضل لما دعا به وحده: إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال: " دع ذا وعد القول في هرم "ولم يتقدم قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل: يا أمير المؤمنين ما سمعت في هذا شيئاً إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله، أو يروي في أن يقول شعراً، قال: عد إلى مدح هرم، وقال: دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه، وقال: دع ذا، أي: دع ما أنت فيه من الفكر، وعد القول في هرم.ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل، فقال: ليس هكذا قال زهير، يا أمير المؤمنين. قال: فكيف قال؟ فأنشده:

---

١ - ثمرات الأوراق - لابن حجة الحموي – صفحة رقم ١.

٢ - المرجع السابق _ الصفحة رقم ١٠٤

٣ - نور القبس – الجزء الأول صفحة ٥٣.

لمن الديار بقنة الحجـــر ... أقوين من حجج و من دهر
لعب الرياح بها وغيرها ... بعدي سوافي المور والقطر
قفر بمندفع النحائث من ... ضفوي أولات الضال والسدر
دَع ذا وَعَدِّ القَولَ في هَرَمٍ خَيرِ الْبِداةِ وَسَيِّدِ الحَضرِ

قال: فأطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد، فقال: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه. ثم استحلفه بأيمان البيعة ليصدقنه عما يسأل عنه. فحلف حماد له، فلما توثق منه قال له: أصدقني عن حال هذه الأبيات، ومن أضافها إلى زهير.

فأقر له حينئذ أنه قالها. فأمر فيه، وفي المفضل بما أمر به من شهر أمرهما " ([1])

يفيدنا هذا الخبر فائدتين مهمتين أولاهما حرص الخلفاء على سؤال العلماء وعلى صحة التوثيق العلمي ، وثانيهما المنهج الذي سلكه الخليفة في تحقيق ذلك ، وكيف أنه اختار عالمين مهمين في زمانهما الأول وهو حماد الراوية وكان عالما بالشعر نظما له و راوية ، قال عن نفسه إنه كان يحفظ سبعمائة قصيدة تبدأ ب" بانت سعاد " إلا أنه لم يكن ثقة في الرواية . أما الثاني فعالم مشهور له تصيف في اختيار الشعر " المفضليات " و كان ثقة و من مؤدبي أولاد الخلفاء . وقد خلص الخليفة إلى النتيجة التي كان يبحث عنها ، والتي لم تكن مقصرة على التحقيق في أمر الأبيات الثلاثة التي شاع ذكرها في مطلع معلقة زهير ، ولكن الأهم هو تبان بطلان رواية حماد للشعر مع إثبات شاعريته ، وأن الراوية الثقة هو المُفضَّل .

الحقيقة أن مجالس الخلفاء لم تكن مجرد مجالس يجلس فيها الخلفاء لتلقي قصائد المديح ، و نثر الدراهم على الشعراء ، ولكنها كانت مجالس علم وأدب ، وكان ما يصدر فيها يؤثر فيه العلماء سلبا أو إيجابا ، و يتأثرون به ، ففي الخبر السابق مثلا نجد أن حماداً بعد هذه الحادثة لم يُعد من الرواة الثقاة لا للعامة ولا للخاصة ، و قد ذكره أكثر من كاتب في الكتب القديمة على أنه لا يعتد بروايته في الشعر ، وذكره صاحب طبقات فحول الشعراء فقال :" وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حماد الراوية وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار.قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن يونس، قال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها، فقال: أما أطرفتني شيئاً! فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى، قال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة؟! ولكن دعها تذهب في الناس " ([2]).

و كان للعلماء أقوالهم و تعليقاتهم النقدية ليس في مجالسهم فقط ، وإنما في مجالس الخلفاء وفي حضورهم ، ففي ا لخبر الذي أوردناه عن قصيدة الأعشى في مجلس الرشيد فقد قيل إن مَن خطأه في قوله :

كأن أذنيه إذا تشوفا ... قادمةً أو قلما محرفا

أبو عمرو والأصمعي . وقال ابن هشام في المغني: " وقيل أخطأ قائله، وقد أنشده بحضرة الرشيد

---

١ - خزانة الأدب الجزء الثالث صفحة ٤٠٥ .

٢ - طبقات فحول الشعراء – الجزء الأول صفحة ٧

فلحَّنه أبو عمرو والأصمعي " (١) . وبدون الدخول في مسألة الخطأ و الصواب، فإن لهذا الخبر دلالة مؤكدة ألا وهي حضور العلماء لهذه المجالس و مشاركتهم فيها مشاركة إيجابية حفظتها كتب الأدب ، واستفاد منها المشتغلين بالأدب والعلم فهذه المسألة كما ذكرنا سابقا شغلت العلماء والنقاد وأفردوا لها صفحات من كتبهم ومناقشاتهم وهذا دليل آخر على تأثير ما كان يدور في تلك المجالس في المجتمع العلمي والثقافي في ذلك الوقت .

و مما يروى من مناظرات العلماء بحضرة الخلفاء في تلك المجالس ما ذكره صاحب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب من أن الكسائيُّ أنشد في مجلس الرشيد بحضرة الأصمعي :

أَنّى جَزَوا عامِراً سُوءى بِفِعلِهِم أَم كَيفَ يَجزونَ ني السُوءى مِنَ الحَسَنِ

أمْ كيفَ ينفعُما تُعطي العَلوقُ به رئمان أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ ؟(٢)

وقد ؛ فرفع رئمان فردّه عليه الأصمعي، وقال: إنه بالنصب، فقال له الكسائي: اسكت، ما أنت وهذا؟ يجوز الرفع والنصب والجر، فسكت. فالأصمعي مع علو مكانته لم يسعه إلا السكوت لعلمه بأن ما قاله الكسائي هو الصواب (٣) .

وقد كان إجلال الخلفاء للعلماء كبيرا ، قال الرشيد للأصمعي بوما : " لله درك، يا أصمعي! فإني أجد عندك ما يضل عن العلماء" .(٤)

وقد كان العلماء يعرفون قدر الكبار منهم فيتواضعون لهم ، ففي أخبار ابن قادمٍ أنه كان يؤدب أولاد سعيد بن سلم بن قتيبة، وكان الأصمعي يغشاهم، وكان ابن قادم يسأله عن معاني الشعر واللغة، فقيل له إنّ هذا رجلٌ متقدم لا تزاحمه فإنه يغلبك! فلم يزل حتى سأله الأصمعيُّ يوماً عن قول الشاعر - و البيت من السريع- :

واحدةٌ أعضلكم شأنها ... فكيف لو قمت على أربعِ

وأشار الأصمعي إلى القيام على أربع بيديه ورجليه، فأجابه بجوابِ خطاءٍ، فأخجله الأصمعيُّ وأضحك منه من حضر، فقيل لابن قادم: قد نصحناك فلم تقبل (٥).

ثالثا : مكانة تلك المجالس في المجتمع :

اكتسبت مجالس الخلفاء في عهد بني العباس شهرة واسعة ومكانة عظيمة ، وكانت تهفو إليها قلوب الشعراء لنيل شرف الإنشاد فيها ، ولم يكن الحرص عليها من قبل هؤلاء بأكثر من حرص العلماء والمتأدبين ممن نالوا حظا من العلم والثقافة من نيل شرف منادمة الخلفاء و التمتع بالشهرة والمكانة الاجتماعية التي سيكتسبونها من انتسابهم لهذه الطبقة المميزة على سائر طبقات المجتمع

---

١ - خزانة الأدب الجزء الرابع- صفحة ١٩ .

٢ - العَلوق - بفتح العين المهملة - الناقة التي علق قلبها بولدها، وذلك أنه يُنحر ثم يُحشى جلده تبناً ويجعل بين يديها لتشمه فتدرَّ عليه؛ فهي تسكن إليه مرة، وتنفر عنه أخرى.وهذا البيت ينشد لمن يعدُ بالجميل ولا يفعله؛ لانطواء قلبه على ضده، (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) - (ج ١ / ص ١٦)

٣ - المرجع السابق صفحة ص ١٦.

٤ - نور القبس ليوسف بن أحمد بن محمود، أبو المحاسن اليغموري- الجزء الأول – صفحة ٥٢

٥ - المرجع السابق صفحة ١١٥

الأخرى . والخلفاء والأمراء من جانبهم لم يألوا جهدا في تقريب النابغين من الفريقين ، ولم يبخلوا عليهم بالعطايا والهبات.

المتصفح لكتب الأدب يجد دائما ، ما يؤكد أن اتصال العلماء والشعراء بالخلفاء كان له مكانة كبيرة ، ومنزلة رفيعة ، ونجد ذلك مسجلا في كتب الأعلام والتراجم ، فمثلا في ترجمة عبيدة بن حميد الحذاء التيمي الضبي يقول الحافظ ابن حبان : كان يجلس إلى الحذائين فنسبب إليهم وكان يسكن بغداد مدة والكوفة زمانا مات سنة تسعين ومائة وكان يؤدب محمد بن هارون الرشيد ([1]).

وعندما يترجم الزركلي للموصلي يقول : " الموصلي، أبو محمد ابن النديم: من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، وكان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راويا للشعر حافظا للأخبار، شاعرا، له تصانيف، من أفراد الدهر أدبا وظرفا وعلما.فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد.وعمي قبل موته بسنتين.نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين.ولما مات نعي إلى المتوكل فقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته. وألف كتبا كثيرة،قال ثعلب:رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه "([2]).

فلننظر كيف قدم منادمة الخلفاء على سائر عمل الموصلي ، و كأن منادمتهم وحدها تعادل ما ذكره بعد ذلك من أعماله ، وهذا يدل على مدى أهمية أن يقترن العالم أو الشاعر باسم خليفة من الخلفاء ، فما بالك بمن يقترن اسمه بأكثر من واحد منهم .

لقد اكتسب كثي من العلماء والشعراء بل والفقهاء شهرة ومكانة بسبب اتصالهم بهذا الخليفة أو ذاك ، ولم يهمل الكتاب ولا المؤرخين كما رأينا هذه الصلة والتي تعد ميزة عندهم ، كما لم يغفل هؤلاء ما كان لهؤلاء العلماء والشعراء من مواقف وأقوال في مجالس الخلفاء بل أولوها عناية خاصة ، فنجدهم مثلا عندما يذكرون موقفا أو قولا لواحد منهم يبادرون فيذكرون أن ذلك كان في مجلس الخليفة فلان أو في حضرة الخليفة مما يكسب القول أو الموقف أهمية خاصة . يبلي قومها فيخوف بهم آخرين.

أخبرنا ابن شقير النحوي والأخفش قالا أخبرنا ثعلب قال: اجتمع الكسائي الأصمعي بحضرة الرشيد وكانا ملازمين له يقيمان بإقامته ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائي:

أنى جــزوا عامرا سوأى بفعلهم أم كيف يجزونني السوأى من الحسن
أم كيفَ ينفعُما تُعطي العَلوقُبِهِ رِئْمانَ أنْفٍ إذا مـا ضُنّ بـالـلَبَنِ ([3])

فقال الأصمعي: إنما هو رئمان بالنصب، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وهذا يجوز رئمانُ

---

١ - مشاهير علماء الأمصار – الجزء الأول – صفحة - ٢٧٠

٢ - الأعلام للزر كلي – الجزء الأول – صفحة ٢٩٢

٣ -الكامل في اللغة والأدب - (ج ١ / ص ٢٩) و جا فيه : و أنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ: (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى) الروم: ١٠، على " فعلى " :

أنى جزوا عامراً سوءى بفعلهم ... أم كيف يجزونني السوءى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به ... رئمان أنفٍ إذا ضن باللبن

فقوله : " رئمت : أي أقمت لها على الضيم ، ويقال : فلان رؤوم للضيم ، إذا كان ذليلا راضياً بالخسف .

ورئمانَ ورئمانِ أنفه بالرفع والنصب والخفض. أما الرفع فعلى الرد على ما لأنها في موضع رفع بينفع فيصير التقدير: أم كيف ينفع رئمان انف. والنصب بتعطي، والخفض على الرد على الهاء التي في به. قال: فسكت الأصمعي ولم يكن له علم بالعربية وإنما كان صاحب لغة ([1])

حفلت كتب الأدب بكم هائل من أخبار الخلفاء في هذا العصر ، خاصة تلك التي تدور حول مجالسهم ، فقد كانت تلك المجالس حديث العصر في ذلك الزمان ، ومن الأشياء التي تحمد لهؤلاء الخلفاء ما أعطوه من وقت وجهد وعطايا سخية بل وإجراء رواتب منتظمة لبعض الشعراء والعلماء تقديرا لهم و تمكينا لهم من العيش الكريم والانقطاع لما هم فيه من العلم والأدب ، ومن المدهش حقا أن نجد بعض لخلفاء وقد تمكنوا بالرغم من انشغالهم بأمر الحكم من تثقيف أنفسهم وكان بعضهم- بل نكاد نلحظ ذلك في كل الخلفاء - على اضطلاع بما كان يجري حولهم من أخبار الشعراء وقصائدهم التي مدحوا بها غيرهم أو حتى ما مضى من قصائد لهؤلاء الشعراء ، بل وكانوا دقيقين جدا فيما يصدرون من تعليقات و أحكام . لكل ذلك يمكننا أن نقول أن ما تركه هؤلاء الخلفاء من تلك الأخبار يعد من أهم المصادر التي بنى عليها النقاد فيما بعد مؤلفاتهم في نقد الشعر وهذا ما سنبينه في الفصل التالي من هذا البحث .

---

١ - (أخبار أبي القاسم الزجاجي) الجزء الأول صفحة ١٢

الباب الثالث

دور مجالس الخلفاء في العصرين
الأموي و العباسي
في
تطور النقد الأدبي

أخذت الدولتان الأموية والعباسية ، حظاً طيباً ونصيباً وافراً في النمو والتطور من الناحيتين المادية والمعنوية ، وقد رأينا من خلال هذا البحث كيف بلغت الدولتان قمة التطور المادي في مختلف جوانب الحياة حتى وصلتا إلى حد الترف ، وكيف هيأ هذا التطور المادي لتطور الحياة من الناحية العلمية والثقافية .

فإذا كانت الدولة العباسية هي تاج الحضارة العربية الإسلامية بما وصلت إليه من الرقي والتطور، فإنها بكل تأكيد لم تبلغ ما بلغته ، لو لم يكن المجتمع قد تهيأ لهذا بما وصلت إليه الدولة الأموية ، فالدولة الأموية هي التي بنت تلك القاعدة الصلبة للحضارة الإسلامية العربية علي خليفة الخلافة الراشدة وما قبلها في عهد دولة المدينة وقائدها وموجهها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام.

كان للنظام الإداري الذي استحدثته الدولتان الدور الكبير في تمحور الحياة حول شخصية الخليفة ، تتركز فيه كل السلطات في يده ، فهو القائد و الموجه لحركة الدولة ، لذا فلا عجب أن رأينا عناية الخلفاء بتربية أبنائهم ، و تهيئتهم ، بما يتناسب وعظم المسئولية التي سيقومون بها عند توليتهم لأمر الدولة فيما بعد. وقد نال معظم الخلفاء إن لم يكن جميعهم حظا طيبا من علوم عصرهم ، وثقافته ، بما مكنهم من التفاعل مع محيطهم الاجتماعي والثقافي بوعي و تفهم كبير ، بل إن بعض الخلفاء- كعبد الملك بن مروان في العهد الأموي ، وهارون الرشيد في العهد العباسي - كانوا على درجة كبيرة من العلم والثقافة بما يفوق في بعض الأحيان العلماء المعاصرين لهم ، هذا إن لم يتساووا معهم في الرتبة والمكانة .

لقد رأينا فيما سبق من فصول هذا البحث ، هذه المكانة العلمية والثقافية التي كان يتمتع بها الخلفاء في كلا العصرين ، و رأينا مجالسهم العلمية والأدبية ، التي تمثل بحق أكبر شاهد ودليل على هذه المكانة الرفيعة التي بلغوها . لذا لم يكن غريبا أن تحوي كتب الأدب الكثير من آرائهم وتعليقاتهم النقدية ، التي كانت تمثل ثقافة عصرهم و خلاصة تفكيرهم فيما يجب أن يكون عليه الأدب ، وربما تكون في معظمها آراء شخصية يغلب عليها الطابع الذاتي إلا أن ذلك لا ينال من قيمتها النقدية في عصرها ، وليس أدل على ذلك من اهتمام الأدباء بها ، و رصدها وتسجيلها في كتبهم ، بل والقيام بالتعليق عليها.

وقد حاولنا فيما تقدم من فصول هذا البحث أن نقدم بعض هذه الآراء ، وأن نستخلص منها ما كانت تمثله من اتجاهات نقدية تحمل مضمونا معينا أو خاصا ، متتبعين هذه الآراء في مجالس الخلفاء في كلا العصرين الأموي والعباسي ، من خلال السرد التاريخي لتطور الدولتين خلال سنوات حكمهما الذي امتد لسنوات طويلة .

وسنحاول في هذا الباب التعرف على مقدار ما ساهمت به هذه المجالس في تطور النقد الأدبي بما قدمته من مادة نقدية استفاد منها النقاد في كتاباتهم النقدية ، ونبين أن ما كان يساق في تلك المجالس من آراء وأفكار وتعليقات نقدية ، يمثل الأساس الذي بنى عليه النقاد فيما بعد الكثير من نظرياتهم وآرائهم النقدية ، وسنعتمد في هذا الباب علي ما نعتقد أنه المرحلة الثانية من التطور الذي صار إليه تاريخ النقد العربي وهو مرحلة التأليف في النقد التي قامت على المادة النقدية التي وفرتها مجالس الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي.

وتقتضي الدراسة في هذا الباب أن نقسمها إلي مبحثين رئيسين ، المبحث الأول وقد خصصنا به الفصل الأول من هذا الباب ، و يختص بالموازنة بين مجالس الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي . أما المبحث الثاني ويمثله الفصل الثاني فيختص بدراسة دور هذه المجالس في تطور الأدب والنقد
الأدبي في الحقبة التي واكبت تلك المجالس وما تلاها من فترات شهد فيها الأدب والنقد تطورا هاما وكبيرا ظل أثره العلمي باقيا إلي يومنا هذا . وسيكون الفصل الأخير من هذا الباب بمثابة الخاتمة لهذا البحث الذي سنرصد فيه ما توصلنا إليه من نتائج هامة ومفيدة بإذن الله. .

الفصل الأول

مجالس الخلفاء في العصرين
الأموي والعباسي
دراسة موازنة

تأتي أهمية الموازنة بين ما كان يجري في مجالس الخلفاء في العصر الأموي وبين رصيفاتها من مجالس بني العباس ، من كون ما كان من مدارسات شعرية ، وما خلفته من تعليقات و أحكام نقدية أثرت بالغ الأثر فيما كان قائما من الحراك الأدبي ، فلا نكاد نجد أديبا أو ناقدا إلا وقد تأثر بما كان يجري فيها ، فقد كانت بمثابة المنتديات الثقافية لعصرها كما مر بنا كما لهذه الموازنة أهمية في أنها تلقي ضوءا مهماً على حقبة ما قبل اتخاذ النقد لشكل جديد يتسم بنوع من المنهجية والموضوعية في تناوله للأدب ، ولم يكن في سابق عهده إلا نتفا من الآراء والتعليقات النقدية التي كانت في الغالب تفتقد لهذين العنصرين المهمين (المنهجية والموضوعية) ، و سنحاول أن نربط بدايات نشأة النقد كعلم ممنهج وموضوعي بمساهمة تلك المجالس في تغذية العقل النقدي بالأفكار التي أسست لهذه النشأة .

وقد كانت فكرة الموازنة والمقارنة بين العصرين الأموي والعباسي دائما موضع عناية العلماء والمفكرين ولم تكن غائبة عن فكرهم كما لم تكن غريبة عليهم ، وإن اتخذت مسارات مختلفة ولأسباب تتعلق بتعصب أصحابها لهذا العصر أو ذاك . وقد تأخذ أبعاداً مختلفة في كل الجوانب من سياسية و اجتماعية وثقافية ، ففي كتابه أخبار أبي تمام يقول الصولي ([1]) :حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: كنت عند الحسن بن وهب، فدخل إليه أبو سليمان داود ابن الجراح كاتب أبي إسحاق إبراهيم بن العباس، فسأله عن خبره فأخبره بما أراده، ثم قال: ناظر اليوم أبو إسحاق رجلاً في دولة بني أمية ودولة بني العباس - مدها الله - فقال له الرجل: أين مثل شعراء بني أمية الذين كانوا في زمانهم؟ فقال له أبو إسحاق: إن كانت دولة بني أمية حلبة الشعراء فدولة بني هاشم حلبة الكتاب، فقال الحسن: ما يترك أبو إسحاق عصبيته للأوائل من الشعراء، والله ما كان في دولة بني أمية مثله، هلا قال: أنا أعد شعراء هذه الدولة، فعد كتاب تلك الدولة؟ ثم أقبل علينا الحسن فقال: أما البلاغة في الكتبة فما ينازع أهل هذه الدولة فيها، وأما الشعر فلا أعرف - مع كثرة مدحي له وشغفي به في قديمه ولا حديثه - أحسن من قول أبي تمام في المعتصم بالله، ولا أبدع معاني، ولا أكمل مدحاً، ولا أعذب لفظاً، ثم أنشد:

فتحُ الفُتوحِ تَعالَى أن يُحيطَ به ... نظمٌ من الشِّعرِ أو نثرٌ من الخُطَبِ([2])

فالظاهر من النص أن أبا الحسن قد أخذ على أبي إسحاق إقراره بتفوق شعراء بني أمية على شعراء بني العباس ، وإن أقرّبتفوق كتاب الأخيرة على الأولى لعصبيته للشعراء الأوائل ، و لا يخفي هو عصبيته لدولة بني العباس .

سنحاول في هذا الفصل عقد موازنة من نوع أخر بين العصرين تتمثل في الموازنة بين المجالس التي كان يعقدها خلفاء بني أمية و مجالس بني العباس في محاولة لتلمس أوجه التشابه والاختلاف بينهما ،مما يفيدنا في معرفة المميزات التي تميزها في كل عصر، لنصل بها في

---

١ - هو محمد بن يحي بن عبد الله ، أبو بكر الصولي من أكابر علماء الأدب ، نادم ثلاثة من خلفاء العباسيين هم الراضي والمكتفى والمقتدر وله تصانيف في الأدب والتاريخ له من الكتب (أشعار أولاد الخلفاء و أخبار الشعراء المحدثين و أخبار الحلاج وأخبار أبي تمام وشح ديوان أبي تمام) وغيرها – الأعلام (ج ٣ / ص ٢٥٩) .

٢ - مقدمة كتاب أخبار أبي تمام (ج ١ / ص ٩).

نهاية هذا الباب من البحث إلى فصله الأخير الذي يلخص لنا ما قدمته هذه المجالس من مساهمة قيمة لتطور النقد الأدبي .

فما هي السمات المتشابهة أو المختلفة بين تلك المجالس في العصرين الأموي والعباسي ؟

أولاً : اهتمام الخلفاء في العصرين بعقد المجالس :

من الملاحظ أن الخلفاء في كلا العصرين - وعلى اختلافهم في الزمان والمكان – حرصوا حرصا كبيرا على الاهتمام بالعلوم عامة وبعلوم الشعر خاصة ، وكانوا كما رأينا يحرصون على تعليم أولادهم علوم اللغة والشعر ، ويجلبون لهم المؤدبين ، ورأينا كم كان اهتمامهم عظيما باختيار المبرزين من العلماء ليكونوا معلمين لأبنائهم والذين سيرثون الملك منهم فيما بعد ، لذا لم يكن مستغربا أن يهتم هؤلاء الخلفاء بعقد مجالس الأدب والعلم في قصورهم . ولا يمكننا القول إن مبعث هذا الاهتمام كان للدافع العلمي فقط لأن من الثابت أيضا وجود دافع قوي آخر وهو الدافع السياسي والإعلامي إن صح التعبير ، ويتمثل في حرص الخلفاء في كلا العصرين علي محاربة خصومهم وعلى الظهور للناس بمظهر القوة والتفوق ، ولم يكن ذلك ممكنا إلا بوجود وسيلة تذيع ذلك بين الناس ولم تكن هناك من وسيلة أخرى أحسن من الشعر فقد كان الشعر هو الأسرع في الوصول للناس ، وهو ديوان العرب و الجامع لثقافتهم ولحياتهم من العصر الجاهلي و إلي العصرين الأموي والعباسي ، لذا لم يكن اهتمام الخلفاء بالشعر والأدب إلا جزءا من ثقافة مجتمعهم ، و تكوينهم العام ، و من تاريخهم الذي نشأوا فيه وتربوا عليه .

يقول صاحب العقد الفريد " كان الشعر ديوانَ العرب خاصة والمنظومَ من كلامها، والمقيِّدَ لأيامها، والشاهد على أحكامها. حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به وتَفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تَخيَّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القبَاطيّ المُدرجة، وعَلَّقتها بين أستار الكعبة. فمنه يقال: مذهَّبة امرئ القيس، ومُذَهَّبة زُهير، والمذَهبات سبع، وقد يقال لها المُعَلقات " ([1]).

وقال خلف الأحمر: الشعر ديوان العرب، والشعراء ألسنة الزمان، والمدح مهزة الكرام ([2]) .

وقد رأينا فيما سبق من هذا البحث اهتمام خلفاء بي أمية بالشعر وروايته ، وكيف أنهم كانوا يهتمون بتعليم أبنائهم الشعر و روايته ، قال الحجَّاج للمُساور بن هند: ما لك تقول الشعرَ وقد بلغتَ من السِّن ما بلغتَ؟ قال. أرعى به الكلأ، وأشرب به الماء، وتقضي لي به الحاجة، فإن كفيتَني ذلك تركتُه وقال عبدُ الملك بن مروان لمؤدِّب ولده: روِّهم الشِّعر يَمْجدوا ويَنْجدوا. وقالت عائشة: روُّوا أولادَكم الشعرَ تعذُب ألسنتهم. وبعث زياد بولده إلى معاوية، فكاشفه عن فنون منِ العِلم، فوجده عالماً بكل ما سأله عنه. ثم استنشده الشعر، فقال: لم أَرْوِ منه شيئاً. فكتب معاويةُ إلى زياد: ما منَعك أن تُرَوِّيه الشعر؟ فوالله إن كان العاقّ لَيَرْويه فَيبرّ، وإن كان البخيل لَيَرْويه فيسخُو،

---

١ - العقد الفريد الجزء الثاني الصفحة رقم ٣٠٦ .

٢ - خاص الخاص للثعالبي الجزء الأول صفحة ٢٥.

وإن كان الجبان لَيَرْويه فيقاتل [1].

ومن الأخبار التي تدل على ما ذكرنا ما قاله الرشيد للعباس يوماً: يا عم، إن الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي وبسبب أم جعفر، ولم يقل أحد منهم في المأمون شيئاً، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه. فذكر العباس ذلك لأشجع، وأمره أن يقول فيه، فقال:

بيعةُ المأمـــون آخذَةٌ ... بِعنانِ الحقّ في أُ فقْه
أَحكمت مــ رآته عُقداً ... تمنعُ المحتال في نفقْه
لنْ يفكَّ المرءُ رِبقتها ... أَو يفكَّ الدين من عنقْه
و لُهمـ ـن وجهِ والدهِ ... صورةٌ تمَّتْ ومن خلقْه

فأتى العبَّاس الرشيد وأَنشده إيَّاها واستحسنها، وسأله: لمن هي؟ فقال: هي لي، فقال: قد سررتني مرَّتين بإصابتك ما في نفسي، وبأنَّها لك، وما كان لك فهو لي، وأمر له بثلاثين ألف درهم، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه[2]. فقد أراد الرشيد أن يرفع من ذكر ولده المأمون ، لما رأى تكالب الشعراء على مدح ابنه الأمين لمكانة أمه زبيدة ، فلم يجد أمامه غير الشعر لتحقيق ذلك . الحقيقة أن الشعراء كانوا يمدحون الأمين حتى قبل أن يبلغ الحلم طمعا في نوال أمه وربما كان ذلك من أسباب التي أدت إلى الفتنة بينهما بعد موت الرشيد والتي انتهت بمقتل الأمين والله أعلم .حدث أشجع، قال: دخلت على الأمين، حين أجلس مجلس الأدب للتعليم، وهو ابن أربع سنين، وكان يجلس فيه ساعة، ثمَّ يقوم، فأنشدت:

مـلكٌ أبـوهُ وأمُهمـ ـن نـبعَةٍ ... فيها سراجُ الأمَةِ الوهـ اجُ
شربَتْ بمكة في رُبَى بَطْحائها ... ماء النبوة ليس فيه مزاجُ

قال: فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم [3].

لذا بلغ من حرص الخلفاء على أقامة تلك المجالس أن خصص المأمون لكل طائفة من العلماء مجلسا خاصا بهم وذلك لما كثرت أعدادهم و تنوعت علومهم ، وقد كان للشعر التقدمة على كافة العلوم . و ذكر أنه لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يسمى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه[4] . كان ذلك في بداية توليه الخلافة فلما كثر العلماء والشعراء ببابه أمر أن يقسموا إلى مجموعات ، على حسب تخصصهم ، وأن يجعل لكل طائفة يوما للدخول عليه .

لقد تشابهت قوة الدافعية لدى معظم الخلفاء حتى أننا لا نكاد نلحظ تباينا يذكر بينهم في كلا العصر الأموي والعباسي ، ومن الطبيعي أن تختلف قوة تحمس بعض الخلفاء في هذا العصر أو ذاك لعقد هذه المجالس ، فقد رأينا مثلا كيف كان أمرُ الشعراء في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، فقد كان اهتمامه بعيدا عن جذب الشعراء لمدحه ، كما أنه لم يكن ليعطيهم من بيت

---

١ العقد الفريد- الجزء الثاني – صفحة ٣٠٨

٢ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص – الجزء الأول – صفحة ٣٨٢

٣ - المرجع السابق صفحة ٣٨٢

٤ - الأغاني الجزء الثاني – صفحة ٢٧٥.

مال المسلمين ، كما كان يغدق عليهم عبد الملك بن مروان مثلا ، ومع ذلك فقد مدحه الشعراء رغبة فيه لا رجاء لعطية أو هبة إلا أن ما سجلته لنا كتب الأدب في هذا الشأن ، لا يقاس بمجالس غيره من خلفاء بني أمية من أمثال عبد الملك بن مروان أو حتى بمؤسس الدولة الأول سيدنا معاوية بن أبي سفيان ، فقد كان (رضي الله عنه) سخيا مع الشعراء جاذبا لهم بعطاياه ، عارفا لخطورتهم ، وقد مر بنا ما دار بين معاوية و عبد الملك بن مروان بشان النابغة الجعدي عندما أخذ الأخير أهل النابغة وماله ، وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على معاوية، وعنده عبد الله بن عامر ومروان، فأنشده:

من راكب يأتي ابن هند بحاجتي ... على النأي والأنباء تنمى وتجلب
ويخبر عني ما أقول ابن عامر .... ونعم الفتى يأوي إليه المعصب
فإن تأخذوا أهلي و مالي بظنه ... . فإني لحراب الرجال مجرب
صبور على ما يكره المرء كله ... سوى الظلم إني إن ظلمت سأغضب

التفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى. قال: أرى ألا ترد عليه شيئاً، فقال: ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي علي ثم تأخذه العرب فترويه، أما والله إن كنت لممن يرويه! أردد عليه كل شيء أخذته منه ([1]).

وقد شهد عصر بني العباس أيضا اختلافا في درجة اهتمام الخلفاء بالشعر وبإقامة المجالس الأدبية والعلمية ، وهو اختلاف نسبي فقد نجد خليفةً عالماً بخطورة الشعر و مقدراً للشعراء وللعلماء مثل الخليفة هرون الرشيد أو مثل المأمون ، وقد اشتهر كلاما بهذا الاهتمام وبعقد هذه المجالس ، كما نجد أيضا خليفة يبدي اهتماما أقل وتحمسا ضعيفا تجاه الشعر والشعراء مثل الخليفة المنصور فقد جاء في أخبار ابن ميادة الشاعر أنه مات في صدر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يفد إليه ولا مدحه، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة ثوابه لهم ([2]).

إذا نستطيع أن نقول إن اهتمام الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي بعقد تلك المجالس كان متفاوتا بين الحرص عليها وعلى حضور العلماء لها بجانب الشعراء والخاصة من حاشية الخليفة وبين من كان قليل الرغبة فيها وفي قدوم الشعراء إليه ، وذلك لأسباب مختلفة منها ما هو ديني كما رأينا في عمر بن عبد العزيز ، ومنها البخل على الشعراء كما تقول الأخبار عن الخليفة المنصور ، إلا أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال قلة اهتمام من هؤلاء بالشعر كقيمة أدبية وفنية لها مكانتها في النفوس فقد روي عن المنصور كذلك أنه لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال :" يا ربيع، انظر من في أهلي ينشدني:

أمن المنون وريبها تتوجع .....

حتى أتسلى بها عن مصيبتي. قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم أجمعهم حضور، فسألتهم

---

١ - الأغاني - (ج ١ / ص ٤٩٢)

٢ - المرجع السابق – الجزء الأول – الصفحة رقم ٢١٦ .

عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني.. " ([1]) .

فالشائع عند الخلفاء أو معظمهم الاهتمام بهذه المجالس وحض العلماء على حضورها والمشاركة فيما يجري فيها من حوارات ، وتحفيز الشعراء وجذبهم لإلقاء أشعارهم فيها ، مما خلف لنا ثروة أدبية كبيرة كان لها دور فعال في تطور الشعر والعلوم المرتبطة به كالنقد كما سنرى في الفصل القادم من هذا البحث .

ثانيا :حضور العلماء ومشاركاتهم في المجالس :

كان لحضور العلماء طعم خاص ونكهة ميزت تلك المجالس في كلا العصرين ، و كان الخلفاء على اختلاف طبائعهم وميولهم يحرصون غاية الحرص على وجود هؤلاء العلماء معهم ، بل رأينا وفي أكثر من خبر كيف أن الخلفاء كانوا دائما محاطين بكوكبة من العلماء والفقهاء ، ولم يستنكفوا أن يسألوهم في ما يعن لهم من مسائل ، بل كانوا يرسلون الرسل في طلبهم ، فربما عرضت للخليفة مسالة فأشكلت عليه فإنه لا يتوانى في إرسال الرسل إلى من يتوسم فيه العلم بها ليأتيه ويسأله ، وقد يكون العالم بعيدا أو في بلد ما فلا يثنيه هذا البعد في إحضاره أو في معرفة ما أراده منه تستوي في ذلك المسائل العلمية والأدبية والدينية .

مر بنا في صدر هذا البحث كيف كان اهتمام الخلفاء الأمويين بالشعر، و ما قاله الأصمعي عن إرسالهم البريد المرة تلو المرة إلى علماء العراق يسألونهم عن بيت من الشعر اختلفوا فيه ، أو يوم من أيام العرب فاتهم من أمره شيء ، و رأينا كيف كانت رسلهم تروح و تأتي من عند قتادة وهو بالبصرة وهم بالشام . أما في قصورهم فقد ذكرنا أنها كانت مفتوحة للعلماء لتأديب أولادهم ولحضور مجالسهم ، وقد علمنا كيف أن سيدنا معاوية كان له غلمان مرتبون يكتبون في الدفاتر السير والأخبار والحروب وأشعار الجاهليين و كانوا يقرأونها عليه في ساعات معينة من الليل ، و يذكرنا هذا بما سبق من ذكر أخبارعبد الملك بن مروان و مجالسه التي ذاعت شهرتها في كتب الأدب وذلك لما احتوت عليه من أخبار و آراء قيمة .

وفي العصر العباسي لم يختلف ألأمر كثيراً فلم تضعف رغبة الخلفاء في عقد تلك المجالس بل ربما زادت و أصبحت أكثر تنظيما ، بل كانت مجالس بعض خلفاء بني العباس أشبه بالمنتديات العلمية يؤمها المبرزون من الشعراء والعلماء ، و أصبح ما يدور فيها على ألسنة هؤلاء وما تروي فيها من أشعار وتعليقات يأتي من الحضور وجلهم كما ذكرنا من العالمين بفنون الشعر والأدب محط اهتمام العلماء و من يهتم بالكتابة من أهل الأدب ، فقد مر بنا ما كان يدور من نقاش ومساجلة بين الأدباء في ذلك العصر والذي تلاه عن تعليق أو رأي أو ملاحظة قيلت في هذا المجلس أو ذاك من مجالس الخلفاء ، فهذا الاهتمام بالعلماء كان من أهم ما أعطى لهذه الجالس تلك القيمة العلمية و الفنية ، و هو ما جعلها محفوظة في كتب الأدب إلى يومنا هذا .

ولنتبّين مدى حرص الخلفاء على انتقاء المبرزين من هؤلاء العلماء ، ننقل هنا ما روى السّيد المرتضى في " أماليه: الدّرر والغرر " بسنده إلى الأصمعيّ أنه قال: (تصرّفت بي الأسباب

١- الأغاني - (ج ٢ / ص ١٨٢)

على باب الرشيد مؤمّلاً للظفر به والوصول إليه، حتى إنّي صرت لبعض حرسه خديناً؛ " فإنّي " في بعض ليلةٍ قد نثرت السعادةُ والتوفيقُ فيها الأرق بين أجفان الرشيد، إذ خرج خادمٌ فقال: أما بالحضرة أحدٌ يحسن الشعر؟ فقلت: الله أكبر! ربّ قيدٍ مضيّق قد حلّه التيسير! فقال لي الخادم: ادخل، فلعلّها أن تكون ليلةً يغرس في صباحها الغنى إن فزت بالخطوة عند أمير المؤمنين.

فدخلت فواجهت الرّشيد في مجلسه، والفضل بن يحيى إلى جانبه، فوقف بي الخادم حيث يسمع التسليم، فسلمت فردّ عليّ السلام ثم قال: يا غلام أرحه ليفرح روعه إن كان وجد للرّوعة حسّاً! فدنوت قليلاً ثمّ قلت: يا أمير المؤمنين، إضاءة مجدك وبهاء كرمك، مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أتقيا فقال: ادن. فدنوت فقال: أشاعرٌ أم راوية؟ لكلّذي جدّ وهزل، بعد أن يكون محسناً! فقال: تا لله ما رأيت ادّعاء أعظم من هذا! فقلت: أنا على الميدان، فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين ! فقال: " قد أنصف القارة من راماها " ثم قال: ما المعنى في هذه الكلمة بديئاً؟ فقلت: فيها قولان: القارة هي الحرّة من الأرض، وزعمت الرّواة أنّ القارة كانت رماةً للتبابعة، والملك إذ ذاك أبو حسّان، فواقف عسكره وعسكر السّغد فخرج فارسٌ من السّغد و قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال: أين رماة العرب؟ فقالت العرب: " وقد أنصف القارة من راماها " . فقال لي الرشيد: أصبت!.

ثم قال: أرتوي لرؤبة بن العجّاج والعجّاج شيئاً؟ فقلت: هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيّا عن بصرك بالأشخاص. فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال: أنشدني: (طارق همّ أرّقا) ؟ فمضيت فيها مضيّ الجواد في سنن ميدانه تهدر بها أشداقي، فلمّا صرت إلى مديحه لبني أمية، ثنيت لساني إلى امتداحه لأبي العباس في قوله: (قلت لزيرٍ لم تصله مريمه) فلما رآني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال: أعن حيرةٍ أم عن عمد؟ قلت: عن عمد، تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به جدّ ك من مجده! فقال الفضل: أحسنت، بارك الله فيك! مثلك يؤهلمثل هذا المجلس! فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد: أتروي كلمة عديّبن الرّقاع: عرف الدّيار توهّماً فاعتادها قلت: نعم. قال: هات. فمضيت فيها حتّى إذا صرت إلى وصف الجمل قال لي الفضل: ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه، بصفة جمل أجرب! فقال له الرشيد: اسكت فالإبل هي التي أخرجتك من دارك، واستلبت تاج ملكك، ثم ماتت وعملت جلودها سياطاً ضربت بها أنت وقومك! فقال الفضل: لقد عوقبت على غير ذنب، والحمد لله! فقال الرشيد: أخطأت، الحمد لله على النّعم، ولو قلت: وأستغفر الله كنت مصيباً. ثم قال لي: امض في أمرك. فأنشدته، حتّى إذا بلغت إلى قوله(تزجى أغنّ كأنّ إبرة روقه)، استوى جالساً ثم قال: أتحفظ في هذا ذكراً؟ قلت: نعم، ذكرت الرواة أنّ الفرزدق قال: كنت في المجلس، وجرير إلى جانبي، فلما ابتدأ عديّ في قصيدته، قلت لجرير - مُسراً إليه - " هلم " نسخر من هذا الشاميّ. فلما ذقنا كلامه يئسنا منه، فلمّا قال(تزجى أغنّ كأنّ إبرة روقه) ، وعديّكالمستريح -قال جرير: أما تراه يستلب بها مثلاً ؟ فقال الفرزدق: يا لكع، إنّه يقول: قلم أصاب من الدّ واة مدادها فقال عديّ قلم أصاب من الدّواة مدادها فقال جرير: أكان سمعك مخبوءاً في صدره؟! فقال له: اسكت، شغلني سّك عن جّيد الكلام! فلمّا بلغ إلى قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاّكها ... من أمّةٍ إصلاحها ورشادها [1]

قال الرشيد: ما تراه قال حين أنشده هذا البيت؟ قلت: قال: كذاك أراد الله. فقال الرشيد: ما كان في جلالته ليقول هذا، أحسبه قال: ما شاء! قلت: وكذا جاءت الرواية.

فلما أتيت على آخرها قال: أتروي لذي الرمّة شيئاً؟ قلت الأكثر. قال: فما أراد بقوله:

مُمَرٍّ أَمَرَّت مَتنَهُ أَسَدِيَّةٌ يَمانِيَةٌ حَلَّت جُبوبَ المَضاجِعِ [2]

قلت: وصف حمار وحش أسمنه بقل روضةٍ تواشجت أصوله وتشابكت فروعه، من مطر سحابةٍ كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك. فقال الرشيد: أرح، فقد وجدناك ممتعاً وعرفناك محسناً. ثم قال: أجد ملالة - ونهض - فأخذ الخادم يصلح عقب النّعل في رجله - وكانت عربّية - فقال الرشيد: عقرتني يا غلام! فقال الفضل: قاتل الله الأعاجم، أما إنّ ها لو كانت سندّيةً لما احتجت إلى هذه الكلمة.

فقال الرشيد: هذه نعلي ونعل آبائي؛ كم تعارض فلا تترك من جوابٍ ممضّ! ثم قال: يا غلام، يؤمر صالحٌ الخادم، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل، في ليلته هذه، ولا يجب في المستأنف [3] انتهى .

هذا الخبر و إن كان مطولا إلا أنه من الأهمية بمكان لأنه يدلنا على جملة من الفوائد ، منها اهتمام الخليفة بالمعرفة ، و ثقافته الواسعة ، كما يدلنا على مبلغ حرص الخليفة على معرفة من يسأله ليعرف مقداره ، وفي تعليق الفضل " مثلك يؤهلمثل هذا المجلس " كذلك دلالة على أن من يستحق حضور هذه المجالس يجب أن يكون على قدر محترم من العلم والثقافة يليق بها و بمن يعقدها . وقد كان الأصمعي يستحق هذا التكريم فقد لزم الأصمعي الخليفة زمانا طويلا ، وأصبح بعد هذه الجلسة (الامتحان) من خواصه وممن يحرص على حضورهم مجالسه ، كما كان يسأله في كثير من المسائل ، وكان لآرائه مكانة كبيرة عند الخليفة .

ومما يروي قول العسكري في باب ما وهم فيه علماء الكوفيين، من كتاب التصحيف: أخبرنا أبو علي الكوكبيّ حدثني محمد بن سويد حدثني محمد بن هبيرة قال: قال الأصمعي للكسائي - وهما عند الرشيد - : ما معنى قول الراعي:

---

١ -عدي بن الرقاع العاملي؟ - ٩٥ هـ / ؟ - ٧١٤ م عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة.شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود.

كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك.لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، مات في دمشق وهو صاحب البيت المشهور:

تزجي أغنّ كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

٢ - ذو الرُمَّة ٧٧ - ١١٧ هـ / ٦٩٦ - ٧٣٥ م غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر.من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة.كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه.قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس.عشق (مَيّة) المنقرية واشتهر بها.توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية.

٣ - خزانة الأدب (ج ٢/ ص ١٠٤ – و ص ١٠٥) .

قَتَلوا اِبنَ عَفّانَ الخَليفَةَ مُحرِماً وَدَعا فَلَم أَرَ مِثلَهُ مَخذولا

فقال الكسائي . كان محرماً بالحج. قال الأصمعي: فقوله:

قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يمتع بكفن

هل كان محرماً بالحج؟! قال الرشيد للكسائي: يا عليّ إذا جاء الشعر فإياك والأصمعي! قال الأصمعي محرم، أي: لم يأت ما تستحل به عقوبته؛ ومن ثمّ قيل مسلم محرم، أي: لم يحلّ من نفسه شيئاً يوجب القتل. وقوله: قتلوا كسرى محرما، يعني حرمة العهد الذي كان له في أعناق أصحابه " ([1]) انتهى .

في تعليق الخليفة دلالة مهمة وإشارة ذكية إلى وجوب احترام التخصص فمع علم الكسائي ، ومكانته الكبيرة إلا أن مجاله ليس الشعر فهنا للأصمعي الصدارة .

و بمثل هذا كانت مجالس الخلفاء تعقد حافلة بالعلم والمعرفة و قد زادها ثراء و غنى وجود مثل هؤلاء العلماء فيها ، بما كانوا يقدمونه من تعليقات و يقولونه من آراء علمية وما يحفظونه من أشعار والعرب و بما يحفظونه من فنون اللغة ، وقواعدها .

ثالثا : ثقافة الخلفاء :

تحدثنا فيما سبق مطولا عن المستوى الثقافي الكبير الذي كان يتمتع به عامة الخلفاء وقد كان ذلك ملاحظا في كلا العصرين ، ولا شك في أن هذا المستوى لم يكن واحدا عند كل الخلفاء ، فمن الخلفاء من كان مميزا في ثقافته وفي علمه ، فإذا ذكرنا هذا التميز فلا بد أن نذكر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي يروي عنه قوله لبعض جلسائه : " قد قضيتُ الوطرَ من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر، على التلال العفر" ([2]) . وتذكر بعض الروايات في كتب الأدب أن عبد الملك هذا ، هو من جمع المعلقات ، فقد جاء في كتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب عن إحدى تلك الروايات التي تقول :" إن الذي جمع القصائد السبع هو عبد الملك بن مروان نفسه " ولم يكن في الجاهلية من جمعها قط " وهي قصيدة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن أبي كاهل (بسطت رابعة الحبل لنا) وأبي ذؤيب (أمن المنون وريبها تتوجع) وعبيد بن الأبرص (أن تبدلت من أهلها وحوشا) وعنترة (يا دار عبلة بالجواء تكلمي..) ثم أرتج على عبد الملك وهو يختارها فدخل عليه ابنه سليمان وهو يومئذ غلام فانشده قصيدة أوس بن مغراء (محمد خير من يمشي على قدم)، فقال عبد الملك وتعصب لها : "مغروها " أي أدخلوا قصيدة ابن مغراء فيها ([3]).

ولم يكن الخليفة عبد الملك وحده ممن أحب مُجالسة العلماء والشعراء و أهل الفكر فمما قاله الخليفة عمر بن عبد العزيز : والله إني لأشتري المحادثة من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين. فقيل: يا أمير المؤمنين،أتقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك وتنزهك؟ فقال: أين يذهب بكم؟ والله إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال

---

١ - خزانة الأدب و لباب لسان العرب – عبد القادر البغدادي (الجزء الأول / ص ٣٩٥) .

٢ - الإمتاع و الموآنسة (ج ١ / ص ٨)

٣ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - إحسان عباس- ص ٧٤.

المسلمين بألوف وألوف الدنانير، إن في المحادثة تلقيحاً للعقول، وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهم ، وتنقيحاً للأدب " (١).

فإذا كان هذا هو الحال مع خلفاء بني أمية من حبهم للأدب وللثقافة حتى برز فيهم من برز ولمع اسمه وارتبط بهما كعبد الملك ، فإننا نجد الأمر نفسه في العصر العباسي فخلفاء بني العباس اهتموا كرصفائهم بالأدب وبالشعر على وجه لخصوص كما اهتموا بسائر العلوم في عصرهم ، وقد بينا في فصل سابق النقلة العلمية الكبرى في عصرهم و التي قادها الخلفاء وشجعوا عليها في مختلف المجالات ، وكان للأدب نصيب وافر من هذا الإهتمام ، فكما فعل بنو أمية مع أبنائهم رأينا كيف اهتم العباسيون بتأديب أبنائهم ، وكيف أثمر هذا الاهتمام عندما تولى هؤلاء السلطة فزادوا من اهتمامهم و رعايتهم للشعراء و كانت مجالسهم في قصورهم مضرب المثل ومحط اهتمام أهل الأدب لما حوته من علم وأدب .

قال المفضل بن محمد الضبي: " حضرت الرشيد يوماً، ومحمد عن يمينه والمأمون عن يساره الكسائي بين يديه وهو يطارحهما في معاني القرآن، فالتفت إلي الرشيد وقال: كم اسم في قوله " فَسَيَكْفِيكَ هُمُ اللّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (٢) فقلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولها: اسم الله عز وجل، والثاني: اسم رسول صلى الله عليه وسلم، والكفار فالياء الأولى هي اسم الله تعالى، والكاف الثانية لرسول الله عليه السلام، والهاء والميم للكفار، فقال الرشيد: هكذا أجاب هذا الرجل، وأومأ إلى الكسائي، ثم التفت إلى محمد فقال: أفهمت؟ قال: نعم " (٣). و قد ذكر صاحب البصائر والذخائر " أن ّ الرشيد كان يجمع العلماء ويسمع كلامهم "(٤) .

ولعلنا نستخلص من أخبارهم وتعليقاتهم أن بعض خلفائهم كانوا لا يقلون علما أو ثقافة من العلماء في عصرهم ، و كذلك كان رأي الأقدمين فيهم فقد مرَّ بنا في غير هذا الفصل من هذا البحث قول موسى بن سعيد بن مسلم عن أبيه قوله:" كان فهم الرشيد فهم العلماء " (٥) . ومن تلك الآراء ما يكشف عن ثقافة عالية وعلم واسع بالشعر فقد ذكر أن المأمون سأل ندماءه عن شعر يدل على أنه لملك ثم قال لهم: إنه شعر الوليد: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أبي: أنا المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وإن لم يعرف قائله أنه شعر ملكٍ، فأنشده بعضهم قول امريء القيس:

---

١ - عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب، ينتهي إلى عدنان. أبو عبد الله الهذلي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وهو أخو المحدث عون وجدهما عتبة هو أخو عبد الله بن مسعود الصحابي. وكان من أعلام التابعين.لقي خلقاً كثيراً من الصحابة؛ وسمع من ابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة. وقال الزهري: أدركت أربعة بحور، فذكر عبيد الله! وقال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله؛ فإذا كأني ليس في يدي شيء! . وكان مؤدب عمر بن العزيز . بالوفيات - (ج ٦ / ص ٣١١) .

٢ - "فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَآ آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْ تَواْ وَّإِ ن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَ ا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" البقرة : ١٣٧

٣ البصائر والذخائر (ج ٥ / ص ٢٢٩) .

٤ - المرجع السابق (ج ١ / ص ٢٧٢) .

٥ - خزانة الأدب - (ج ٤ / ص ١٩)

أمن أجل أعرابية حل أهلها ... جنوب الملا عيناك تبتدران ([1])

قال: وما في هذا مما يدل على ملكه! قد يجوز أن يقول هذا سوقةٌ من أهل الحضر، فكأنه يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية، ثم قال: الشعر الذي يدل على أن قائله ملكٌ قول الوليد:

اسقني من سلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديم كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لي المحض من ودهم ... ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال، يبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه " ([2]) . وتذخر كتب الأدب بكثير من مثل هذه الآراء والتعليقات التي تدل على ما ذكرنا من ثقافة الخلفاء و علمهم وقد كان نصيب بعضهم من هذه الأخبار كبيرا و ذا أثر في بلورة كثير من الأفكار النقدية التي اعتمدها الكتاب فيما بعد ، فقد ذكرنا سابقا مثالا لها في معرض تعليق الخليفة الرشيد عن بيت العماني:

كأنَّ أذنيه إذا تشوّفا ... قادمةً أو قلماً محرّفا

وقد ذكرنا كيف أن أحداً من الحضور لم يفطن للحن الشاعر سوى الخليفة مع ما علمنا بمكانة الحاضرين من العلم والثقافة ، و قد أثار هذا التعليق كما رأينا موجة من التعليقات والآراء بين مؤيد و معارض له مما يدل على مدى ما كانت تمثله آراء الخلفاء من أهمية لدى عموم أهل الأدب واللغة .

إذا فإن لنا أن نقول بأن من أكبر العوامل التي ساعدت على إكساب مجالس الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي تلك الأهمية ، و جعلت لها هذا التأثير الكبير في كتب الأقدمين بل وحتى المحدثين ، ما كان للخلفاء من علم وثقافة عالية اكتسبوها بالعلم الذي أخذوه من مؤدبيهم منذ نعومة أظفارهم واهتمام آبائهم بذلك وما ذاك إلا لعلم هؤلاء الآباء بخطورة الدور الذي يلعبه العلم والأدب في مستقبل حياة أولادهم ، خاصة حينما يتولون إدارة الدولة بعدهم . و لم يفرط هؤلاء الأبناء فيما اكتسبوه من علم في صغرهم بل أضافوا إليه بتقريبهم للعلماء والأدباء و لمن توسموا فيه النبوغ والتفوق ، ولم يستنكفوا السؤال وعما يشكل عليهم والأخذ بالصحيح منه .

رابعا: حرص الشعراء على المشاركة في المجالس :

من الملاحظ في هذه المجالس ، توافد الشعراء عليها ، و رغبتهم الملحة في المشاركة فيها ، إلا أننا بجانب هذه الرغبة و التي تبلغ حد التهافت من بعضهم نرى نفورا ممن لهم مواقف سياسية أو دينية من الخلفاء أو من الأسرة الحاكمة ككل ، فقد رأينا كيف أن بعض الشعراء من ذوي المذاهب المناوئة لبني أمية كانوا أبعد ما يكونوا من مجرد التفكير في الاتصال بخلفاء بني أمية ، بل كانوا يناصبونهم العداء الصريح ، ويقولون الشعر في هجائهم ، بل كانت لهؤلاء الشعراء مواقف من التكسب بالشعر والوقوف بأبواب الخلفاء لمدحهم ، ولعل من الطريف أن نذكر خبرين وردا في الأغاني يصوران هذا الموقف في كلا العصرين الأموي والعباسي ، فقد ذكر الأصفهاني

---

١ - في رواية أخري : أَمِن ذِكرِ َبهاذِةٍ حَلَّأَهلُها بِجِزعِ المَ لا عَيناكَتَبتَدِران ، الحلل في شرح أبيات الجمل - (ج ١ / ص ٣١)

٢ - الأغاني - (ج ٢ / ص ٢٢٢)

في الخبر الأول فقال: مرّ عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال:

أيـها المادح العباد ليعطى ... إن لله ما بأيـدي العـباد
فاســأل الله ما طلبت إليهم ... وارج فضل المقسم العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فقال الفرزدق: لولا أن الله عز وجل شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شراً [1]. فهذا الخبر في العصر الأموي ، وقد كان عمران بن حطان من فحول شعراء الخوارج ، الذين لم يتحولوا عن مجالدة بني أمية ولم يهادنوهم ، وقاتلهم حتى قتل .

ثم ذكر الخبر الثاني فقال : وقف السيد[2] على بشار وهو ينشد الشعر، فأقبل عليه وقال:

أيها المادح العباد ليعطى ... إن لله مـا بـأيـدي العـباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج نفع المنزل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه ... وتسمي البخيل باســم الجواد

قال بشار: من هذا؟ فعرفه، فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا [3]. أما هذا الخبر فهو من العصر العباسي ، ولم يختلف الخبران إلا في الزمان أما المواقف فقد ظلت كما هي لم يبدلها الزمان . لكن هناك من الشعراء من تراجع عن مواقفه طوعا أو كرها كالكميت الذي ناصب بني أمية العداوة زمانا طويلا وقال كثيرا من الأشعار في هجائهم والتحريض عليهم ، لكنه في النهاية لم يجد أمام سطوة السيف بدا من الخضوع إليهم و ورود مجالسهم ومدحهم ، وقد كان قد بلغ هشام بن عبد الملك هجاؤه لهم ، وقوله :

فيا ربِ هل إلا بك النصر يبتغى ... ويا رب هل إلا عليك المعول!

فأكبرها وعظمت عليه، واستنكرها، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده ، فحبس ، ثم تمكن من الهرب إلى الشام ، وتشفع له مسلمة بن هشام وطلب الأمان له من أبيه فأجابه بعد لأي ، ثم أمر الخليفة هشام أن يعقد له مجلساً يسمع فيه مدائحه في بني أمية فعقد له،

---

١ - الأغاني - (ج ٥ / ص ٢٥)

٢ إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة وجده هذا هو يزيد بن مفرغ الحميري أبو هاشم المعروف بالسيد الحميري، كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه رافضي جلد زائغ عن القصد، له مدائح جمة في أهل البيت عليهم السلام، وكان مقيماً بالبصرة. وكان يرى رأي الكيسانية وهو مذكور في ترجمة كيسان إن شاء الله تعالى لأنه يرى رجعة محمد بن الحنفية إلى الدنيا،، وكان السيد أسمر تام القامة أبيض الجمة حسن الألفاظ جميل الخطاب، وكان مقدماً عند المنصور والمهدي. وقيل: إنه مات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وقيل: سنة ثمان، وقيل غير ذلك. وولد في أيام بني أمية سنة خمس ومائة. وكان أحد الشعراء الثلاثة الذين لم يضبط الرواة ما لهم من الشعر: هو وبشار وأبو العتاهية، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لإفراطه في سب الصحابة وبغض أمهات المؤمنين وإفحاشه في شتمهم وقذفهم والطعن عليهم، فتحامى الرواة شعره. قال أبو عثمان المازني: سمعت أبا عبيدة يقول: ما هجا بني أمية أحد كما هجاهم الدعيان: يزيد بن مفرغ أول دولتهم وما عمهم والسيد ابن محمد في آخرها وعمهم. الوافي بالوفيات - (ج ٣ / ص ٢٣٨)

٣ - الأغاني - (ج ٢ / ص ٢٨٨)

وعنده الأبرش الكلبي، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط، وامتدحه بقصيدته الرائية، ويقال إنه قالها ارتجالاً، وهي قوله:

قف بالديار وقوف زائر وتأن إنك غير صاغر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ماذا عليك مـن الوقو ... ف بها وأنك غير صاغر
درجت عليها الغاديا ... ت الرائحات من الأعاصر

وفيها يقول:

فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى المصاير

وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يده، فيقول: اسمع، اسمع.ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية، فأذن له، فأنشده قوله :

سأبكيك للدنيا وللـدين إنـني ... رأيت يد المعروف بعدك شلت
فدامت عليك بالسلام تحية ... ملائـكـة الله الكـرام وصـلت

فبكى هشام بكاء شديداً، فوثب الحاجب فسكته.ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً، فحشدت له المضرية بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم. وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم ([1]).

إذا تفحصنا قول الفرزدق لعمران بن حطان من أنه لولا انشغاله برأيه للقينا منه شرا ، لرأينا الصدق في كلامه لأن عمراناً كان شاعرا شهد له الكثيرون لكن مذهبه شغله عن قول الشعر في موضوعات أخرى ، ولو أنه اعتدل لكان له شأن ، أما قول بشار لولا انشغال الحميري بمدح بني هاشم لشاركهم الشاعر في مذهبهم ، فالمذهب الذي يقصده إنما كان حضور مجالس الخلفاء و مديحهم ، فربما حمد بشار الله على انشغال الحميري بما هو فيه حتى لا يزاحمهم أو ينافسهم في مدح الخلفاء .

على أن أكثر الشعراء في كلا العصرين كانوا يتزاحمون علي أبواب الخلفاء ، والمحظوظ منهم من إذا اعتمده الخليفة نديما وجليسا له ، وقد كانت هذه المنزلة موقوفة على من يُثبتُ جدارته و مهارته وموهبته الشعرية . لذا فقد كان الخلفاء والأمراء يتخيرون الشعر ويفاضلون بين الشعراء في تقريبهم لهم وفي عطاياهم قال الأصمعي : حدثنا الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك: أن عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي كان ممدحاً، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفي! و أي شيء مقدار شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل وقال له: والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يبينه، ويتعاطاه فلا يحسنه، حتى يشبب بخمسين بيتاً، ثم يمدحنا ببعضها، وهذا كأن المعاني تجمع له، مدحني فقصّر التشبيب، وقال:

إني أمنت من الزمان وريبه لما علقت من الأمير حبالاً([2])

---

١ - الأغاني (ج ٤/ ص ٣٨٣)

٢ - المرجع السابق (ج ١ / ص ٣٥٧)

إذا تمعنا في قول الشعراء في الخبر السابق " كيف فعل هذا بهذا الكوفي! و أي شيء مقدار شعره! " فإننا نجد ملمحا مهما وهو أنهم يزعمون أن أبا العتاهية لم يكن مستحقا للجائزة ، و هو نوع من قياس مستوى الشعر ، إذ أنه في رأيهم لم يرق لمقدار الجائزة التي نالها من الأمير . وفي رد الأمير عليهم بّين مواضع مآخذه على أشعارهم فاتهمهم بغموض المعنى و بعدم الإجادة فيه ، ثم بين لهم ، أن الواحد منهم لا يخلص لغرضه ، من المدح مباشرة إلا بعد أن يتشبب كعادة الشعراء بل يطيل فيه ، ولا يمح إلا ببضع أبيات فقط . ولم يكتف بهذا النقد وإنما شفعه بمثال من قصيدة أبي العتاهية بّين فيه كيف جمع الشاعر المعاني و كيف أنه – أي الشاعر– قصر في النسيب ولم يطل فيه ، وهذا عين ما قصر الشعراء عنه .

نخلص من هذا إلى أن الشاعر في العصرين كان حريصا على أن يصل إلى ما كان يحلم به أغلب الشعراء من مدح الخلفاء والأمراء والوصول بشعرهم لمجالسهم-إلا قلة من أصحاب المذاهب - و قد يكون من دوافعهم المهمة لذلك نيل الجوائز و العطايا منهم إلا أننا لا يمكن أن نسقط الجانب المعنوي لهذه المشاركة ، و أنها كانت من الأهمية بمكان ، فهي بلا شك كانت تعطي الشاعر دفعا معنويا واجتماعيا كبيرا لا يقدر بمال ، لهذا كان الشاعر يتكبد المشاق و يتحمل الانتظار الطويل أمام أبواب الخلفاء والأمراء ، و يحتال بشتى الطرق لينال هذا الشرف الكبير ، منذ ذلك الوقت كانت تلك المجالس قد أوجد لنفسها المكانة التي أرادها لها من كان يعقدها ، لتكون منتديات للعلم والأدب .

خامسا: المديح أهم موضوعات المجالس :

كانت مجالس الخلفاء و الأمراء منتديات فكرية وعلمية ، بما كان يطرح فيها من موضوعات وبمن كان يؤمها من علماء ومفكرين . وكما تبين لنا سابقا فقد كان يحضرها الفقهاء وعلماء الفلك والأطباء ، والمفكرون والمتكلمون ، وكانت تجرى فيها المناظرات بينهم ، وكما ذكرنا سابقا أن هؤلاء قد كثروا بباب المأمون حتى اضطر لتنظيم أيام يدخلون فيها عليه على حسب تخصصاتهم ، إلا أن من أهم مجالسهم ما كان يعقد من أجل الاستماع للشعر ، و الحقيقة أن الشعر كانت له المكانة الأولى في تلك المجالس ، بل كان حاضرا دائما فيها فقلما انعقد مجلس من مجالسهم من غير أن يخوضوا فيه ، فكثيرا ما رأينا الخليفة يتمثل بالأشعار في مختلف المواقف ، بل كانت الحاجات تقضى به ، والمكاتبات لا تتم إلا بالاستشهاد به ، قال الأصمعي: كنت شاكيا فقال لي الرشيد: كيف بت؟ فقلت: بليل النابغة يا أمير المؤمنين. فقال: أنّا لله، هو والله قوله:

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ (١)

قال الرشيد ليختيشوع (٢) :هل يحم الروح؟ قال: نعم من مجالسة الثقلاء، أما سمعت قول الحارث بن كلدة :

---

١ - ربيع الأبرار (ج ١ / ص ٨)

٢- معنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام، وكان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها، وخدم هارون الرشيد وتميز في أيامه . عيون الأنباء في طبقات الأطباء - (ج ١ / ص ١٠٨)

ولنا في الحـــي المقت جبل ... راسخ في الطول رأس قد مثل
تمرض الأرواح من رؤيته ... و يغشـــــيها نعـاس وكسـل[1]

ولئن كان الشعر له مكان الصدارة في مجالس الخلفاء فالمديح كان هو الموضوع الأول الذي طغى على ما عداه من الموضوعات وإن لم تكن مقتصرة عليه . ذلك كان أمرا طبيعيا ، فقد ظل المديح موضوع الشعراء المفضل من العصر الجاهلي وحتى العصور الإسلامية التالية له ، لكنه بلغ في العصرين الأموي والعباسي مرتبة لم يبلغها فيما عداه من العصور ، والسبب في ذلك تشجيع الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة في العصرين للشعراء واستمالتهم لمدحهم بالعطايا والجوائز التي تبلغ حد المبالغة في كثير من الأحيان ، فتحلق الشعراء حولهم يمدحونهم في كل حين وكل مناسبة تصيدا للجوائز مما جعل المديح يتصدر موضوعات الشعر بل يكاد يكون هو السمة المميزة لشعر هذين العصرين و تأتي كل موضوعات الشعر الأخرى بعده من حيث الأهمية ، وقد لعبت مجالس الخلفاء دورا كبيرا في رفع مستوى المديح من حيث الكم والكيف ، فمن حيث الكم فإن هذه المجالس وفرت المسرح المناسب للشعراء لإلقاء أشعارهم فأكثروا منها ، ولم يدعوا فرصة تفوتهم دون أن يمدحوا فيها خليفة أو أميرا أو قائدا مهما ، فخلفوا كما هائلا من شعر المديح بما لم يحدث في عصر من العصور .

أما من ناحية الكيف فقد رأينا كيف أن هذه الرغبة العارمة من الشعراء في الوصول للخلفاء ومدحهم قد جعلت الخلفاء أنفسهم يملون من سماع المكرور من التشبيهات و الصفات التي لاكها الشعراء حتى فقدت قيمتها المعنوية والأدبية ، فأوصدوا آذانهم قبل بيوتهم في وجه مثل هذا الشعر و لم يعودوا يقبلون إلا من يمدحهم فيبدع ، ونشير هنا لما أوردناه سابقا من خبر عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي مع الشعراء ، وكيف فضل عليهم أبا العتاهية فقد رفض أن يظل يستمع لشاعر يلقى عليه قصيدة يستغرق النسيب ووصف الناقة فيها أكثر أبياتها ليمدحه في آخرها ببضع أبيات لا يحسن معانيها ولا تجمع له . ولعل هذا الملل الذي أصاب الأمير كان قديما فقد رأينا من قبل ما قاله الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وهو يوجه الشعراء " يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر و مرة بالجبل الأوعر و مرة بالبحر الأجاج ، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نَهارُكُمُ مُكَابَدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَـيْلُكُمُ صلاَةٌ وَاقْتِرَاءُ [2]

فبفضل مثل هذه الأفكار والتوجيهات ارتقى فن المديح في العصر الأموي وبلغ شأوا بعيد في العصر التالي له وهو عصر بني العباس الذي نهض فيه فن المديح نهضة كاملة في كافة أجزائه من حيث الأسلوب والمعاني ، وقد اتجه النقد الأدبي تبعا لذلك إلى هذا اللون من الشعر ، وكما يقول الدكتور عبد العزيز عتيق لهذا فقد " أمسك الخلفاء بميزان النقد يوجهونه بما أرادوا " [3] . و لكن هذا الحكم ربما ينطبق على الأحكام النقدية الصادرة من الخلفاء فيما يخص جانب المعنى

١- ربيع الأبرار (ج ١ / ص ١٤٧)

٢- الأغاني – (ج / ٢٠/ ص ٣١٠ و ٣١١)

٣ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب – د. عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٩٨٦م – ص ١٩٤.

أو موضوع القصيدة على وجه الإجمال أما الأحكام الأخرى لهؤلاء الخلفاء في الجوانب الأخرى كالأحكام الخاصة باللغة و بناء القصيدة وغيرها فإننا لا نستطيع أن نعمم ما ذكره الدكتور عبد العزيز عليها لأنها أحكام لا تخضع للإرادة الشخصية حتى وإن كانت تلك الشخصية هي الخليفة نفسه .

سادسا : تشابه مواقف و طرق النقد عند الخلفاء :

حفلت مجالس الخلفاء في كلا العصرين بالكثير من المواقف النقدية التي شملت العديد من أوجه النقد الموجه للشعراء . بالرغم من اختلاف العصرين و بغض النظر عن العداء بين الأمويين والعباسيين إلا أننا نلاحظ تشابها في كثير من تلك التعليقات والآراء التي وردت في تلك المجالس ، يرجع ذلك فيما تبين لنا إلي جملة من الأسباب لعل أبرزها أن كلا العصرين ينتميان لثقافة واحدة هي الثقافة الإسلامية العربية التي تقوم على مرتكزين هامين الأول هو التراث العربي الممتد من العصر الجاهلي والذي أسس للشعر و أوجد له تلك المكانة السامية في نفوس العرب ، كما ظهرت فيه بوادر النقد الأدبي فقد كانت للشعراء أسواق أدبية ومجالس عامة ، وقد حفظت لنا كتب الأدب بعضا من هذا النقد كنقد طرفة بن العبد لبيت المسيب بن علس :

وقد أَتَنَاسَى الهَمَ عِنْدَ احتضارِهِ ... بناجٍ عليه الصَيْعَرِيَةُ مُكْدَمِ([1])

و نقد أم جندب لأبيات امرئ القيس في وصوف الفرس وغير ذلك مما ينسب للعصر الجاهلي من تعليقات نقدية ، فلا شك في تأثير هذا التراث في العقلية العربية النقدية في العصرين الأموي والعباسي . أما المرتكز الإسلامي فقد اتضح جليا في كثير من التعليقات النقدية خاصة فيما يتعلق بالموضوعات والمعاني ، وقد رأينا كيف كان نقد بعض الخلفاء لمن كان يخرج من الشعراء على القيم والأخلاق في شعره . هذان المرتكزان للتكوين الثقافي للمجتمعين الأموي والعباسي كانا هما المنهلين اللذين نهل منهما الخلفاء والعلماء وكانا هما المرجعين الأساسيين للنقد الذي كان يصدر من تلك المجالس ، إذا لا عجب أن تشابهت أوجه النقد في كلا العصرين وإن بدت بعض الخصوصيات المميزة لكل عصر منهما .

لعل من أبرز أوجه الملاحظات التي سجلها كثير من الباحثين عن تلك المجالس أن النقد فيها كان نقدا انطباعيا ولم يكن قائما على أسس وقواعد علمية ذات منهج واضح ومفصل ، كان السؤال الذي يطرح دائما في تلك المجالس : عمن هو أشعر الناس ؟ فتتعدد الإجابات ولاختلاف الأذواق والأهواء والانتماءات ([2]) . فمثل هذا النقد يعد نقدا انطباعيا يقوم على الذوق والأهواء والانتماءات كما ذُكر سابقا ، ولا يقوم على أسس منهجية ، وقد كانت لعبد الملك بن مروان طرق شتى في الحوار النقدي الذي كان يدور في مجلسه فتارة يسأل الشاعر : أأنت القائل ... كذا ؟ ثم يستدرك عليه بعض المآخذ في المعنى أو الأسلوب ، كما مثلنا لذلك في حواره مع كثير عزة ([3]) . وقد يشرك جلساءه في النقد ممتحنا إياهم بتتبع فكرة جزئية وردت في ويعمل على تصحيحها بما

---

١ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ٣١)

٢ - معالم على طريق النقد القديم – د. رجاء عبد المنعم جبر – مكتبة الشباب – الجزء الأول – ص ٦٥.

٣ - صفحة ٤٦ من هذا البحث .

يتفق مع الموروث الشعري العربي ثم يتدخل هو في النهاية بعد أن تتعدد المحاولات ليورد التعديل المناسب كما حدث بينه وبين الأقيشر عندما دخل عليه فذكر بيت نصيب الأسود :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي([1])

وقد يجمع بين الشعراء حتى و إن كانوا متعادين أو متنافسين كما جمع بين جرير والأخطل والفرزدق وطلب منهم أن يمدح كل واحد نفسه وجعل الجائزة لمن غلب ([2]) ، و هكذا كانت تتنوع الأساليب النقدية في تلك المجالس وما مجلس الخليفة عبد الملك إلا خير مثال عليها لشهرته و لكثرة ما روى عنه من أخبار مع الشعراء والعلماء .

وبمثل هذا أيضا جرت الأخبار عن خلفاء بني العباس فلم تبعد المواقف النقدية للخليفة هرون الرشيد عن تلك التي رأيناها في مجلس الخليفة عبد الملك بن مروان مع اختلاف العصرين ، فقد يأمر الشعراء مثلا أن يقولوا شعرا في حادثة معينة أو في وصف شيء أو موقف معين ، وقد ذكرنا له مثل هذا الموقف عندما أجرى الخيل وأمره للشعراء بقول الشعر في هذا والجائزة لأحسنهم وصفا لما رأى ، فنالها أبو العتاهية . قد يورد الخليفة بيتا من الشعر من نظمه أو من نظم غيره فيطلب من الشعراء إجازته وذلك من مثل ما ذكرنا من قول الرشيد :

وهاجرة نصبت لها جبيني ... يقطع ظهرها ظهر العظاية ([3])

بمثل هذه المواقف النقدية بدأت تتضح شيئا فشيئا الأفكار النقدية ، كما بدأت أولى خطوات النقد الأدبي الممنهج ، و كما مر بنا فإن هذه مواقف النقدية التي كان يستعملها الخلفاء أثمرت العديد من الآراء والتعليقات النقدية التي قدمت للأدب عموما وللنقد خصوصا الكثير من الفوائد التي ساهمت بقدر كبير في تطورهما .

سابعاً : تشابه دوافع النقد عند الخلفاء :

تنوعت و تعددت دوافع النقد عند الخلفاء في كلا العصرين ، ولعل مرجع هذا التشابه يعود إلي ما كان من تشابه بين الدولتين في كثير من الأمور الأخرى ، والتي تتنوع ما بين سياسي و اجتماعي و ثقافي و هي على ما يبدو شكلت الدوافع المختلفة للنقد عند الخلفاء . لعل من أبرزها الدوافع الآتية :

أ) **الحس الأدبي** وتقدير الخلفاء للشعر كقيمة أدبية ووسيلة لتحقيق مآرب سياسية واجتماعية لهم ، فلا بد من إحسان هذه الوسيلة لتكون فاعلة ومؤثرة في نفوس الناس . ولم تكن لتتوفر للخلفاء ملكة الحس الأدبي إلا بالدراسة والتعمق في الأدب ، وقد كان ذلك متاحا لهم ، لاعتناء آبائهم بتعليمهم و صقلهم ، فملكوا حساً أدبيا رفيعاً أهلهم لتذوق الأدب عامة والشعر بصفة خاصة ، وقد ذكرت الأخبار أن بعض الخلفاء و أولادهم كانوا يرون الشعر بل وينظمونه أيضاً .

وقد أفرد الصولي كتابا سماه أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ([1]) ، ويذكر في مقدمته أنه قد فرغ

---

١ - صفحة ٧٣ و ٧٤ من هذا البحث .

٢ - صفحة ٦٢ من هذا البحث .

٣ - الصفحة رقم ١٣٥ من هذا البحث .

من رصد أشعار وأخبار الخلفاء ويعني بهم خلفاء بني العباس . ففي مقدمة الكتاب يقول المؤلف " قد فرغنا من أشعار الخلفاء وأخبارهم "([2]) .

هذا وإن كنا لم نقف على كتاب مشابه لكتاب الصولي عن خلفاء بني أمية إلا أنه من المعروف عنهم ما رأينا من عنايتهم بالأدب وبالشعر وتذوقهم له بما لا يقل عن رصفائهم العباسيين.

وقد أثبتنا فيما سبق الكثير من الأمثلة الدالة علي سمو ورفعة ذوق الخلفاء في تعاملهم مع الشعر . ولعل من أبرز ما ذكرنا نقد عبد الملك للشاعر نصيب في الأخبار أن الأقيشر دخل علي عبد الملك بن مروان فذكر بيت نصيب الأسود :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فقال : والله لقد أساء قائل هذا البيت . فقال له عبد الملك : فما كنت قائلا لو كنت مكانه؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك : فأنت والله أسوأ قولا وأقل بصرا حين توكل بها بعدك . قيل فما كنت قائلا يا أمير المؤمنين .؟ قال كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقال الحضور : والله لأنت أجود الثلاثة قولاً ، وأحسنهم بالشعر علما يا أمير المؤمنين ([3]) .

لتعليق الحضور على هذا الموقف دلالة هامة تثبت ما ذهبنا إليه من تعاطي الخلفاء للشعر و من حسن علمهم به ، مما أهلهم لنقد ما لا يتوافق مع حسهم وذوقهم وعلمهم .

وقد كان لخلفاء بني العباس كذلك مواقف كثيرة تدل حسهم الشعري الرفيع و علمهم بالشعر من ذلك خبر أشجع السلمي مع الرشيد فقد أنشده قصيدته الميمية التي يقول فيها:

وعلى عَـُوِّك يا ابنَ عمِّ محمدٍ رَصَدَانِ: ضوءُ الصبح والإظلامُ

فـإذا تَـ نـّبهِ رُعتَـُه و إذا هـَـَـا سَـــلـّت عليه سيوفـَك الأحـلامُ ( )

فلما بلغ هذين البيتين اهتز الرشيد وارتاح وقال: هذا والله المدح الجيد والمعنى الصحيح، لا ما عللت به مسامعي هذا اليوم ، وكان أنشده في ذلك اليوم جماعة من الشعراء .

إذا تمعنا في الخبر ملياً وخاصة في معنى اهتزاز الرشيد لرأينا كم كان للشعر الجيد من وقع كبير على هؤلاء الخلفاء ، وكم كانوا يطربون للجيد منه ، فلا عجب أن ينتقدوا ما لا يوافق حسهم وما لا يلامس وجدانهم .

ب) **الدافع الديني والأخلاقي** : يعتبر بعض النقاد أن زلات الشعراء الدينية والأخلاقية لا تعتبر مقياساً نقدياً يقوَّم به الشعر ، و زادوا على ذلك أن الغلو والإفراط من طبيعة الشعر وأن الشعراء

---

١ - أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم - أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي] من نوادر التراث العربي. وهو قسم من كتابه الضخم (الأوراق في أخبار بني العباس وأشعارهم) في هذا البرنامج كتاب (أخبار الراضي). طبع لأول مرة في مصر سنة ١٩٣٦م بعناية (ج. هيُورث. دن) المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن .

٢ - أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم - أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي - (ج ١ / ص ١)

٣ - صفحة ٦٣ من البحث .

كلهم مشمولون بحكم الآية الكريمة " أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ " ([1]) ، و تجاوز بعضهم إلي القول بأن الشعر لا يجب أن يدخل في باب الأخلاق والقيم ، ويعجب د. إحسان عباس من قول الأصمعي إن الشر طريق الشعر فإذا أدخلته في باب الخير لان فيقول " إن من العجيب أن الأصمعي الذي كان يتحرج تديناً من رواية أي شعر فيه ذكر للأنواء ، يقيم حداً فاصلاً بين الشعر والدين، ويراهما عالمين منفصلين لا يتصل أحدهما بالآخر، وفي اتصالهما حيف على الشعر نفسه . وأوضح من هذا في تبيان موقفه من العلاقة بين الشعر والدين، قوله الذي لا يزال يقتبس دائماً في هذا المعرض: "الشر طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره في باب الخير - من مراثي النبي (ﷺ) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم - لان شعره. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان " .([2])

و قد تعامل كثير من الأدباء والنقاد مع مثل هذه المقولات وغيرها كمقولة أحسن الشعر أكذبه ([3]) كأنها حقائق ثابتة ، إلا أننا نلاحظ أن هؤلاء النقاد لم يلتزموا بها عند التطبيق والتعامل مع الشعراء ، فمعظمهم إن لم يكونوا جميعا يقفون مواقف بالغة القسوة مع تجاوزات الشعراء الدينية والأخلاقية ([4]) ، و لعل هذا الفارق بين النظرية والتطبيق هو الذي رآه د. إحسان عباس تناقضاً عند الأصمعي .

و قد كان للخلفاء في كلا العصرين في مجالسهم تلك مواقف أخلاقية ودينية واضحة إذ كانوا لا يتسامحون مع زلات الشعراء الأخلاقية و الدينية مهما كانت الأحوال ، بل ربما لا نعدو الحقيقية إذا قلنا أنهم كانوا أكثر تشددا من كثير من النقاد الأخلاقيين في هذا ، فقد جاء في الأخبار " وحج عبد الملك بن مروان فلقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة، فقال له عبد الملك يا فاسق! قال بئست تحية ابن العم على طول الشحط! قال يا فاسق، أما أن قريشاً لتعلم أنك أطولها صبوةً و أبطؤها توبةً ألست القائل:

ولَوْلا أن تُعَنِّفَنيْ قُرَ شٌيٌ ... مَقَالَ الناصحِ الأَدْنَى الشَّفيق
لَقُلْتُ إذا الْرَكْبَانا قَرِّبِنِي ... و لَوْ كُنَّا على ظَهْرِ الطّرَيقِ ([5])

وقد مر بنا غضب المهدي على بشار لما بلغه قول بشار:

قاس الهموم تنل بها نجحا ... و الليل إن وراءه صبحا
لا يـؤيسـنك مِنْ مُخبأةٍ ... قولٌ تغلظه و إن جرحا

---

١ - سورة الشعراء آية ٢٢٥ و ٢٢٦.

٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس - (ج ١ / ص ٥٠) .

٣ - التمثيل والمحاضرة ل الثعالبي- (ج ١ / ص ٤٣) .

٤ -النقد العربي القديم – نصوص في الاتجاه الإسلامي و الخلقي ، د وليد قصاب – دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٥م . ص ١٦ .

٥- الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ١٢٠) .

عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا ([1])

فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهدي غيوراً، فغضب وقال: أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات. والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً في نسيب لآتين على روحك .

أما نقد الخلفاء لزلات الشعراء الدينية فقد كانت أشد ، وقد تجلب على الشاعر الكثير من المتاعب ، و عدم الرضا ، فالخليفة هرون الرشيد أوشك أن يقتل أبا نواس لقوله :

فإنْ يَكُ باقي سِحْرِ فِرْعَوْنَ فْيكُمُ ... فإنَّ عَصَا مُوسَى بكَفّ خَصِيبِ! ([2])

" وقال له الرشيد يا ابن اللخناء، أنت المستخف بعصا موسى، نبي الله! "

لما أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله :

وَقَد نُصِرتَ أَميرَ المُؤمِنينَ بِنا لَمّا أَتاكَ بِبَطنِ الغوطَةِ الخَبَرُ([3])

فقال عبد الملك " بل الله أيدني " .

و مثل هذا النقد الذي أوردناه كثير متفرق في كتب الأدب ، مما يدل على أن الدافع الديني والأخلاقي كان من بين أكثر الدوافع النقدية قوة عند الخلفاء في كلا العصرين ، و يرجع ذلك إلى سببين أساسيين ، الأول ويرتبط بالدين الإسلامي والذي يعتبر الخليفة نفسه فيه كحارس أمين على قيمه و مقدساته التي يجب أن تظل سليمة وبعيدة عن العبث بها ، والثاني وهو مرتبط بعادات المجتمع العربي المحافظ الذي يأبى المجاهرة بالفجور والخروج عن القيم الأخلاقية التي يؤمن بها ، والخليفة هنا أيضا يعتبر نفسه القيم على هذه القيم ، و المسئول عن المحافظة عليها .

ج) **دوافع أخرى ، تنافسية ، و سياسية** : تعتبر الدوافع التي ذكرناها كدافع الحس الأدبي وتقدير الخلفاء للشعر و الدافع الخلقي والديني هي الدوافع الرئيسة ، وبجانبها قد نجد دوافع أخري مثل التنافس بين الشعراء والذي قد يجلبه الحسد أو الغيرة من مكانة بعض الشعراء عند الخلفاء و كبار القوم أو من الجوائز التي قد يحصل عليها البعض دون الآخر مما قد يجلب نقمة البعض فيحاولون النيل من خصومهم بالنقد و بالتعليقات التي قد تكون صائبة إلا أن دافعها كما ذكرنا قد لا يكون أدبيا لوجه الأدب فقط .

و مثل هذه الدوافع ليست قاصرة على هذين العصرين فهي من طبيعة النفس الإنسانية، وتحفل كتب الأدب بالكثير منها كقصة الشاعر أبي العتاهية مع الشعراء التي أوردناها فيما سبق من مدح أبي العتاهية عمر بن العلاء فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم، فغار الشعراء لذلك، فجمعهم ثم قال: عجباً لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض، ([4]) . ومثلها كثير مما ورد عن شعراء العصر العباسي .

أما في العصر الأموي فقد مرَّ بنا أن النقائض وما أفرزته من أدب ، وما كان بين الأخطل

---

١ - الأغاني - (ج ١ / ص ٣١٩) .

٢ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ١٧٤) .

٣ - الموشح للمرزباني بتحقيق محمد علي قرنة – الهيئة المصرية العامة – القاهرة ١٩٨٠م – ص ٢٢٦ .

٤ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه - (ج ١ / ص ١٥٤) _ أوردنا الخبر كاملا في صفحة ١٣٢ من البحث .

وجرير والفرزدق يعد صورة صادقة للتنافس الذي كان قائما بين الشعراء .

على أن من بين النقاد القدماء من كان يفرق بين النقد الموضوعي و إن كان دافعة التنافس وبين النقد غير الموضوعي والذي لم يكن له من دافع سوي التنافس والحسد بين الشعراء أو أن يكون دافعه موقف شخصي أو أحكام عامة مسبقة ، كحكم بعض النقاد على الشعراء المولدين و تفضيلهم لشعر القدماء .

من الدوافع أيضا ما كان سياسياً ، لأن هذه المجالس كانت مجالس للخلفاء ولأعيان الدولة ، فكثيراً ما يقع الشاعر فريسة رأي أو موقف سياسي نتيجة لمدحه لخصم من الخصوم أو لموقف وقفه من الدولة أو الحاكم ، فالخليفة عبد الملك لم يرقه مدح الشاعر ابن قيس الرقيات له حين مدحه فقال:

يَعتَدِلُ التاجُ فَوقَ مَفرِقِهِ عَلى جَبينٍ كَأَنَّهُ الذَهَبُ [1]

فقال له : " أما لمصعب فتقول :

إِنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللَـــــــهِ تَجَلَّت عَن وَجهِهِ الظَلَماءُ [2]

فقصيدة عبيد الله بن قيس الرقيات التي لم يعجب عبد الملك منها وصفه له وكأنه ملك، ليس فيها ما يوجب الغضب بهذا القدر لولا أن الممدوح كانت في ذهنه قصيدة الشاعر في خصمه مصعب بن الزبير ، فنقد الخليفة له لا يمكن أن يخرج عن هذا وقد صرح به، ولم يخفه .

نخلص من كل ذلك إلى أن مجمل دوافع الخلفاء في نقد الشعراء في العصرين تكاد تتطابق ، و هي في عمومها قد أدت الغرض الذي استخلص منه النقاد فيما بعد الكثير من المواقف النقدية التي حفظت عن الخلفاء في مجالسهم . ومما يسجل لمن تقدم من الكتاب أنهم اتبعوا تعليقات الخلفاء و نقدهم للشعراء بتسجيل المواقف التي قيلت فيها مما أعطانا صورة واضحة لدوافع هذا النقد .

ثامناً: اتجاهات النقد في مجالس خلفاء بني أمية وبني العباس :

من خلال عرضنا السابق لدوافع النقد لدى الخلفاء وما رأينا من عرض مفصل لأساليبهم النقدية نستطيع إن نقول أن مجالات و موضوعات النقد تبدو متشابهة لحد بعيد إن لم تكن متطابقة بين مجالسهم في كلا العصرين ، فقد اتبع خلفاء بني العباس في نقدهم للشعراء ما كان عليه خلفاء بني أمية في نقدهم للشعراء ، والتي يمكن تلخيصها في المجالات الآتية :

نقد استهلال القصيدة : كان الشعراء يلقون قصائدهم وقوفا بحضرة الخليفة ومن حضر من كبار رجال دولته وخواصه من العلماء والأدباء ، وهذه الطريقة في التلقي تجعل الشاعر عرضة للنقد المباشر من الخليفة أو من الحضور ، فإذا لم يوفق الشاعر في استهلال قصيدته فإن ذلك قد يؤدي إلي رفض القصيدة بأكملها ، فلا يستمع له ولا يتقبل منه .

ففي الأخبار أن جريراً دخل على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده: (أتصحو أم فؤادك غير صاحٍ). فقال له عبد الملك: " بل فؤادك يا بن الفاعلة" كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه.

١- الموشح للمرزباني بتحقيق محمد علي قرنة – الهيئة المصرية العامة – القاهرة ١٩٨٠م – ص ٢٩٤ .

٢ - و في أول القصيدة : أَقفَرَت بَ عَدَعهِدِ شَمسٍ كَداءُ فَكُ ثَيٍّفَالرُكنُ فَالبَطحاءُ

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً من شعره، فأنشده قصيدته: (ما بال عينك منها الماء ينسكب) وكانت بعين عبد الملك ريشة وهي تدمع أبداً، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به، فقال: وما سؤالك عن هذا يا جاهل؟!! فمقته وأمر بإخراجه.

وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة:

والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول، فأمر به فحجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته: يسمر عنده، ويمازحه.

ومن مثل هذه الاستهلالات غير الموفقة ما مرَّ بنا من خبر الرشيد مع الشاعر سلم الخاسر في استهلاله لقصيدته حي الأحبة بالسلام فقال الرشيد: حياهم الله بالسلام فقال:على وداع أم مقام فقال الرشيد: حياهم الله على أي ذلك كان، فأنشده:

لم يبق منك ومنهم غير الجلود على العظام ([1])

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطير منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء .

ويعلق ابن رشيق على سوء استهلالات الشعراء فيقول " وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء؛ إما من غفلة في الطبع وغلظ، أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب. والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين؛ فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره " ([2]).

كان سوء الاستهلال كما رأينا واحدا من أكثر اتجاهات النقد وضوحا في مجالس الخلفاء ، وذلك لأنه كما ذكرنا مرتبط ارتباطا وثيقا بالموقف الذي يقول الشاعر فيه قصيدته . وقد اهتم به النقاد في كتاباتهم ورصدوا ما بلغهم من أخباره و تناولوه بالشرح والتحليل كما رأينا في تعليق ابن رشيق .

من اتجاهات النقد الأخرى التي كانت تدور في مجالس الخلفاء في العصرين ، النقد الذي يدور حول **المعنى و صحة العبارة** و مدى ملاءمتها للموقف الذي قيلت فيه ، و تحضرنا هنا أمثلة كثيرة لهذا النوع من النقد ، فالخليفة عبد الملك عاب على كثير قوله في عزة :

فَقُلتُ لَها يا عَزَّ كُلُّ مُصيبَةٍ إذا وُطِّنَت يَومًا لَها النَ فسُ ذلَّتِ ([3])

ذلك لأنه رأى أن مقام ومعني البيت لا يناسب النسيب و إنما يناسب الحرب ، ومن ذلك أيضا ما عاب به وصف القطامي لمشية الإبل في قوله :

يَمشينَ رَهواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ ولا الصدور على الأعجاز تَتَّكِلُ([4])

فقال الخليفة لو قاله في النساء لكان أشعر الناس . لأنه رأى أن ذلك أليق بالنساء منه بالأبل .

و نجد أمثلة كثيرة مشابهة في أخبار العباسيين في مجالسهم ، فقد مر بنا نقد الخليفة هرون الرشيد

---

١ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ج ٥ / ص ١٩٣) .

٢ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيد القيرواني - (ج ١ / ص ٧٣)

٣ - و أول القصيدة : خَليلَيَّ ذاهُربُعُ عَوَّةَ فَاِعقِلا قلوصَيكُما ثُمَّ اِبكِيا حَيثُ حَلَّتِ (ج ٢ / ص ٤٥٥)

٤ - نهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ٣ / ص ٩٣)

لبيت النابغة الجعدي :

أَشَمُّ طَوِ يلُ السَاعِدَينِ سَمَيدَعٌ إذا لَم يَرُح لِلمَجدِ أَصبَحَ غادِيا ([1])

فقال الخليفة لِمَ لَمْ يروحه للمجد. فقد رأى الخليفة أن الشاعر قصر عن ممدوحه لأنه قصر المجد عليه فإذا لم ينله رائحا فسيناله غادياً ، و كان أولى به أن يناله رائحا و غادياً.

لا شك أن هذا النوع من النقد الذي يتناول المعني ، قديم في الأدب العربي ولسنا نعدم مثلا له في آثار الجاهليين ، على نحو ما ذكر من نقد طرفة لبيت المتلمس :

وَقَد أَتَناسى الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ بِناجٍ عَلَيهِ الصَيعَرِيَّةُ مُكدَمِ

و قوله المشهور " استنوق الجمل " ([2]) . ولكننا نجد أنه في مجالس هؤلاء الخلفاء اتخذ أشكالا عدة و تنوع ليشمل الكلمات و التراكيب ، وما يتألف منها من معان قد لا توافق الموقف أو المقصود من القصيدة ، وحفظت لنا كتب الأدب العديد من الأخبار التي علق أو انتقد فيها الخلفاء الشعراء تعليقات تتناول المعاني التي يأت بها الشعراء وقد استفاد منها النقاد فيما بعد في مؤلفاتهم ، وعقدوا لها الفصول محللين و شارحين .

ومن أنواع النقد التي تختص **بالمعني** ، النقد الذي يهتم **بموضوع القصيدة** ، و لما كان المديح هو الموضوع الأساس في مجالس الخلفاء ، فقد كان للخلفاء رأي حوله و يتمثل في رفض الخلفاء ل موضوعات المدح التقليدية التي كانت شائعة في الماضي الجاهلي أو الإسلامي الأول ، وقد لخص لنا سيدنا معاوية (رضي الله عنه) هذا الرفض في الخبر المنسوب إليه مع الشاعر الأخطل عندما وفد إليه ليمدحه فقال له سيدنا معاوية (رضي الله عنه) :"إن كنت شَرَّهَ نِي بالحَيّةِ، أو الأسد، أو الصقر، فلا حاجةَ لي بها " ([3]) .

ولعل من الأمثلة الواضحة لرفض الخلفاء للقالب القديم في المدح ، موقف الخليفة عبد الملك من ذي الرمة حين أطال الوصف لناقته في قصيدة يفترض أنها في مدح الخليفة فلم يمدحه إلا ببيتين فيها فقال له عبد الملك "ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك، فخذ منها الثواب " ([4]).

إذا كان هذان المثالان يمثلان رأي الخلفاء في موضوع المدح في العصر الأموي فإن الموقف نفسه نجده ماثلا في العصر العباسي ، وربما يمثل خبر الشعراء مع علي بن صالح هذا الموقف أبلغ تمثيل فقد كثر الشعراء بباب المأمون، فأوذن بهم، فقال لعلي بن صالح صاحب المصلى: أعرضهم، فمن كان منهم مجيداً فأوصله إلي، ومن كان غير مجيد فاصرفه. وصادف ذلك شغلاً من علي بن صالح كان يريد أن يتشاغل به عن أمر نفسه، فقام مغضباً، وقال: والله لأعمنهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون على القرب منه، فقال لهم: على رسلكم فإن

---

١ - السَمَ ْيعُ بالفتح: السيِّدُ الموطّأ الأكنافِ، ولا تقل سُمَ ْيعٌ بضم السين. الصحاح في اللغة (ج ١ / ص ٣٢٩)

٢ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ٣١)

٣ - زهر الآداب و ثمر الألباب. لأبي إسحق الحصري القيرواني .المطبعة الرحمانية – مصر (ج٤ / ص ٦٥) .

٤ - ومنها هذان البيتان : وكائن تخطت ناقتي من مفازةٍ ... إليك ومن أحواض ماءٍ مسدم

بأعقاره القردان هزلى كأنها .... نوادر صيصاء الهبيد المحطم

الأغاني - (ج ٣ / ص ٣١١).

المدى أقرب من ذلك، هل فيكم من يحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديس وتطهير

فت المـمـادح إلا أن ألسـننا ... مستنطقات بما تحوي الضمائير ([1])

قالوا: لا والله ما بنا أحد يحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً . كان علي أن ينصرفوا فقد وضع لهم قيد من الصعب تخطيه ، ويندرج هذا القيد تحت عنوان التجديد و رفض القديم ، و مثل هذه المواقف نراها متكررة مع كثير من خلفاء بني العباس ولا سيما الخليفة هارون الرشيد فما كان لمثله وقد أوتي حظا وافرا من العلم بالشعر أن يقبل بالمكرور من المديح و المعاد من الأوصاف لذلك نراه في كثير من المواقف يهتز طربا لمعنى جديد أو لوصف مبتكر فقد قال لأشجع حين أنشده :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته و إذا هدا .... سلت عليه سيوفك الأحـــلام ([2])

فلما بلغ هذين البيتين اهتز الرشيد وارتاح وقال: هذا والله المدح الجيد والمعنى الصحيح، لا ما عللت به مسامعي هذا اليوم - وكان أنشده في ذلك اليوم جماعة من الشعراء - ثم أنشده قصيدته التي على الجيم وهي قوله:

ملك أبوه و أمه مـن نبعة ... منها سراج الأمة الوهاج

شربا بمكة في ذرا بطحائها ... ماء النبوة ليس فيه مزاج ([3])

فلما سمع هذين البيتين كاد يطير ارتياحاً ثم قال: يا أشجع، لقد دخلت إليّ وأنت أثقل الناس على قلبي، وإنك لتخرج من عندي وأنت أحب الناس إليّ. والشاهد هنا قول الخليفة " المدح الجيد والمعنى الصحيح " ، والمفصود لا يخرج من رغبة الخلفاء في الجيد والمبتكر من المديح الذي يأتي به الشعراء .

من أنواع النقد الأخرى **النقد العام** أو **الإجمالي** ، وهو نوع من النقد كان سائدا و معروفا ، من العصر الجاهلي ، ويقوم على الذوق والإحساس بجمال القصيدة أو البيت أو البيتين ، وقد وصفه كثير من النقاد بأنه نقد انطباعي أي لا يقوم على مسببات فنية معينة يسوقها الناقد و إنما يعتمد على ذوقه و إحساسه فقط كقولهم " أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير رغب، إذا والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب " ([4]). فهذه الأحكام عامة وإن خُصصت بإذا . وقد تأتي هذه الأحكام عن تعصب وجهل بالآخر يقول الصولي :" قال أبو بكر: وكنت يوماً في مجلسٍ فيه جماعة من أهل الأدب والعصبية لأبي نواس حتى يفرطوا، فقال بعضهم: أبو نواس أشعر من بشار، فرددت ذلك عليه، وعرفته ما جهله من فضل بشار وتقدمه، وأخذ جميع المحدثين منه، وإتباعهم أثره، فقال لي: قد سبق أبو نواس إلى معانٍ تفرد بها، فقلت له: ما منها؟ فجعل كلما

---

١ - الأغاني - (ج ٣ / ص ٤٤٥)

٢- طبقات الشعراء - (ج ١ / ص ٧٧)

٣ - المرجع السابق نفسه .

٤ - البديع في نقد الشعر - (ج ١ / ص ٧١).

أنشدني شيئاً جئت بأصله، فكان من ذلك قوله:

إذا نحن أَثْنَيْا عليكَ بِصَالحٍ فأَنتَ كما نُثْنِي وفوقَ الذي نُثْنِي
وإِنْ جَرَتِ الألفاظُ يوماً بِمِدْحَةٍ لغيرِكَ إِنْسَـــاناً فأنتَ الذي نَعْنِي

فقلت: فهذا من قول الخنساء:

وَلا بَلَغَ المُهدونَ في القَولِ مِدحَةً وَلا صَدَقوا إِلا الَّذي فيكَ أَفضَلُ(١)

فهذا الخبر يدل على ما ذكرنا . وقد كان مثل هذا النقد يجري في مجالس الخلفاء وله أساليب عدة كسؤال الخليفة عن أشعر الناس ؟ أو سؤاله عن أشعر بيت قالته العرب في موضوع معين ؟ وهكذا تتعدد الطرق ولكن يبقى المقصود واحدا وهو حكم فردي ، قائم على الذوق والإحساس كما ذكرنا . ومن ذلك ما قال عكرمة بن جرير: قلت لأبي: من أشعر الناس؟ قال: أجاهليةً أم إسلاميةً؟ قلت:جاهليةً؟ قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق، قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت له: فأنت؟ قال أنا نحرت الشعر نحراً.

أهتم كثير من الكتاب و النقاد بمثل هذه الأسئلة والإجابة عنها ، و قد أفرد القالي في أماليه عنوانا لهذا الموضوع أسماه " سؤال بعض خلفاء بني أمية عن أشعر الناس " وقد أورد فيه فقال :"حدثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني عمارة بن عقيل قال حدّثني أبي - يعني عقيل بن بلال - قال سمعت أبي - يعني بلال بن حرير - يقول سمعت جريراً يقول - دخلت على بعض خلفاء بني أمية فقال: ألا تحدثني عن الشعراء؟ فقلت: بلى، قال: فمن أشعر الناس؟ قلت: ابن العشرين - يعني طرفة - قال: فما تقول في ابن أبي سلمى والنابغة؟ قلت: كانا ينيران الشّعر ويسديانه، قال: فما تقول في امرئ القيس بن حجر؟ قلت: اتخذ الخبيث الشعر نعلين يطؤهما كيف يشاء، قال: فما تقول في ذي الرّمة؟ قلت: قدر من الشعر على ما لم يقدر عليه أحد، قال: فما تقول في الأخطل؟ قلت: ما باح بما في صدره من الشّعر حتى مات، قال: فما تقول في الفرزدق؟ قلت: بيده نبعة الشعر قابضاً عليها، قال: فما أبقيت لنفسك شيئاً! قلت: بلى، والله يا أمير المؤمنين، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها ويعود إليها، ولأنا سّبحت الشعر تسبيحاً ما سّبحه أحد قبلي قال: وما التسبيح؟ قلت: نسبت فأطربت، وهجوت فأرذيت، ومدحت فأثنيت، ورملت فأغزرت، ورجزت فأبحرت، فأنا قلت ضروباً من الشعر لم يقلها أحد قبلي. قال أبو علي: كذا أملى علينا أرذيت، وهو صحيح ومعناه أسقطت، لأنه هاجى في زمانه عدة من الشعراء فأسقطهم غير الفرزدق. والرذية: الساقطة من الإبل من الهزال"(٢) .

قال عبد الملك لقومٍ من الشعراء: أي بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت زهير:

تَرَاهُ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سائِلُهْ(٣)

وأن أهجى بيت هو :

تبيتون في المشتا ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خماصا

---

١ - أخبار أبي تمام - (ج ١ / ص ١٦)

٢ - أمالي القالي - (ج ١ / ص ٢١٤) .

٣ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ٢٠) .

في الخبر أيضا إن أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقيل لبشار بن برد أخبرنا يا أبا معاذ عن أجود بيت للعرب فقال: إن تفضيل بيت على أشعار العرب لشديد ولكن أحسن كل الإحسان و أوجز واعجز لبيد في قوله:

واكْذِبِ النَّفْسَ إذَا حَدَّثْتَها ... إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بالأَمَلِ([1])

ولعل كلام بشار(إن تفضيل بيت على أشعار العرب لشديد) كلام صادق لأن مثل هذا التفضيل صعب لا يقوم على أساس غير الذوق والإحساس كما ذكرنا ، و في كثير من الأحيان يقوم على التعصب أو التحامل .

بجانب ما ذكرنا من أمثلة لبعض أنواع النقد الذي كان يدور في مجالس الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي نجد أنواعا أخري للنقد مما يدخل في **موسيقى الشعر** أو الذي يتعرض لجوانب العروض في القصائد ، ولكن بنظرة متأنية نجد أن هذا النوع من النقد كان محدودا ، وربما يرجع السبب في ذلك إلي وضوح قواعد العروض في هذا العهد ، فقد استفاد الشعراء مبكراً من القواعد التي وضعها الخليل بن أحمد ([2]) ولم يعد الخطأ العرضي شائعاً ، ومع ذلك فقد حفظت كتب الأدب أمثلة لهذا النوع من النقد ماُروى عن مَروان بن الحَكم أنه قال لخالد بن يزيدَ بن معاوية، وقد استنشده من شعره، فأَنشده:

فلو بقيتْ خلائفُ آل حَرْب ولمْ يُلْبِسْهمُ الدَّ هرُالمَنونَا

لأصبح ماءُ أهل الأرض عَذْباً وأصبح لحمُ ُنياهم سمينا ([3])

فقال له مروان: منونا وسمينا، والله إنها لقافية ما اضطرك إليها إلا العَجْز.

ويبدو أن عيوب القافية كانت مما يجذب النقاد لارتباط الشعر بالإلقاء ولارتباط الشعر بالموسيقى ، وقد مر بنا قول عبد الملك للشاعر بن قيس الرقيات:" أحسنت إلاّ تخنَّثت في قوافيك " حين أنشده :

إنَّ الحَوادِثَ بِالمَدينَةِ قَد أَوجَعنَني وَقَرَعنَ مَروَتِيَه

وَجَبَبنَني جَبَّ السَنامِ فَلَم يَ تُركنَ ريشاً في مَناكِبِيَه ([4])

إن الإحاطة بكل ما كان يدور من نقد في مجالس الخلفاء يكاد يكون أمراً مستحيلا لكثرة ما روي عنهم من أخبار لذا فإن ما ذكرناه يعتبر بعض الأمثلة لما كان يجري من تعليقات وآراء

---

١ - المرجع السابق - (ج ١ / ص ٥٤) .

٢ - الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ هـ = ٧١٨ - ٧٨٦ م) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي . ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا.كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف.قال النضر بن شميل: ما رأى الرآوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه.له كتاب (العين) في اللغة و (معاني الحروف) و (جملة آلات العرب) و (تفسير حروف اللغة) وكتاب (العروض) و (النقط والشكل) و (النغم). الأعلام للزركلي - (ج ٢ / ص ٣١٤)

٣ - العقد الفريد (ج ٦/ ص ١٨) ،.

٤ - كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري كتاب الصناعتين - (ج ١ / ص ١٣٦)

رأينا فيها شواهد على ثراء تلك المجالس الفكري والعلمي مما أثر إيجابا على النقاد الذين استفادوا منها في مؤلفاتهم النقدية التي تمثل الحقبة التالية من نمو وتطور النقد . و يمكننا القول في خاتمة هذا الفصل أن نقول إن الخلفاء في العصرين الأموي والعباسي كانت لهم آراء و تعليقات نقدية تكاد تكون متشابهة و متقاربة ، من حيث الموضوعات والأساليب التي اتبعوها . كما أنها تميزت بالتنوع الكبير و بالغزارة من حيث الكم فحفلت كتب الأقدمين بعدد هائل منها ، مما يعكس أهميتها لديهم ، فقد مثلت لهم كما ذكرنا المادة التي استقوا منها معظم ما أوردوه من نظريات وأحكام نقدية ، كما سنري في الفصل الأخير من هذا الباب .

الفصل الثاني

أثر آراء الخلفاء في
مؤلفات النقاد

كانت لآراء الخلفاء و العلماء في مجالسهم تأثيرات ظهرت مبكرا في العصر الأموي ، فمن الناحية العملية ظهر تأثير نقد الذي كان يصدر في مجالس الخلفاء في الإنتاج الأدبي للشعراء الذين حاولوا ما استطاعوا تجنب النقد الذي كانوا سيلاقونه في تلك المجالس في ظل المنافسة التي كانت قائمة بينهم . كما كان لتلك الآراء أثر واضح في العقل النقدي الذي بدأ يتشكل بصورة منهجية وعلمية فقد كان اهتمام النقاد والكتاب بها كبيرا وعظيما بدليل ما سجل منها في كتبهم ، لذا كان من الطبيعي أن يتقدم النقد الأدبي خطوة أخري في اتجاه التقدم والرقي الذي شمل كافة نواحي الحياة العلمية والأدبية عندما خطت الدولة نفسها خطوات مهمة نحو التطور والرقي في مدارج الحضارة الإنسانية في العصر العباسي .

ففي هذا العصر - العصر العباسي - تهيأت الأسباب لمنهجة النقد ، وقد كان ذلك استجابة لمتطلبات و دواعي الحياة الجديدة ، حيث تأثرت الحياة الثقافية - كما أوضحنا في فصل سابق ([1])- تأثيرا كبيرا بثقافات أجنبية عديدة ، عندما اتسعت الدولة و انضمت إليها بلاد كثيرة ذات حضارة و ثقافة كبيرة كبلاد فارس و الروم والترك ، وقد اجتمعت في بغداد أخلاط وأجناس من تلك البلاد وغيرها فامتزجت تلك المكونات لتثمر اتساعا لآفاق الحياة العقلية و تلاقحا لثقافات أخرى مع الثقافة الإسلامية العربية ، لتظهر آثار هذا التلاقح في الحياة الأدبية فيتسع الخيال الأدبي و تسمو الأذواق و ترتفع الملكات النقدية ، و يبدأ النقد الأدبي يشق طريقه كعلم متميز له منهجه و أصوله التي تمثل فيها آراء و تعليقات الخلفاء ركنا أساسيا فيها ، كما نشهد في هذا العصر اتساعا لدائرة النقد في أوساط العلماء مستندين على هذا الإرث و مستفيدين من العلوم التي ترجمت في عصرهم خاصة من اللغة اليونانية كما نلاحظ هذا بصورة واضحة -على سبيل المثال لا الحصر- في كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ([2]) .

من أكبر الآثار التي ظهرت نتيجة للأحكام والتعليقات النقدية في مجالس الخلفاء ازدهار الأدب بصورة عامة ، واتساع مجال النقد وشيوع التذوق الجمالي للشعر ، فأصبح النقد ظاهرة عامة في الأوساط الاجتماعية المهتمة بالثقافة والأدب . فازدهرت و عمت مجالس الأدب فظهرت مجالس للشعراء وللكتاب وللمهتمين بالأدب والعلوم ، وبدأت تتضح معالم البيئة النقدية الجديدة ، بما كانت تحويه من مدارسات ومساجلات أدبية ونقدية كانت تدور فيها .

وحفلت كتب الأدب بالعديد من أخبار تلك المجالس والتي تحاكي مجالس الخلفاء فيما كانت يدور فيها ، ومن تلك الأخبار ما روي عن مجالس الحجاج ، والتي كانت حافلة بالشعراء ولا ننسى أن الحجاج نفسه كان معلما ، فقد روي أنه اجتمع جرير والفرزدق عند الحجّاج. فقال: من مدحني منكما بشعرٍ يوجزُ فيه ويحسن صفتي فهذه الخلعة له، فقال الفرزدق:

فمَن يأمنِ الحجاجَ والطيرُ تتّقى عقوبتَهُ إلاَّ ضعيفُ العزائم

فقال جرير:

فمن يأمنِ الحجّاجَ أمّا عقابُه فمـرٌّ و أمّـــا عفْوُهُ فوثيق

---

١ - راجع في هذا البحث الباب الثاني (الفصل الأول / ص)

٢ - النقد الأدبي و البلاغة في القرنيين الثالث والرابع – د. علي عشري زايد – مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٥ – ص ٧٤.

يسرُّ لكَ البغضاءَ كلُّ منافقٍ كما كلُّ ذي دينٍ عليكَ شفيقُ

فقال الحجاجُللفرزدق: ما عملت شيئاً، إنَّ الطير تنفر من الصبيّ والخشبة، ودفع الخلعة إلى جرير([1]).

لقد سار الحجاج في نقده ، علي نفس ما كان شائعا عن خلفاء بني أمية في نقدهم للمعاني التي يمدحهم بها الشعراء ، وقد كان مصيبا فيما قاله للفرزدق في قوله "و الطيرُتتَّقى عقوبتَ ُه " لأنه كلام لا يعني شيئا ولا يرفع من شأن الممدوح فالطير كما قال الحجاج تنفر من الصبيّ والخشبة . فكأننا انتقلنا لمجلس الخليفة الأموي وكأننا نسمع رأي الخليفة نفسه في هذا الشعر ، فأثر ما كان يدور في مجالس الخلفاء انتقل إلي مثل هذه المجالس . ومن الأمثلة الأخرى أن ذا الرمة أنشد أمير اليمامة وجرير حاضر ، فقال له الأمير ما تقول في شعره ؟ فقال جرير:" نقط عروس وأبعار ظباء " ([2]) .

هذه الملاحظة من جرير أصبحت الشغل الشاغل لأهل الأدب فقد جاء في **الموشح للمرزباني** " شعر ذي الرمة نقد عروس تضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح البعر وإنما وضع منه لأنه كان لا يحسن الهجاء والمدح.." و قال **المبرد**: معنى قوله نقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب؛ وبعر الظباء إذا شممته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك، فإذا غب ذهب ذلك منه. وقد أسند هذا التعبير في حقه إلى جماعة منهم الفرزدق وجرير. قال الأصمعي: إن شعر ذي الرمة حلو أول ما تسمعه، فإذا كثر إنشاده ضعف ولم يكن له حسن، لأن أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحة ما أكلت من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيب الريح، فإذا أدمت شمه ذهبت تلك الرائحة، ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت. ([3])

وفي كتاب **المذاكرة في ألقاب الشعراء** جاء ذكر هذا التعبير فقال : "سئل جرير عنه، فقال: بعر ظباء يفوح، ونقط عروس. أراد به بعر ظباء، يعني أول ما تأخذ بعر الظباء تفوح منه رائحة المسك، ثم يرجع إلى حالته. يعني شعر ذي الرمة أول ما يطرق السمع توجد له حلاوة، ثم لا " ([4]).

وفي **مجمع الأمثال** ورد : " يقال إن جريراً مر بذي الرمة، وهو ينشد، وقد اجتمع الناس عليه فقال هذا المثل. أي إن هذا الشعر مثل بعر الظبي من شمه وجد له رائحة طيبة، فإذا فتته وجده بخلاف ذلك ([5]).

إذا أمعنا النظر في شيوع ما قاله جرير عن شعر ذي الرمة نجد أن من أبرز دلالاته تأكيد شيوع روح النقد واهتمام النقاد والأدباء بآراء الكبار النقدية ، حتى صار ما قاله مثلا يضرب ، وإن لم تخف الدلالة النقدية له ، والمتمثلة في كون أن شعر ذي الرمة يشتمل على ألفاظ سهلة

١- الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني – المطبعة السلفية ، القاهرة (ط ٢/ ص ١٠٢)

٢ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ١١٤)

٣ - خزانة الأدب - (ج ١ / ص ٣٩)

٤- المذاكرة في ألقاب الشعراء - (ج ١ / ص ٣١)

٥- وفي مجمع الأمثال - (ج ١ / ص ٣٤٥)

عذبة واضحة ، تروق للسامع أول أمره فإذا راح يستدبرها ويفكر في معانيها و محتواها لم يجد فيها ذلك التميز ولا تلك الرفعة .

كان من أكبر أفضال مجالس الخلفاء على الأدب والنقد أنها أسست الأرضية الصالحة لنمو النقد و لتطوره ، فقد أصبح الرأي النقدي مشاعاً بين الناس بل ومتقبلا من الشعراء أنفسهم فذو الرمة نفسه لم يستنكف أن يسأل جريرا عن شعره وقد سمعه ينشد في جماعة من الناس ، فقد ذكر ابن قتيبة ذلك فقال : وقف ذو الرمة في سوق الإبل ينشد شعره الذي يذكر فيه ناقته صيدح. فوقف عليه الفرزدق فقال: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول! قال: فمالي لا أذكر مع الفحول! قال: قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن، ونعتك الأبعار والعطن ([1]).

استمر اهتمام الأدباء بما كان يجري من تعليقات وآراء نقدية في مجالس الخلفاء في العصر العباسي أيضاً و بنفس القدر ، بل نستطيع أن نقول إن هذه الآراء النقدية أصبحت في هذا العصر ظاهرة عامة يتناولها الأدباء في كتاباتهم ، ويضيفون إليها ما يرونه من تعليقاتهم وآرائهم ، مما أسس لنمو وتطور النقد كما ذكرنا سابقا .

وقد مر بنا من هذه التعليقات ما أُخبِرَ عن هرون الرشيد مع الشاعر العتابي في قوله :

كأنّ أُذْنيه إذا تَشَوَّفا ... قادمةً أو قلماً مُ حرّفَا ([2])

فقال له الرشيد : " قُل:تخال أذْنيه إذا تَشَوَّفا " ، وجاء في **العقد الفريد** فعلم الناس أنه لحن، ولم يهتدِ أحدٌ منهم إلى إصلاح البيت غير الرشيد ، أما في **الكامل** فيورد المؤلف نفس التعليق فيقول :" فعلم القوم كلهم أنه قد لحن، ولم يهتد منهم أحد لإصلاح البيت إلا الرشيد. فإنه قال له: قل:تخال أذنيه إذا تشوفا - ويضيف إليه - والراجز وإن كان لحن فقد أحسن التشبيه "([3]) .

وجاء في **خزانة الأدب** : " على أن أصحاب الفراء جوزوا نصب الجزأين بالخمسة الباقية أيضاً، ومنها كأن، وقد نصب الشاعر بها الجزأين: الأول أذنيه، والثاني قادمة.

فإن قلت: كيف أخبر عن الاثنين بالواحد؟ قلت: إن العضوين المشتركين في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية، يجوز إفراد خبرهما، لأن حكمهما واحد. وقد ذكرناه مفصلاً في باب المثنى. وقد أجيب عن نصب الخبر بأجوبة: أحدها: ما قاله الشارح المحقق، أنه لحن، وقد خطئ قائله وقت إنشاده، وأصلح له بما ذكر.قال **المبرد** في الكامل: حدثت أن العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس:

كأن أذنيه إذا تشوفا ... قادمةً أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن، ولم يهتد أحد منهم لإصلاح البيت إلا الرشيد، فإنه قال له: قل: تخال أذنيه إذا تشوفا

والراجز، وإن كان قد لحن فقد أحسن التشبيه. انتهى.

وكذا نقل **ابن عبد ربه** في **العقد الفريد**، وكذا روى **الصولي** في كتاب الأوراق عن الطيب بن

---

١ - خزانة الأدب - (ج ١ / ص ٣٩)

٢ - العقد الفريد - (ج ٢ / ص ٣٣٩)

٣ - الكامل في اللغة والأدب - (ج ١ / ص ٢٢٤)

محمد الباهلي، عن موسى بن سعيد بن مسلم، أنه قال: كان أبي يقول: كان فهم الرشيد فهم العلماء، أنشده العماني في صفة فرس: كأن أذنيه البيت ....
فقال له: دع كأن وقل: تخال أذنيه، حتى يستوي الشعر.

وقال **ابن هشام** في **المغني**: وقيل أخطأ قائله، وقد أنشده بحضرة الرشيد فلحنه أبو عمرو والأصمعي. وهذا وهم، فإن أبا عمرو توفي قبل الرشيد. وتعقبه شراحه بأن هذا لا يصلح تعليلاً للوهم؛ فإن سبق وفاة أبي عمرو الرشيد لا ينافي حضور مجلسه، ولو غير خليفة، إلا أن يراد وهو خليفة، لأن أبا عمرو توفي سنة أربع وخمسين ومائة، والرشيد إنما ولي الخلافة سنة سبعين ومائة.

واعترض **ابن السيد البطليوسي** في حاشية الكامل على المبرد بأن هذا لا يعد لحناً، لأنه قد حكي أن من العرب من ينصب خبر كأن، ويشبهها بظننت. وعلى هذا أنشد قول ذي الرمة:
كأن جلودهن مموهات ... على أبشارها ذهباً زلالا
وعليه قول النابغة الذبياني:
كأن التاج معصوباً عليه ... لأذواد أصبن بذي أبان
في أحد التأويلين. ([1]) انتهى.

إذن لم تعد هذه التعليقات حبيسة تلك المجالس ولم تعد حديثا يدور حول الشعر بين الصفوة من الأدباء ، و إنما أضحت ملكا مشاعا بين الناس عامتهم قبل خاصتهم ، وأصبحت مادة كتابية لمختلف الكتاب في عصور و أزمان متفاوتة . وهذا في الحقيقة ما أشاع روح النقد في الأوساط الأدبية وبين المثقفين من فئات المجتمع . ولم تقتصر علي الرجال دون النساء فقد ذكرنا قصة كثير مع عزة و كيف لم ترض بقوله :

وجدتُ بها وَ جْدَ المُضلّلبعيرَهُ بمكّةَ والحجاُجغادٍ ورائُح

كما لم ترض بقوله :

وجدتُ بها ما لم يجدْ ذو حرارةٍ يراقبُجَمَّاتِ الركيّ البرائح

وإنما رضيت بقوله :

وجدتُ بها ما لم تجدْ أمُّ واحدٍ بواحدها تُطْوَى عليه الصفائح ([2])

وكان عدم الرضا منها مسببا حيث قالت له في عن البيت الأول أن وجده بها لا يعدل شيئا لأنه شبهه بوجد المضل بعيره وقد يجده ، أما عن البيت الثاني فقد شبه وجده بوجد العطشان وقد يجد من يسقيه . أما رضاها عن البيت الثالث فلأنه شبه وجده بوجد الأم التي فقدت وحيدها ولا سبيل إلى رجوعه إليها .

مثل هذه النصوص وما شاكلها تدل أكبر دلالة على أن النقد الذي كان يجري في مجالس الخلفاء كان له أكبر الأثر في تهيئة العقول والنفوس نحو آفاق أرحب في شيوع الذوق النقدي ، وقد حفظت لنا كتب الأدب أخبار بعض المجالس الأدبية التي كانت شبيه بمجالس الخلفاء

---

١ - خزانة الأدب - (ج ٤ / ص ١٩)

٢ - الموشح صفحة ١٣٥

ومتأثرة بهم وبما كان يجري فيها من تعليقات وآراء ، فقد روي أنه اجتمع عمر بن أبي ربيعة و الأحوص ونصيب وكثير يتذاكرون الشعر فأقبل كثير على القرشي يعني عمر، فقال: يا أخا قريش، والله لقد قلت فأحسنت في كثيرٍ من شعرك، ولكن خبرني عن قولك:

قالت لها أختها تعاتبها ... لا تفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له ليبصرنا ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها: قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد في أثري

والله لو قد قلت هذا في هرة أهلك ما عدا، أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، أهكذا يقال للمرأة! إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممتنعة، هلا قلت كما قال هذا؟ وضرب بيده على كتف الأحوص:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ ... بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ... و إني إلى معروفها لفقير

قال: فامتلأ الأحوص سروراً، ثم أقبل عليه فقال: يا أخوص ، خبرني عن قولك:

فَإِن تَصلي أصلك وَإِن تَعودي لِهَ جر ُبعد وَصلِكَ لا أُبالي

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت؛ هلا قلت مثل ما قال هذا؟ وضرب بيده على جنب نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركبُ... وقل إن تمليا فما ملك القلبُ

قال: فانتفخ نصيب، ثم أقبل عليه فقال له: ولكن أخبرني عن قولك يا أسود:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وإن أمتْ ... فواحزني من ذا يهيم بها بعدي

كأنك اغتممت ألا يفعل بها بعدك؛ ولا يكني، فقال بعضهم لبض: قوموا فقد استوت القرفة. وهي لعبة على خطوطٍ، فاستواؤها انقضاؤها ([1]).

هذا النقد الذي أوردناه سابقا جرت به كثير من الأقلام وذكره كثير من الأدباء ، والملفت أن كثّيرا كان متأثرا فيما يبدو بنقد مماثل كان قد جرى في مجلس الخليفة عبد الملك ، فقد جاء في الكامل :" وأما قول نصيب:

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمت ... أوكل بدعدٍ من يهيم بها بعدي

فلم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهباً، وقد ذكر عبد الملك لجلسائه ذلك فكل عابه، فقال عبد الملك : فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم: كنت أقول:

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمت ... فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي!

فقال عبد الملك: ما قلت والله أسوأ مما قاله، فقيل له: فكيف كنت قائلاً في ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال كنت أقول:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت ... فلا صلحت دعدٌ لذي خلةٍ بعدي

---

١ - الكامل اللغة والأدب - (ج ١ / ص ١٥٠) . و الموشح ص ١٤٧-١٤٨

فقالوا: أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين " ([1]) .
إذن فقد تفشى النقد وأصبح ظاهرة أدبية حتى بين الشعراء أنفسهم ذكر صاحب الكامل في اللغة والأدب فقال : " وحُدِّثتُ أن الكميت بن زيدٍ أنشد نصيباً فاستمع له، فكان فيما أنشده:
وقد رأينا بها حوراً منعمة ... بيضاً تكامل فيها الدالُّ والشنبُ
فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصي خطأك، تباعدت في قولك: " تكمل فيها الدل والشنب " .
هلا قلت كما قال ذو الرمة:
لمياء في شفتيها حوة لعسٌ ... وفي اللثاث وفي أنيابها شنبُ
ثم أنشده في أخرى:
كأن الغطامط من جريها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا ▼
فقال له: نصيب: ما هجت أسلم غفاراً قط، فاستحيا الكميت فسكت.
قال أبو العباس: والذي عابه نصيب من قوله: " تكامل فيها الدل والشنب " قبيح جداً، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشكلة ([2]).
ذكر صاحب الأغاني أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبيه قال: قال مروان لبشار لما أنشده هذا البيت:
وإذا قلت لها جودي لنا ... خرجت بالصمت من لا و نعم
جعلني الله فداءك يا أبا معاذ! هلا قلت: " خرست بالصمت " ؛ قال: إذاً أنا في عقلك فض الله فاك! أأتطير على من أحب بالخرس! ([3]) . لم يكن الناقد موفقا في نقده بقدر ما وفق الشاعر في رده كما وفق في شعره .
خلاصة ما تدلنا هذه السياحة السريعة في بعض كتب الأدب أن الجو الأدبي أصبح الآن أكثر استعدادا لظهور النقد الأدبي بصورة تتفق مع متطلبات الحياة الجديدة في المجتمع العباسي الجيد الذي قوامه ثقافات متعددة ، وأجناس مختلفة ولغات متباينة جمع بينها المكان ووحدها الدين واللسان خاصة في حاضرة الدولة ودرتها بغداد . فقد انفتح عقل هذا المجتمع وظهرت آثار هذا

---

١ - المرجع السابق - (ج ١ / ص ٤٧) .

٢ -الكامل في اللغة والأدب - (ج ١ / ص ١٥١)

٣ - الأغاني - (ج ١ / ص ٣٠٦)

▲ غطمط :الغطامط - بالضم - : صوت غليان القدر وموج البحر، وجعلَ بعضهم الميم زائدة، قال الكميتُ يذكرُ قثدور أبان بن الوليد البجليّ ويمدحه:

كأنَّ الغُطامِطَ من غَيْيِها ... أراجِيْزُ أسْلَمَ يَهْجُو غفارا

وقيل: وفدت غفار وأسلم إلى النبي (ﷺ) فلما صاروا في الطريق قالت غفارُ لأسلم: انزلوا بنا، فلما حطت أسلم رحلها مضت غفار ولم تنزل فسبوهم، فلما رأت ذلك أسلم ارتحلوا وجعلوا يرجزون بهجائهم.وقال أبن دريد في باب فعلليل وما جاء من المصادر على هذا البناء: غَطْمَطِ يْطُ، يقال: سمعت غَطْمَطِيطَ الماء، أرادوا صوته، العباب الزاخر - (ج ١ / ص ٢٩٢)

الانفتاح في اتساع المجال الأدبي وفي شيوع الذوق النقدي فبدأ النقد يأخذ حظه بين العلوم الأخرى ، وبدأ يستقل شيئا فشيئا عنها كعلم مستقل قائم بذاته ، على أيدي عدد من العلماء الأفاضل فظهرت العديد من المؤلفات التي استفاد مؤلفوها من ملاحظات و آراء الخلفاء النقدية التي سجلت عنهم في مجالسهم ، كما استفادوا أيضا من ملاحظات و آراء غيرهم من العلماء والشعراء الذين تأثروا بها .

ويذكر الدكتور رجاء جبر في كتابه معالم على طريق النقد القديم أنه لم يكد ينتهي العصر الأموي حتى كان النقد قد تخطى بالفعل مرحلة البدايات المعتمدة على المشافهة و الفطرة . فبيئات الخلفاء والشعراء والعلماء جميعا كانت تنظر في الشعر و تمارس النقد ، ومن جملة الأحكام التي تجمعت وُجد الأساس الذي مكن العلماء من البناء عليه حتى نهض النقد العربي يحمل سمات مذاهب و خطط واضحة ([1]).

منذ أوائل العصر العباسي نجد طوائف من المشتغلين بالنقد ، وهم الرعيل الأول للنقاد ، وأول هذه الطوائف طائفة الرواة الذين لعبوا دورا مهما في جمع الشعر ولا يترددون في تنقيح ما يسمعونه ، والواقع أن هذه الفئة أثارت ومنذ هذا الوقت المبكر نقاشا طويلا عن دورها في تحريف الشعر وانتحاله قال الأصمعي: قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، فلما بلغت إلى قوله:

فيا لك يوماً خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف:ويحه، ما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت: هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء، قال: صدقت، وكذا قال جرير، وكان قليل التنقيح لألفاظه، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع، قلت: فكيف يجب أن يكون قال: الأجود أن يكون " خيره دون شره" فاروه كذلك، وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الأوائل، فقلت:والله لا أرويه إلا كذا. ([2])

ويعلق ابن رشيق على هذا الخبر فيقول :" قلت أنا: أما هذا الإصلاح فمليح الظاهر، غير أنه خلاف الظاهر، وذلك أن الشاعر أراد أنه كان ليلة في وصال، ثم فارق حبيبه نهاراً، وذلك هو الشر الذي ذكر، والرواية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى، إلا أن تكون الرواية ويوم كإبهام الحبارى فحينئذ.. على أن دون تحتمل ما قصد، وتحتمل معنى قبل؛ فهي لفظة مشتركة، وتكون أيضاً بمعنى بعد؛ لأنها من الأضداد، ولكن في غير هذا الموضع.([3]) غير أن الأهم هنا هو أن هؤلاء الرواة كانوا يعدون أنفسهم حماة الشعر والقائمين على أمر حفظه في زمن بدأت تهب فيه رياح التغيير ، لذا كان انحيازهم للقدماء من الشعراء وللقديم من الشعر ولا يعدلون به شيئا مما يقوله المحدثون مهما أجادوا و أبدعوا . فأبوا عمرو بن العلاء يرى المحدثين عالة على السابقين إن أحسنوا فلأخذهم منهم ، وإن أساءوا فمن أنفسهم يقول الأصمعي عنه ([4]): " جلست إلى ثماني

---

١ - معالم على طريق النقد القديم للدكتور رجاء عبد المنعم جبر مكتبة الشباب ١٩٨٥م ص ٧٥ .

٢ - الموشح صفحة ١٢٥ .

٣ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني(ج ١ / ص ١٩٦)

٤ - المرجع السابق (ج ١ / ص ٢٦)

حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي ، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحدا: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه: كالأصمعي، وابن الأعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون، ثم صارت لجاجة ([1]).

وقد كان عالما وناقد فذا ومع ذلك فقد تميز عليه البعض كخلف الأحمر يقول عنه ابن رشيق :" وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة أعني النقد ولا يشقون له غباراً، لنفاذه فيها؛ وحذقه بها، وإجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله، كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه، حتى أنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته " ([2]).

أما الفئة الثانية التي كان لها دور كبير في النقد فهي فئة العلماء فقد كان لهم الفضل في توسيع دائرة النقد و إخراجه من قوالبه القديمة إلي دائرة أشمل تنظر للشعر نظرة فاحصة ينفذون فيها إلى ألفاظه بالتصنيف والرصد لما يخرج منها على القياس أو على قوانين النحو والعروض وعابوا ما خرج منها على الأعراف والدين ، وقد كان هذا النقد من العلماء سببا في احتدام الصراع بينهم وبين الشعراء العاصرين لهم ، فالأخفش يأخذ عل بشار أنه قاس علي ما لا يقاس في استعماله " الوجلى والغزلى يقول صاحب ألأغاني " كان الأخفش طعن على بشار في قوله:

فالآن أقصر عن سمية باطلي ... وأشار بالوجلى على مشير

وفي قوله:

على الغزلى مني السلام فربما ... لهوت بها في ظل مخضرة زهر

وفي قوله في صفة السفينة:

تلاعب نينان البحور وربما ... رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، ولم أسمع بنون ونينان؛ فبلغ ذلك بشاراً فقال: ويلي على القصارين ! متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين! دعوني وإياه ؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع؛ فقيل له: مايبكيك؟ فقال: ومالي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشار الأعمى ! فذهب أصحابه بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه؛ فكف عن ذكره بعد هذا" ([3]).

وبجانب هاتين الفئتين نجد فئة ثالثة كانت لها إسهاماتها الكبيرة في إثراء الفكر النقدي في بداياته وهم فئة الشعراء أنفسهم فهم أهل الاختصاص والصنعة فهم أدرى الناس بمضايق الشعر وأسرار صنعته ومن ثم فقد كانوا يرون في الآخرين ممن ينتقدهم مجرد دخلاء على صنعتهم لذا كانوا يسخرون منهم على نحو ما هم مشهور من قصة الفرزدق مع عبد الله بن أبي إسحاق الحضرَمي الذي كان كثيرا ما ينتقده و يلحنه ، فقال فيه الفرزدق يهجوه :

---

١ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه - (ج ١ / ص ٣٥)

٢ - المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها .

٣ - الأغاني - (ج ١ / ص ٣٠٩)

فلوْ كانَ عبدُ اللهِ موْلًى هجوتُهُ... ولكنّ عبدَ الله موْلى مَوالِيا ([1])

فقال له عبد الله بن أبي إسحاق قد لحنت هنا أيضا في مواليا وكان عليك أن تقول موالٍ . وقد كان للشعراء آراؤهم في أشعار بعضهم كما كانوا مشاركين في الجدل القديم عن أشعر الناس ، ولا نريد أن نكرر هنا ما أوردناه سابقا من الأمثلة على ما ذكرنا ، ولكن مساهمات الشعراء أنفسهم كان لها دور في تهيئة العقول لنمو وتطور النقد بجانب الفئات الأخرى من علماء ومفكرين وغيرهم .

يمكننا أن نقسم تلك المؤلفات إلي أقسام مختلفة ، وذلك لتعددها وتنوع موضوعات النقد فيها و لتعدد وتنوع مناهجها أيضا .

أول ما نلاحظه أن هناك كتب نهجت منهجا إحصائيا عمد أصحابها إلي جمع أشعار بعض الشعراء ثم تقسيمهم إلي طبقات علي أسس أقامها الكاتب بغرض التمييز بين الشعراء والموازنة بينهم ومن تلك الكتب . وأول ناقد نلتقيه في الثلث الأول من القرن الثالث هو محمد بن سلام الجمحي (٢٣٢هـ) صاحب كتاب (طبقات الشعراء) وهو أقدم ما وصلنا من كتب طبقات الشعراء. عرض ابن سلام في مقدمته لمسألة الشعر المنحول، داعياً إلى ضرورة تنقية تراث الشعر من الزيف، وترجم في كتابه لمائة و أربعة عشر شاعراً، جعلهم على طبقات، عشر طبقات من الجاهلية، وتضم أربعين شاعراً، وعشر طبقات من الإسلاميين، وتضم أربعين شاعراً أيضاً، وطبقة أصحاب المراثي وهم أربعة شعراء، وطبقة شعراء القرى، وهم اثنان وعشرون شاعراً، وطبقة شعراء اليهود، وهم ثمانية شعراء. وجاء في الكتاب الفصل الذي أوله: وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية) ([2]). وفيه سمى أئمة العربية من أهل البصرة، ولم يذكر من أهل الكوفة غير المفضل الضبي .. وابن سلّام الجمحي هذا، غير معاصره أبي عبيد: القاسم بن سلّام صاحب (الغريب المصنف) الذي قال فيه الجاحظ: لم يكتب الناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة.

وقد كتب المرحوم حمد الجاسر عدد من الملاحظات على طبعة المرحوم محمود شاكر في مجلته العرب اشتملت على سبع وثلاثين ملاحظة حول ما وقع في الشعر من أسماء الأماكن، منها: (جبل رحرحان، جبل مهبل، حرة ليلى، جبل عطالة، أبانان: جبلان، خفاف، الحمى...إلخ) ([3]) وكما كتب أيضاً محمود شاكر تحليلاً مسهباً في مائة وخمسة عشر صفحة حول الكتاب في نفس المجلة ، عرض فيه إلى مسألة الشعر المنحول بين الجاحظ وابن سلام. وهي قول ابن سلام: (وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا نسيب مستطرف، وقد

---

١ - الوساطة بين المتنبي وخصومه - (ج ١ / ص ٣)

٢ - (طبقات فحول الشعراء - (ج ١ / ص ٢) ، طبع الكتاب لأول مرة في (ليدن) سنة ١٩١٣ - ١٩١٦م بعناية (يوسف هل) ثم طبع بعد ذلك مرات، منها طبعة محمود شاكر (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢ في ٧٢٠ صفحة) وامتازت بحواش اشتملت على تكملات لنصوص ابن سلام من مصادر الأدب الأولى .

٣ - مجلة العرب (السنة ٩ ص١٣٠)

تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية...إلخ) ([1]).

لعل شهرة طبقات ابن سلام لا ترجع لفكرة الطبقات بقدر ما ترجع لتناوله لفكرة انتحال الشعر و تصرف الرواة في رواية الشعر ، وهذه الفكرة من الأفكار التي أثيرت في مجالس الخلفاء ، ولم يكن ابن سلام هو أول من جاء بها فقد مر بنا خبر هارون الرشيد، مع المفضل بن محمد وحماد الراوية في مسألة التحقق من أول أبيات قصيدة زهير" دَعْ ذَا وَعدِّ القَوْلَ في هَرِمٍ " ، وقد قيل أن الخبر للخليفة المهدي ، على أن المهم ليس لمن كان الخبر بقد ما يهمنا هنا إثارة مسألة انتحال الشعر في مجالس الخلفاء ، لذا لم يكن عجبا أن تشغل بال الأدباء والنقاد الأوائل ومن بينهم ابن سلام الذي جعلها من أول قضايا كتابه النقدية ، وحري بنا أن نذكر أن الخليفة أعلن بعد تحريه عن رواية أبيات زهير تلك أن حمادا ليس بالراوية الثقة ، فما رأي ابن سلام في حماد هذا يقول ابن سلام : " وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حماد الراوية وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار.

قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن يونس، قال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها، فقال: أما أطرفتني شيئاً! فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى، قال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة؟! ولكن دعها تذهب في الناس.

قال ابن سلام، أخبرني أبو عبيدة، عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفي قال: كان حماد لي صديقاً ملطفاً، فعرض على ما قبله يوماً، فقلت له: أمل على قصيدة لأخوالي بني سعد بن مالك، لطرفة، فأملى علي:

إنّ الخليطَ أجدّ مُنْتَقَلَهْ... و لذاك زُمّتْ غُدوَةً إبِلُهْ
عَهدي بهم في النقب قد سَنَدوا ... تهدي صعاب مطّهم ذُلُلُهْ

وهي لأعشى همدان.

وسمعت يونس يقول: العجب ممن يأخذ عن حماد، وكان يكذب ويلحن ويكسر ([2]).

إذا كانت فكرة انتحال الشعر ونقد الرواة مما تطرق إليه الخلفاء في مجالسهم ، فإنهم لم يتعدوا ذلك إلى ما ذهب إليه ابن سلام من تبيان أسبابه و تحليلها ، ومحاولة معرفة وتقصي أسباب قلة الشعر في القبائل ، و مهما قيل فيما قاله ابن سلام و ما ساقه في كتابه فإنه يعد تطورا مهما في مسيرة النقد العربي ، و نتاجا للمناخ النقدي الذي وضع لبنته الخلفاء في مجالسهم . و يعد ابن سلام بذلك أول من نظم البحث في الأفكار النقدية التي كانت سائدة في عصره ، و عرف كيف يعرضها ، ويبرهن عليها ، و يستنبط منها حقائق أدبية ، شارك ابن سلام معاصريه - كما يقول طه إبراهيم في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب – في كثير من الأفكار و لكنه محصها و

---

١ - مجلة العرب (السنة ١٠ ص٣٢١ و٤٩٢)

٢ - طبقات فحول الشعراء - (ج ١ / ص ٧)

حققها و أضاف عليها ، وصبغها بصبغة البحث العلمي ([1]) .

ومن عيون كتب التراجم والأدب كتاب الشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري الذي أنجزه في أواسط القرن الثالث الهجري، ويتألف من قسمين، الأول: في الشعر وفنونه وأقسامه وعيوبه وجيده ورديئه، والثاني: في تراجم الشعراء، ترجم فيه لعدد كبير من شعراء الجاهلية وحتى منتصف القرن الثالث الهجري. وهو يذكر الشاعر ونتفاً من أخباره ثم يذكر شيئاً من شعره ليس بالقليل معقباً عليه بالشرح والتعليق. يقول في مقدمته: (هذا كتاب ألفته في الشعراء...إلخ). ومن مقدمته للكتاب قوله: (ولعلك تظن رحمك الله أنه يجب على من ألف مثل كتابنا هذا ألا يدع شاعراً قديماً ولا حديثاً إلا ذكره ودلك عليه، وتقدر أن يكون الشعراء بمنزلة رواة الحديث والأخبار، والملوك والأشراف الذين يبلغهم الإحصاء ويجمعهم العدد، والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثر من أن يحيط بهم محيط، أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال، ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه، ولا قصيدة إلا رواها) ([2]).

لم يتبع ابن قتيبة في تصنيفه نظام الطبقات كما فعل ابن سلام ، كما لم يتبع التبويب وفقا للمعاني والأغراض ، كما فعل معاصره أبو تمام في تصنيف اختياراته الشعرية التي جمعها في الحماسة ، ولم يتبع كذلك تصنيفا زمنيا ، ويصرح الكاتب هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم. وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطاء في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول ([3]).

على أن أهم ما يصرح به الكاتب قوله "وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم

---

١ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب – طه أحمد إبراهيم – مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٢٧م – ص ٦٧.

٢ - طبع الكتاب مرات، أولها طبعة القسم الأول منه في ليدن سنة ١٨٧٥م ثم طبع الكتاب بقسميه في ليدن سنة ١٩٠٢م بعناية المستشرق (دي جويه) مع مقدمة باللغة اللاتينية. وقد ذهب د. عبد السلام عبد العال في كتابه (نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا) إلى أن كتاب (العرب) لابن قتيبة، (وهو غير المطبوع والمنسوب إليه) قد كتبه ابن قتيبة ليكون تتمة لمقدمة كتابه (الشعر والشعراء) وألحق حديثه عن هذا الكتاب بجداول لمحتويات كتاب الشعر والشعراء، بين فيها الفوارق بين طبعة ليدن وطبعة أحمد شاكر ومخطوطة الظاهرية، اشتملت على معلومات قيمة. وعقد فصلاً ساق فيه أقوال من هون من شأن ابن قتيبة وكتبه كقول الواحدي المتوفى سنة ٣٥١هـ بعدما ذكر تسرعه في أشياء لا يقوم بها: مما أزرى به عند العلماء، وإن نفق بها عند العامة. وقول الأزهري في مقدمة تهذيب اللغة: (وما رأيت أحداً يدفعه عن الصدق فيما يرويه...فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض أو حرف مشكل فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة). و ما كتبه د. جليل فالح في مجلة آداب الرافدين: مجلد ٢٤ ص٩ بعنوان: اضطراب الرؤية النقدية في مقدمة ابن قتيبة لكتابه: الشعر والشعراء. و نقداً لطبعة أحمد شاكر في مجلة (الكتاب) عدد يونية ١٩٤٦ ص٢٩٥ – ٣٠٩.

٣- الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ١)

أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون" وهذا التصريح من الكاتب يقدم الدليل على أنه رصد في كتابه مآخذ العلماء على الشعراء ، وهو رصد ذكر فيه الكاتب جملة من المآخذ التي رويت عن الخلفاء وعن العلماء في مجالسهم ، وهو بذلك يكون قد استند في مادته العلمية على التراث النقدي الذي أشاعته تلك المجالس في الحياة الأدبية والفكرية في ذلك العصر .

من هذه الأفكار و الآراء ما يعرف بقضية الطبع والتطبع ويذكر المؤلف في ذلك موقف للشاعر جرير في مجلس أحد خلفاء بني أمية في معرض كلامه عن الطبع والتكلف فيقول :" وهذا الشعر بين التكلف ردىء الصنعة. وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيءٌ جاء عن إسماحٍ وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع وشعر الخليل، خلا خلفٍ الأحمر، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً. ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين وبوزع لكفاه! فقد كان جررٌ أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته التي أولها:

بانَ الخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا ... أَوَ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ

كَيْفَ العَزَاءُ ولم أَجِدْ مُذْ بِنْتُمُ ... قَلْباً يَقِرُّ و لا شَرَاباً يَنْقَعُ

وهو يتحفز ويزحف من حسن الشعر، حتى إذا بلغ إلى قوله:

وتَقُولُ بَوْزَعُ قَدْ بَرِيْتَ عَلَى العَصَا ... هَلاَّ هَزِلْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ

قال له: أفسدت شعرك بهذا الاسم وفتر ([1]).

كما ذكر كثيرا من التعليقات التي وردت في مجالس الخلفاء والعلماء وبني عليها أفكاره وآراءه النقدية كقول جرير لشعر ذي الرمة: (بعر ظباء يفوح، ونقط عروس).فيقول ابن قتيبة في ذلك معللا لتأخر ذي الرمة عن الفحول :" فهذا ذو الرمة، أحسن الناس تشبيهاً، وأجودهم تشبيباً، وأوصفهم لرمل وهاجرةٍ وفلاةٍ وماءٍ وقرادٍ وحيةٍ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع. وذاك أخره عن الفحول، فقالوا: في شعره أبعار غزلانٍ ونقط عروسٍ أراد به بعر ظباء " ([2]) .

ولسنا هنا في معرض إيراد مثل هذه الأمثلة مما يكثر في كتب الأقدمين فالأهم من ذلك ، هو تركيز الكاتب على قضية الطبع والشاعر المطبوع و هي من القضايا النقدية التي كان لها حظ وافر من تعليقات الخلفاء والأدباء والعلماء في مجالسهم فلا غرو أن جعلها الكاتب واحدة من أهم الموضوعات النقدية التي تحدث عنها ، ويقسم الشعراء بحسب الطبع فيقول :" والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل " . ثم يقول معرفا الشاعر المطبوع " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة، وإذا امتحن لم يتعلثم ولم يتزحر " . فمن أين جاءت للكاتب بفكرة امتحان الشعراء إن لم يكن من مواقفهم – كما رأينا – في مجالس الخلفاء ، ولعلنا هنا نذكر بما

---

١ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ٣)

٢ - الشعر والشعراء - (ج ١ / ص ١٠)

كان من موقف الرشيد مع الشاعر أبي الغول المثبت في كتاب الشعر والشعراء قال المؤلف :" حدثني حاتم بن مطرق قال : حدثني أبو الأبرد العبدي قال: دخل أبو الغول على الرشيد فأنشده مديحاً له، فقال الرشيد: يا أبا الغول. قال: لبيك يا مولانا أمير المؤمنين، قال إن في أنفسنا من شعرك شيئاً، فلو كشفته بشيء تقوله على البديهة؟ قال: والله ما أنصفتني يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ وإنما هذا امتحان. قال: لأنك جمعت هيبة الخلافة وجلالة الملك وحيرة الاقتضاب، على أني أرجو أن أبلغ من ذلك ما تريد، فالتفت فإذا الأمين قائم عن يمنه، والمأمون عن يساره فأنشأ يقول:

بنيت لعبد الله بعد محمد ... ذرا قبة الإسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما.... وأنت أمير المؤمنين عمودها

قال الرشيد: وأنت بارك الله فيك، أحسنت وأجدت. فقال: يا أمير المؤمنين امنحني بما شئت ليزول ما بقلبك من الريبة والشك في شعري. فقال: لا حاجة بنا إلى ذلك، أنت شاعر مقتدر، والذي قيل فيك باطل. ثم وصله بعشرة آلاف درهم وخلع عليه ([1]).

ومن كتب النقد الأخرى التي ظهرت في تلك الفترة كتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ، يحول المؤلف فيه أن يذكر مساوي النص ومحاسنه إلا أنه يعطي أكبر اهتمامه للمعايب و المآخذ ، ويبدو واضحا استفادته من خطوات العلماء قبله وقد أورد في كتابه الكثير من الآراء والتعليقات النقدية التي قيلت في مجالس الخلفاء ، كما يحاول أن يرجح بين أقوال العلماء عند اختلافهم حول بيت أو قصيدة أو شاعر من الشعراء .

من منهج كتاب المرزباني " الموشح " نستطيع القول أنه اعتمد منهج الخلفاء في النقد في مجالسهم ، وذلك باعتماده على جمع آراء الخلفاء والعلماء وتعليقاتهم النقدية ، ولم يتبع أي منهج خاص في جمعها ، كما لم يهتم بتصنيف تلك الآراء لا من الناحية الموضوعية ولا الزمنية ، ولكن يبقى كتابه الموشح واحد من أهم المراجع لمعرفة الأفكار النقدية للعلماء والأدباء في زمانهم .

لعل من الكتب المهمة التي كان لها أثر كبير في النقد في القرن الرابع الهجري ما أطلق عليها الدكتور على عشري كتب النقد النظري ويمثلها كتابان هما كتاب عيار الشعر لابن طباطبا ، وكتاب نقد الشعر قدامة بن جعفر ، وذلك بالرغم من اختلاف منهجهما ([2]) . فالأول منهما يختلط فيه الذوق بالتقنين العلمي لأن صاحب الكتاب شاعر في الأصل ، أما الثاني فيطغي عليه المنطق و الفلسفة لان حظ كاتبه من الذوق الأدبي قليل إذا قيس بابن طباطبا .

يعتبر كتاب عيار الشعر من أعمق كتب نقد الشعر في عصره توغلاً في البحث عن أسراره ودقائقه. صنف ابن طباطبا كتابه هذا ليكون كالنبراس والدليل، أو بمثابة المحك لمختاراته الشعرية التي أودعها في كتابه الضخم (تهذيب الطبع) وقال في مقدمته: (وقد جمعنا ما اخترناه من أشعار الشعراء في كتاب سميناه (تهذيب الطبع) يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه، ويسلك المنهاج الذي سلكه الشعراء، ويتناول المعاني اللطيفة كتناولهم إياها، وقد شذ عنا الكثير

---

١ - طبقات الشعراء - (ج ١ / ص ٤٢)

٢ - النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع – د. علي عشري زايد ، – ط مجمع البحوث الإسلامية – باكستان ١٩٨٥م . ص ٥٩

مما وجب اختياره وإيثاره، وإذا استفدناه ألحقناه بما اخترناه إن شاء الله تعالى) ([1]) .

تعرض ابن طباطبا في هذا الكتاب لكثير من قضايا النقد المتصلة بالشعر كقضية القدماء والمحدثين ، معيار تمييز جيد الشعر من رديئه ، والسرقات ، واللفظ والمعني ، وغيرها من القضايا التي تتداخل في الكتاب و تترابط .

ارتبط ابن طباطبا العلوي كما ارتبط غيره من الأدباء والنقاد بالتراث النقدي العربي الذي تمثل فيه آراء الخلفاء و تعليقات العلماء مصدرا أساسيا من مصادره ، لذا فلا عجب أن تشمل ما تطرق إليه من موضوعات كثيرا من الأفكار والآراء التي أثيرت من قبل متأثرا بما أشاعته تلك المجالس من آراء وأفكار ، ومن هذه القضايا على سبيل المثال لا الحصر قضية مخاطبة الشاعر للممدوح بالطريقة يحبها وتجنب ما يكره بل على الشاعر أن يحترز في مطلع قصيدته مما ينفر منه الممدوح أو يتطير به ، وقد تحدث ابن طباطبا عن هذه القضية فقال " وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف إقفار الديار، وتشتت الألاف ونعي الشباب، وذم الزمان. لا سيما في القصائد التي تضمن المدائح أو التهاني. وتستعمل هذه المعاني في المراثي ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح" . ([2]) ويستطرد بذكر أمثلة لمن لم يوفق من الشعراء في مخاطبة ممدوحه ، فيضرب مثلا بإنكار الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس قوله:

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي

وتطير منه فلما انتهى إلى قوله:

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغادي

استحكم تطيره، فيقال إنه لم ينقص إلا أسبوع حتى نزلت به النازلة. وأنشد البحتري أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري قصيدته التي أولها:

لك الوَيلُ مِن لَيلٍ تَطاوَلَ آخِرُه وَوَشكِ نَوى حَيٍّ تُزَمُّ أَباعِرُه

فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب.

---

١ - قال د. عبد العزيز المانع في مقدمة تحقيقه للكتاب (السعودية ١٩٨٥م): (عرف الباحثون الكتاب منذ أن صدرت النشرة الأولى له عام ١٩٥٦ في القاهرة بتحقيق د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، ثم أخرج د. سلام نشرة جديدة للكتاب عام ١٩٨٠ زعم أنه صحح فيها ما في النشرة الأولى، إلا أن صفحة من صفحات كلا الطبعتين لم تخل من التصحيفات والتحريفات..إلخ) وتجدر الإشارة إلى أن ابن خلكان لم يقف على ترجمة أبي الحسن ابن طباطبا، فقال في ترجمة أبي القاسم ابن طباطبا نقيب العلويين بمصر، المتوفى سنة٣٤٥ بعدما ذكر شيئاً من شعره: (وجدت هذين البيتين في ديوان أبي الحسن ابن طباطبا، من جملة قصيدة طويلة، ولا أدري من هذا أبو الحسن، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم) وكذلك فعل حاجي خليفة، إذ نسب الكتاب لأبي القاسم، مع أن ياقوت ترجم لأبي الحسن ترجمة طويلة، أتي فيها على ذكر ما كان بينه وبين ابن المعتز من المراسلة والتشوق للرؤية، وأنه مات ولم ير ابن المعتز، لأنه لم يفارق أصبهان قط ، وهو المخاطب بقصيدة ابن المعتز التي يقول فيها: (فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم) و (الشاعرية في تصور ابن طباطبا من خلال عيار الشعر) د. عمر الطالب: مجلة آداب الرافدين: المجلد ٢٤ ص٦٨.

٢ - عيار الشعر - (ج ١ / ص ٣٥)

وليجتنب في التشبيب من يوافق اسمها بعض نساء الممدوح من أمة أو قرابة أو غيرها، وكذلك ما يتصل به سببه أو يتعلق به وهمه، فإن أرطأة بن سهية الشاعر دخل على عبد الملك بن مروان فقال له: ما بقي من شعرك؟ فقال: ما أطرب ولا أحزن يا أمير المؤمنين وإنما يقال الشعر لأحدهما. ولكني قد قلت:

رأيت الدهر يأكل كل حي كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تغدو سوى نفس ابن آدم من مزيد
و أحسب أنها ستكر يوماً توفي نذرها بأبي الوليد

فقال له عبد الملك: ما تقول ثكلتك أمك؟ فقال: أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين. وكان عبد الملك يكنى أبا الوليد أيضاً، فلم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك إلى أن مات.

فليجتنب الشاعر هذا وما شاكله مما سبيله كسبيله، وإذا مر له معنى يستبشع اللفظ به لطف في الكناية عنه وأجل المخاطب عن استقباله بما يتكرهه منه وعدل اللفظ عن كاف المخاطبة إلى ياء الإضافة إلى نفسه إن لم ينكر الشعر، أو احتال في ذلك بما يحترز به مما ذممناه ويوقف به على أرب نفسه ولطف فهمه (١).

من القضايا النقدية التي أثيرت كثيرا في مجالس الخلفاء قضية عدم موافقة معاني الألفاظ وإن كانت مستعذبة للموقف الذي يعبر عنه الشاعر يقول ابن طباطبا في ذلك " ومن الأبيات الحسنةِ الألفاظ المستعذبة الرائقة سماعاً، الواهيةِ تحصيلا ومعنى، وإنَّما يستحسن منها اتفاق الحالات التي وُضِعَت فيها، وتذكر اللذات بمعانيها. والعبارة عما كان في الضمير منها، وحكايات ما جرى من حقائقها دون نسج الشعر وجودته، وإحكام وصفه وإتقان معناه " ثم يقدم ما يسند قوله فيستطرد قائلاً " وأما المعرض الحسن الذي ابتذل على ما يشاكله من المعاني فكقول كثير.

فقلت لها يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوما لها النفس ذلَّت

قد قالت العلماء لو أن كثيراً جعل هذا البيت في وصف حرب لكان أشعر الناس.

وكقول القطامي في وصف النوق:

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ... ولا الصدور على الأعجاز تتكِلُ

لو جعل هذا الوصف للنساء دون النوق كان أحسن (٢).

وقد ذكرنا في هذا البحث أن الخليفة عبد الملك عاب في مجلس من مجالسه على كل من كثير و القطامي بيتيهما المذكورين ، وأبدى نفس الملاحظة النقدية التي أسندها ابن طباطبا للعلماء ، وزاد عليها نقد العلماء قول كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً ... إلينا مقليَّة إذا ما تقلَّتِ

فقال : " قالت العلماء لو قال: البيت في وصف الدنيا لكان أشعر الناس" (٣) .

ومن الطريف أن يذكر ابن طباطبا بيتين لم ينسبهما لشاعر بعينه ، على أنهما من الأبيات التي

---

١ - عيار الشعر - (ج ١ / ص ٣٦)

٢ - المرجع السابق ص : ١٨٣ و ١٨٥ .

٣ - راجع هذا النص في الموشح ص ١٣٣ و الكامل ج١ ص ١٩٠

زادت قريحة قائليها على عقولهم وهما :

أزبـيـدة ابـنـة جـعـفـرٍ ... طـوبى لسـائِلكِ المـثـابْ

تُعطين من رجليكِ ما ... تُعْطى الأكفُّ من الرِّغابْ(١)

و وجه الطرافة أن ما اعتبره ابن طباطبا عبقرية من الشاعر فاقت إدراك سامعيها ، ذكره بعض النقاد علي أنه تقصير من الشاعر وعدم إدراك لموافقة ألفاظه لمقتضي الموقف ،يقول الحُصري في زهر الآداب وثمر الألباب " من فضائل الرجال، لو مُدِح النساءُ به لكان َقْصاً عليهن، وذمَّاً لهنَ؟ أنشد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور:

أزبـيـدة ابـنـة جـعـفـرٍ ... طـوبى لسـائِلكِ المـثـابْ

تُعطين من رجليكِ ما ... تُعْطى الأكفُّ من الرِّغابْ

فوثب إليه الخدم يضربونه، فمنعتهم من ذلك، وقالت: أراد خيراً وأخطأ، وهو أحب إلينا ممن أراد شراً فأصاب، سمم قولهم شِمالك أنْدَى من يمين غيرك ففته أنه إذا قال هكذا كان أبلغ، أعطوه ما أمّل، وعرَفوه ما جهل " (٢). كذا قاله النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (٣)، و البهاء العاملي صاحب الكشكول(٤) ، و أبو حيان في التوحيدي البصائر والذخائر(٥) ، و الراغب الأصفهاني محاضرات الأدباء(٦) ، وذكر صاحب غرر الخصائص الواضحة هاتين البيتين للدلالة على عدم تمييز الشاعر بين ألفاظه فقال " ينبغي للشاعر ذي التمييز في فنه و أن لا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم ولا يعبر في الذم بالألفاظ المستعملة في المدح بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بها في موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه " (٧)، وقال صاحب نضرة الاغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل " وممّا ينبغي أنْ يتجنّبه الشاعرُمن سوءِ الأدب في خطابِه، ويعطفَ عليهِ جّيدَ البحثِ والتنقيبِ حتى يهتديَ الى صوْبِ صوابِه ما غلِطَ فيه الشُعراءُ وعابَ ُهعليهم الُعلماء، كقولِ بعضِهم وقد مدحَ زُبيدةَ وهي تسمعُ" ثم ذكر الأبياتِ السابقة " (٨).

لعل هذا الاستعراض يبن لنا مدى التأثير الكبير لما كان يجري في قصور الخلفاء من آراء ومواقف نقدية ، أصبحت مادة خصبة للنقاد والكتاب ، أسسوا عليها الكثير من نظرياتهم ، وأفكارهم التي طرحوها في كتبهم .

إذا انتقلنا لكتاب نقد الشعر فإننا نجد أنفسنا بإزاء كتاب يعتبر من أشهر تآليف قدامة بن جعفر،

---

١ - عيار الشعر - (ج ١ / ص ٢٧) .

٢ - زهر الآداب وثمر الألباب - (ج ١ / ص ١٤١)

٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب - (ج ١ / ص ٣٠٦)

٤ - الكشكول - (ج ١ / ص ٢٨٧)

٥ - البصائر والذخائر - (ج ١ / ص ٢٢٧)

٦ - محاضرات الأدباء - (ج ١ / ص ٣٧)

٧ - غرر الخصائص الواضحة - (ج ١ / ص ١٢٦)

٨ - نضرة الاغريض في نصرة القريض - (ج ١ / ص ٨٢)

وأول كتاب تناول نقد الشعر على غير ما ألف الناس نقده قبله. طارت شهرته في كل مكان، وأحدث ضجة عالية في عالم الأدب، وتناوله الأدباء بالردود والشروح، فألف الآمدي صاحب الموازنة كتاباً سماه (تبيين غلط قدامة) وتبعه ابن رشيق بكتابه (تزييف نقد قدامة) فتصدى لنصرته عبد اللطيف البغدادي في كتابه (رفع الظلامة عن قدامة) وكذلك فعل ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) في كتابه (الميزان) فانتصر فيه لقدامة من ابن رشيق، وفيه قوله: (فإني رأيت ابن رشيق القيرواني قد ذهب أيضاً إلى تغليطه في كتاب، كان ستره أولى به من إظهاره، فإنه ينادي عليه بجهله). قال حاجي خليفة ما معناه: (إن قدامة ضمن كتابه عشرين باباً في فنون البديع، توارد هو وابن المعتز على خمسة منها وهي: التشبيه والتتميم والمبالغة والطباق والجناس، وبقية العشرين مما انفرد به قدامة) ([1]).

لما كان المدح من أهم موضوعات الشعر في مجالس الخلفاء فقد أفرد له قدامة في كتابه صفحات مهمة حدد فيها صفات الممدوح التي ينبغي على الشاعر ذكرها و يقول " لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصية، لا بما هو عرضي فيه، وجعلنا مديح الرجال مثالاً في ذلك، وذكرنا أن من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية الخاصية كان مصيباً، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيباً ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات، حيث عتب عليه في مدحه إياه: إنك قلت في مصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

وقلت في:

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فوجه عتب عبد الملك: إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية، التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة، وما جانس ذلك، ودخل في جملته إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة، وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعيب " ([2]) .

فقدامة هنا يستشهد بما كان من رأي الخليفة عبد الملك في الأبيات التي مدحه بها الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، في قضية نقدية للدلالة على صواب نظريته في المدح ، وهذا مما يقيم الدليل على القيمة الأدبية لهذا الآراء ، عند هؤلاء النقاد كسند حقيقي لما طرحوه من نظريات في

---

١ - قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة.كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد.يضرب به المثل في البلاغة الأعلام للزركلي - (ج ٥ / ص ١٩١). وهو من أسرة مسيحية كانت تعيش في البصرة، اعتنق الإسلام أيام المكتفي بالله، وكان ملماً بالأدب اليوناني، سيما كتب أرسطو في الشعر والخطابة، وفي كتابه ما يستدل به على استفادته من هذين الكتابين، ويتضح هذا الأثر جلياً في الفصل الذي عقده لعيوب المعاني، كباب التناقض على طريق القنية والعدم، وباب التناقض على طريق السلب والإيجاب. ولعله أول من سمى (المخلع) بهذا الاسم، فقد عده في عيوب الوزن، وشاهده عليه قصيدة عدادها في المخلعات. قال د. طه حسين: (ونحن عندما نقرؤه نحس من أول فصوله أننا بإزاء روح جديد، لا عهد لنا بمثله، مثلاً كيف يعرف الشعر، وكيف يحلل تعريفه، فستجد ذلك شيئاً تقديرياً محضاً) طبع الكتاب مرات كثيرة، أولها طبعة ليدن سنة ١٨٥٦م، وطبعة مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢هـ وطبعات أخرى حديثة،

٢ - نقد الشعر - ص ١١١-١١٢

مؤلفاتهم .

لا يقف تأثر هؤلاء النقاد – ومنهم قدامة- بما كان يجري في مجالس الخلفاء عند هذا حد ضرب الأمثلة والاستشهاد بما كان يصدر من آراء في تلك المجالس ، بل نراهم بل نراهم يثيرون نفس القضايا النقدية التي كانت مطروحة فيها ، لكن بشيء من المنهجية والتفصيل كما فعل قدامة نفسه عند طرحه لقضية مهمة من قضايا الأدب وهي قضية الغلو في المعني ، وهي قضية أثيرت منذ القدم ، و اختلف الناس فيها بين فريق يميل للغلو ، وآخر يرى الاقتصار على الحد الأوسط فيه .

يميل قدامة مع الفريق الأول الذي يرى " أن أعذب الشعر أكذبه " فيقول : " الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه " و يضيف قائلا :" وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم." ([1]). ولا يكتفي بما استدل به من مذهب الفلاسفة اليونانيين للدلالة على صحة رأيه ، و إنما يتوجه إلي مجالس الخلفاء ليختار منها ما يؤيد رأيه و يعضد مذهبة فيقول في دلالة ذات معني : " ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها في هذا الموضع وشرح الحال فيها، ليكون ذلك مثالاً يبنى الأمر عليه. ويعلم به ما يأتي من مثله. أن كثيراً أنشد عبد الملك بن مروان قوله فيه:

عَلى اِبنِ العاصي دِلاصٌ حَصينَةٌ أجادَ المُسَدّي سَــــردَها وَأَذالَها

يَؤودُ ضَعيفَ القَومِ حَملُ قَتيرِها وَيَستَضلِعُ الطَرفُ الأَشَمُّ اِحتِمالَها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك، حيث يقول له:

و إذا تَجِيء كتيبةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْبَاءُ يَخْشَى الذائِدُونَ نِهالَهَا

كُنْتَ المقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطَالَهَا

فقال: يا أمير المؤمنين، وصفتك بالحزم والعزم، ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق.

يعلق قدامة على ذلك قائلا " والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظراً من كثير. إلا أن يكون كثير غالط واعتذر بما يعتقد خلافه، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الأوسط ما فيه كفاية، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، لا أن الصواب له ولا لغيره إلا لبس الجنة، وقول كثير يقصر عن الوصف " ([2]).

إذا تمعنا النظر في قول قدامة السابق " ليكون ذلك مثالاً يبنى الأمر عليه " فإننا نجد أن قدامة يصرح هنا بأن ذكره لخبر كثير مع الخليفة عبد الملك ليبني عليه رأيه ونظريته في استحسان الغلو ، وهذا ما أردنا الدلالة عليه من أن معظم ما جاء به النقاد في ذلك الزمان كان أصله و أساسه تلك الآراء والأخبار التي ذاعت وانتشرت من خلال مجالس الخلفاء .

لابد لنا ونحن نستعرض نمازج من كتب النقد القديمة ، أن نقف عند كتاب الصناعتين لأبي

١- نقد الشعر - (ج ١ / ص ٢٤)

٢ - المرجع السابق . ص : ٩٥ – ٩٦ .

هلال العسكري([1]) و هو من أهم كتب الصناعة الأدبية، وأغزرها مادة، ويعد ثمرة ما ألف في هذا الفن، أودع فيه أبو هلال خلاصة ما توصل إليه سابقوه ممن عالجوا موضوعه كابن سلام في طبقات الشعراء والجاحظ في البيان والتبيين، وابن قتيبة في نقد الشعر، وابن المعتز في البديع وقدامة في نقد الشعر والآمدي في الموازنة، والجرجاني في الوساطة، إلا أنه أكثر من النقل عن البيان والتبيين، وقال في مقدمة كتابه بعدما أطرى الجاحظ وكتابه بعباراته الطنانة: (إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتثرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير، فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام، نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال، وإسهاب وإهذار، وأجعله عشرة أبواب، مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلاً) .

ومن هذه الفصول التي ذكرها أبو هلال خمسة وثلاثون فصلاً في فنون البديع. قال محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه الحياة الأدبية في العصر العباسي: (ليس أبو هلال إلا شارحاً للجاحظ في كتابه الصناعتين، جامعاً للمتفرق منه) واعتبره محمد مندور: (نقطة البدء في فساد الذوق في النقد) قال: (وقد جمع فيه ما قاله ابن المعتز في كتاب (البديع) إلى ما قاله قدامة في (نقد الشعر) ثم تمحل وفصل إلى أن وضع الكتاب الذي استطار شرره على اللاحقين) ([2]) .

وتأتي أهمية الكتاب من كونه استيعابا واعيا و تنظيما لجهود من سبقوه من العلماء ، خاصة الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الذي خصه بالذكر في مقدمة كتابه ، بالرغم من استفادته من كثيرين غيره كابن قتيبة و ابن طباطبا و قدامة . بهذا الفهم للكتاب نستطيع أن نقول عنه أنه تلخيص بارع لآراء من سبق من العلماء على خلفية العقل النقدي الذي أسس أفكاره و أعمق جذوره ما كان يدور من أقوال و آراء في مجالس الخلفاء والعلماء من العهد الأموي وحتى العصر العباسي .

ولعا نظرة سريعة ، إلي موضوعات الكتاب تبين لنا جانبا من هذا التأثر ، فقد تعرض لقضية اللفظ و المعنى ، وهي من القضايا القديمة في النقد الأدبي ، فبعد عرض هذه القضية يضرب الأمثلة التي يحاول التأكيد من خلالها على أن المعاني إذا كانت جيدة و معانيه عادية فإنه يدخل في جملة الشعر الجيد وإن كانت المعاني جيدة ومعانيه رديئة فإن الشعر يكون رديئا . وبعض الأمثلة التي يستشهد بها ينقلها مع شرحها عن السابقين .

---

١ - أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري أيضاً. كان الغالب عليه الأدب والشعر ويعرف الفقه أيضاً. وممن روى عنه: أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاءً. الوافي بالوفيات من تصانيفه: كتاب التلخيص في اللغة؛ وجوده، وكتاب صناعتي النظم والنثر؛ وهو مفيد، وجمهرة الأمثال، ومعاني الأدب، ومن احتكم من الخلفاء إلى القضاة، والتبصرة؛ وهو مفيد، وشرح الحماسة، والدرهم والدينار، المحاسن في تفسير القرآن - خمس مجلدات، كتاب العمدة، فضل العطاء على العسر، ما تلحن فيه الخاصة، أعلام المغاني في معاني الشعر، كتاب الأوائل، الفرق بين المعاني، نوادر الواحد والجمع، ديوان شعره.قال ياقوت: وأما وفاته؛ فلم يبلغني فيها شيءٌ غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة. الوافي بالوفيات - (ج ٤ / ص١٥٣- ١٥٢) .

٢ - النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور ص ٢٢٣ .

كذلك تطرق أبو هلال لأغراض الشعر و خاصة المديح وهي من القضايا الأساسية لقدامة ابن جعفر لكنه لم يشر إليه ، مع ترديده لأقواله عن الصفات التي يجب أن يمدح بها الشاعر ممدوحه ، واستشهاده ببعض مما استشهد به قدامة في موضوع المدح غير الموفق كمدح ابن قيس الرقيات لعبد الملك ([1]) .

ويتعرض أبو هلال في فصل من كتابه لموضوع ما يستجاد في كل غرض من أغراض الشعر وما يستهجن على نحو ما فعل قدامة في الفصل الثاني من كتابه ولكن أبا هلال يكثر من ضرب الأمثلة في هذا الموضوع بأكثر مما فعل قدامة .

ولعل من الملاحظ في كتاب أبي هلال " الصناعتين " أن الكاتب يكثر ويسهب في ضرب الأمثلة للدلالة على كلامه ، ومعظم ما ذكره من أمثلة كان من التراث النقدي والأدبي مما كان دائرا في مجالس الخلفاء والعلماء و الأدباء ، ولعل لجوئه للإكثار من الأمثلة هو الذي أظهر هذا الكم الكبير من الآراء والتعليقات ، التي جاء ذكرها أو رويت عن هذه المجالس . تستوي في ذلك أمثلته في المنظوم والمنثور ، كاستشهاده بموقف الرشيد من عبد الملك بن صالح في الكلام عن المقابلة ([2]) ، وفي القول في حسن الخروج من النسيب إلى المديح في قول منصور النّمري في الرشيد:

إذا امتنع المقالُ عليك فامدحْ... أميرَ المؤمنين تجد مقالا

فتىً ما إن تزالُه ركابٌ ... وضعَنمدائحاً وحملَنمالاً ([3])

واستشهاده بمواقف للمأمون في الاستعارة والجاز و القول في التعريض الجيد وقول المأمون في الفصل والوصل " قال المأمون ما أتفّص من رجل شيئاً كتفّصي عن الفصل والوصل في كتابه، والتخّلص من المحلول إلى المعقود، فإنّ لكل شيء جمالاً، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل موقعه، وشحذ الفكرة وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول " ([4]).

بمثل هذه الأمثلة وغيرها نجد أن كتاب أبي هلال هذا له أهمية خاصة لأنه يعتبر تلخيصا وافيا لمعظم آراء من سبقوه من النقاد في تلك الفترة ، هذا بالإضافة لوفرة الأمثال التي ذكرها الكاتب والتي هي في معظمها لا تخرج عما كان يدور في مجالس الخلفاء والعلماء و ما احتفظ به العقل النقدي في الذاكرة الثقافية المجتمع الأدبي في عصره .

مر النقد الأدبي كما رأينا بمراحل مختلفة ، بدأت كتعليقات مقتضبة ، وآراء منعزلة حتى وصل إلي مجالس الخلفاء التي كما رأينا كان لها الأثر الأكبر في إثراء العقل النقدي للمجتمع العربي في العصرين الأموي والعباسي ، إلى أن وصلنا إلى مرحلة النقد الممنهج ، في كتب النقد الأولي ، وقد رأينا كيف استفاد النقاد من آراء الخلفاء والعلماء في تأسيس نقد منهجي وموضوعي مع ما فيه من عثرات النشأة الأولى للنقد كعلم قائم على أصول وله ضوابط ، وقواعد تحكمه على حسب رؤية هؤلاء النقاد ، ولعل كل ما كتب خلال هذه الفترة لم يكن بمستوى ناقد كبير كالآمدي الذي

---

١ - كتاب الصناعتين – ص ١٠٤ – ١٠٥

٢ - كتاب الصناعتين - (ج ١ / ص ١٠٢)

٣ - المرجع السابق ص ١٣٧ .

٤ - المرجع السابق ١٣٣

يعزى إليه الفضل في الخروج بالنقد من مرحلة النقد النظري العام إلي مرحلة النقد العملي أو التطبيقي المتخصص ، هكذا أسماه الدكتور علي عشري زايد ([1])و كتابه لموازنة للآمدي ([2]) أضخم تآليف الآمدي وأشهرها. والمطبوع قسم منه. حمل فيه حملة شعواء على أبي تمام، متعصباً للبحتري. مع أنه قال في غير موضع من كتابه إنه لا يفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، وإن عمله يقتصر على الموازنة بين قصائدهما. وجعل الأجزاء الثلاثة الأولى في سرقات أبي تمام وعيوبه، فلما أتي إلى ذكر ما وعد به من عيوب البحتري قال:(أما مساوئ البحتري، فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشيء يكون بإزاء ما أخرجته من مساوئ أبي تمام في سائر الأنواع التي ذكرتها، فلم أجد في شعره لشدة تحرزه، وجودة طبعه، وتهذيبه لألفاظه من ذلك إلا أبياتاً يسيرة، أنا أذكرها عند الفراغ من ذكر سرقاته)([3]) . ولم يذكر من سقطاته غير ثماني سقطات. وختم الجزء الخامس بالموازنة التي وعد بها في مقدمة الكتاب.

إن حديثنا عن كتاب الآمدي لا يقوم على كونه قد استند في تألفه على آراء الخلفاء والعلماء في مجالسهم بقدر ما يقوم على كون الكتاب يمثل مرحلة هامة من مراحل تطور النقد الأدبي ، فقد استوى النقد على سوقه أو كاد بسبب مجهودات كثيرة سبقته كما بينا من خلال بحثنا هذا ، وقد كان من ثمرات هذا الاستواء كتاب الآمدي هذا ، والذي يعتبر نقلة نوعية للنقد ، و نتاجا توج به الآمدي مجهودات من سبقوه ، ذلك بالرغم مما ذكرناه من عدم إنصافه لأبي تمام وتحامله عليه .

وسر براعة الآمدي تكمن في منهجه الذي اختطه في تأليفه لهذا الكتاب ، ففكرة الموازنة في حد ذاتها لم تكن جديدة كل الجدة على الفكر النقدي العربي ، فقد كانت فكرة تفضيل شاعر علي الآخر أمرا مكررا ومعادا في كثير من آراء وتعليقات الخلفاء والأدباء في مجالسهم ، بل كانت جماعات تتعصب لهذا الشاعر أو ذاك .

وقد ذكر الآمدي نفسه ذلك فقال : " ووجدت - أطال الله عمرك - أكثر من شاهدته ورأيته من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي لا يتعلق بجيده جيد أمثاله، ورديه مطروحٌ ومرذول؛ فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه، وأن شعر الوليد ابن عبيد البحتري صحيح السبك، حسن الديباجة، وليس فيه سفسافٌ ولا ردي ولا مطروح، ولهذا صار مستوياً يشبه بعضه بعضاً. ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما، ولم يتفقوا على أيهما أشعر، كما لم يتفقوا على أحدٍ ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين، وذلك كمن فضل البحتري، ونسبه إلى حلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المآتي، وانكشاف المعاني،وهم الكتاب والأعراب والشعراء

---

١ - النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع – د. علي عشري زايد ، – ط مجمع البحوث الإسلامية – باكستان ١٩٨٥م . ص ٥٩

٢ - الآمدي (ت٣٧٠ هـ/٩٨٠ م) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، أبو القاسم: عالم بالأدب، راوية، من الكتاب، له شعر.أصله من آمد ومولده ووفاته بالبصرة.من كتبه (المؤتلف والمختلف) في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم، و (الموازنة بين البحتري وأبي تمام) و (معاني شعر البحتري) و (الخاص والمشترك) في معاني الشعر و (نثر المنظوم) و (تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر) و (تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين) و (كتاب فعلت وأفعلت) و (ديوان شعر) نحو ١٠٠ ورقة (٢). الأعلام للزركلي - (ج ٢ / ص ١٨٥) .

٣ - الموازنة - (ج ١ / ص ٧٠)

المطبوعون وأهل البلاغة، ومثل من فضل أبا تمامٍ ، ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورد مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج،وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام. وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة، وذهب إلى المساواة بينهما." ([1])

فيكشف لنا الكاتب من أين واتته فكرة الموازنة ، فقد أفادنا أن ذلك مما كان مطروحا بين فريقين من أهل الأدب، الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة وهم من فضلوا البحتري وبين أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام وهؤلاء فضلوا أبا تمامٍ . علي أن السؤال المهم هنا علي أساس كان هذا التفضيل ، و قد أجاب الكاتب عن ذلك بأن الفريق الأول فضل البحتري لحلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المآتي، وانكشاف المعاني . أما الفريق الثاني فقد فضل أبا تمام لغموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورد مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج . وهذه الأسباب التي ساقها الآمدي لم تخرج من جملة ما كان سائدا من آراء نقدية في مجتمع الأدباء والمفكرين في زمانه . فما التطور الذي جاء به الآمدي في كتابه ؟ وما الذي ميزه عن سواه من النقاد في عصره ؟

استعان الآمدي بتجارب من سبقوه بذكاء ، محاولا الحكم بين فريقين كلاهما يرى محاسن صاحبه و يقرن إليها مساوئ الآخر ، غافلا أو متغافلا عن مساوئ صاحبه ، فمن حسن الموازنة كما رآها الآمدي أن على الحساب لا على الحكم المرسل ، ففي ضوء إحصاء المحاسن وطرح المساوئ يمكن الوصول إلى تحديد من هو أشعر من بين الشاعرين .

بغض النظر عن إخفاقات الآمدي عند التطبيق العملي ([2]) ، فإن التصور النظري له يعتبر تطورا مهما لأخذه في الاعتبار بفكرة الموازنة التي تقتضى العدل في الأحكام ، وعدم التحيز الذي كان سمة من كانوا يخوضون في موضوع التفضيل بين الشعراء ، الذي كانت تتحكم فيه عوامل شتى من تحكم الذوق و الهوى ، لذا كانت تلك الأحكام قبل الآمدي أحكاما فطرية لم يكن لها نصيب من العلمية أو المنهجية . لذا فإننا نعتبر موازنة الآمدي تطورا لتلك الأحكام و وضعها في إطار علمي و منهجي يوافق روح العصر العلمية والفكرية .

أخذ كثير من الكتاب و الأدباء والنقاد على الآمدي إخفاقه في الالتزام بما وعد به في بداية كتابه وهو ضمان الحياد التام بين الشاعرين ، يقول الآمدي :" فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، فأقول: أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم أحكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجيد والردئ ." ([3])

---

١ - المرجع السابق - (ج ١ / ص ٣)

٢ - النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع – د. علي عشري زايد ، – ط مجمع البحوث الإسلامية – باكستان ١٩٨٥م . ص و معالم على طريق النقد القديم للدكتور رجاء عبد المنعم جبر مكتبة الشباب ١٩٨٥م ص ١٤٥ .

٣ - الموازنة - (ج ١ / ص ٤)

لكن هذا التصور النظري لم يصمد عند الآمدي عند التطبيق العملي ، ليسفر في النهاية عن مجرد عرض تطبيقي مفصل لمجموعة من النصوص يطول – كما يقول د. رجاء جبر- الموازن عند الرديئة منها أكثر مما يقف عند النماذج البليغة و الجيدة دون أن يستطيع الكشف بيقين عمن يستحق التفضيل من الشاعرين ([1]).

يكشف لنا د. رجاء في كتابه المذكور آنفا جوهر الإشكال الذي وقع فيه الآمدي على حسب رؤيته فيذكر أن مقياس المحاسن والمساوئ عند الآمدي كان الاحتكام لعمود الشعر الذي جعله نقطة انطلاقه وبداية انحيازه أيضا لان عمود الشعر يعني الدعوة لتثبيت القواعد الفنية لقول الشعر بحسب ما يراها العرب ورفض تذوق أي جديد إلا في نطاق استجابته لما استقر في الذوق العام ، ووافق القواعد العامة للغة والمبالغة وحدود التجسيم . إذن في اعتقاد الدكتور رجاء أن الآمدي أخطأ حين بدأ باختيار طريقة البحتري ، الذي ما فارق عمود الشعر و يتصور أنه يستطيع إجراء موازنة بينه وبين أبي تمام الذي لا يشبه شعره شعر الأوائل ولا على طريقتهم .

إن ما يهمنا هنا ليس هذا الصراع بين القديم والجديد ، و إنما هذه القواعد التي استند إليها الآمدي في ذكر المساوئ أو المحاسن لهذا الشاعر أو ذاك ، فعلى أي أسس اسند الآمدي لتبيانها ؟

إذا اتفقنا مع منتقدي الآمدي بانحيازه للبحتري ، فإن معنى ذلك ترجيح كفة من ينظر لحلاوة اللفظ، وحسن التخلص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المآتي، وانكشاف المعاني أو من يرى تثبيت القواعد الفنية لقول الشعر بحسب ما يراها العرب ورفض تذوق أي جديد إلا في نطاق استجابته لما استقر في الذوق العام ، ووافق القواعد العامة للغة والمبالغة وحدود التجسيم وذلك على حسب كلام د. رجاء جبر . وكل ما ذكر لا يخرج عن جملة ما استقر في الوجدان العربي من قواعد وأحكام الشعر عند العامة والخاصة مما ساهمت فيه مجالس الخلفاء على امتداد الدولتين الأموية والعباسية،فكل ما ذكره الآمدي من مساوئ أو محاسن للشاعرين لم تخرج من جملة ما استقبحه أو استحسنه الخلفاء و جلسائهم من العلماء وما أثبته الأدباء والنقاد ممن سبق الآمدي في كتبهم كابن سلام وابن قتيبة وابن طبطبا وقدامة و الجاحظ غيرهم .

يبقى للآمدي نجاحه في تنظيم و تثبيت الفكر النقدي القائم على المنهجية و النظرية ، وإن قعد به التطبيق عن إلحاق ما هو نظري بما هو عملي و تطبيقي .

يتضح لنا من استعراضنا السابق لمؤلفات الأقدمين من النقاد ، أن مجالس الخلفاء كانت حاضرة في كل مؤلفاتهم ، إما حضورا مباشرا بنقل بعضا مما جرى فيها من مواقف وما نتجت عنها من آراء وأحكام نقدية ، أو بتأثيرها القوي والبعيد المدى في مؤلفات المتأخرين منهم . كما يتضح لنا أن مساهمة هذه المجالس في تطور النقد و الأدب مما لا تخطئه عين ولا ينكره ذو بصيرة ونظر .

---

١ - معالم على طريق النقد القديم للدكتور رجاء عبد المنعم جبر مكتبة الشباب ١٩٨٥م ص ١٤٥ .

الخاتمة

لم يقتصر تأثير الدولتين الأموية و العباسية على الجانب السياسي فقط ، فقد أحدثتا تغيرا وتحولا كبيرا في كافة جوانب المجتمع وخاصة الفكرية فيه .

فمن الناحية السياسية كما هو معروف أحدثتا انقلابا في نظام الحكم ، وتحولتا به إلى الحكم بالوراثة ، في الأسرة الواحدة ، مخالفتين بذلك ما عرفه المسلمون في عهد الرسول (ﷺ) وصحابته (ﷺ) من نظام الحكم ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، إذ تبعته تغيرات كبيرة ، خاصة بعد فشل المعارضين في تبديل نظام الحكم بالقوة .

كانت أبرز هذه التغيرات ما غرقت فيه الدولتان من ثراء كان نتيجة مباشرة للفتوحات التي تمت في عهديهما ، مما أحدث نقلة كبيرة في المجتمع ، لم تقتصر هذه النقلة على الجانب المادي بل كان لها أكبر تأثير على الجانب الفكري والأدبي . فقد نمت العلوم وتطورت بعد أن توسعت الدولة ، وشملت أقاليم مختلفة ، وضمت شعوبا وقبائل متنوعة الثقافة . كما ساهمت الترجمة بنصيب طيب في تطور العقل العربي وتنوع مصادر ثقافته .

و لفهم هذا التطور والتبدل الذي أصاب المجتمع أفردنا في مقدمة الباب الأول والباب الثاني فصولا للحديث عن ظروف نشأة الدولتين ، و ما أكتنف تلك النشأة من ملابسات ، كان تبيانها لازما وضروريا لمعرفة نوع النقلة الكبيرة التي حدثت في المجتمع . على اعتبار أنه لا يمكن أن نفهم ما أصاب المجتمع من تغيرات بمعزل عن دراسة التاريخ ، فالمجتمع ليس كائنا هلاميا ، فالظواهر الاجتماعية التي تطرأ عليه إنما تفهم في إطارها الزمني والتاريخي ومعرفة ما أصاب ذلك المجتمع من أحداث و تقلبات تترك عادة آثارها عليه .

و أوضح ما تكون تلك الآثار فيما ينتجه المجتمع من أدب و فن يعبر به عن نفسه ، لذا حاولت في هذا البحث ربط الدراسة التاريخية بالحياة العلمية والفكرية ثم ما كان من حركة الأدبية .

لقد كان للترف الذي أصاب المجتمع أثار كبيرة في الحياة الفكرية بمجملها ،و كان لبعض هذه الآثار جوانب سالبة كبعد المجتمع عن الدين مما أوجد فئة لاهية عابثة ، وكان لها أدباؤها المعبرون عنها ، كما ظهرت نتيجة لذلك الكثير من الفئات المنفلتة دينا من فرق و طوائف دينية منحرفة ، وقد تمثلت بعض ردود الفعل في ظهور طائفة أخري من الزهاد والنساك و كان لها أيضا شعراؤها المعبرون عنها .

أما الجانب الإيجابي لما تمتع به المجتمع من ترف ، ما فنجده ماثلا في ما توفر للمجتمع من أدوات ثقافية و فكرية لم تكن متاحة له في الماضي ، فانتشر التعليم ، وازدهرت العلوم بشكل كبير ، خاصة بعد توسع الدولة ، واتصالها بشعوب وأمم ذات حضارة وثقافة تليدة ، كالفرس والروم . فكانت حركة الترجمة التي نقلت الكثير من المعارف للعربية ، فتوسع العقل العربي و نشأت علوم جديدة ، لم تكن معروفة من قبل ، مما أكسب الحياة الأدبية أبعادا جديدة .

لقد حولنا لتبيان هذا الجانب أن نرصد مجمل التغيرات التي أصابت المجتمع العربي في هذين العصرين ، وذلك برصد حركة المجتمع الاقتصادية ، والعلمية ، والثقافية ، عبر ما ورد من أخبار الدولتين في كثير من المراجع ، مما مكننا من معرفة و تفهم المناخ الفكري الذي ساد كل طبقات المجتمع ، والذي أثر بصورة خاصة على الحياة الأدبية ، مما سنجده ماثلا في كثير من

التطورات التي شهدتها إبداعات الشعراء و ما تبع ذلك من تطور الفكر النقدي و تجذره في العقل العربي .

و لم يكن الخلفاء في كلتا الدولتين بعيدين عن ما أصاب المجتمع من تغيرات ، بل رأينا في كثير من الأحيان أنهم كانوا قوادا لهذا التغيير ، بما كانوا يتمتعون به من ثقافة وعلم ، و بما كانوا يبذلونه
للعلماء والأدباء من عطايا و هبات ، وبما كانوا يقومون به من تشجيع لهم ، و دفع نحو الإبداع والرقي .

تمثل مجالس الخلفاء أكبر ظاهرة ثقافية وأدبية ميزت العصرين الأموي والعباسي . فقد درج الخلفاء في كلا العصرين على إقامة هذه المجالس حتى غدت منتديات علمية وثقافية يشع منها الفكر ليستفيد منها العامة والخاصة .

فقد ضمت هذه المجالس كما رأينا بجانب الخلفاء ، العلماء والأدباء من كل لون ، وكانت تمثل بحق مسرحا ثقافيا ، للشعراء خاصة ، فقد كانت لهم النصيب الأكبر من الإهتمام بسبب مدحهم للخلفاء ، ولم يكن من اليسير على الشاعر بلوغها ونيل شرف المثول بين يدي هذه الصفوة من رجال الحكم والأدب والعلم ، لذا فقد حرص الشعراء على التجويد وذلك لكثير من الأسباب كما بينا سابقا . غير أن ما يكتنف عملية الإبداع من تعقيد أفرز نوعا من الآراء النقدية التي تعرض لها هؤلاء الشعراء ، و بمرور الزمن، و بتراكم هذا الإرث النقدي الجديد ، بدأت تتشكل الرؤى النقدية في المجتمع الفكري العربي ، مما أوجد مناخا مواتيا لنهضة النقد ليبرز كعلم جديد له قواعده وأحكامه ، في ظل حركة علمية متطورة و متفاعلة .

إن رؤيتنا لتلك المجالس لا تقوم على النظر إليها بمعزل عن الظرف التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي أوجدها ، لذا كان من دواعي هذه الدراسة النظر إلى تلك المجالس في كلا العصرين ، كمحاولة لإيجاد القواسم المشتركة بينهما ، لتكون الصورة أكثر وضوحا لدى المتأمل ، ففي المنظور العام نكاد لا نجد فروقا جوهرية في نظامي الحكم في كلتا الدولتين ، بالرغم من العداء الذي كان بينهما . كما لا نجد علامة فارقة وقاطعة تفرق بين مجالس خلفائهما من الناحية الثقافية و الفكرية ، وما ذاك إلا لتشربهما من نفس النبع الفكري ، والذي يمثل الدين الإسلامي والثقافة العربية ركنيهما الأساسيين.

فمن أهم ما توصلنا إليه من نتائج في دراستنا الموازنة ، أن قاعدة الثقافة و اللغة المتمثلة في الدين الإسلامي والعربية هي ما قامت عليه كل ما كان يصدر من آراء و تعليقات نقدية ، فمن الناحية الفكرية نجد أن تشرب الخلفاء بالموروث الأدبي واللغوي مثّل الخلفية التي كان ينطلق منها الخلفاء في اهتمامهم بالشعر وإيمانهم بخطورته و دوره في الحياة السياسية و الاجتماعية ، وقد قرأنا من أخبارهم ما يدل على وعيهم الكبير بهذا الدور ، وذلك من الأيام الأولى لقيام الدولة الأموية في عهد مؤسسها سيدنا معاوية (رضي الله عنه) و استمر هذا الاهتمام من الخلفاء الذين تعاقبوا على الحكم من بعده ، و قد حرصوا كما رأينا على بذر حب اللغة العربية و الشعر و تعليمهما لأبنائهم من الصغر، كما حرصوا . لعل هذا ما يفسر استمرار وديمومة هذه المجالس في مختلف العهود .

كذلك كان الاهتمام باللغة والشعر من خلفاء العهد العباسي ، فقد كان لهم نفس الاهتمام ، وربما زاد هذا الاهتمام في عصرهم لتطور المجتمع ، ولتقدم العلوم عما كانت عليه في العصر الأموي .

كان من الطبيعي إذن أن تأتي آراؤهم النقدية منسجمة مع موروثهم الثقافي و اللغوي لذا فقد تشابهت مواقفهم النقدية ، في مفهومها الفكري ، و لم تبتعد كثيرا عما عرفوه من قواعد الشعر المألوفة لديهم من الموروث الجاهلي و ما تلاه في صدر الإسلام .

أما من الناحية الدينية ، فقد كان حرص الخلفاء كبيرا علي اعتماد المقاييس الدينية التي أمر بها الدين الإسلامي ، لذا فقد كانوا لا يتهاونون في ردع من يخرج عليها من الشعراء ، خاصة في جانب العقيدة ، والأخلاق العامة ، لذا فقد كان هذا عاملا آخر ساهم في تشابه النقد في العصرين . ولعل من الجدير بالملاحظة هنا ما رأينا من تهاون المجتمع و تسامحه في كثير من الأحيان مع بعض ظواهر الخروج على الدين خاصة في مسألة الخمر ، وقد بينا بعضا من هذا في ثنايا هذا البحث ، وقد كان ذلك مما أثاره النقاد في كتبهم في مسألة تقيد الشعر بالأخلاق من عدمه .

كان من ضمن اهتمامنا في هذا البحث أن نرصد دوافع الخلفاء على مدى العصرين لإصدار تلك الإحكام النقدية ، و قد تبين من خلال الدراسة تنوع هذه الدوافع ما بين دوافع فنية مبعثها حبهم للشعر ، و ما جبلوا عليه من ذوق أدبي صقلوه بالدراسة و الاضطلاع ، و دوافع أخرى سياسية و اجتماعية ، و غير ذلك مما بيناه في هذا البحث، غير أن أهم ما يلفت النظر هنا قوة الدوافع التي الفنية واللغوية مما حثهم عليها ذوقهم الفني و إحساسهم الأدبي ، مما أعطي لهذه الآراء والانتقادات قيمة فنية بقيت محل دراسة واهتمام العلماء في كتبهم التي ألفوها لاحقا .

من المجالات الأخرى التي كانت محل دراستنا في هذا البحث ، محاولة رصد المقاييس و الضوابط التي اعتمدها الخلفاء في انتقادهم للشعراء ، لا شك في أن معرفة الخلفاء و ثقافتهم اللغوية والشعرية كان لها أكبر الأثر فيما كانت تصدر عنهم من إحكام وآراء نقدية ، فبعض هذه الأحكام كان قائما في أذهانهم نتيجة لما تعلموه ودرسوه ، وقد رأينا مبلغ اهتمام الخلفاء بتعليم أبنائهم ، و خاصة الشعر فلا عجب أن كانت معظم آرائهم و انتقاداتهم للشعراء كانت مبنية على المقاييس العامة التي كانت تحكم الشعر و هي مقاييس لم تكن مكتوبة لكنها كانت معروفة الملامح والسمات ، و الدور الكبير الذي لعبته تلك الجالس هنا هو جعل هذه المقاييس و الأحكام ، معيارا من الصعب تجاوزه أو تجاهله من قبل الشعراء ومن المهتمين بالأدب .

كذلك نجد إفرازا جديدا لأحكام ومقاييس جاءت نتيجة للتطور الكبير في الحركة العلمية والأدبية والذي كان لابد من أن تكون له آثار فيما يقال من شعر و ما ينتج من أدب ، و لأن مجالس الخلفاء لم تكن بمعزل عن الحركة العلمية في عصرها بل كانت رافدا من أهم روافد الثقافة في ذلك العصر فقد جاءت بعض الأحكام كنتيجة من نتائج ذلك التطور الذي انتظم معظم جوانب المجتمع .

كانت من نتائج ما أفرزته حركة تطور المجتمع ، وما تبعها من تطور العلوم والأدب في العصرين الأموي والعباسي ، نشأة بعض العلوم كنتيجة مباشرة لتطور العقل العربي و توسع أفقه العلمي خاصة بعد الاتصال بالشعوب الأخرى و ازدهار حركة الترجمة . كان النقد من بين تلك

العلوم التي أخذت في الظهور في ثوب جديد ، فبعد أن كان النقد مجرد آراء تقال ، و أفكار تطرح ، بدأ النقاد في الظهور بمؤلفاتهم النقدية التي تتسم بالمنهجية و القواعد التي يحاولون من خلالها إبراز الأفكار النقدية ، وتحليل أحكامها ، و قد لعبت مجالس الخلفاء دورا مهما في ظهور النقد بصورته الجديدة و بأفكاره و منهجيته .

لقد حاولت في دراستي للآثار النقدية لمجالس الخلفاء في مؤلفات النقاد الأوائل أن أبين مدي تلك المساهمة الكبيرة لها في إبراز هذا العلم و تثبيت أصوله وقواعده وذلك لأسباب كثيرة ، أولها ما كان من أثر غير مباشر ساهمت فيه تلك المجالس بما نشرته من وعي فكري و حضاري بالرأي النقدي، كقيمة أدبية ، فقد ظلت تلك المجالس ولعقود طويلة تثري الحياة الأدبية بما كان يعرض فيها من أدب وشعر ، وبما كان يتبع ذلك من آراء وأحكام نقدية ، كانت تسري في شرايين المجتمع الأدبي وتغذية بالأفكار و تثبت في العقول أول تلك الأحكام ، وتذكر بما للشعر من قواعد وأصول لابد من إتباعها ، ومراعاتها ، لقد لعبت تلك المجالس دور الحارس الأمين لأصول الشعر و لمبادئه العامة.

فإذا أضفنا لهذا ما كان لهذه المجالس من أهمية للشعراء بما كانت تقدمه لهم من شهرة و مكانة أدبية و اجتماعية ، وبما كان يجده الشاعر من حوافز مادية ، لعلمنا الدور الخطير الذي كانت تقوم به ، والذي اجتمعت له كل مقومات التأثير المطلوبة في مجتمع منفتح على العلوم والثقافة داخليا و خارجيا.

أما التأثير المباشر لهذه المجالس فقد ظهر في اهتمام النقاد بما كان من آراء الخلفاء و ظهورها في مؤلفاتهم ، فقد رأينا كيف استفاد هؤلاء النقاد من هذه الأحكام وتلك الآراء ، وذلك بعدة طرق :

بعض النقاد استند على هذه الأحكام و تلك الآراء للدلالة علي صحة ما يقول ، و هذا ما يظهر لنا مدى احترامهم لها كقيمة نقدية يحتج بها ([1]) .

ومن هؤلاء النقاد من حاول تحليل هذه الآراء و تقديم بعض الآراء المعاكسة لها أو الموافقة ، على اعتبار أنها رأي نقدي يحتمل الصواب والخطأ . و هذا ما يعكس لنا مدى التجاوب الذي و جدته تلك الآراء في المجتمع الفكري و الأدبي في عصرها ، وقد رصدنا الكثير من الجدل الذي أثارته بعض هذه الآراء و سجلنا ما كتبه بعض هؤلاء النقاد كمثال يدل على قوة تأثير تلك الآراء . والتي منها علي سبيل المثال خبر الخليفة هرون الرشيد مع الشاعر العتابي وبيته المشهور :

كأنّ أُذْنيه إذا تَشَوَّفا ... قادمةً أو قلماً مُ حرّفَا ([2])

ومن النقاد أيضا من حاول أن يبني منهجا نقديا خاصا به مستفيدا من هذه ، و مرتكزا عليها كقاعدة و أصل من أصول النقد الأدبي ، وهذا أيضا مما يعكس الأثر المتنامي لهذه الأحكام و الذي ظل قويا ومؤثرا إلي وقت طويل . فابن سلام مثلا في الطبقات ، حاول أن يجد منظورا خاصا به حول قضية انتحال الشعر و هي من القضايا التي كان لها حظها من الاهتمام في مجالس الخلفاء ، كما أن فكرة الفحولة و تفضيل شاعر على أخر من مجمل القضايا التي كثيرا ما أثيرت

---

١ -- صفحة ١٨١ من هذا البحث

٢ - صفحة ١٧٣ من هذا البحث .

في تلك مجالس .

لقد حاولنا من خلال رصدنا لهذه التأثيرات بيان أن هذه الفترة من فترات نشأة النقد كان لها أثرها البالغ في تطور النقد لعلم مستقل له أصوله و قواعده التي ترسخت بفضل هؤلاء الخلفاء بما كانوا عليه من علم وثقافة وبما خلفوه من آثار نقدية ظهر أثرها - كما بينا - لاحقا في مؤلفات النقاد .

الفهارس

فهرست الآيات

المتسلسل	الآية	السورة	رقمه الآية	الصفحة
١	" يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، والله لا يهدي القوم الكافرين "	سورة المائدة	الآية ٦٧	٨
٢	" فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"	سورة النساء	آية رقم ٦٥	١٤
٣	" قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون	سورة الأعراف	الآية ٣٢	٢١
٤	" كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين "	سورة الأنعام	الآية ١٤٢	٢١
٥	" إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً "	سورة الإسراء	الآية ٢٧	٢١
٦	" يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى ، فيضلك عن سبيل الله"	سورة ص	الآية ٢٦	٥٨

٧	" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا"	- سورة الفرقان	الآية ٢٩	٨١
٨	" وَ اجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي "	- سورة طه	الآية ٢٥	٨١
٩	"فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَآ آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"	البقرة	الآية ١٣٧	١٦٢
١٠	" أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ"	سورة الشعراء	الآية ٢٢٥ و ٢٢٦.	١٧١

فهرست
الأحاديث

المتسلسل	الحديث	المرجع	الصفحة
١	عن أسيد بن حضير رضي الله عنه ، أن رجلا من الأنصار قال : يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانا ، قال : ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني علي الحوض "	مختصر صحيح البخاري للإمام زين الدين الزبيدي – دار النفائس بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٩٩٠ م .	٤
٢	« أنتم أعلم بأمر دنياكم »	صحيح مسلم – الجزء الثاني عشر	١٤
٣	عن أنس (ﷺ) أنه قال : فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ" . وقالت أم المؤمنين عائشة : إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، و ما أوقدت في أبيات رسول الله نار . فقال لها عروة : ما كان يعيشكم؟ قالت : قالت : الأسودان ؛ التمر والماء	صحيح البخاري- الجزء العشرون	٢١
٤	" مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "	سنن النسائي – الجزء العاشر	١٠٣

فهرست الأشعار

المتسلسل	قافية الهمزة	الشاعر	رقم الصفحة
١.	نهاركم مكابدة و صوم وليلكم صلاة و اقتراء	أيمن بن خريم	٣٧
٢.	أيها المشتهى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء	ابن قيس الرقيات	٣٧
٣.	ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء	كثير عزة:	٣٧
٤.	أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى الشفاء	الفرزدق	٥٣
٥.	فإن تكُ ذقَّ زاملةٍ فإني أنا الطاعون ليس له دواء	الأخطل	٥٣
٦.	أنا الموت الذي أتى عليكم ليس لهارب منه نجاء	جرير	٥٣
٧.	نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقتراء	أيمن بن خريم	٥٧
٨.	نهاركم مكابدة وصوم وليلكم صلاة واقتراء	أيمن بن خريم	١٦٧/٦٣
٩.	دع عنكَ لَومي فإنّ اللومَ إغراء ... وداوني بالّتي كانت هي الدواء	نواس	١١٥
١٠.	إنَّما مُصعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللَّـــــــهِ تَجَلَّت عَن وَجهِهِ الظَلماءُ	ابن قيس الرقيات	١٩٧/١٧٣
١١.	وكنا بالخليـــفـــة قد عقدنا ... لواء الأمر فانتقض اللواء	أبو دلامة	١١٧
ب	**قافية الباء**		
١٢.	قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا	الحطيئة	٤٤
١٣.	ما على الرسم بالبليين لو بـــــــــين رجع السلام أو لو أجابا	عمر بن أبي ربيعة	٦٠
١٤.	صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني إذا ظلمت سأغضب	النابغة	٤٤
١٥.	منعت عطائي يابن سعد وإنما سبقت إلي الموت وهو قريب	جرير	٤٦
١٦.	أهلوا من الشهر الحرامِ فأصبحوا مَوَالِي مُلكٍ لا طَريفٍ ولا غصبِ	الأخطل	٦٤
١٧.	دَعِ الأَطلالَ تَسفيها الجَنوبُ وَتُبلي عَهَدجِّتِها الخُطوبُ	نواس	٩٥
١٨.	حامل الهوى تعب . .. يستخفه الطرب	أبو نواس	٩٥
١٩.	متى كانت الأتراك أبناء مذبحٍ ألا إن في الدنيا عجيباً لمن عجب	مجهول	١٠١
٢٠.	ما نقموا من بني أمية .....إلا أنهم يجهلون إن غضبوا	مجهول	١١٧
٢١.	قل للإمام جزاك الله صـــالحة ... لا تجمع الدهر بين السخل والذيب	حماد عجرد	١٢٢
٢٢.	فإن يكُ باقي إفك فرعونَ فيكمُ ... فإن عصا موسى بكفِّخصيبِ	أبو نواس	١٣٨
٢٣.	أفنيتُ عمري وَقَضى الشبابْ... بين الحمَيا والجَوَاري العِذَ ابْ	بشار	١٣٠
٢٤.	فإن كان باقي إفك فرعونَ فيكمُ ... فباقي عصا موسى بكفِّخصيبِ	الرشيد	١٣٨
٢٥.	فتحُ الفُتوحِ تَعالَى أن يُحيطَ به ... نظمٌ من الشِّعرِ أو نثرٌ من الخُطَبِ	أبونمام	١٥٤

٢٦.	من راكب يأتي ابن هند بحاجتي ... على النأي والأنباء تنمى وتجلب	النابغة	١٥٧
٢٧.	بزينب ألمم قبل أن يظعن الركبُ ... وقل إن تمل‍ينا فما ملك القلبُ	نصيب	١٨٥
٢٨.	يَ عَدِلُ التاجُ فَوقَ مَفرِقِهِ عَلى جَبينٍ كَأَنَّهُ الذَهَبُ	ابن قيس الرقيات	١٩٧/١٧٣
٢٩.	وقد رأينا بها حوراً منعمة ... بيضاً تكامل فيها الدالُ والشنبُ	الكميت بن زيدٍ	١٨٦
٣٠.	لمياء في شفتيها حوة لعسٌ ... وفي اللثاث وفي أنيابها شنبُ	ذو الرمة	١٨٦
٣١.	إذا ما طواك الدهر يا أم مالك ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا	المجنون ليلي	٩٨
٣٢.	أ زبـيـدة ابـنة جـعفـر ... طـوبى لـزائـرك المـثـاب	مجهول	١٩٥١٩٦/١٣٧
٣٣.	كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ	النابغة	١٦٦
ت	**قافية التاء**		
٣٤.	كم غافل أودى به الموت ... لم يأخذ الأهبة للفوت	أبو العتاهية	١٢٧
٣٥.	وللشعراء ألسنة حداد على العورات موفية دليلة	أبو الدهمان	٤٣
٣٦.	أيشتمني معاوية بن حرب ويكذبني لقولي في جهينة	بسربن عصمة المزني	٤٦
٣٧.	وهاجرة نصبت لها جبيني ... يقطع ظهرها ظهر العظاية	المنصور	١١٩
٣٨.	وقفت بها القلوص ففاض دمعي ... على خدي وأقصر واعظاية	بشار	١١٩
٣٩.	يا منظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته	بشار	١٢٩
٤٠.	سأبكيك للدنيا وللدين إنني ... رأيت يد المعروف بعدك شلت	الكميت	١٦٥
٤١.	إنّ الخليطَ أجدّ مُـنْقَلـْه... و لذاك زُمّتْ غُدوَةً إبلُ‌ْه	طرفة	١٩٠
٤٢.	إن الحوادث بالمدينة قد أوجعنني وقرعن مروَتيَه	عبيد الله بن قيس الرقيات	٧٠
ج	**قافية الجيم**		
٤٣.	لو قلت للسيل دع طريقك وال ... موج عليه كالهضب يعتلج	طريح	١٢٣
٤٤.	أخشاب حقاً أن دارك تزعج ... وأن الذي بيني وبينك ينهج	بشار	١٣٣
٤٥.	فوا كيدا قد أنضج الشوق نصفها ... ونصف على نار الصبابة ينضج	بشار	١٣٤
٤٦.	ملك أبوه و أمه من نبعة ... منها سراج الأمة الوهاج	أشجع السلمي	/١٥٦/١٤٣ ١٧٦
ح	**قافية الحاء**		
٤٧.	ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح	لجرير	٥٢/٤٠
٤٨.	أبت لي همتي وأبى بلائي وإخذي الحمد بالثمن الربيح	عمرو بن الأطنابة	٤٤
٤٩.	تعلل و هي ســـــاغبة بنيها بأنفاس من الشيم القراح	جرير	٤٧
٥٠.	ألستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح	جرير	٤٠
٥١.	داود عدلٍ فاحكم بسيرته ثم ابن حرب فإنهم نصحوا	نابغة بني شيبان	٥٨
٥٢.	أتصحوأم فؤادك غير صاحٍ عشية هَمَّ صَحبُكَ بالرواح	جريراً	٦٧
٥٣.	وجدت بها وجد المضل قلوصه بمكة والركبان غاد ورائح	كثير عزة	١٨٤/٧٣
٥٤.	وجدت بها مالم يجد ذو حرارة يمارس جمات الركي النوازح	كثير عزة	١٨٤/٧٣

٥٥.	وجدت بها ما لم يجد أم واحد بواحدها تطوى عليه الصفائح	كثير عزة	٧٤
٥٦.	قاس الهموم تنل بها نجحا ... و الليل إن وراءه صبحا	بشار	١٧١
د	**قافية الدال**		
٥٧.	إذا المنبر الغربي خلا ربه فإن أمير المؤمنين يزيد	مسكين الدرامي	٤٥
٥٨.	خلافة ربكم حاموا عليها ولا ترموا بها الغرض البـعيدا	عبد الله بن همام السلولي	٤٥
٥٩.	جزاك اللهُ عن مستفردٍ وحدٍ نفاه عن أهلهِ جرمٌ و تشريدُ	الأخطل	٥٨
٦٠.	لقد كان في أنهار دجلة نعمة و خطوة جد للخليفة صـاعد	جرير	٤٩
٦١.	أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي	نصيب الأسود	٧٥/٧٤/٦١
٦٢.	ولقد أراد الله إذ ولاّكها ... من أمّةٍ إصلاحها ورشادها	عديّبن الرّقاع	١٩٠
٦٣.	تحبكم نفسي حياتي فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي	الاقيشر	١٨٥/٧٥/٦١
٦٤.	تحبكم نفسي حياتي فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي	عبد الملك	١٨٥/٧٥/٦١
٦٥.	رأيت المرء تأكلـــه الليالي كأكل الأرض ساقطةَ الحديد	أرطاة بن سهية	٦٦
٦٦.	إذا مِ تَماتَ العرفُ وانقطعَ الندى فلم يبقَ إلا مِن قليلٍ مُصَـرَّدِ	الأخطل	٦٨
٦٧.	يـذم أبو بحر أمـوراً يريدها ويكرهها للأريحي المســـــود	حارثة بن بدر	٩٤
٦٨.	دعـني مـن ذكر أب و تجـد و نسبٍ يعليك سور المجد	أبو العتاهيه	١٠٤
٦٩.	و سعى بها ناسٌ فقالوا إنها ... لهي التي تشقى بها وتكابد	العباس	١٢٣
٧٠.	قل لمن ضنّ بودّه ... وكوى القلب بصدّه	العتاهيه	١١٦
٧١.	بنيت لعبد الله بعد محـمد ... ذرا قبة الإسلام فاخضر عودها	أبو الغول	١٩٣/١٢٧
٧٢.	أربع البلى إن الخشوع لباد .....عليـك و إنـي لم أخـنك ودادي	أبو نواس	١٣٧
٧٣.	ليس ولي عهدنا بالأسعد عيسي فزحلفها إلي محمد	أبونخيلة	١١٨
٧٤.	إذا قلت إني مشتف بلقائها ... فحمُّ التلاقي بيننا زادني وجدا	الأحوص	١٤١
٧٥.	أيـها المادح العباد ليعطى ... إن لله ما بأيـدي العبـاد	عمران بن حطان	١٦٤
٧٦.	أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي	أبي نواس	١٩٤
٧٧.	سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغادي	أبي نواس	١٩٤
ر	**قافية الراء**		
٧٨.	يبين الجار حين يبين عنـــي ولم تأنس إليّ كلاب جـــاري	العجير السلولي	٣٣
٧٩.	قد كنت أحسبه غينا وأنبؤه فالآن طّير عن أثوابه الشرر	الأخطل	٥٤
٨٠.	الحمد لله ، أما بعد يا عمر فقد أتتنا بِكَ الحاجاتُ و القدرُ	نصيب	٦٣
٨١.	نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربَّه موسى على قدر	جرير	٥٨
٨٢.	رماه الكرى في رأسه فكأنه صريعٌ يرّوى بين أترابه خمراً	الأخطل :	٦٢
٨٣.	رماه الكرى في رأسه فكأنه يرى في سواد الليل قنبرة حمرا	جرير	٦٢
٨٤.	رماه الكرى في رأسه فكأنه أميمُ جلاميدٍ تركن به وقرا	الفرزدق	٦٢
٨٥.	وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنين بنا لما أتاك بِبطنِ الوَطةِ الخبرُ	الأخطل	٦٣
٨٦.	الحمد لله ، أما بعد يا عمر فقد أتتنا بِكَ الحاجاتُ و القدرُ	نصيب بن رباح	٦٣

٨٧.	تزورُ امرأ قد يعلم الله أنه تجود له كفٌ قليلٌ غِرارُها	عبيد اله بن قيس الرقيات	٦٤
٨٨.	حَوْلَ ابن عَوْاءَ حِصانٌإن وُتِرْ فازْوإن طالبَ بالوغمِ اقتدرْ إذ الكرامُ ابتدروا الباعَ ابتدرْ	العجاج	٦٩
٨٩.	وقائلةٍ والنعشُ قد فات خطوَهَا لتدركَهُ يالهفَ نفسي على صخر	الخنساء	٧٠
٩٠.	مُهَفْهفُ الكَشحِ والسربالِ منخرقٌ عنه القميصُ لسير الليل مُ حَقِرُ	ليلي الأخيلية	٧٠
٩١.	مستقبلين شمالَ الشام تضربُنا بحاصب كنديف القُطن منثور	عنبسة الفيل	٧٠
٩٢.	قالت لترب لها تحدثهـــا لتفسدن الطواف في عمر	عمر بن أبي ربيعة	٧٤
٩٣.	لقد منعت معروفها أم جعفـر وإني إلى معروفها لفقيـــر	الأحوص	٧٤
٩٤.	طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا ... عند الفراش فبات الهم محتضرا	الأحوص	٩٣
٩٥.	طربت وهاجك من تـذكر ... ومن لست من حبه تعتذر	مجهول	٩٣
٩٦.	فَأ فدع عنك يعقوب بن داود جانباً ... وأقبل على صهباء طيّة النّشر	مجهول	٩٢
٩٧.	إذا كنت ندمـاني فخـذها و سـقني ودع عنك من رآك تكرع في الخمر	حارثة بن بدر	٩٢
٩٨.	زعمتم بأنّ التـرك أبنـاء مذحـجٍ و بينكم قربى وبين البرابر	مجهول	١٠١
٩٩.	جاء المشـــمر والأفراس يقدمـها ... هونا " على رسـله وما انبهرا	أبو العتاهية	١١٩
١٠٠.	اسقني من سلاف ريق سليمى ... واسق هذا النديم كأساً عقارا	الوليد	١٢٤
١٠١.	مستنبط عزمات القلب من فكر ... ما بينهن وبين الله معمور	العتابي	١٢٥
١٠٢.	فـإذا ولـى أبـو دلـفٍ ... ولت الدنيا على أثـره	علي بن جبلة بن عبد الله الأبناوي	١٢٦
١٠٣.	فأول شربك طرح الرداء ... وآخر شربك طرح الإزار	أبا نواس	١٢٩
١٠٤.	شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا	الأخطل	١٣٤
١٠٥.	ومما شجاني أنها يوم أعرضت ... تولت وماء العين في الجفن حائر	المسيب	١٤٠
١٠٦.	ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديس وتطهير	العتابي	١٣٥
١٠٧.	أمن أجل أعرابية حل أهلها ... جنوب الملا عيناك تبتدران	امريء القيس	١٦٣
١٠٨.	لمن الديار بقنة الحجـــر ... أقوين من حجج و من دهر	زهير	١٤٥
١٠٩.	وَقَد نُصِبرتَأميرَ المُؤمِنينَ بِنا لَمّا أَتاكَ بِبَطنِ الغوطَةِ الجَبَرُ	الأخطل	١٧٢
١١٠.	كأن الغطامط من غَيِها أراجيز اسلم تهجوا غفارا	الكميت بن زيد الأزدي	١٨٦
١١١.	لَهُ الوَيلُ مِن لَيلٍ تَطاوَلَ آخِرُه وَوَشكِ نَوى حَيٍّ تُرَمُّ أَباعِرُه	البحتري	١٣٧
١١٢.	بَني حَسَنٍ وَرَهطَ بَني حُسَينٍ عَلَيكُم بِالسَدادِ مِنَ الأُمورِ	منصور النميري	١٤٣/١٤٢
١١٣.	كَيفَ لا يُدنيكَ مِن أَمَلٍ مَن رَسولُ اللَهِ مِن فَرِه	أبونواس	١٣٨
١١٤.	عَلى عَمائِمِنا يُلقى وَأَرحُلِنا عَلى زَواحِفَ نُزجيها مَحاسيرِ	الفرذدق	٧١
١١٥.	قالت لها أختها تعاتبها ... لا تفسدن الطواف في عمر	عمر بن أبي ربيعة	١٨٥
١١٦.	أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ ... بأبياتكم ما درت حيث أدور	الأحوص	١٨٥
١١٧.	فالآن أقصر عن سمية باطلي ... وأشار بالوجلى على مشير	بشار	١٨٨
١١٨.	هَفَّ القَطينُ فَراحوا مِنكَ أَو بَكَروا وَأَزعَجَ تهُم نَوىً في صَرفِها غِيَرُ	الأخطل	٦٧
١١٩.	على الغزلى مني السلام فربما ... لهوت بها في ظل مخضرة زهر	بشار	١٨٨
١٢٠.	تلاعب نينان البحور وربما ... رأيت نفوس القوم من جريها تجري	بشار	

س	قافية السين		
١٢١.	بين ابن مروان قَريعِ الإنس وابنةِ عباسِ قَريعِ عَبس	العجاج	٦٩
١٢٢.	والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه	صالح بن عبد القدوس	١٣٢
١٢٣.	يا خير من وخدت بأرحله ... نجب الركاب بمهمه جلس	علي بن الخليل	١٣١
ص	**قافية الصاد**		
١٢٤.	يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا	الأعشى	٤٤
١٢٥.	**قافية العين**		
١٢٦.	لقومي أحمي للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع	جرير	٥٤
١٢٧.	مددنا وكانت ضلة من حلومنا تبدي إلى أولاد ضمرة أقطعا	ابن رميلة	٥٥
١٢٨.	لولا الخليفة والقرآن نقرأه ما قام للناس أحكامٌ ولا جمعُ	جرير	٥٨
١٢٩.	يا آل مروان إن الله فضلكم فضلا عظيما على من دينه البدع	جرير	٥٨
١٣٠.	مُمَرٌّ أَمَرَّت مَ ثَّأَسَدِيَّةٌ يَمانِيَةٌ حَلَّت جُنوبَ المَضاجِعِ	ذو الرمة	١٦٠
١٣١.	واحدةٌ أعضلكم شأنها ... فكيف لو قمت على أربعِ	العرجي	١٤٧
١٣٢.	بانَ الَخلِيطُ بِرَامَ ٌتِي فَوَ َّعُوا ... أَوَ كُلَّمَا جَدُّوا لِبَ ْنٍ َّجزَعُ	جرير	١٩٢
١٣٣.	أَمِنَ المَنونِ وَريبِ ها َوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَ جزَعُ	أبوزؤئيب الهزلي	١٥٧
ف	**قافية الفاء**		
١٣٤.	أنت الذي عنى بلالاً دفعته ونحن نخاف مهلكات المتالف	الفرذدق	٤٩
١٣٥.	يا بن زياد يا أبا جعفرٍ أظهرت ديناً غير ما تخفي	ابن مناذر	١٣١
١٣٦.	بين شُكُولِ النساء خِلتُها قَ صْدٌ فلا جَ ْلَةٌ ولا قصفُ	قيس بن الخطيم	٦٩
١٣٧.	بيعةُ المأمـــــون آخذَةٌ ... بِعنانِ الحقّ في أُ فقْه	أشجع	١٥٦
١٣٨.	وعضُّ زمانٍ يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلفُ	الفرزدق	٣٩
١٣٩.	يا بن زياد يا أبا جعفرٍ أظهرت ديناً غير ما تخفي	ابن مناذر	١٣١
١٤٠.	كأنَّ أذنيه إذا تشوّفا ... قادمةً أو قلماً محرّفا	العماني الراجز	١٣٩
ق	قافية القاف		
١٤١.	طرقتْ جنو بُرحالَ ٌمن مَطْرَقٍ ما كنت ما كنتُ أحْسِبُها قريبَ المعنق	القطامي	٦٠
١٤٢.	بيعةُ المأمـــــون آخذَةٌ ... بِعنانِ الحقّ في أُ فقْه	اشجع	١٥٦
١٤٣.	ولقد أراد الله إذ ولاّكها ... من أمّةٍ إصلاحها ورشادها	عديّبن الرّقاع	١٦٠
١٤٤.	وإذا يصيبك ـ والحوادث ـ جمة حدث حداك إلى أخيك الأوثقِ	القطامي	٦٠
١٤٥.	طرقتْ جنوبُرحالَ ٌمن مَطْرَقٍ ما كنت ما كنتُ أحْسِبُها قريبَ المعنق	القطامي	٦٠
١٤٦.	هَمَمتُ وهَمت ثم هابت وهبتُها حياءً ومثلي بالحياء حقيقُ	كثير عزة	٤٠
١٤٧.	فدعو بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها إبريق	عدي بن زيد .	٥٢

١٤٨.	ومن يأمن الحجاج اما عقابـــه فمر واما عهده فوثيـــق	جرير	٧٣
١٤٩.	من خُراسانَ وبيتي في الذُّرَى ... ولَدَى المَسعَاة فَرْعي قد بَسَقْ	بشار بن برد،	١٠٢
١٥٠.	وإنِّي لمِنْ قَوْمٍ خُراسانُ دارُهم ... كرامٍ وفَرْعِي فيهمُ ناضرٌ بَسَقْ	بشار بن برد،	١٠٢
١٥١.	بِشْرُهُ قبلَ النَّوالِ اللاَّحِقِ كالْبَرْقِ يبدوُ قبلَ جُودٍ دَافِقِ	العتاهيه	١١٦
١٥٢.	تُريكَ القَذى مِن دونِها وَهيَ دونُهُ إذا ذاقَها مَن ذاقَها يَتَمَطَّقُ	الأعشى	١٤٠
١٥٣.	فمن يأمنِ الحجّاجَ أمّا عقابُه فمـرٌّ و أمّـــا عفْوُهُ فوثيق	جرير	١٨٢
١٥٤.	ولَوْلا أن تُعَنِّفَنِيْ قُرَيْشٌ ... مَقَالَ الناصحِ الأَدْنَى الشَّفيق	عمر بن أبي ربيعة	١٧١
ل	**قافية اللام**		
١٥٥.	وما سمي العجلان إلا لقوله خذ القعب أيها العبد وأعجل	النجاشي	٤٤
١٥٦.	أَخَلِيفَةَ الرَّحمَـــنِ! إنّا مَعْشَرٌ ... حُفَاةٌ ،عُجْد بُكْرَةً وأصيلا	الراعي	٥٦
١٥٧.	ألا كل شيئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل	لبيد العامري	٥٧
١٥٨.	إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافةَ في إمام عادلِ	جرير	٥٨
١٥٩.	على ابن أبي العامي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذالها	كثير	٥٩
١٦٠.	والشمس في الأفق كعين الأحول	أبو النجم العجلي	٦٦
١٦١.	وإنا تجيئ كتيبة ملومة خرساء يخشى الذائدون نهالها	الأعشى	٥٩
١٦٢.	إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليتَ وإن طالتْ بك الطيلُ	قول القطامي	٥٩
١٦٣.	فما تركوها عنوة عن مودة ولكن بحد المَشرفِيِّ استِقَالُها	كثير	٦٤
١٦٤.	الحمد لله الوهوب المجزل	أبو النجم	٦٦
١٦٥.	يمشين رهوا فلا الأعجاز خازلة ولا الصدور على الأعجاز تتكلُ	القطامي	١٩٥/٦٨
١٦٦.	فإن تصلي أصلك وإن تبيني بصرمك قبل وصلك لا ابالي	الأحوص	٧٤
١٦٧.	حَذا خالِدٌ في فِعلِهِ حَذوَ بَرمَكٍ فَمَجدٌ لَهُ مُ سَطَرَفٌ وَأَصيلُ	بشار	٨٨
١٦٨.	إلى جيداء قد بعثوا رسولا ... ليحزنها، فلا صحب الرسول	العرجي	٩٨
١٦٩.	ما نقموا من بني أمية ..... إلا أنهم يحلمون إن غضبوا	عبدالله بن الرقيات	١١٧
١٧٠.	لي المحض من ودهم ... ويغمرهم نائلي	أبو دلامة	١٢٤
١٧١.	مـا أحسـن الدنيا و إقبـالـها ... إذا أطاع الله من نالها	أبو العتاهية	١٢٧
١٧٢.	إني أمنت من الزمان ورِيبه ... لما علقت من الأمير حبالا	العتاهية	١٣٢/١٢٥
١٧٣.	فعـالـي فعـال المكثرين تجـمـلاً ... وما لي كما قد تعلمين قليل	إسحق	١٢٨
١٧٤.	قفي ودعينا يا مليح بنظرة ... فقد حـان منا يا مليـح رحيل	ابن الدمينة	١٢٨
١٧٥.	بـنو مـطـر يـوم الـلـقـاء كـأنـهـم ... أســـود لـهـا في غيل خفان أشبل	مروان بن أبي حفصة	١٢٨
١٧٦.	يا بن نهيا رأس علي ثقيل ... واحتمال الرؤوس خطب جليل	بشار	١٣١
١٧٧.	هل إلى نظرة إليك سبيل ... يرو الصدى ويشفى الغليل	اسحق	١٣٣
١٧٨.	إن سلمى خلقت من قصب ... قصب السكر لاعظيم الجمل	بشار	١٣٣
١٧٩.	إني نزلت بساحة المتوكل ... ونزلت في أقصى ديار الموصل	بشار	١٣٤
١٨٠.	أضحى إمامُ الهُدى المأمون مُشتغلاً ... بالدّين والناسُ بالدنيا مَشاغيلُ	عبد الله ابن أبي النّمط	١٣٧
١٨١.	فلا هو في الدُّنيا مُضِيع نصيبه ... ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدّين شاغل	إبراهيم بن هرمة	١٣٨

١٨٢.	وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلبٍ مقتّل	امريء القيس بن حجر	١٤٠
١٨٣.	كَأَنَّ جُلودَ هُنَّ مُمَوَّهاتٌ عَلى أَبشارِها ذَهَباً زُلالاً	ذو الرمة	١٣٩
١٨٤.	ومن يفتقر منا يعش بحسامه ... ومن يفتقر من سائر الناس يسأل	بكر بن النطاح	١٤١
١٨٥.	قَتَلوا اِبنَ عَفّانَ الخَليفَةَ مُحرِماً وَدَعا فَلَم أَرَ مِثلَهُ مَخذولا	الراعي	١٩١
١٨٦.	فيا ربِ هل إلا بك النصر يبتغى ... ويا رب هل إلا عليك المعول!	الكميت	١٦٤
١٨٧.	ولنا في الحـــي المقت جبل ... راسخ في الطول رأس قد مثل	الحارث بن كلدة	١٦٦
١٨٨.	والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول	أبو النجم	١٧٤
١٨٩.	وَلا بَلَغالمُهدونَ في القَولِ مِدحَةً وَلا صَدَقوا إلا الَّذي فيكَ أَفضَلُ	الخنساء	١٧٧
١٩٠.	تَرَاهُ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سائِلُهْ	زهيرٍ	١٧٧
١٩١.	الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل	لبيد:	١٧٨/٥٧
١٩٢.	فقلت لها ياعزُّ كلُّ مصيبةٍ إذا وطِنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَت	كُثير عزة	١٩٥
١٩٣.	واكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثْتَها ... إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بالأَمَلْ	لبيد	١٧٨
١٩٤.	فَإِن تَصلي أصلك وَإِن تَعودي لِهَجر بُعد وَصلِكَ لا أُبالي	الأحوص	١٨٥
١٩٥.	إذا امتنع المقالُ عليك فامدحْ... أميرَ المؤمنين تجد مقالا	منصور النّمري	٢٠٠
١٩٦.	فيا لك يوماً خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله	جرير	١٨٧
م	**قافية الميم**		
١٩٧.	بأي رشاء يا جرير وماتح تدليت في حومات تلك القماقم	الفرذدق	٥٤
١٩٨.	ومن يأمن الحجاج والطير تتقـى عقوبته غلا ضعيف العزائـم	الفرزدق	٧٣
١٩٩.	تشكى الكميت الجري لما جهدته ... وبين لو يسطيع أن يتكلما	عمر بن أبي ربيعة،	٩٨
٢٠٠.	أهاج هواك المنزل المتقادم؟ ... نعم، وبه ممن شجاك معالم	نصيب	٩٨
٢٠١.	ألا إنما التقوى هو العز والكرم و حبك للدنيا هو الفقر والعدم	العتاهيه	١٠٤
٢٠٢.	يابن موسى ماذا يقول الإمام ... في فتاة بالقلب منها أوام	بشار	١٢٩
٢٠٣.	وعلى عَدُوِّك يا ابنَ عمِّ محمدٍ رَصَدَانِ: ضوءُ الصبح والإظلامُ	أشجع السلمي	١٣٥
٢٠٤.	لم يبق منك ومنهم ... غير الجلود على العظام	سلم الخاسر	١٣٦
٢٠٥.	إذا نلت إنسي المقالة فليكن ... به ظهر وحشي الكلام محرما	الخطفي جد جرير	١٣٨
٢٠٦.	فتمشّت فـــي مفاصـــلهم ... كتمشـــي البرء فـــي السقم	أبو نواس	١٤٠
٢٠٧.	أظلوم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحيةً ظلمُ	العرجي	١٤٤
٢٠٨.	وقد أَتَسَى الهَمَ عِنْدَ احتضارِهِ ... بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَةُ مُكْدَمِ	المسيب بن علس	١٧٥/١٦٨
٢٠٩.	وعلى عَدُوِّك يا ابنَ عمِّ محمدٍ رَصَدَانِ: ضوءُ الصبح والإظلامُ	أشجع السلمي	١٧٩/١٧٠

٢١٠.	فمن يأمنِ الحجاجَ والطيرُ تتَّقى ع قوقٍ إلاَّ ضعيفُ العزائم	الفرزدق	١٨١
ن	**قافية النون**		
٢١١.	بالشط لي سكنٌ أفديه من سكن ... أهدى من الآس لي غصنين في غصن	الحسين بن الضحاك	١٣٢
٢١٢.	وما أنا في أمرى ولا في خصومتى بمهتضم حقى ولاقارع سني	عبد الله بن خارجة من شيبان ربيعة	٣٦
٢١٣.	فلو بقيتْ خلائفُ آل حرب ولم يلبْهمُ الدهرُ المنونا	خالد بن يزيد بن معاوية	٧٠
٢١٤.	أعلمه الرماية كل يومٍ ... فلما اشتد ساعده رماني	معن بن أوس المزني	٩٣
٢١٥.	هذا ابن عمي في دمشق خليفةٌ لو شئتُ ساقكم إليّ قَطِيناً	جرير	٧٠
٢١٦.	القصر فالنخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون	أبو قطيفة	٩٨
٢١٧.	لولا مكانك في مدينتهم ... لظعنت في صحبي الألى ظعنوا	مطيعٌ بن إياس	١٠٠
٢١٨.	رأيتك في المنام كسوت جلدي ... ثياباً جمةً وقضيت ديني	أبو دلامة	١١٨
٢١٩.	يا من تبغي زمنا " صالحا " ... صلاح هارون صلاح الزمن	أبو العتاهية	١٢٧
٢٢٠.	بالشط لي سكنٌ أفديه من سكن ... أهدى من الآس لي غصنين في غصن	للحسين بن الضحاك	١٣٢
٢٢١.	كَأَنَّ التاجَ مَعصوباً عَلَيهِ لأَذوادٍ أُصِبنَ بِذي أَبانِ	النابغة الذبياني	١٨٤/١٤٠
٢٢٢.	أنى جــزوا عامرا سوأى بفعلهم أم كيف يجزونني السوأى من الحسن	الكسائي	١٤٨/١٤٧
٢٢٣.	قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يمتع بكفن	ذو الرمّة	١٦١
٢٢٤.	إذا نحن أثْنَيْنا عليكَ بِصَالحٍ فأنتَ كما نُثْنِي وفوقَ الذي نُثْنِي	أبو نواس	١٧٧
٢٢٥.	فــلو بقيتْ خلائفُ آل حَـرْبٍ ولم يُلْبِسْهمُ الدَّهرُ المَنونَا	خالد بن يزيدَ بن معاوية	١٧٨
ي	**قافية الياء**		
٢٢٦.	إِنَّ الحَوادِثَ بِالمَديقِ قَد أَوجَعَني وَقَرَعنَ مَروَتَيَه	بن قيس الرقيات	١٧٨
٢٢٧.	أحب الخاتم الأحمر من حب مواليه	بشار	١٣٣
٢٢٨.	أشم طوال الساعدين شمردلٌ ... إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا	النابغة الجعدي	١٣٨
٢٢٩.	وللقَلْب على القَلْبِ ...ليلٌ حين يَلْقَهُا	أبو العتاهية	١١٥
٢٣٠.	فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا	الفرزدق	٣٩
٢٣١.	أمنتَ لما أقمتَ العدل بينهم فنمتَ نومَ قرير العين هانيها	حافظ إبرهيم	٨

فهرست الأعلام والبلدان

١ - ***ابان بن عثمان بن عفان*** هو من كبار التابعين ومن أشهرهم في الفقه والحديث، ثقة، روى عن أبيه وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد، وروى عنه عبد الرحمن بن ابان ابنه، وعمر بن عبد العزيز وغيرهما، مات في عهد يزيد بن عبد الملك..... (صفحة رقم ٣٢)

٢- ***أبو عبد الله نافع***، أحد الفقهاء، روى عن مولاه ابن عمر وابي هريرة وعائشة، وروى عنه أيوب ومالك والليث، كان من أئمة التابعين وأعلامهم، مات ١١٦هـ، ..... (صفحة رقم ٣٣)

3 - ***أبو عمرو عامر*** بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، راوية من التابعين، ولد بالكوفة ١٩هـ، ونشأ بها، كان نديم عبد الملك بن مروان وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وهو يعد أيضا من رجال الحديث، والشعبي نسبة على شعب وهو بطن من همدان، مات فجأة بالكوفة ١٠٣هـ، ..
.....(صفحة رقم٣٣)

4- ***أبو عبد الله سعيد بن*** جبير الأسدي، تابعي جليل، كان أعلم التابعين على الاطلاق، وهو حبشي الأصل، ولد ٤٠هـ، وأخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، كان مع ابن الأشعث لما خرج عبد الملك إلى أن قتل، قتله الحجاج وهو بواسط سنة ٩٥هـ،-.....(صفحة رقم ٣٣)

5- ***أبو عبد الله عكرمة*** البريدي المدني، مولى ابن عباس، أمله من البربر، كان لحصين بن أبي الحر العنبري، ولما ولى البصرة لعلي بن ابي طالب، وهبه لابن العباس، روى عن مولاه وعن غيره من الصحابة، وروى عنه الشعبي وقتادة وخلق كثيرون، كان من علماء زمنه بالفقه والقرآن الكريم، مات سنة ١٠٥هـ. .....(صفحة رقم٣٢)

٦- **أبو أمية شريح** بن الحارث الكندي، من أشهر القضاة والفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، تولى قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية، رضوان الله عليهم، وعزل في زمن الحجاج، وله باع في الأدب والحديث، مات بالكوفة ٧٨هـ،..... (صفحة رقم ٣٣)

٧-***أبو عبد الرحمن*** عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، صحابي جليل، من أكابرهم فضلا وعقل، من أهل مكة، وأقدم السابقين إلى الإسلام، كان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب سره، ورفيقه في السفر والحضر، ولي بيت مال الكوفة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ثم قدم المدينة زمن عثمان وتوفي بها سنة ٣٢هـ،.
.....(صفحة رقم ٣٣)

٨ - ***أبو عمرو عبد الرحمن*** بن عمروا الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، امام الشام في الفقه والزهد، ولد في بعلبك ٨٨هـ،.....
(صفحة رقم ٣٣)

٩- ***أبو الجحاف رؤبة*** بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي، سماه أبوه العجاج باسم جده، راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، أخذ عنه أعيان اللغة واحتجوا به، توفي ١٤٥هـ،..... (صفحة رقم٣٤)

١٠ - ***أبو الشعثاء*** ، العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد التميمي، من الرجاز والشعراء، ولد في الجاهلية ثم أسلم، وهو أول من رفع الرجز،عاش إلى زمن الوليد بن عبد الملك، وتوفي نحو سنة ٩٠هـ، . .....(صفحة رقم٣٥)

١١- ***" آيين نامه*** كتاب معروف باسم " آيين نامه " لعبدالله ابن الكثير وكلمة آيين الفارسية تعني النظم والتقاليد . وله رسائله المعروفة بالأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة ويعني بهم حاشية السلطان ..... (صفحة رقم٨٢)

12- ***أبو محمد عبدالله*** بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين ، له تصانيف في الأدب والقرآن والحديث ، ولد ببغدادوسكن الكوفة ، تولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها ، ومن كتبه : أدب الكاتب والشعر والشعراء وتأويل مختلف الحديث والمعارف والمعاني ، وغيرها . .....(صفحة رقم٨٢)

13 - ***أيمن بن خريم*** بن فاتك من بنى أسد، شاعر فحل، كانت له مكانة عند عبد العزيز بن مروان في مصر، كان شديد التشيع لعلى بن أبي طالب، عرض عليه عبد الملك مالا على أن يقاتل ابن الزبير فأبي، توفى نحو سنة ثمانين من الهجرة..... (صفحة رقم٣٧)

14 - ***أبو عبدالله مصعب*** بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أحد الأبطل في صدر الإسلام، ولد ٦٢هـ، ونشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، وكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق، كان شجاعا حسن السياسة والتدبير، قتل ٧١هـ. .....(صفحة رقم٣٧)

15 - ***أبو عمرو بن العلاء*** بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني النحوي البصري المقري، أحد الأئمة القراء السبعة، واختلف في اسمه، كان مقدما في عصره، عالما بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم واللغة، أمام الناس في العربية، وإلى قراءته صار أهل البصرة، توفي سنة ١٥٧هـ، وعمره ٨٦ سنة ..... (صفحة رقم٣٩)

16 - ***أبو سليمان يحيى بن يعمر*** الوشقي العدواني، أول من نقط المصاحف، ولد بالأهوار، وسكن بالبصرة،وكان من علماء التابعين،عرافا بالحدث والفقه واللغة العربية، أخذ اللغة عن

أبيـــــــه،والنحو عـــــــن أبـــــــي الأســـــــود الـــــــدولي، تـــــــوفي ســـــــنة ١٢٩هـ.....(صفحة رقم٣٩)

١٧- ***الأشهب بن ثور*** بن أبي حارثة الدرامي التميمي ، شاعر نجدي معروف ولد في الجاهلية ثم أسلم وعاش إلي العصر الأموي وينسب إلي رميلة وهي أمه اشتراها أبوه . مات حوالي ٨٦ هـ.....(صفحة رقم ٣٩)

١٨- أبو زيد خداش بنبشر بن خالد التميمي المعروف بالبعيث ،كان خطيبا وشاعرا من أهل البصرة . وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت أربعين سنة توفي بالبصرة عام١٣٤ هـ ... (صفحة رقم٥٤)

19- ***أبو دلامة زند*** - بالنون بعد الزاي ساكنة - بن الجون ، هو أبو دلامة - بضم الدال. كان صاحب نوادر وأخبار وأدب ونظم وكان عبداً أسود. توفي سنة إحدى وستين ومائة..... (صفحة رقم ٩٢)

20- ***أبو نواس الحسن بن هانئ*** بن عبد الأول بن الصباح، أبو علي الحكمي - بفتح الحاء المهملة والكاف - المعروف بأبي نواس. كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان.ولد أبو نواس بالبصرة، ونشأ بها، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد، هكذا قال محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة.وقال غيره: إنه ولد بالأهواز، ونقل منها وعمره سنتان، واسم أمه جلبان. وكان أبوه من جند مروان، آخر ملوك بني أمية، وكان من أهل دمشق، وانتقل إلى الأهواز، فتزوج بجلبان وأولدها عدة أولاد منهم: أبو نواس، وأبو معاذ.قال أبو نواس؛ فأسلمته أمه إلى بعض العطارين، فرآه يوماً والبة بن الحباب فاستحلاه، فقال له: " إني أرى فيك مخايل أرى أن لا تضيعها، وستقول الشعر فاصحبني أخرجك " . فقال له: ومن أنت؟ قال: أبو أسامة والبة بن الحباب. قال: " نعم، أنا والله، في طلبك، ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسبك لآخذ عنك، وأسمع منك شعرك " . فصار معه، وقدم به بغداد، فكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي: من المقتضب

حامل الهوى تعب . .. يستخفه الطرب
إن بكى يحق له ... . ليس ما به لعب

تضحكين لاهيةً .. . .والمحب ينتحب
تعجبين من سقمي.. صحتي هي العجب

قال إسماعيل بن نوبخت: ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا إلا قمطراً فيه جزارٌ، مشتملٌ على غريبٍ ونحوٍ لا غير.وهو في الطبقة الأولى من المولدين، وشعره عشرة أنواع، وهو محيد في العشرة.واعتنى بشعره جماعةٌ من الفضلاء منهم: أبو بكر الصولي، وعلي بن حمزة، وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون، وأجمع هذه الروايات؛ جمع علي بن حمزة - ..... (صفحة رقم ٩٥)

٢١- ***أبو المعالي محمد*** بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي؛ كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر، وسمع أبو المعالي المذكور من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره، وصنف كتاب التذكرة وهو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود، وهو من الكتب الممتعة.ذكر العماد الأصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة فقال: كان عارض العسكر المقتفوي، ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدي، وهو كلف باقتناء الحمد وابتناء المجد، وفيه فضل ونبل وله على أهل الأدب ظل، وألف كتابا سماهالتذكرة وجمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة، فوقف افمام المستنجد على حكايات ذكرها نقلا من التواريخ توهم في الدغضاضة، ويعتقد للتعرض بالقدح فيها عراضة، فأخذ من دست منصبه وحبس، ولم يزل في نصبه إلى أن رمس، وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمسمائة . . ودفن في مقابر قريش . .....(صفحة رقم ٩١)

22- ***ثمامة بن أشرس النميري*** : رأس الثمامية من المعتزلة.كان جامعاً بين سخافة الدين والخلاعة مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد بالنار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزله بين منزلتين.وانفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل منها قوله: إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها إذ يمكن إضافتها إلى فاعل أسبابها حتى يلزم أن يضيف الفعل إلى ميت مثلما إذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكن إضافتها إلى الله تعالى لأنه يؤدي إلى فعل القبيح وذلك محال، فتحير فيه وقال: المتولدات أفعال لا فاعل لها: ومنها قوله في الكفار والمشركين والمجموس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية إنهم يصيرون في القيامة تراباً، وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين.ومنها قوله: الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وخلوها من الآفات وهي قبل الفعل. وحكى ابن الريوندي عنه أنه قال: العالم فعل الله بطباعه، قال الشهرستاني: ولعله أراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الإيجاب بالذات دون الإيجاد على مقتضى الإرادة، ولكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما يلزم الفلاسفة من القول بقدم العالم إذ الموجب لا ينفك

عـــــن الموجب.وكـــــان ثمامـــــة فـــــي زمـــــن المـــــأمون، وكـــــان عنـــــده بمكان..... (صفحة رقم ٩٢)

22- ***ابن المقفع*** ، (١٠٦ - ١٤٢ ه = ٧٢٤ - ٧٥٩ م) عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب ، وأول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى بن علي (عم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له " كتب أرسطوطاليس " الثلاثة، في المنطق، وكتاب " المدخل إلى علم المنطق " المعروف بايساغوجي.وترجم عن الفارسية كتاب " كليلة ودمنة - ط " وهو أشهر كتبه.وأنشأ رسائل غاية في

الابداع، منها " الادب الصغير - ط " ورسالة " الصحابة - ط " و"اليتيمة " واتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي.قال الخليل بن أحمد: ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله..... (صفحة رقم ١٠٢)

٢٣ - ***ابرهيم بن أدهم*** ، أبو اسحاق البلخي. ولد بمكة، وطافت به أمه على الخلق، وسألت الدعاء له أن يكون صالحاً فأستجيب لها، وترك الامارة، وما كان فيه.خرج متصيداً، فأثار ثعلباً - أو أرنباً - واذ هو طلبه، هتف به هاتف من قربوس سرجه: " والله! ما لهذا خلقت!، ولا بهذا أمرت! " . فنزل عن دابته، وصادف راعياً ، فأخذ جبته - وكانت من صوف - فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه.ثم دخل مكة، ثم الشام، لطلب الحلال. وكان يأكل من عمل يده.وصحب بمكة سفيان الثورى، والفضيل بن عياض. وتوفى بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى صور - مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر - فدفن بها سنة إحدى وستين ومائة.....(صفحة رقم ١٠٣)

25- ***أبو عبيدالقاسم*** بن سلامالبغدادي: مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة وهو ابن سبع وستين سنة. قال إبراهيم الحربي: كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء. وولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة ومات بمكة..... (صفحة رقم ١١١)

٢٤-***أبو جعفر محمد بن جرير*** بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك .....(صفحة رقم ١١١)

25- ***أبو الهذيل*** حمدان بن الهذيل العلاف: شيخ المعتزلة، ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة، والمناظر عليها؛ أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء. ويقال : أخذ واصل بن عطاء عن أبي هاشم عبد الله بن محمد الحنفية، ويقال: أخذه عن الحسن بن أبي الحسن البصري . - .....
(صفحة رقم ١١٢)

26- ***أبونخيلة*** : اسمه وكنيته ونسبه: أبو نخيلة اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجنيد، ذكر الأصمعي ذلك وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه. وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير . ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثروكان طمعه ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل. فطلبه عيسى فهرب منه؛ وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده

..... (صفحة رقم ١١٨)

27 - ***اسحاق الموصلي*** - ٢٣٥ هـ / ٧٧٢ - ٨٥٠ م -إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد بن النديم.من أشهر ندماء الخلفاء، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً له تصانيف، من أفراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد، وعمي قبل موته بسنتين، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين. ولما مات نعي إلى المتوكل فقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته.وألف كتباً كثيرة، قال ثعلب: رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات

العرب كلها سماعه. من تصانيفه:(كتاب أغانيه) التي غنى بها، و(أخبار عزة الميلاء)، و(أغاني معبد)، و(أخبار حماد عجرد)، و(أخبار ذي الرمة)، و(الاختيار من الأغاني) ألفه للواثق، و(مواريث الحكماء)، و(جواهر الكلام) .....
(صفحة رقم ١٤٢)

28- ***أبو هاشم خالد*** بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، حكيم قريش، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، وألف فيها الرسائل، قال البيروني : كان أول فرسفة الإسلام، وكان ينقل الكتب من اللغات الأخري، مات بدمشق ٩٠هـ.
.....(صفحة رقم٣٤)

29- ***أم البنين***: زوج الخليفة الوليد بن عبد الملك وقد أشتهرت بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجة وبعد النظر وكانت ذات مكانة ملحوظة في قصر الخليفة وكانت له مستشارة في أمور الدولة .....(صفحة رقم٦٠)

30- ***الآمدي*** (ت٣٧٠ هـ/٩٨٠ م) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، أبو القاسم: عالم بالأدب، راوية، من الكتاب، له شعر.أصله من آمد ومولده ووفاته بالبصرة.من كتبه (المؤتلف والمختلف) في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم، و (الموازنة بين البحتري وأبي تمام) و (معاني شعر البحتري) و (الخاص والمشترك) في معاني الشعر و (نثر المنظوم) و (تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر) و (تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين) و (كتاب فعلت وأفعلت) و (ديوان شعر) نحو ١٠٠ ورقة..... (صفحة رقم٢٠٠)

٣١- ***إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة*** وجده هذا هو يزيد بن مفرغ الحميري أبو هاشم المعروف بالسيد الحميري، كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه رافضي جلد زائغ عن القصد، له مدائح جمة في أهل البيت عليهم السلام، وكان مقيماً بالبصرة. وكان يرى رأي الكيسانية وهو مذكور في ترجمة كيسان إن شاء الله تعالى لأنه يرى رجعة محمد بن الحنفية إلى الدنيا،، وكان السيد أسمر تام القامة أبيض الجمة حسن الألفاظ جميل الخطاب، وكان مقدماً عند المنصور والمهدي. وقيل: إنه مات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وقيل: سنة ثمان، وقيل غير ذلك. وولد في أيام بني أمية سنة خمس ومائة. وكان أحد الشعراء الثلاثة الذين لم يضبط الرواة ما لهم من الشعر: هو وبشار وأبو العتاهية، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لإفراطه في سب الصحابة وبغض أمهات المؤمنين وإفحاشه في شتمهم وقذفهم والطعن عليهم، فتحامى الرواة شعره. قال أبو عثمان المازني: سمعت أبا عبيدة يقول: ما هجا بني أمية أحد كما هجاهم الدعيان: يزيد بن مفرغ أول دولتهم والسيد ابن محمد في آخرها..... (صفحة رقم ١٦٤)

٣٢ - ***أبو هلال العسكري*** الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري أيضاً. كان الغالب عليه الأدب والشعر ويعرف الفقه أيضاً. وممن روى عنه: أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاءً. الوافي بالوفيات من تصانيفه:

كتاب التلخيص في اللغة؛ وجوده، وكتاب صناعتي النظم والنثر؛ وهو مفيد، وجمهرة الأمثال، ومعاني الأدب، ومن احتكم من الخلفاء إلى القضاة، والتبصرة؛ وهو مفيد، وشرح الحماسة، والدرهم والدينار، المحاسن في تفسير القرآن - خمس مجلدات، كتاب العمدة، فضل العطاء على العسر، ما تلحن فيه الخاصة، أعلام المغاني في معاني الشعر، كتاب الأوائل، الفرق بين المعاني، نوادر الواحد والجمع، ديوان شعره.قال ياقوت: وأما وفاته؛ فلم يبلغني فيها شيءٌ غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة..... (صفحة رقم ١٩٨)

٣٣- ***البلبين*** : بالضم ثم الفتح مثنى يلى مكان . ثناه بعض الشعراء إما لأنهم يعتقدون ضمه إلى موضع آخر أو لأقامة الوزن الشعري . وقد ذكره بعض الشعراء مفردا كالخطيم في قوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأعلى ذي السلام وذي السدر

ذو العشيرة والصائف : موضعان .يبابا :خاليا . حيَّ صدق يريد أنه جامع لصفات الخير . ينعقن : يزجرن ويصحن عاى الشياه . البهام : جمع بهيمة وهي الصغير من الضأن . الظراب : وهو ما نتأ من الحجارة . وحدد طرفه ..... (صفحة رقم٦٠)

٣٤ - ***بشار بن برد*** هو، فيما ذكره الحسن بن علي عن محمد بن القاسم بن مهروية عن غيلان الشعوبي، بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكر بن أدريوس بن يستاسب " بن لهراسف " . قال: وكان يرجوخ من طخارستان من سبى المهلب بن أبي صفرة. ويكنى بشار أبا معاذ. ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله. وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية، قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء. .....(صفحة رقم ١٠١)

٣٥- ***بغداد*** بناها أبوجعفر المنصور سنة ٤٧٥هـ وذكر في سبب بنائها ، أن النصور كان قد بنى مدينة الهاشمية لتكون مقرا له ولجنده ، وهي بحيال مدينة ابن هبيرة فكره سكناها لاضطراب من اضطرب من أمره عليه من الروندية مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه ، فأراد أن يبعد عن جوارهم . .....(صفحة رقم٨٧)

٣٦- ***بختيشوع عبد المسيح*** معناها ، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام، وكان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها، وخدم هارون الرشيد وتميز في أيامه ..... (صفحة رقم١٦٦)

٣٧ ـ ***الثريا*** بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن مناف وهم الذين يقال لهم "العبلات" سمو بذلك لجدة يقال لها عبلة بنت عبيد وهي من بطن من تميم يقال لهم بـــراجم - ....(صـــــفحة رقم٦٠)

٣٨- ***جالينوس*** أشهر الأطباء اليونانيين القدماء بعد أبقراط، مولده ومنشأه بفرغاس، وهي مدينة صغيرة من مدن آسيا شرقي القسطنطينية، كان من صغره شغوفا بالعلم البرهاني، طالبا له شديد الحرص والاجتهاد، وكان أبوه ينفق عليه النفقة الواسعة ويجري على المعلمين الجراية الوافرة، ويحملهم إليه من المدن البعيدة، وله مؤلفات كثيرة،.. (صفحة رقم ٣٤)

٣٩ ـ ***جنوب*** المقصود بها ريح تأتي من الجنوب ، المعنق المصدر الميمي من أعنق أي سار سيرا سريعا ومعنى البيت أنه لم يكن يظن أن ريح الجنوب هبت علينا من مكان ما حسبنا أنها تأتي منه . الجيد هو العنق والجداية هي الغزالة والتومة هي اللؤلؤة . جمة يعني مجتمعة - .... (صـــــفحة رقم٣٤)

٤٠ ـ ***حماد بن يحيى بن عمر بن كليب***، ويكنىأبا عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة وذكر ابن النطاح أنه مولى بني سراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة، وكان يبري النبل، وقيل: بل أبوه كان نبالاً، ولم يتكسب هو بصناعة غير

الشعر إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس، وكان خليعاً ماجناً، متهماً في دينه، مرمياً بالزندقة.. الأغاني - أما عبد الكريم بن أبي العوجاء فقد جاء في الكامل في التاريخ : " عزل محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن الكوفة؛ وقيل: إنما عزل سنة ثلاث وخمسين، وكان عزله لأسباب بلغته عنه، منها أنه قتل عبد الكريم بن أبي العوجاء، وكان قد حبسه على الزندقة، وهو خال معن بن زائدة الشيباني، فكثر شفعاؤه عند المنصور، ولم يتكلم فيه إلا ظنين منهم، فكتب إلى محمد بن سليمان بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيه.وكان ابن أبي العوجاء قد أرسل إلى محمد بن سليمان يسأله أن يؤخره ثلاثة أيام، ويعطيه مائة ألف، فلما ذكر لمحمد أمر بقتله، فلما أيقن أنه مقتول قال: والله لقد وضعت أربعة آلاف حديث حللت فيها الحرام، وحرمت فيها الحلال، والله لقد فطرتكم يوم صومكم، وصومتكم يوم فطركم؛ فقتل.وورد كتاب المنصور إلى محمد يأمره بالكف عنه، فوصل وقد قتله ..... (صفحة رقم١٠٢)

٤١- ***الخليل بن أحمد*** (١٠٠ - ١٧٠ هـ = ٧١٨ - ٧٨٦ م) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي . ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا.كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لا يعرف.قال النضر بن شميل: ما رأى الرآوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه.له كتاب (العين) في اللغة و (معاني الحروف) و (جملة آلات العرب) و (تفسير حروف اللغة) وكتاب (العروض) و (النقط والشكل) و (النغم). ..... (صفحة رقم١٧٨)

٤٢- ***حماد الراوية*** هو أبو القاسم حماد الراوية بن سابور بن المبارك . أول من لقب بالراوية كان من أعلك الناس بأيام العرب ولد بالكوفة سنة ٩٦هـ وتوفي ببغداد ١٥٥هـ. .....(صفحة رقم٥٢)

٤٣- ***الخوارج*** : هم جماعات خرجت على علي كرم الله وجهه ومعاوية معا ، وقد حاربهم سيدنا علي فلما قتل ظلوا علي قتالهم للأمويين وكانوا سببا من أسباب ضعفها . أما الشيعة : فهم من شايع عليا وأهل البيت وظلوا على ولائهم لهم وزادهم غلوا وتطرفا في حبهم لهم مقتل الحسين في كربلاء وقد ظلوا يقاتلون الأمويين في كل العهود وكانوا سببا في قيام الدولة العباسية فيما بعد .....(صفحة رقم ٥)

٤٤ - ***دغفل بن حنظلة*** بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني، يضرب به المثل في معرفة الأنساب، وفد على معاوية في أيام خلافته، فسأله عن العربية وتن أنساب الناس وعن النجوم، فأعجب بعلمه فأمره أن يتولى تعليم ابنه يزيد ففعل..... (صفحة رقم ٣٢)

٤٥- **عروة بن الزبير**قرشي صالح كريم، أحد الفقهاء السبعة، ولد سنة ٢٢هـ، ولم يدخل في شيء من الفتن، ذهب إلى مصر وأقام بها ٧ سنوات، ثم عاد إلى المدينة وتوفي فيها ٩٣هـ. .....(صفحة رقم ٣٢)

٤٦ - ***ذو الرُمَّة*** ٧٧ - ١١٧ هـ / ٦٩٦ - ٧٣٥ م غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر.من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة.كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة

التشبيه.قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس.عشق (مّية) المنقرية واشتهر بها.توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية ..... (صفحة رقم ١٦٠)

٤٧ - ***الربيع بن يونس بن محمد كيسان العباسي*** مولاهم الأمير الحاجب أبو الفضل.كان من كبار الملوك. ولي حجابة المنصور ثم وزارته، وحجب المهدي، وولي ابنه الفضل حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس حجابة الأمين. وقطيعة الربيع ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه. وتوفي سنة سبعين ومائة. وكان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه..... (صفحة رقم ٩٦)

٤٨- ***الربيع بن يونس بن محمد كيسان العباسي*** مولاهم الأمير الحاجب أبو الفضل.كان من كبار الملوك. ولي حجابة المنصور ثم وزارته، وحجب المهدي، وولي ابنه الفضل حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس حجابة الأمين. وقطيعة الربيع ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه. وتوفي سنة سبعين ومائة. وكان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه. .....(صفحة رقم ٩٦)

٤٩- ***رابعة العدوية*** ، ام الخير، بنت إسماعيل البصرية، مولاة ال عتيك، الصالحة المستورة، من أعيان عصرها، فضلها مشهور.ماتت سنة خمس وثلاثين ومائة. ودفنت بظاهرة القدس من شرقية، على رأس جبل، يسمى جبل الطور..... (صفحة رقم ١٠٣)

٥٠- ***زبيدة بنت جعفر بن المنصور***. وزبيدة لقبٌ غلب عليها، واسمها أمة العزيز، وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة - وكانت سمينة حسنة البدن - فيقول لها: يا زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك. قال الثعالبي في لطائف المعارف: كان أبو العيناء يقول لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد فإن المنصور جدها والسفاح أخو جدها والمهدي عمها والرشيد زوجها والأمين ابنها والمأمون والمعتصم ابنا زوجها والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها وأما ولاة العهود فكثيرة. -..... (صفحة رقم ٩١)

51- ***سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب*** أحد فقهاء التابعين، روى عن أبيه وأبي هريرة، وروى عنه الزهري وصالح بن كيسان، قال مالك: لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى في الزهد والفضل والعيش الخشن منه، توفي : ١٠٦ هـ ..... (صفحة رقم ٣٢)

52- ***سفيان الثوري*** وهو: بن سعيد بن مَسْروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبيّ بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار، شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري الفقيه الكوفي، سيّد أهل زمانه علماً وعملاً. وهو من ثور مُضَر.مولده سنة سبع وتسعين ووفاته سنة إحدى وستّين ومائة. وَكَانَ أبوه سعيد من ثقات المحدّثين ، وطلب سفيان العلم وهو مراهق وَكَانَ يتوقّد ذكاءً، صار إماماً أثيراً منظوراً إليه وهو شابّ يقال إنّه أخذ عن ستّ مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرّات عَلَى حمزة بن

الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك . قالت لَهُ والدته: يا بنيّ اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي! قال ابن عُيينة: كَانَ العلم ممثَّلاً بَيْنَ يدي سفيان. وقال شعبة وابن معين وجماعة: سفيان أمير المؤمنين فِي الحديث. وقال ابن المبارك: لا أعلمُ عَلَى وجه الأرض أعلمَ منه.....(صفحة رقم١٠٣)

٥٣- ***سفيان بن عيينة*** بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال ابن عامر، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك، وقيل مولى مسعر بن كدام، لأبو محمّد الكوفي، ثُمَّ المكّي، الإمام شيخ الإسلام. مولده سنة سبع ومائة فِي نصف شعبان ووفاته سنة ثمان وتسعين ومائة. طلب الحديث وهو غلام ولقي الكبار وسمع من قاسم الرّحال سنة عشرين ومائة وسمع من الزهري وعمرو ابن دينار وزياد بن علاقة والأسود بن قيس وعاصم بن أبي النجود وأبي إسحاق وزيد بن أسلم وعبد الله بن أبي نجيح وسالم بن النضر وعبدة بن أبي لبابة وعبد الله بن دينار ومنصور بن المعتمر وسهيل بن أبي صالح وخلق كثير. وروى عنه الأعمش وابن جريج وشعبة. وهم من شيوخه وابن المبارك ابن مهدي والشافعي وابن المديني والحميدي وسعيد بن منصور ويحيى بن معين وأحمد
وجماعة لا يحصون. قال الشافعي: مَا رأيت أحداً فِيهِ آلة العلم مَا فِي سفيان وَمَا رأيت أكفَّ عن الفُتْيا منه. وقال ابن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة. وقال أحمد: مَا رأيت أعلمَ منه بالسنن.. ، وَقَدْ حجّسفيان سبعين حجّة..... (صفحة رقم١٠٣)

٥٤- ***شقيق البلخي*** (١٩٤ هـ - ٨١٠ م) شقيق بن إبراهيم بن علي الازدي البلخي، أبو علي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان. طبقات الأولياء.....(صفحة رقم ١٠٣)

٥٦- ***شهر بن حوشب*** هو شامي الأصل، أحد الفقهاء الكبار والقراء ورجال الحديث، ولد سنة ٢٠هـ، وسكن العراق، وولي بيتالمال مدة، توفي ١٠٠هـ .....(صفحة رقم٣٣)

٥٥ - ***صحار بن عباس بن شرحبيل*** من بني عبد قيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان . ومن النسابين وكان ممن شهدوا فتح مصرشهد صفين مع معاوية توفي بالبصرة نحو سنة ٤٠ هـ ..... (صفحة رقم ٣٣)

٥٦ - ***عمرو بن العاص*** بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم السهمي أبومحمد صحابي من صحابة رسول الله (ص) و من أشراف قريش ودهاة العرب أسلم في هدنة الحديبية وتولى قيادة جيش المسلمين علي عهد رسول الله وخليفتيه أبي بكر وعمر (ض) كما فتح مصر وبنى الفسطا فيها وقد ولاه معاوية عليها وتوفي فيها سنة ٤٣ للهجرة. .....(صفحة رقم ٦)

٥٧ - ***عبد الملك بن مروان*** بن الحكم خامس الخلفاء الأمويين ولد بالمدينة و تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه سنة ٦٥ هـ و توفى سنة ٨٦ هـ ، دام حكمه ٢١ عاما ، كان عالما بفنون القول فصيحا بليغا متذوقا للشعر ، له الكثير من التعليقات والملاحظات النقدية على الشعراء..... (صفحة رقم ٧)

58- ***عبيد بن شرية الجرهمي***، من الحكماء والخطباء في الجاهلية ، استحضره معاوية بن أبي سفيان من صنعاء إلى دمشق، فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم، وأمره بتدوين أخباره، فأملي كتابين : " كتاب الملوك وأخبار الماضيين" و " كتاب الأمثال" ، أدرك النبي ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. .....(صفحة رقم ٣٢)

59- ***عطاء بن أبي رباح*** ، ولد سنة ٢٧هـ، كان من سادة التابعين فقها وعلما.. وورعا وفضلا، وكان ابن عباس يقول لأهل مكة : " مجتمعون إليّ يا أهل مكة، وعندكم عطاء" روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه خلق كثيرون، توفي في ١١٥هـ..... (صفحة رقم ٣٢)

60-***عبد الله بن عباس*** ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم، كان يقال له الحبرو البحر لكثرة علمه، روى أنه أتى النبي وعنده جبريل فقال له : " هو كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا" ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وهو يسمى ترجمان القرآن، توفي ٩٨هـ،.....(صفحة رقم٣٢)

61 - ***عبد الله بن خارجة*** من شيبان (ربيعة) كان يقيم في الكوفة، وهو مرواني المذهب، يتعصب لبنى أمية تعصبا شديدا، توفي ٨٥هـ ، ..... (صفحة رقم ٣٦)

62 - ***القدرية*** :اختلف بعض الناس في هذه المسألة فسموا القدرية والجبرية، فالقدرية، قوم ينكرون القدر، ويقولون أن كل انسان خالق لفعله، والجبرية، مذهب من يرى أن كل ما يحث للإنسان قد قدر عليه أزلا، فهو مسيرلا مخير- .....(صفحة رقم ٣٥)

63 - ***عبد الله بن أبى إسحاق*** الزبادي الحضرمي من الموالي، من أهل البصرة، من كبار النحاة بالبصرة، أخذ عنه عدد من كبار النحاة كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، والأخفش، ولد سنة ٢٩هـ، توفى ١١٧هـ،..... (صفحة رقم ٣٩)

64- ***عبد الله بن المخارق*** من بني شيبان شاعر بدوي من شعراء بني أمية وكانوا يجزلون له العطاء وكان نصرانيا وفي شعره الكثير من ذكر الإنجيل والرهبان - ..... (صفحة رقم ٥٨)

65- ***عبيد الله بن معمر بن عثمان*** التيمي القرشي سيد بني تيم في عصره من كبار القادة الشجعان الأجواد ولد سنة ٢٢هـ وكان من رجال مصعب بن الزبير ثم عاد إلى عبد الملك بن

مروان فكان من جلسائه توفي سنة ٨٢هـ ..... (صفحة رقم ٦٩)

66- ***مروان بن أبي حفصة***: واسمه يزيد مولى مروان بن الحكم ، ويقال إن أباه كان يهوديا و أسلم على يد غثملن بن عفان..... (صفحة رقم ٨٨)

67-*علي بن محمد الشابشتي* أبي الحسن أحد الندماء الأدباء اتصل بالعزيزالعبدي صاحب مصر فولاه خزانة كتبه واتخذه نديما وأنيسا ن أشهر كتبه كتاب الديارات و اليسر بعد العسر ومراتب الفقهاء توفي بمصر عام ٩٨٨م ..... (صفحة رقم ٨٩)

68- ***عريب المأمونية*** : عريب بفتح العين وكسر الراء وفي الأصل: غريب بالغين تحريف . وتعرف أيضا بعريب المأمونية.توفيت ٢٧٧ه في سر، من لأى قيل عن ٩٦ عاماً، وجعل ابن شاكر الكتبي وفاتها: ٢٣٠ه، وذكر السيوطي أنها ولدت سنة ١٨١ه.ترجمة عريب وأخبارها في: الأغاني ٥: ٢٧٩، ٢٢: ١٥٧ - ١٨٥ في ترجمة ابن المدبر وفي مواضع أخرى كالفهارس وطبقات ابن المعتز ٤٢٥ - ٤٢٦،بغداد لطيفور: ١٦٥ - ١٧٧ - ١٧٩، أخبار الزجاجي: ١١٤، الديارات: ٦٤، ٦٥، ١٠،١٦٥والفهارس،الجهشياري: ١٥٤ - ١٥٥، إبن الأثير حوادث ٢٧٧، البصائر والذخائر ١ - ٢: ٢٦١ - ١٦٨، بدائع البدائع: ٩٤، نساء الخلفاء: ٥٨ - ٥٩، حوادث ٢٣٠، مسالك الأبصار مخطوط ٨: ١٠٨ - ١١١، المستظرف للسيوطي: ٣٧ - ٣٨، أعلام النساء: ٣: ٢٦١ - ٢٦٨، الأعلام: ٤: ٢٢٧ - ٢٢٨ . قال محمد بن مزيد ويحيى بن علي: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي قال: قال لي أبي: ما رأيت إمرأة قط، أحسن وجهاً وأدباً وغناء وشعراً وضرباً ولعباً بالشطرنج والنرد من عريب! وما تشاء أن تجد خصلة، حسنة، ظريفة، بارعة في إمرأة إلا وجدتها فيها!.....(صفحة رقم ٩٠)

69- ***عبدالرحمن بن الحكم:*** أخو الخليفة مروان الذي تولى الخلافة في الدولة الأموية ، وكان عبد الرحمن هذا يهاجي عبد الرحمن بن حسان الذي كان يدافع عن الأنصار بينما كان الأول يدافع عن قريش وبني أمية . .....(صفحة رقم٦٢)

٧٠- ***علي بن جبلة بن عبد الله الأبناوي***، ويكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد، و بها نشأ، وولد بالحربية من الجانب الغربي، وكان ضريرا، فذكر عطاء الملط أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريرا، وزعم أنه عمي بعد أن نشأ.وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف العاني، مداح حسن التصرف. واستنفذ شعره في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى

العجلي، وأبى غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحد في ذلك. فيقال: إن المأمون طلبه حتى ظفر به، فسل لسانه من قفاه .....(صفحة رقم ١٢٦)

٧١ - ***عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود*** بن غافل بن حبيب، ينتهي إلى عدنان. أبو عبد الله الهذلي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وهو أخو المحدث عون وجدهما عتبة هو أخو عبد الله بن مسعود الصحابي. وكان من أعلام التابعين.لقي خلقاً كثيراً من الصحابة؛ وسمع من ابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة. وقال الزهري: أدركت أربعة بحور، فذكر عبيد الله! وقال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله؛ فإذا كأني ليس في يدي شيء!. وكان مؤدب عمر بن العزيز..(صفحة رقم١٦٢) ٧٢ - ***عدي بن الرقاع العاملي***: - ٩٥ هـ / ؟ - ٧١٤ م عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة.شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود.كان معاصراً لجرير، مهاجياً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصة بالوليد بن عبد الملك.لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام، مات في دمشق وهو صاحب البيت المشهور:

تزجي أغنّ كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها.....(صفحة رقم١٦٠)

٧٤- ***غيلان بن عقبة بن نهيس***، من مضر، ويعد من الشعراء المتيمين، صاحبته مية بنت مقاتل المنقري، وكانت جملة، وكان هو دميما أسود، ويمتاز في شعره أنه أحسن شعراء عصره تشبيها، ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا، فكان مع الفرزدق على جرير. توفى سنة ١١٧هـ .....(صفحة رقم ٣٥)

٧٥- ***قصرغمرة*** لا تزال بعض آثار النقوش على الجدران موجودة في " قصير غمرة " وهو قصر صغير للصيد شرقي البحر الميت شرق عمان عليه نقوش هي مذيج من الفنون الشرقية واليونانية يقال أنه شيد في عهد الوليد بن عبد الملك ..... (صفحة رقم ١٦)

٧٦ - ***القطامي*** هو: أبوسعيد عمير بن شُرَيم من بني ثغلب شاعر غزل فحل كان من نصارى تغلب فأسلم ، عده بن سلام من الإسلاميين في الطبقة الثانية توفى سنة ١٣٠ هـ .....(صفحة رقم ٥٩)

٧٧ - ***قدامة بن جعفر*** بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة.كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد.يضرب به المثل في البلاغة الأعلام للزركلي. وهو من أسرة مسيحية كانت تعيش في البصرة، اعتنق الإسلام أيام المكتفي بالله، وكان ملماً بالأدب اليوناني، سيما كتب أرسطو في الشعر والخطابة، وفي كتابه ما يستدل به على استفادته من هذين الكتابين، ويتضح هذا الأثر جلياً في الفصل الذي عقده لعيوب المعاني، كباب التناقض على طريق القنية والعدم، وباب التناقض

على طريق السلب والإيجاب. ولعله أول من سمى (المخلع) بهذا الاسم، فقد عده في عيوب الـــــــوزن، وشـــــــاهده عليـــــــه قصـــــــيدة عـــــــدادها فـــــــي المخلعات.....(صفحة رقم ١٩٧)

٧٨ - ***ماسرجويه*** أو ماسرجيس من الأطباء، يهودي بصري، كان أحد المترجمين منالسريانية إلى العربية، وله من الكتب، كتاب قوي الأطعمة ومنافعها ومضارها، " كتاب قوي العقاقير ومنافعها ومضارها"، وهوالذي فسر كتاب " الكناش " للقس أهرن بن أعين، وزاد عليه مقالتين.....(صفحة رقم ٣٤)

٧٩- ***المدائني*** (١٣٥ - ٢٢٥ هـ - ٧٥٢ - ٨٤٠ م) علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني: رواية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة..... (صفحة رقم ١١١)

80- ***محمد بن يحي بن عبد الله*** ، أبو بكر الصولي من أكابر علماء الأدب ، نادم ثلاثة من خلفاء العباسيين هم الراضي والمكتفى والمقتدر وله تصانيف في الأدب والتاريخ له من الكتب (أشعار أولاد الخلفاء و أخبار الشعراء المحدثين و أخبار الحلاج وأخبار أبي تمام وشح ديوان أبي تمام) وغيرهـــا..... (صـــفحة رقم١٥٤)

81 - ***وهب بن منبه*** هو مؤرخ كبير عالم بأساطير الأولين لا سيما الإسرائيليات، ومن أشهر التابعين الكبار، ولد بصنعاء ٢٤هـ، ومات بها ١١٤هـ، وقد ولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. .....(صـــــفحة رقم٣٢)

82- ***الوليد بن عبد الملك*** هو الخليفة الأموي السادس، ولد ٥٠هـ ولما مات أبوه عبدا لملك ٨٦هـ، بويع بالخلافة بعهد منه، كان عهده عهد فتح ورخاء ويسر، ومدة خلافته تعد غرة في جبين الدولة الأموية، تحسنت حالة المسلمين عامة، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية والآموية، كان متخلقا بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، وزعم بعضهم أنه كان لحانا غير فصيح، توفي سنة ٩٦هـــ، .....(صفحة رقم٣٤)

83- ***يوحنا بن ماسويه*** وهو أبو زكريا يحيى بن ماسويه.كان فاضلا طبيبا مقدما عند الملوك، عالما مصنفا، خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.....(صفحة رقم ١٠٩)

فهرست المراجع

١-الأغاني

:لأبي فرج الأصبهاني علي بن الحسين ٣٥٦هـ - ٩٧٦ هـ - طبعة دار الكتب مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

٢-الأمالي في لغة العرب

: للإمام النحوي أبي علي إسماعيل بن قاسم القالي البغدادي – طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٣-أمالي المرتضى

: للشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي ٣٥٥هـ ٤٣٦هـ دار الكتاب العربي الطبعة الثانية .

٤-أخبار أبي تمام

: للصولي تحقيق خليل عساكر ، ومحمد عبده عزام ، و نظير الإسلام الهندي – مطبعة المكتب التجاري بيروت/ لبنان .

٥- الاشتقاق

: لأبن دريد، تحقيق عبد السلام هارون – نسخة عن طبعة لندن ، ١٩٥٨م .

٦- أخبار الحمقى والمغفلين

: لابن الجوزي- طبعة الشيخ عبد القادر المغربي في نيسان ١٩٢٤م معتمداً نسخة (عارف حكمت) بالمدينة المنورة، ونسخة صالح بك المؤيد.

٧-الأعلام

: خير الدين الزركلي الجزء الأول، دار العلم للملايين.- بيروت الطبعة الخامسة أيار (مايو) .١٩٨٠

٨-الإمتاع و الموآنسة

: لأبي حيان التوحيدي ، قدم له أحمد أمين – مطبعة القاهرة ، مصر .

٩- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم

: لأبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي . جمعه ج . هيوارث .

١٠- أمالي القالي في لغة العرب : لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

١١- أخبار أبي القاسم الزجاجي
: للزجاجي – تحقيق د. عبد الحسين المبارك – مطبعة بغداد ١٩٨٠م .

١٢- أخبار الراضي
:نسخة من الطبعة الأولى في مصر سنة ١٩٣٦م بعناية (ج. هيوُرث. دن) المدرس بمعهد الدراسات الشرقية بلندن.

١٣- البديع في نقد الشعر
: لأبي الفرج قدامة بن جعفر – نسخة مصورة من طبعة مطبعة بريل . مدينة ليدن .

١٤- البداية والنهاية :
: للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤هـ - طبعة دار الفكر العربي . الطبعة الأولى عام ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م .

١٥- البيان والتبيين
: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – مكتبة الخانجي – مصر – الطلعة الرابعة عام ١٣٩٥هـ -١٩٣٣م . و نشر بتحقيق عبد السلام هارون – لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥٠م .

١٦- البصائر والذخائر
: لأبي حيان التوحيدي – مطبعة الإنشاء ، ١٩٦٤م ، تحقيق إبراهيم الكيلاني .

١٧- تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي : شوقي ضيف .دار المعارف ، الطبعة السابعة عشرة، ١٩٩٧- ١٩٩٨م.

١٨- تاريخ الأدب العربي
: كارل بروكلمان . طبعة دار المعارف المصرية .

١٩- تاريخ الأدب العربي
: أحمد حسن الزيات – دار الثقافة – بيروت – لبنان الطبعة السادسة والعشرون .

٢٠- تاريخ الإسلام السياسي و الديني والثقافي والاجتماعي

: د. حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة التاسعة ١٩٧٩ م.

٢١- تاريخ الأدب العربي العصر الأموي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف الطبعة السابعةعشرة.

٢٢- تهذيب التهذيب

: ابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ - طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند عام ١٣٢٦هـ .

٢٣-تاريخ آداب اللغة العربية

: لجرجي زيدان – دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان –الطبعة الثانية عام ١٩٧٨م .

٢٤- تاريخ آداب اللغة العربية

: لجرجي زيدان .دار مكتبة الحياة –بيروت لبنان ط. الثانية ١٩٨٧م .

٢٥- تاريخ محاضرات الأمم الإسلامية

: الشيخ محمد الحضري بك ، طبعة دار الفكر .

٢٦- تأريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك

:المجلد الرابع .دار الكتب العلمية بيروت لبنان . حوادث سنة ١٤٥ – ٤٥٧هـ .

٢٧- التذكرة الحمدونية

: محمد بن الحسن بن محمد علي بن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي بتحقيق إحسان عباس وبكر عباس ويعرف باسم التذكرة المحمودية ، دار الصادر بيروت ١٩٩٦م .

٢٨- تاريخ الخلفاء

: للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ – مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة/ مصر . الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٢٩- تاريخ العلماء النحويين

: أبو المحاسن التنوخي - الناشر مكتبة المثنى - بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان .

٣٠- تاريخ ابن خلدون

: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون – نسخة مصورة من طبعة القاهرة ١٩١٥م .

٣١- تاج العروس من
جواهر القاموس : للزبيدي – دار إحياء التراث العربي ، بيروت – بتحقيق مصطفى حجازي .
٣٢-تاريخ النقد الأدبي
عند العرب
: د. عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٩٨٦م – ص ١٩٤.
٣٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب
:للدكتور إحسان عباس – دار الثقافة بيروت / لبنان الطبعة الثالثة ١٩٨١م .
٣٤- التمثيل والمحاضرة
: للثعالبي . تحقيق د. عبد الفتاح الحلو – طبعة عيسى بابي الحلبي القاهرة ١٩٦١م .
٣٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب
: لطه أحمد إبراهيم – مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة١٩٢٧ م .
٣٦- ثمرات الأوراق
:لابن حجة الحموي – بتحقيق د. مفيد قميحة القاهرة / مصر.
٣٧- جمهرة أشعار العرب
:لأبي زيد القرشي – نسخة عن الطبعة الأميرية سنة ١٣٠٨هـ .
٣٨- الحيوان
: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـ /٢٥٥هـ) – شركة ومكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده – مصر ١٣٨٧هـ /١٩٦٨م .
٣٩- حياة الحيوان الكبرى
: الدميري المتوفى عام ٧٧٣هـ ومولده عام (٧٤٢) - طبع الكتاب لأول مرة في بولاق ١٢٧٥هـ .
٤٠- الحلل في شرح أبيات الجمل
: البطليوسي - طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م بتحقيق مصطفى إمام، معتمداً ثلاث نسخ من مخطوطات الكتاب، أقدمها: نسخة مكتبة ملي بإيران، وهي منسوخة عام (٥٢٦هـ) .

٤١- الرحيق المختوم :
: صفي الرحمن المباركفوري ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ، ط السادسة ١٩٨٨م .
٤٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠هـ -١٠٩٣هـ. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية -١٩٧٩م.
٤٣- خاص الخاص
: للثعالبي – مكتبة الحياة ، بيروت / لبنان ١٩٦٦م .
٤٤- دراسات في علم اللغة
: للدكتورة فاطمة محجوب – المطبعة العربية الحديثة – العباسية – الناشر دارالنهضة العربية – القاهرة .
٤٥- دائرة معارف القرن العشرين
: لمحمد فريد وجدي – دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت / لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٧١م .
٤٦- ديوان جرير
: دار الصادر –بيروت عام ١٩٦٦م .
٤٧- ديوان الفرزدق
: الجزء الثاني ، دار الصادر بيروت ١٩٦٦م.
٤٨- ديوان أبي نواس
: شرح و ضبط علي العسيلي ؛ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت لبنان .ط١١٩٧٠م.
٤٩- الرسائل
: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي . القاهرة ، ١٩٦٤م .
٥٠- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار
: للإمام محمود بن عمر الزمخشري –مطبعة العاني بغداد- دون تاريخ.
٥١- سنن النسائي
: لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النسائي – ٢١٥هـ - ٣٠٢هـ.
٥٢- سير أعلام النبلاء
: للذهبي - طبع بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط وتحقيق طائفة من المحققين، من أبرزهم د. بشار عواد معروف .
٥٣- الشعر في الشام

:لخليل مردم بك – المجمع العلمي العربي دمشق -.١٩٥٥

٥٤- الشعر الأموي بين الفن والسلطان
: لعبد المجيد حسين زراقط - دار الباحث للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان ط ١٩٨٣م.

٥٥- شعر البصرة في العصر الأموي
"دراسة في السياسة والاجتماع" : د.عون الشريف قاسم - دار الجيل بيروت ١٩٩١م .

٥٦- الشعر والشعراء
: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – نسخة من طبعة مدينة ليدن ١٩٠٢م .

٥٧- صحيح البخاري
: لأبي عبيد الله ممد بن إسماعيل البخاري - ١٩٤- ٢٥٦هـ .

٥٨- صحيح مسلم :
: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦هـ - ٢٦١ هـ.

٥٩- صبح الأعشى -
:لمحمد بن عبد الله القشقلندي ٣٢١هـ - ٩٣٣م ، مطبعة القاهرة ١٩١٨م - أربعة عشرة جزءا .

٦٠- طبقات الشعراء
:لابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣١هـ ، دار النهضة بيروت. دون تاريخ .

٦١- طبقات الفقهاء
: لأبي إسحاق الشيرازي - هذبُه محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) ، بتحقيق : إحسان عباس ، دار الرائد العربي عام – الطبعة الأولى ١٩٧٠م .

٦٢- طبقات الشعراء
:فصل في أخبار منصور النميري لابن المعتز تحقيق عبد الستار فراج – دار المعارف ، مصر ١٣٧٥هـ / ١٩٦٥م .

٦٣- طبقات الأولياء
: ابن الملقن - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م - مصر، بتحقيق د. نور الدين شريبه.

٦٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

: لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٣٩٠ - ٤٥٦هـ ، دار الجيل بيروت ١٩٧٢ م.

٦٥- العقد الفريد

: للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي تـ٣٢٨هـ - ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م .

٦٦- عيار الشعر

: لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي . طبع الشركة فن الطباعة – مصر ١٩٦٥م .

٦٧- العقد الثمين في البلد الأمين

: للإمام تقي الدين بن محمد أحمد الحسني الفاسي المكي ٧٧٥ هـ - ٨٣٢هـ . دار الكتب المصرية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٦٨- عيون الأنباء في طبقات الأطباء

: ابن أبي أصيبعة - طبع لأول مرة في المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٨٨٢م بعناية الألماني (أوغست مولر) في جزأين.

٦٩- العباب الزاخر

: للصاغاني – طبعة عام ١٩٨٠م .

٧٠- غرر الخصائص الواضحة في غرر النقائص الفاضحة

: للوطواط المتوفى عام ٧١٨هـ - بولاق / القاهرة ١٣٨٤هـ.

٧١- في الشعر الإسلامي والأموي

: الدكتور عبد القادر القط – طبعة دار النهضة بيروت ١٩٦٧م.

٧٢- فحول الشعراء

: للأصمعي .عبد الملك ين قريب ١٢٣هـ - ٢٤٨هـ -دار الكتاب الجديد .

٧٢- فتوح البلدان:

:الشيخ البلاذري الجزء الثالث – طبعة دار الكتب - القاهرة .

٧٤- الفهرست

:لابن النديم – دار المعرفة للطباعة والنشر –بيروت . لبنان.

٧٥- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية

الدولة العباسية : للشيخ محمد الخضري بيك – دار الفكر- مصر .
٧٦- من تاريخ النحو العربي
: الدكتور سعيد الأفغاني - دار الفكر .
٧٧- الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء
:لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني – المطبعة السلفية ، القاهرة و بتحقيق محمد علي قرنة – الهيئة المصرية العامة – القاهرة ١٩٨٠م .
٧٨-الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي – تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف / القاهرة ١٩٦١م – ١٩٦٥م .
٧٩- الموسوعة الشعرية
:الإصدار الثالث – المجمع الثقافي ١٩٩٧-٢٠٠٣م
٨٠- معجم الأدباء
: لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي – طبعة دار الصادر بيروت/لبنان ،١٣٩٧هـ /١٩٧٧م .
٨١- القاموس المحيط
:مجد الدين محمد بن يعقوب للفيروز أبادي . المتوفى ٨١٧هـ مؤسسة الحلبي و شركاه للنشر والتوزيع – القاهرة .
٨٢- كتاب الديارات
: لعلي بن محمد الشابشتي أبي الحسن. نسخة بتحقيق عبد الحليم بن محمد الدمشقي . مكتبة دمشق .
٨٣- كتاب الإماء الشواعر
: أبو الفرج الأصبهاني - الطبعة الأولى ، بيروت سنة ١٩٨٤م بتحقيق د. نوري حمودي القيسي، ود. يونس السامرائي.
٨٤- كتاب الصناعتين
: لأبي هلال العسكري . مطابع عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٨٥-الكامل في التاريخ :
: لعز الدين أبي الحسن علي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير – المجلد الثالث – دار الصادر – بيروت ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٢م.

٨٦- الكاشف
: للإمام الذهبي المتوفى عام ٧٤٨هـ الطبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م – دار النصر للطباعة – القاهرة .
٨٧-الكامل في اللغة والأدب
: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى عام ٢٨٥هـ - مؤسسة المعارف بيروت- لبنان ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
٨٨- الكشكول
:بهاء الدين العاملي المتوفى عام ١٠٣١هـ - دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٠هـ . تحقيق طاهر أحمد الزاوي .
٨٩- لسان العرب
: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرك بن منظور الأفريقي المصري – طبعة دار الصادر بيروت/لبنان .
٩٠- مختصر صحيح البخاري
: للإمام زين الدين الزبيدي – دار النفائس بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
٩١- الملل والنحل:
: للشهرستاني – دار المعرفة – لبنان بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ .
٩٢- مشاهير علماء الأمصار
وأعلام فقهاء الأقطـــار
: للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي بتحقيق مرزوق علي إبراهيم . دار الوفاء المنصورة .ط الأولي ١٩٩١م .
٩٣-المقدمة :
:عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- لبنان المكتبة التجارية مكة المكرمة ١٩٩٤م.
٩٤- معجم ما استعجم
: أبو عبيد البكري- بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت
٩٥- مـــروج الذهب
ومعادن الجوهر :لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى عام ٣٤٦هـ - شركة الإعلانات الشرقية القاهرة -١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م
٩٦- المعجم الوسيط

: قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، إشراف مجمع اللغة العربية. طبع المكتبة العلمية طهران – إيران .

٩٧- المقاييس البلاغية عند الجاحظ

: للدكتور فوزي السيد عبد ربه عيد – طبعة دار الثقافة للنشر و التوزيع ١٩٨٣م .

٩٨- معجم البلدان

: للشيخ الأمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي - دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان - ١٩٢٢م .

٩٩- المؤتلف و المختلف

: لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي – دار أحياء الكتب ١٩٠٦م .

١٠٠- مجالس ثعلب

: لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ٢٠٠ - ٢٩١ هـ طبعة دار المعارف – مصر الطبعة الثانية - القسم الأول.

١٠١- مروج الذهب ومعادن الجوهر

:أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - (ت ٣٤٦هـ) شركة الإعلانات المصرية القاهرة / مصر عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٠٢- معجم المطبوعات

: جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس توفى عام ١٣٥١هـ - القاهرة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

١٠٣- المستطرف في كل فن مستظرف

: الإمام الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي - دارالطباعة السنية ١٢٨٥هـ .

١٠٤- المحاسن والمساوئ

: للبيهقي - طبعة دار الصادر بيروت/لبنان ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

١٠٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب

: لجلال الدين بن هشام الأنصاري المتوفى عام ٧٦١هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت/لبنان . الطبعة الخامسة ١٩٧٩م .

١٠٦- مشاهير علماء الأمصار – الجزء الأول .

: للإمام الحافظ أبى حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي ، حققه ووثقه وعلق عليه مرزوق على إبراهيم الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة .

١٠٧- معجم الصحاح
في اللغة
: لإسماعيل ين حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين ، بيروت/ لبنان ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
.
١٠٨- معاهد التنصيص
على شواهد التلخيص
: للعباسي صميم المتوفى عام ٩٦٣هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة السعادة مصر.
١٠٩- معالم على طريق
النقد القديم :
: د. رجاء عبد المنعم جبر – مكتبة الشباب ، المنيرة / مصر – الجزء الأول ١٩٨٥م .
١١٠- المذاكرة في
ألقاب الشعراء
: النشابي الإربلي - طبع لأول مرة سنة ١٩٨٨م بتحقيق شاكر عاشور، معتمداً نسخة، دار الكتب المصرية.
١١١- مجمع الأمثال
: الميداني المتوفى ٥٣٩هـ - مكتبة الحياة – بيروت / لبنان ١٩٦١م – ١٩٦٢م .
١١٢- محاضرات الأدباء
: للراغب الأصبهاني – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت/ لبنان .
١١٣- مجلة العرب (السنة ٩)
١١٤- مجلة العرب (السنة ١٠)
١١٥- مجلة آداب الرافدين: المجلد ٢٤ .
١١٦- مجلة (الكتاب) عدد يونيو ١٩٤٦.
١١٧- نضرة الإغريض في
نصرة القريض
: للمظفر العلوي ، تحقيق د. نهى عارف – مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق : ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

١١٨- النقد المنهجي عند العرب
: للدكتور محمد مندور – دار نهضة مصر- القاهرة .
١١٩- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي . أربعة أجزاء طبعة بولاق . دون تاريخ .
١٢٠- النقد الأدبي
: لأحمد أمين – مطابع دار الغندور ، بيروت الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م . الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
١٢١- زهرة الآداب وشعر الألباب
: لأبي إسحق الحصري القيرواني . المطبعة الرحمانية – مصر .
١٢٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
: لأبن تقري بردي المتوفى عام ٨٧٤هـ - وزارة الثقافة و الإرشاد ، مصر ١٣٨٣هـ - ١٩٩٣م .
١٢٣- نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر : عبد الحي الحسن – وهو والد الشيخ والداعية الإسلامي أبو الحسن الندوي . المجلد الأول ط الهند ١٩٣١م في فصل أعيان القرن الثالث ص ٣٩٤ .
١٢٤- نهاية الإرب في فنون الأدب
: لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري – طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٢م.
١٢٥- نور القبس من المقتبس
: ليوسف بن أحمد بن محمود، أبو المحاسن اليغموري- النشرات الإسلامية ١٩٦٤م ، تحقيق رودلف زلهايم.
١٢٦- النقد العربي القديم نصوص في الاتجاه الإسلامي و الخلقي
: د. وليد قصاب – دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٥م .
١٢٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
:أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان بتحقيق : إحسان عباس الناشر : دار صادر – بيروت .
١٢٨- الوافي بالوفيات
: الصلاح الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ – نسخة من أربعة فصول طبعة استانبول / تركيا بعناية س. ديدرينغ .

١٢٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه : الجرجاني . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي – مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر: ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

فهرست
الموضوعات

الموضوع.....رقم الصفحة

١- المقدمة
.....أ

٢- الباب الأول : العصر
الأموي.....٢

٣- الفصل الأول نشأة الدولة
الأموية.....٣

٤- الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والحركة العلمية والثقافية في العصر الأموي
..... ٢٠

٥- الفصل الثالث : الحياة الثقافية والعقلية وعوامل نهضة الأدب والنقد في العصر
الأموي.....٣١

٦- الفصل الرابع : أثر مجالس خلفاء بني أمية في الحياة الأدبية والفكر
النقدي.....٤٢

٧- الفصل الخامس : أثر مجالس خلفاء بني أمية في تطور النقد
الأدبي..... ٦٥

٨- الباب الثاني : العصر
العباس.....٧٦

٩- الفصل الأول : نظام الدولة العباسية السياسي والإداري والمالي
.....٨٠

١٠- الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية وأثرها في الثقافة والأدب
.....٨٥

١١- الفصل الثالث : ازدهار العلوم والأدب في العصر العباسي
.....١٠٦

١٢- الفصل الرابع عوامل نهضة الشعر في العصر العباسي وتشجيع الخلفاء للشعراء ١١٣
١٣- الفصل الخامس أثر مجالس خلفاء بني العباس في تطور النقد الأدبي.....١٢١
١٤- الباب الثالث : دور مجالس الخلفاء في العصرين في تطور النقد الأدبي ١٥٠
١٥- الفصل الأول : مجالس الخلفاء في العصرين – دراسة موازنة.....١٥٣
١٦- الفصل الثاني : أثر آراء الخلفاء في مؤلفات النقاد.....١٨٠
١٧- الخاتمة ٢٠٤
١٨- الفهارس ٢١١